



٠٠٥١٩٨



المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية اللغة العربية

قسم الدراسات العليا العربية

فرع الأدب

مصادر الإبداع آليات التشكيل

شعر محمود غنيم

بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي
إعداد الطالب

أحمد بن سعد بن أحمد الملدي الغامدي

الرقم الجامعي

٤١٩-٨٤١٣-٠

إشراف الأستاذ الدكتور

السيد العراقي سعد منصور

١٤٢٣هـ - ١٤٢٤هـ

(المقدمة)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آله ،
وصحبه أجمعين ، وبعد :

كانت الرغبة تشدني إلى أن أكتب عن الشاعر محمود غنيم منذ كنت طالباً في
المرحلة الثانوية عندما درست أول قصيدة له (وقفة على طلل) التي كانت شهرتها تماثل
شهرة معلقة امرئ القيس وسينية البحتري وهمزية شوقي .

ونظراً إلى أن هذا الشاعر - صاحب القامة الشعرية الباسقة - لم يحظ بدراسات
أدبية ونقدية وافية تكشف أبعاد شخصيته الشعرية وتحليلها ، وتضعها في مكانها الطبيعي من
حركة الشعر العربي الحديث ، فقد عقدت العزم على دراسة جانب مهم من جوانب
شخصيته الشعرية أتناول فيه ينايع تجاربه الإبداعية ، وطرائق التشكيل اللغوية عنده .
فجاء موضوع دراستي المكمل لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي الحديث (مصادر
الإبداع وآليات التشكيل في شعر محمود غنيم) .

ولا أقصد بمصادر الإبداع المصدرين الحسي والذهني اللذين يعدان مجمع الطبع الإبداعي
المنتج . وإنما قصدت بمصادر الإبداع في شعر محمود غنيم مرجعية المادة الشعرية المخزونة
في هذا الذهن والملتقطة من الخارج من مظاهر الكون المعرفية والمادية وكيف شكلها هذا
الشاعر في بناءاته النصية الشعرية ليقدم لنا شعراً عربياً خالصاً .

فظهرت هذه الدراسة في مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة فصول ، وخاتمة .

- وقد عرضت في المقدمة : أهمية الموضوع ، وسبب اختياره ، وخطة البحث ، والنهج
الذي سار عليه .

- أما التمهيد ، ففيه نبذة مختصرة عن حياة الشاعر وسيرته الشعرية .

وجاءت فصول البحث الثلاثة كالتالي :

- الفصل الأول : مصادر الإبداع ، وجعلته في مبحثين :

المبحث الأول : المصادر الذاتية ، وتناولت فيه :

- الاستعداد الفطري .

- التكوين النفسي .

المبحث الثاني : المصادر الخارجية ، وجاءَ على النحو التالي :

أولاً : بيئة الطفولة ، وتحدثت فيها عن :

- القرية .
- الطبيعة .
- في رحاب المدنية الحديثة
- الأسرة .
- ثانياً : التعليم الرسمي ، وبينت فيه مصادر تعليمه :
- الكتاب .
- الأزهر .
- مدرسة القضاء الشرعي .
- دار العلوم .
- ثالثاً : الثقافة الشخصية ، وأرجعتها إلى ثلاثة مصادر :
- أدبية .
- تاريخية .
- دينية .

- الفصل الثاني : مثيرات الإبداع :

في هذا الفصل تحدثت عن المناسبات التي شكلت مثيراً لإبداعه وهي :

- مناسبات دينية .
- مناسبات وطنية .
- مناسبات قومية .
- مناسبات اجتماعية .
- مناسبات ثقافية .

- الفصل الثالث : آليات التشكيل :

وعنيت به طرائق التشكيل اللغوية عنده ، وكشفت فيها عن :

- البناء الفني للقصيدة

- المعجم الشعري .

- الأسلوب .

- الموسيقى .

- الصورة .

وفي الخاتمة تحدثت عن أهم النتائج التي وصلت إليها وأشارت إلى بعض الموضوعات الجديدة بالبحث والاستقصاء من قبل الدارسين ، ثم ختمت البحث بالفهارس للمصادر والمراجع والموضوعات .

ولقد كنت حريصاً على معرفة الدراسات التي تناولت شعر محمود غنيم قبل دراستي هذه بهذا العنوان الذي اخترته لهذا البحث . فقامت برحلة إلى مصر فحصلت على دراستين علميتين من جامعة الأزهر . الأولى : قدمها الدكتور/ محمد أحمد سلامة لنيل درجة الدكتوراة عام (خمسة وسبعين وتسعمائة وألف من الميلاد) تناول فيها حياة الشاعر وشعره بصفة عامة فجاءت بعنوان (محمود غنيم وشعره) ، وقد أفادتني كثيراً في الوقوف على حياة الشاعر وموضوعات شعره .

أما الدراسة الثانية فتناولت (المسرح الشعري عند محمود غنيم) وقد تقدم بها الباحث الأستاذ / علاء فؤاد عبد الفتاح بيومي . لنيل درجة الماجستير عام (سبعة عشر وأربعمائة وألف من الهجرة) . إضافة إلى ما تناوله بعض الدارسين عنه في لمحات سريعة أو شواهد شعرية من شعره في وقفات عابرة ، أو في بحوث مختصرة ، أو في مقالات متنوعة . إلا أن واحداً لم يتجه إلى إفراجه بدراسة دقيقة تعني بملامح الإبداع عنده ، وتكشف جوانب التشكيل في شعره . فجاءت دراستي هذه والتي تعتمد على الطريقة الموضوعية القائمة على التحليل والنقد والمعززة بالشواهد الشعرية الفياضة لتعالج ما نقص وتبين الكثير من مصادر الإبداع وجماليات التشكيل في شعره .

هذا وقد اقتصررت دراستي هذه على شعره الغنائي دون المسرحي ، لأن الشعر المسرحي له تقنيات خاصة تستوجب بحثاً مستقلاً ولأن المقام لا يتسع لذكر ذلك ، فيكفي من القلادة ما أحاط بالعنق .

واعتمدت في ذلك على دواوينه الشعرية الثلاثة : صرخة في واد ، في ظلال الثورة ، رجع الصدى . وكلها مجموعة في ديوانه الشامل الأعمال الكاملة .

ولعلي بهذا العمل المتواضع أكون قد كشفت النقاب عن كثير من ينابيع إبداعه ، وإبراز ملامح التشكيل عنده . ووضعه في المكان اللائق الذي يستحقه بين شعراء العربية .
و لا يسعني في الختام إلا أن أقدم جزيل شكري وامتناني لأستاذي الدكتور / السيد العراقي سعد منصور ، المشرف على هذه الرسالة والذي فتح قلبه وبيته لمساعدتي في إتمامها وإن قلّمي ليعجز عن توفيته حقّه ، فله جزيل الشكر والثناء .

ولا يمكنني أن أنسى جميع من ساهم وعاون على إخراج هذا البحث وأخص بالذكر كلا من الأستاذ الدكتور / محمد بن مريسي الحارثي ، الذي أضاء الطريق أمامي بتوجيهاته الكريمة فترة الإرشاد الأكاديمي عندما قمت باختيار موضوع هذه الدراسة ، والدكتور / حمود الصميلي ، الذي أفادني بملاحظاته الصائبة .

كما لا يفوتني هنا أيضا أن أشكر الأستاذين الفاضلين الدكتور حامد بن صالح الربيعي ، والدكتور كمال سعد محمد خليفة اللذين تفضلا بقبول مناقشة رسالتي .
والشكر أولا وأخيراً موصول لكلية اللغة العربية بجامعة أم القرى ولقسم الدراسات العليا بها ، حيث يعد هذا البحث المتواضع نبتة من غرسهما في مجال العلم والمعرفة .

وأخيراً أرجو من الله العليّ القدير أن أكون قد وفّقتُ في رسالتي هذه ، فما كان فيها من صواب وإجادة فمن الله عز وجل ، وما كان فيها من نقص أو ضعف فمن نفسي والشيطان ، وعزائي في ذلك ما جاء على لسان العماد الأصفهاني من حكمة بليغة حينما قال : " إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده : لو غيّرَ هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يُستحسن ، ولو قدّم هذا لكان أفضل ، ولو تُرك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر ، وهو دليلٌ على استيلاء النقص على جملة البشر " .

والله أسأل أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم وما توفيقي إلا بالله العظيم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

مكة المكرمة

١٧ / ٤ / ١٤٢٣ هـ

(التمهيد)

في قرية " مليج " إحدى قرى الريف المصري الهادئة التابعة لمحافظة " المنوفية " ولد الشاعر محمود بن محمد غنيم من أبوين كريمي الأصل صالحين عام (١٣٢٠ - ١٩٠٢ م)^(١)

وفي جنات هذه القرية الصغيرة نشأ الشاعر في أسرة متوسطة الحال ورغم ظروف مالية صعبة ألت بالأسرة إلا أن والده الذي كان يعمل مزارعاً أصرّ على أن ينهض بأعباء تعليم أبنائه الثلاثة أحمد ومحمود وعبدالواحد. فدخل الشاعر مع أخويه المدرسة الأولية بالقرية ، ثم كُتّاب الشيخ علي عيسى وفي هذه المرحلة من عمره حفظ القرآن وتعلم بعض مسائل الحساب وقواعد الإملاء.

وعندما بلغ الشاعر سن الثالثة عشرة من عمره التحق بالمعهد الأحدي بطنطا عام (١٩١٥ م) ومكث فيه أربع سنوات . وقد بدأ اهتمام الصبي بالأدب يتضح منذ مراحل عمره الأولى ، ولم يأت ذلك العام الذي توفي فيه والده إلا وكانت صلته بالأدب العربي قد

(١) انظر ترجمة الشاعر فيما يلي :

- ١ - محمد عبد المنعم خفاجي : دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه . الطبعة الأولى . (بيروت : دار الجيل . عام ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م) ص ٢١٦ وما بعدها ١/ .
- ٢ - محمد عبد المنعم خفاجي : من تاريخنا المعاصر . الطبعة الأولى . (القاهرة : دار العهد الجديد للطباعة عام ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م) ص ١٧٥ وما بعدها .
- ٣ - محمد أحمد سلامة : " محمود غنيم وشعره " . رسالة دكتوراه . كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م ، ص ٣٨ وما بعدها .
- ٤ - علاء فؤاد بيومي : " المسرح الشعري عند محمود غنيم " . رسالة ماجستير ، كلية اللغة العربية ، الزقازيق ، عام ١٤١٧ هـ ، ص ١ وما بعدها .
- ٥ - محمد بن سعد بن حسين : من شعراء الإسلام . الطبعة الأولى . (الرياض : مطابع الفرزدق ، عام ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤) ص ٢٤٧ .
- ٦ - دموع على الشاعر محمود غنيم ، لمجموعة من الأدباء ، تقديم د. محمد أحمد سلامة ، دار الهناء للطباعة ، ص ٣ وما بعدها .

تعمقت وأصبح ملماً بفروعه . يقول محمود غنيم في مقدمة ديوانه (صرخة في واد) موجهاً الحديث إلى والده المتوفي : " ومازلت أذكر - وإن بَعُدَ العهد - أنني كنت حين أقرأ لك في قصة عنتره ، أتجاوز الشعر كلما بلغته ، برماً به وشغفاً بتتبع مجرى الحوادث، فتدني إليه في شبه انتهاز قائلاً : " أقرأ الشعر تتعلم الفصاحة " ^(١) . التحق محمود إثر ذلك بمدرسة (القضاء الشرعي) من (١٩١٩م - ١٩٢٣م) ، وألغيت هذه المدرسة في ذلك العام. فالتحق بعدها بالمعاهد الدينية (١٩٢٣م - ١٩٢٤م) ونال منها الشهادة الثانوية ^(٢) (الأزهرية) ودفعه طموحه إلى أن يحصل فضلاً عن ذلك على كفاءة التعليم الأولى من الخارج ^(٣) أي طبقاً لنظام اختبارات التلاميذ غير المقيدين بالمدارس .

*** **

عمل الشاعر - بعد أن حصل على تلك الشهادات - مدرساً في المدارس الأولية في بعض القرى وفي سنة (١٩٢٥م) دفعه طموحه أيضاً إلى الالتحاق بـ (دار العلوم) بعد أن أعلن مجلس مديرية البحيرة عن رغبته في طلب خمسة طلاب ممن حصلوا على الثانوية الأزهرية لدخول دار العلوم على نفقة المجلس وكان الشاعر ضمن أولئك الطلاب الذين وقع عليهم الاختيار فمكث في دار العلوم أربع سنوات (١٩٢٥م - ١٩٢٩م) وتخرج فيها مدرساً للغة العربية . ^(٤)

وقد أشار الشاعر إلى مراحل تعليمه في قصيدة (حنينٌ إلى الماضي) التي يحكي فيها معاقل تعليمه ، ويتمنى لو أن الحياة فيها تعود مرة أخرى :

(١) محمود غنيم : الأعمال الكاملة . د . ط . (القاهرة : دار الغد العربي عام ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)

ص ١٠ .

(٢) دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه ، ١/٢١٦ .

(٣) انظر : محمود غنيم وشعره ، ص ٤٠ .

(٤) انظر : السابق ، ص ٤٠ وما بعدها .

سلامٌ عليها في " مليج " مثابة
سلامٌ على " طنطا " ومعهدا الذي
سلامٌ على دار القضاء وأهلها
سلامٌ على دار العلوم وعهدا
مغانٍ غرفتُ العلم من غرفاتها
حفظت بها السبع القصار الماثيا
نظمت به قبل البلوغ القوافيا
وربعٌ من العرفان أصبح خاويا
وهيهات هذا العهدُ يرجع ثانيا
وأودعتُ فيها بضعةً من شبابيا^(١)
وهي أبياتٌ تدل دلالة واضحة على حرصه الأكيد على طلب العلم من معينه
الصافي.

وفي دار العلوم لمع نجمٌ محمود . فكان يعد نفسه شاعرها المميز فتفاءل به أساتذته
وأصدقائه . فكانوا يكلفونه في المناسبات المختلفة بنظم قصيده الرائع احتفالا بكل مناسبة
(٢) ، ولطالما تغنى الشاعر بدار العلوم وألقى فيها قصائده المختلفة ، فكان يراها داره وجنته
ومدرسته التي تعلم فيها الحب الطاهر كما تعلم فيها علوم الدين واللغة والأدب يقول:
لكنما دار العلوم أمومي
دار نزلت بها فكانت جنة
فيها قضيت من العلوم لباني
دار المرين الذين بلوهم
لم أتلُ فيها من دروسي أحرفاً
قد علمتني أن أحب وأطهر
ووردت منهلها ، فكانت كوثر
(وعلى كواكبها تعلمت السرى)
فحسبت (رُسُو) (٣) منهمو ، و(سبنسرا) (٤)
إلا تلوت من الفضيلة أسطرا (٥)

*** **

١٨٥٠



- (١) الأعمال الكاملة ، رجعُ الصدى ، ص ٧٤٥ .
- (٢) انظر :محمود غنيم وشعره ، ص ٤١ .
- (٣) جان جاك روسو . (١٧١٢ - ١٧٧٨) كاتب فرنسي ولد في جنيف ، له عديد من المؤلفات الفلسفية والاجتماعية والأدبية ، من أبرزها (العقد الاجتماعي) ، كان لمبادئه علاقة بالثورة الفرنسية وبنشأه الرومانسية .
- (٤) هربرت سبنسر . (١٨٢٠ - ١٩٠٣) فيلسوف إنجليزي ، تأثر بنظرية (داروين) في تطور الأجناس أو النشوء والارتقاء وحاول تطبيقها على الأخلاق والاجتماع .
- (٥) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٨٢٩ .

وبعد تخرجه في دار العلوم عام (١٩٢٩م) عمل في قرية كوم حمادة . وظل بها مدرساً إلى عام (١٩٣٨م) أي أنه قضى فيها تسع سنوات مع أن الاتفاق بينه وبين مجلس مديرية البحيرة كان يقضي ببقائه بها أربع سنوات فقط ^(١) لكن مجلس المديرية استغل وجوده هناك فأطال بقاءه في إحدى مدارسه الابتدائية حتى فاض الكأس وبلغ السيل الزبى وأبت قريحته الشعرية إلا أن تصف حياته المقيدة وتعلن شكواه المريرة على الملاء في استغاثة شعرية متوجعة ضمنها تبرمه وسخطه من أن شبابه قد ذوى بين جدران هذه القرية ، يقول :

أبواب كَأَن الصمت فيها مخيم ؟	أبذوي شبابي بين جدران قرية
إذا حُسِبَ الأحياء لم أك منهمو	أكادُ من الصمت الذي هو شاملي
غريبٌ بإحساسي وروحي عنهمو	وعاشرتُ أهلها سنين وإنني
فداري بها داري وصحبي همومو	سئمتُ بها لوناً من العيش واحداً
فؤاداً عليها كالطيور يحوم ^(٢)	فمن مبلغ " بنت المعز " بأن لي

وبالرغم من ترم الشاعر من حياته في هذه القرية إلا أنه لم ييأس أو يقنط فها هو يقدم على الزواج ويتزوج من أسرة كريمة الأصل وهو لا يزال في أوائل سلمه الوظيفي. ^(٣) ويرزقه الله في هذه الفترة بمولود ذكر فيستقبله بقصيدته (تحية مولود) يبين فيها إشفاقه على مولوده فهو لا يكره لقاءه وإنما يخشى عليه جور الأيام وبؤس الحياة ، يقول :

سرك اليوم قولهم أم ساءك	حين قالوا : هذا غلام جاءك ؟
أيها الطارق الجديد ، سلاماً	أسأل الصفح إن أسأت لقاءك
علم الله ما كرهتك ضيفاً	لا ، ولكنني كرهتُ شقاءك ^(٤)

(١) انظر : محمود غنيم وشعره ، ص ٥٩ وتاليتها .

(٢) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٢٣٤ .

(٣) انظر : دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه ، ١/٢١٨ .

(٤) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٢٣٦ .

وبعد أن اشتد به الضيق من طول البقاء في كوم حمادة وانتشرت قصيدته (كأس تفيض) والتي سمع صداها عند شعراء المهجر يأتيه الفرج ويصدر قراراً عام (١٩٣٨) بنقله إلى القاهرة مدرساً للغة العربية وذلك بفضل مساعٍ كريمة من بعض محبي الأدب والشعر وعلى رأسهم أنطون الجميل رئيس تحرير الأهرام آنذاك.

وفي القاهرة وجد الشاعر ضالته التي يبحث عنها فعاش مع الشعراء والأدباء متردداً على دور النشر والمجلات الأدبية وفي مقدمتها مجلة الرسالة التي كانت تنشر شعره باحتفاء كبير. ^(١)

ومع أن الشاعر قد تحقق له بعض ما أراد إلا أن طموحه الكبير لم يقف عند هذا الحد فكان يطمح إلى أن يرقى لمستوى أفضل في عمله ، يقول معبراً عن ذلك :

خليلي ، هل للمجد حد ، فأنتهي إليه ؟ لقد طال العبور ، ولم أرس
مأرب تترى ، كلما نلت مأرباً تنازعني عنه إلى غيره نفسي
فلا النفسُ إن أبلغ تقف عند غاية ولا هي إن أخفق ترحني باليأس ^(٢)

فدفعه طموحه إلى التدرج في سلك الوظائف التعليمية فعين في منصب مفتش للغة العربية عام (١٩٤٣م) ولكنه مع ذلك كله نراه يشكو حظه في هذه المهنة الجديدة فهي كسابقتها قليلة الراتب كثيرة الجهد والعمل، يقول في قصيدة له بعنوان (منصب زائف):

وما سرنى التفتيش حين وليته ولا أنا - إن وليّ - عليه بأسف
لقد خلته يغني عيالي من الطوى فكان كمضروب من النقد زائف ^(٣)

وعلى الرغم من تلك الشكوى المريرة إلا أنه واصل مسيرته في مجال عمله حتى رُقي إلى منصب (مفتش أول) للغة العربية بوزارة التربية والتعليم . ثم وصلت به خطاه إلى منصب عميدٍ لمفتشي اللغة العربية بالوزارة وكان ذلك آخر عهد الشاعر بالمنصب . ^(٤)

(١) انظر: دراسات في الأدب العربي الحديث ومدرسة ، ١/٢٢٠

(٢) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٢٧٣

(٣) السابق ، ص ٢٧٧

(٤) انظر : دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه ١/٢٢١

أعماله ومؤلفاته :

كان الشاعر عضواً في كثير من اللجان والمجالس الأدبية في الدولة . ونال كثيراً من الجوائز التشجيعية عن أعماله ومؤلفاته الأدبية ، وفيما يلي صورة مبسطة عن أهم أعماله :

١ - الدواوين الشعرية :

أ - ديوان : " صرخة في واد "

أول دواوين الشاعر، ويضم شعر الحرب والاجتماع والوصف والمرأة ... الخ ونال جائزة الشعر الأولى في مسابقة الجمع اللغوي عام ١٩٤٧ م .

وقد قدم له الأديب المعروف المرحوم إبراهيم دسوقي أباطة ، فأعلن إعجابه بالديوان وبين مكانة الشاعر ومترلته بين شعرائنا المعاصرين ، ثم عرج على نماذج من شعر الديوان فبين فيها وضوح الألفاظ وجمال المعاني اللذين يعبران عن طاقة فنية عالية لدى الشاعر يقول : " إن ريشة شاعرنا العبقرى تلعب باللفظ والمعنى في قدرة فائقة واستعداد عظيم ، ينبعان من رصيد الطاقة الفنية التي تنطوي عليها نفس الشاعر وقلبه الكبير " (١) .

ب - ديوان " في ظلال الثورة "

الديوان الثاني لمحمود غنيم ، ويضم القصائد التي نظمها الشاعر من عام (١٩٤٧ - ١٩٦٠ م) وقسمه إلى تسعة أبواب أيضاً (٢) وقدم له كذلك الأديب الوزير إبراهيم دسوقي أباطة الذي سبق أن تولى التقديم للديوان الأول وقد تحدث في مقدمته عن الشاعر وشعره يقول في ثانيا حديثه عن محمود غنيم : " ومع أنه تناول موضوعات نظم فيها شعراء كثيرون من أبناء هذا الجيل فقد ظل محتفظاً بطابعه ، وتلك سمة الأصالة في كل

(١) الأعمال الكاملة ، مقدمة ديوان صرخة في واد ، ص ١٣ .

(٢) انظر : دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه ، ١/٢٢٥

شاعر كبير ^(١) . وقد نال بهذا الديوان جائزة الدولة التشجيعية سنة (١٩٦٣ م) واحتفلت به الأوساط الأدبية ومنها رابطة الأدب الحديث . ^(٢)

ج - ديوان " رجع الصدى " :

طبع هذا الديوان بعد وفاة الشاعر سنة (١٩٧٩ م) ^(٣) وهو يجمع شعره من عام (١٩٦١ م) . إلى قريب من أواخر حياته ، ويحتوي على مائة من القصائد والمقطوعات ، وقد تولى التقديم له هذه المرة محمد أحمد سلامة بمقدمة ذكر فيها أن فكرة جمع الديوان قد برزت عندما علم الشاعر بتسجيل رسالة دكتوراه عنه بعنوان (محمود غنيم وشعره) لكن القدر المحتوم لم يمهل حتى يراه مطبوعاً منشوراً كشعره في الديوانين الآخرين . ^(٤)

٢ - مسرحياته الشعرية :

يعد محمود غنيم من عمالقة الشعر المسرحي بعد شوقي وعزيز أباظة وله خمس مسرحيات شعرية هي : ^(٥)

أ - (المروءة المقنعة) أنشئت عام (١٩٤٤) ، وقد استلهم الشاعر أحداثها من التاريخ الأموي .

ب - (الجاه المستعار) عام (١٩٤٥ م) مسرحية اجتماعية عصرية أقتبسها الشاعر من واقع الحياة المعاصرة .

ج - (غرام يزيد) مسرحية شعرية مقتبسة من التاريخ الأموي .

د - (يومان للنعمان) (١٩٥٨ م) . وقد استلهم أحداثها من التاريخ الجاهلي أيام (النعمان بن المنذر) .

(١) الأعمال الكاملة ، مقدمة ديوان في ظلال الثورة ، ص ٢٩٨ .

(٢) الأعمال الكاملة ، مقدمة ديوان رجع الصدى ص ٦٤٨

(٣) المسرح الشعري عند محمود غنيم ، ص ٩ .

(٤) الأعمال الكاملة ، مقدمة رجع الصدى ، ص ٦٥٠

(٥) المسرح الشعري عند محمود غنيم ، ص ١٠ .

هـ - (النصر لمصر) (١٩٦٠م) مسرحية تاريخية مستمدة من التاريخ الأيوبي.

وقد سجلت في هذه المسرحيات رسالة علمية لمرحلة الماجستير بعنوان " المسرح الشعري عند محمود غنيم " للباحث علاء فؤاد.

٣ - المؤلفات الأدبية والنقدية :

بالإضافة إلى كون (غنيم) شاعراً وجدانياً وشاعراً مسرحياً، فإن لديه دراسات في المجالات الأدبية والنقدية ومنها :

أ - (حفني ناصف) وهي دراسة لحياة العلامة اللغوي الأديب (حفني ناصف) وعبقريته ، وقد نشرت في سلسلة أعلام العرب سنة (١٩٦٠م) في العدد السابع والأربعين.

ب - (أحمد الكاشف) وهي دراسة عن الشاعر (أحمد الكاشف) نشرت في كتاب (خمسة من شعراء الوطنية) ألف من قبل غنيم ومجموعة من الأدباء والنقاد ، وقد صدر في عام (١٩٧٤ م) .

ج - مشاركته في تحقيق الجزء الحادي والعشرين من كتاب (الأغاني) لأبي فرج الأصفهاني .

هذه هي أهم المؤلفات الأدبية لمحمود غنيم ويضم إليها المقالات الأدبية والنقدية التي نشرها في الصحف والمجلات الأدبية ومن أشهر المجلات التي شارك فيها مجلة (الرسالة، والوعي الإسلامي ، والهلل ... الخ) .

أما فيما يخص الدراسات التي نشرت حوله فأشهرها تلك المقدمات التي صُدّرت بها دواوينه الشعرية ، وما كتبه د. محمد عبد المنعم خفاجي في كتابيه (من تاريخنا المعاصر) ، و(دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه) ، إضافة إلى تلك الرسائل الجامعية التي أشرت إليها في مقدمة البحث .

نهاية المطاف :

في عام (١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م) ودع الشاعر العملاق (محمود غنيم) الساحة الأدبية منتقلاً إلى جوار ربه بعد أن خلف لنا ثروة أدبية وشعرية أضافها إلى تراثنا العربي السامق .
وقد ذهب بعض الدارسين إلى أن آخر ما جادت به قريحة محمود غنيم هو بيتاه الشهيران بعنوان (غريب بين قومي) :

إلى من أشتكي يارب ضيمي ؟ أرى نفسي غريباً بين قومي
فكم هتفوا بمحمود شكوكو وما شعروا بمحمود غنيم^(١)

وقيل أن قصيدته صانع الأجيال هي آخر ما أخرجت قريحته الشعرية المتوقدة بشهادة أحد أبناء محمود غنيم حيث كانت تردد في جنبات نادي المعلمين بالجزيرة بعد وفاته بأسبوع . والرأي الأرجح - والله أعلم - ما قاله ابن الشاعر نفسه فهو أعرف بأبيه من غيره لا سيما إذا نظرنا إلى ما عرف عنه من برٍ وخيرٍ كثير بأبيه^(٢) ومما قاله فيها :

قالوا : المعلم ، قلت : لست أغالي إن قلت : هذا صانع الأجيال
إن قلت : صورها ، وأبدع خلقها لم يغضب الرحمن صدق مقالي^(٣)

وأخيراً : وبعد وفاته أبى الأدباء والنقاد إلا أن يمجّدوا هذا الشاعر المجيد وينوهوا بمكانته ومزنته بين الأدباء فأقاموا له حفل رثاء وتأيين تبارى فيه الكتاب والشعراء في التعريف بالشاعر العظيم ، ثم جمعت قصائد المهرجان وكلماته في كتاب أطلق عليه (دموع على الشاعر محمود غنيم) قدم له الدكتور محمد أحمد سلامة^(٤) .

من صفاته :

شاعر حفظ القرآن ، ودرس العلوم الدينية ، وتعلم اللغة العربية وآدابها فأتاح له ذلك أن يكون ذا أخلاق كريمة وطباع حسنة وبصفة خاصة أنه من أبناء الريف ، يقول عنه

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصّدى ، ص ٧٥٧ ، وقد تكرر ذكرهما ص ٨٩٩ .

(٢) السابق ، ص ٨٩٧ .

(٣) السابق ، ص ٩٠١ .

(٤) المسرح الشعري عند محمود غنيم ، ص ١٣ .

صلاح عبد الصبور : " كان الأستاذ محمود غنيم رضي النفس ، كريم الخلق ، أنيس الطبع !
وكثيراً ما كان يتبسط معي في القول ، ويشملي - وشعر زملائي - بدعابته الرقيقة". (١)
وقد كان من ظرفاء عصره ، وله في المداعبات والإخوانيات شأن عظيم. (٢)
وقال عنه الأستاذ علي مصطفى المصري : " هو رجل بشوش الوجه ، لين الجانب ،
سريع الابتسام ، عربي الطباع ، سليم الفكرة ، قومي متصلب في قوميته ، متدفق في وطنيته
، ولكنه هادئ وديع ، به رقة الشاعر ، ووداعة الفنان ، واتزان المربي ، وخلق المعلم ،
وليس به ذهول ولا سرحان ... ولا جلجلة ولا عربدة ". (٣)

(١) الأعمال الكاملة ، مقالات متنوعة عن محمود غنيم ، ص ٩١٠ .

(٢) انظر : السابق ، ص ٩١١ .

(٣) من تاريخنا المعاصر ، ص ١٧٦ وتاليتها .

الفصل الأول

مصادر الإبداع

*** المبحث الأول : المصادر الذاتية .**

*** المبحث الثاني : المصادر الخارجية .**

المصادر الذاتية

- ✱ الاستعداد الفطري .
- ✱ التكوين النفسي .

أولاً : الاستعداد الفطري :

ينبغي لنا قبل التطرق إلى الحديث عن موهبة الشاعر واستعداده الفطري أن نشير إلى مفهوم الموهبة بوصفها من أهم الأسس لأي نشاط أدبي أو فني على أنها : " القدرة الابتكارية البارزة في ميدان أو أكثر من ميادين التحصيل الإنساني " (١) .

فهذه القدرة الابتكارية البارزة تؤدي إلى إنتاج أشياء قيمة تعتمد في تكوينها على عناصر يصعب التعرف عليها أو الإشارة إليها . وانطلاقاً من هذا يمكن أن نقول إن الموهوب أدبياً هو الذي " يفتن إلى مالا يفتن إليه غيره ويشعر بما لا يشعر به سواه " (٢) .

والواقع أن التوسع حول مفهوم الموهبة ليس مجالاً لدراستنا هذه على أن ما يهمنا هنا أكثر من غيره هو دراستها عند الشاعر محمود غنيم . ويمكن القول في هذا الصدد إن الاستعداد الفطري عنده ذو شقين : أولهما : استعداد إبداعي أدبي ، والآخر : ملكة نقدية واعية .

ويتمثل الإبداع الأدبي عند محمود غنيم في نتاجه الشعري الغزير والمتميز الذي تم جمعه من شتات الصحف وإصدارات المحافل في ديوان يحمله اسمه ، وأما استعداده النقدي فينعكس في العديد من المقالات النقدية والتحليلية التي شغلت حيزاً لا يستهان به من صفحات الصحف والمجلات التي كانت تصدر في عصره .

■ الاستعداد الإبداعي الأدبي (عند الشاعر) :

قرر نقاد الأدب عامة أن الأديب المبدع شاعراً أو كاتباً أو خطيباً لا بد أن يمتلك الموهبة الأدبية الفذة ، فإذا لم تكن لديه هذه المنحة الإلهية التي غرسها الله في الإنسان منذ ولادته فعليه أن ينصرف عن محاولته إلى أي عمل آخر يجد نفسه فيه . يقول ابن الأثير : "اعلم أن صناعة تأليف الكلام من المنظوم والمنثور تفتقر إلى آلات كثيرة ... وملاك هذا

(١) شيفيل ، مريان : الطفل الموهوب في المدرسة العادية ، ترجمة : عزيز حنا ، وعماد الدين سلطــــــــــــــــان ، مراجعة : د/ عطية محمود هنا ، د . ط ، (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، د ، ت) ، ص ٦ .

(٢) محمد طه عصر : سيكولوجية الموهبة الأدبية والطفولة ، الطبعة الأولى ، (القاهرة : عالم الكتب ، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠ م) ، ص ١٢ .

كله الطبع ، فإنه إذا لم يكن ثم طبع فإنه لا تغني تلك الآلات شيئاً ، ومثال ذلك كمثل النار الكامنة في الزناد والحديدة التي يقدح بها ؛ ألا ترى أنه إذا لم يكن في الزناد نار لا تفيد تلك الحديدة شيئاً ؟ " (١) .

ويختلف ذلك الطبع الموهوب بوصفه أساس الفن الأدبي من أديب إلى آخر ومن موهوب إلى آخر . وهذا ما قرره ابن قتيبة حين قال : " الشعراء بالطبع مختلفون : فمنهم من يسهل عليه المديح ، ويتعذر عليه الهجاء ، ومنهم من تسهل عليه المراثي ، ويتعذر عليه الغزل " (٢) .

وإذا كان الاستعداد الفطري يمثل العنصر المهم من عناصر الإنتاج الأدبي فإن عنصر الذكاء لا يقل أهمية عنه " إذ بهذا الذكاء يدرك الأديب العناصر المهمة لما يتناوله بالقول ، والنواحي المؤثرة ، ويعرف كيف يرتبها ويتناولها " (٣) .

وإلى جانب الاستعداد الفطري والذكاء فإن الأديب المنتج لابد أن يكون على قدر كبير من الثقافة الشاملة التي تعينه على أداء رسالته وإيصالها إلى المتلقي . وهذه الثقافة يجب أن تكون متنوعة وشاملة لكل الفنون والمعارف .

وبالإضافة إلى تلك الأمور الثلاثة السالفة الذكر فإن الأديب الموهوب يحتاج إلى دربة ومرونة حتى تظهر هذا الطبع وتقومه ليصل إلى غايته من القوة والتنوع والتميز (٤) .

(١) ابن الأثير ، ضياء الدين : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، د . ط ، (بيروت - صيدا : المكتبة العصرية ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥ م) ، ص ٢٧ .

(٢) ابن قتيبة ، أبو عبد الله : الشعر والشعراء ، تحقيق : أحمد شاكر ، (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٧ م) ص ١٤

(٣) أحمد أحمد بدوي : أسس النقد الأدبي عند العرب ، د . ط ، (القاهرة : نهضة مصر للطباعة والنشر ، ١٩٩٦ م) ، ص ٤٢ .

(٤) انظر : السابق ، ص ٤٦ .

يقول صاحب الوساطة في ذلك : " إِنَّ الشُّعْرَ عِلْمٌ مِنْ عِلُومِ الْعَرَبِ ، يَشْتَرِكُ فِيهِ الطَّبْعُ وَالرَّوَايَةُ وَالذِّكَاءُ ، ثُمَّ تَكُونُ الدُّرْبَةُ مَادَّةَ لَهُ ، وَقُوَّةٌ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أَسْبَابِهِ فَمِنْ اجْتَمَعَتْ لَهُ هَذِهِ الْخِصَالُ فَهُوَ الْمُحْسِنُ الْمُبَرِّزُ " (١) .

وشاعرنا تفجرت موهبته وهو لا يزال في السابعة عشرة من عمره وذلك عندما ألهمته قريحته قصيدة في رثاء محمد فريد عام (١٩١٩ م) وهو لا يزال طالباً في مدرسة القضاء الشرعي آنذاك . ومما جاء فيها قوله :

قضى نخبه منها فريد وودعاً	فيا مصر أجرى نيلك اليوم مدمعاً
مضى ، وقضاء الله لا شك واقع	وما المرء إلا أن يعيش فيصرعاً
أرى العيش مهما طال ظل سحابة	إذا أومضت لا بد أن تتقشعاً (٢)

فهذه الأبيات تدل على ينايع صافية يستقي منها الشاعر أنغامه ، كما تدل على نضج فني رصين وكأنا أمام شاعر غني بالخبرات والتجارب . فتلمس فيها ظلالاً من حكم الأقدمين ، والسير على نهج السابقين ، وهي أبيات تشير إشارة واضحة إلى أفق واسع الشهرة (٣) .

تجول معي في فضاءات دواوينه الفسيحة ونقب عن مواهبه الأصيلة في تلك القصائد الأثيرة سترى أنها مواهب لا تأتي إلا لقلّة من الشعراء المبدعين أمثال شاعر الطبع محمود غنيم . ففي كوم حمادة يخاطب الشاعر العيد وهو مناسبة توحى بالبهجة والسرور لكنها من وجهة نظر الشاعر لا تعني له شيئاً ؛ لأنه يشعر بالسجن والضيق وهو قابض في جنبات تلك القرية النائية . كما يذكره العيد بضياح عمره هباء وسدى :

ياعيدُ عذراً إن نظمتُ نشيدي	لك حافلاً بالنّوح ، لا التغريد
أستودع الرحمن عمراً ضاع ! لي	في كل يوم منه أجرٌ شهيد

(١) القاضي الجرجاني ، علي بن عبد العزيز : الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلي محمد البحايي ، د . ط ، (بيروت : منشورات المكتبة العصرية ، د . ت) ، ص ١٥ .

(٢) القصيدة ليست في الأعمال الكاملة ، وانظر إليها في كتاب : من تاريخنا المعاصر ، ص ١٨١ .

(٣) انظر : من تاريخنا المعاصر ، ص ١٨١ .

أغضيتُ جفنَ العينِ فيه على القذى
وحملتُ فيه مضاضة التشريد^(١)
فالأبيات تشير إشارة أكيدة إلى أنه قد نظمها للذة في نفسه ورغبة في إشباع فطرته
السليمة المتدفقة .

ولم يكن هذا الاستعداد الفطري ملازماً للشاعر أيام شبابه ؛ بل لازمه حتى صار
شيخاً كبيراً يستعد لتوديع الحياة . فقد قيل إن آخر ما جادت به قريحته قبل أن يرحل إلى
مثنواه قصيدته الموسومة بـ (صانع الأجيال) التي قالها في عيد المعلم . حيث ضمنها
خبراته في التعليم وفنونه وبين فيها مكانة المعلم ودوره في الحياة بأسلوب شعري سهل
ولغة شفافة واضحة، كما جسد فيها معاناة المعلمين وما يعترضهم من آمال وآلام في صور
شعرية رائعة ، ومما جاء فيها :

نورُ المعلم نفحةٌ قدسيةٌ	مــــن نور وجه الخالق المتعالي
وصداه من صوت الإله ، كأنه	- إن راح يطلقه - أذان بلال
صنع الصواريخ المبيدة غــــيره	وعلى يديه يتمُّ صُنْعُ رجال
كم أغفلوه ، فما تراءى شاكيــــا	أوباكياً من علة الإغفال ^(٢)

فهذا شعر يكشف لنا عن موهبة متدفقة ، وثقافة واسعة ، وصياغة مجبوكة " لمعرفته
بأصول اللغة العربية وأسرارها، وحلاوة الإيقاع؛ ولحسه المرهف، وشاعريته الأصيلة " ^(٣) .
والواقع أن هذا الاستعداد الفطري جعله يفرض نفسه على الساحة الشعرية بقوة ،
ومكنه من التصرف في طرق القول والتفنن فيه ، فشارك في معظم القضايا المعاصرة ،
وناقش كل ما يتصل بمناحي الحياة المختلفة من شؤون السياسة والاجتماع والوطن
والدين ، وتغنى بالطبيعة ومشاهدها الخلابة من ريفٍ وبحرٍ ونهرٍ وسماءٍ وفضاء ... واستلهم
التاريخ الإسلامي والعربي، وأعاد إلى الذاكرة أمجاد المسلمين وانتصاراتهم الماضية

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٢٣٩ .

(٢) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٩٠١ .

(٣) دموع على الشاعر محمود غنيم ، من كلمة الأستاذ يوسف السباعي ، ص ٢٥ .

فكان هذا الاستعداد الفطري أداة قوية استطاعت أن تفجر كل طاقات الإبداع الشعرية عند محمود غنيم منذ صباه يقول د. محمد سلامة في ثنايا حديثه عن شاعرية غنيم : " وقد كانت هذه الطاقة الإلهية متوافرة لدى شاعرنا منذ نعومة أظفاره وهو في مكتب القرية عند الشيخ علي عيسى " (١) . حتى ليتمكن القول بأنه قد تجمعت فيه كل مقومات الشاعر الحق من " ثقافة واسعة متنوعة ، وموهبة فطرية تفاعلت مع أسرار الحياة فلا عجب وقد تكاملت له عناصر الشاعرية المبدعة ، أن يهيم في كل وادٍ من أودية الشعر " (٢) . والدليل على أنه كان يعرف للموهبة الأصلية قيمتها ، ويدرك أنها هي التي فجرت فيه كل طاقات الإبداع ماقاله هو نفسه عن الموهبة الشعرية :

والشاعر الموهوبُ فلتة دهره إن مات ، أعيَا الدَّهرُ سدُّ مكانه

والشاعر الموهوبُ تقرأ شعره فترى جَمالَ الله في أكوانه (٣)

كما أنه يجعل من الشعر المطبوع مرآة صادقة للنفس الإنسانية :

والشعر مرآة النفوس ، يذيع ما طويت قراراتها على كتمانهِ (٤)

وهو شاعر أصيل الطبع ، نقي الذهن ، صافي السليقة ، أفضل الشعر عنده وأحسنه ما خلّد صاحبه وأعلى ذكره :

أقسمت ما نال البلى من شاعرٍ يحيا حياة الخلد في ديوانهِ (٥)

وقد ساعده على صقل موهبته الفنية التي أنتجت له أعماله الأدبية الرائعة تلك

النشأة الريفية التي مكنته من حبّ العربية وتذوق بلاغتها وشعرها ، فخرج شعره أصيلاً جديداً بديعاً ، يقول عنه عزيز أباطة كاتب مقدمة ديوان في ظلال الثورة :

" ومع أنه تناول موضوعات نظم فيها شعراء كثيرون من أبناء هذا الجيل فقد ظلّ

(١) محمود غنيم وشعره ، ص ٩٣ .

(٢) الأعمال الكاملة ، مقدمة ديوان في ظلال الثورة ، ص ٢٩٥ وتاليها .

(٣) السابق ، ص ٥١٠ ، و ٥١٢ .

(٤) السابق ، ص ٥١٢ .

(٥) السابق ، ص ٥١٤ .

محتفظاً بطابعه ، وتلك سمة الأصالة في كل شاعر كبير ؛ لأن الأصالة تأتي أن تأتي مخلوقاتها مشابهة أو مماثلة ، حتى لما عُرف عند أولي الألباب بالجودة والابتكار " (١) . وعن ذلك الاستعداد الفطري الذي يملكه شاعرنا يقول د/ خفاجي : " وغنيم من شعرائنا المعاصرين الموهوبين الخالدين ، ومن ذوي الملكة الشعرية الأصيلية ، والطاقات الفنية المبدعة " (٢) .

ويستطيع القارئ المدقق أن يكشف بنفسه عن تلك الطاقات الفنية في كثير من قصائده المتنوعة أمثال كأس تفيض ، الريف ، الكادر ، وقفة على طلل ... وغيرها كثير مما سوف نتحدث عنه بالتفصيل في فقرات لاحقة إن شاء الله .

● الاستعداد النقدي : (عند الشاعر)

مُنح محمود غنيم موهبة في النقد كما مُنح ذلك في الشعر . فهو ناقدٌ أدبيٌ رفيع المتزلة تكاملت فيه صفات الناقد الحق وتجمعت فيه أدواته ، وهذه الموهبة الفطرية النقدية هيأت للأديب الشاعر غنيم أن يتبوأ منزلة عالية في ميدان النقد الأدبي الحديث ، وذلك لما تميز به من قوة في الإدراك ، ونباهة في الفكر ، وحدة في النظر . فلم يكن ينظر إلى ما يقرأ نظرة سريعة عابرة وإنما كان يستوعبه بقراءة فاحصة عميقة يستطيع من خلالها أن يصدر أحكامه النقدية التي كانت كثيراً ما تحظى بالقبول والاستحسان عند أقرانه من الأدباء والنقاد .

وهو صاحب ذوق نقدي رفيع يتسم بالوضوح والشفافية تمكن من خلاله ومن خلال الإحساس بالقيم الجمالية أن يكون نقده معتدلاً همه أن يصدر الحكم الأدبي بكل عدالة وموضوعية فلا يتعصب لرأيه ، ولا لثقافته ، ولا لميوله الشخصية ، ولا يتحيز لحزبية معينة تصبغ أحكامه بصبغة التحامل وتدخلها في دائرة الضبابية والتعتيم مما يجعل لها أثراً عقيماً على القارئ والمستمع .

وغنيم قد استطاع بفضل ما أوتي من موهبة فطرية أن يصدر بعض الأحكام النقدية ، وأن يناقش عدداً لا بأس به من القضايا الأدبية والنقدية التي كانت مطروحة في

(١) الأعمال الكاملة ، مقدمة ديوان في ظلال الثورة ، ص ٢٩٨ .

(٢) دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه ، ١/٢٥٧ .

ساحة الأدب والنقد في عهده . يقول د/ محمد أحمد سلامة في مقدمة ديوان رجع الصدى : " والشاعر غنيم يعد من النقاد البارزين بآرائه التي بثها في شعره ، أو كتبها في مقالات ضواف في المجلات ؛ فقد كتب في مجمع اللغة العربية مقالاً بعنوان : " نقد النقد " وأثار فيه مجموعة من الأمثلة التي كان له فيها رأي واضح وحكم نقدي جريء ، وكتب مقالاً في مجلة الهلال بعنوان " الشعر المنحل لا الشعر الحر " أبان فيه معنى الحرية في شيء ما " (١) .

ويمكن لنا تلخيص أبرز آرائه النقدية التي أصدرها ودافع عنها في الأسطر القليلة الآتية :

١- إنَّ النقد لا بد أن ينأى عن الميول والأهواء (٢) . وهذا الحكم الذي أطلقه لم يكن اعتباطاً وإنما كان ردة فعل لما كان يجري على الساحة الأدبية من إطلاق أحكام نقدية تعسفية مبنية على الأهواء والأوهام .

وقد بين في مقاله عن النقد والذي أشار إليه محمود سلامة في رسالته الأسباب التي دعت به إلى إطلاق هذا الحكم النقدي وذلك لما لوحظ على بعض النقاد من انعدام الحس الذوقي المهدف لديهم ، وقلة ثقافتهم واستيعابهم للشعر ، وتأثر الكثيرين منهم بالآداب الأجنبية على حساب الأدب العربي ، وتطبيقهم مقاييس النقد الأوربي على النقد العربي تطبيقاً أعوج (٣) . وهذا يتنافى مع ما قرره النقاد القدامى في كتبهم النقدية عما يجب توافره في الناقد من الأدوات أو الطاقات .

فلا بد أن تصدر الأحكام النقدية عن ناقد توافرت فيه أدوات النقد من استعداد فطري خاص يهيئ صاحبه لتذوق مناحي الجمال في الأدب ، وذكاء حاد متقد ، وثقافة واسعة ، ودربة عميقة ، ونظرة ثاقبة . ملماً بالشعر وعالمأ به ، بعيداً عن الميول الفكرية والأهواء الطائفية .

(١) الأعمال الكاملة ، مقدمة ديوان رجع الصدى ، ص ٦٥٤ .

(٢) السابق ، ص ٦٥٤ .

(٣) انظر : محمود غنيم وشعره ، ص ٤٦٦ .

٢- ويمجد الشاعر الشعر الذي عرف عن العرب أصالة وصياغة^(١) . وربما وجدنا له أبياتاً ، يبين فيها رأيه في تلك القضية وذلك في ثنايا قصيدته (شعر الماحي) ومما جاء فيها :

كل شعر أتى بغير عمود	عُـدَّ في الشعر من قبيل المزاح
ليس شعراً ما لم يكن عن شعور	وله من قرارة النفس واح
ليس شعراً ما لم يقيم قائله	بخطاب القلب وبالأرواح
ليس شعراً ما احتاج قـراؤه في	فهم أهدافه إلى شـراح
ليس شعراً ما جاء من غير طبع	بعد طول اللجاج والإحاح
إن من ينشد القريض بلا طبع	عـ يخوض الوغى بغير سلاح ^(٢)

ومن خلال قراءة شاملة لدواوين الشاعر الثلاثة يتبين لنا بجلاء التزام الشاعر الحقيقي بعمود الشعر العربي الذي دعا إلى التمسك به والنهج على منواله . وإذا كان الشاعر قد التزم في شعره أسلوب القصيدة العربية فإن هذا لا يعني أبداً ابتعاده عن التجديد والإبداع ؛ بل إنَّ الجديـد عنده ما كان في المعاني والصور . يقول أنور الجندي : " يميل (محمود غنيم) إلى التجديد مع المحافظة على سلامة اللغة وعمود الشعر " (٣) .

كما أن غنيماً يؤكد في تلك الأبيات السابقة على أن الشعر الجيد لا بد أن يكون ناتجاً عن شعور مفعم ونفس مطبوعة . فأساس الشعر عنده الطبع السليم ، ورأيه هذا يتفق مع ما ذهب إليه ابن طباطبا حينما قال : " فمن صح طبعه وذوقه لم يحتج إلى الاستعانة على نظم الشعر بالعروض التي هي ميزانه ، ومن اضطرب عليه الذوق لم يستغن عن تصحيحه وتقويمه . بمعرفة العروض والحدق بها حتى تصير معرفته المستفادة كالطبع الذي لا تكلف معه " (٤) .

(١) انظر : الأعمال الكاملة ، مقدمة ديوان رجع الصدى ، ص ٦٥٤ .

(٢) السابق ، ص ٨٢٦ وتاليتها .

(٣) أنور الجندي : الشعر المعاصر ، تطوره وأعلامه ، د. ط ، ص ٤٠٩ .

(٤) ابن طباطبا ، أبو الحسين محمد بن أحمد : عيار الشعر ، د . ط ، تحقيق : عبد العزيز بن ناصر المانع ،

(القاهرة : مكتبة الخانجي ، د . ت) ص ٧ .

٣ - مقياس جودة الشعر ورداءته :

يرى غنيم أن جودة الشعر في سيرورته على الألسنة وحفظه وروايته . كما أن الجودة عنده تكمن في القوة والسلاسة والوضوح يقول في مقدمة ديوانه في ظلال الثورة :
" ومذهبنا في الشعر كذلك أن يجمع بين القوة والسلاسة ، ومقياس جودته عندنا سيرورته ، وحفظه على ألسنة الرواة " (١) .

فالسلاسة وسهولة الحفظ والوضوح واجتياز الحدود وكثرة الرواة من أهم مقاييس جودة الشعر عند محمود غنيم يقول معبراً عن ذلك شعراً :

ليس شعراً ما احتاج قُرَّاءه في فهم أهدافه إلى شُـرَّاح (٢)

والشعر عنده وحي وإلهام ينساب من النفس انسياً يجري على الألسنة ويسري

كالبرق :

وما الشعر سوى وحي	على ألسنة يجري
إذا همست به شفـة	سرى كالبرق إذ يسري (٣)

٤ - رأيه في الشعر الحر :

وقف الشاعر من الشعر الحر موقفاً معادياً صريحاً . فهو ينبذه ويرفضه ويعده من باب الهراء والتهريج ويتنبأ له بسرعة الانقراض لما يحمله من تعقيد وغموض . يقول :
" إننا نعتقد أن الشعر ما لم يحمل في طيّه عناصر خلوده فلن تخلده الدعايات الزائفة ، أو ما يلتبس له من الأسماء البراقة ، كاسم الشعر الحر ، والتجديد في الشعر ، إلى غير ذلك مما هو أشبه بالتهريج منه بأي شيء آخر " (٤) .

ذلك يعني أنه لم يكن يرفض التجديد في الشعر إذا كان قائماً على التجديد في أفكار الشعر ومعانيه أو في أساليب التعبير والصياغات الشعرية ، أما التجديد الذي عارضه

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٠٢ .

(٢) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٨٢٧ .

(٣) السابق ، ص ٨٩٠ .

(٤) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٠٢ .

فهو ما كان قائماً على التحرر من الوزن والقافية . يقول : " لا أقول قاتل الله التجديد ، فلسنا ننكر أن الحضارة مدينة له بازدهارها ، وأن الأدب مدين له بمد رواقه واتساع آفاقه " (١) .

وقد ترجم موقفه المعادي من ذلك الشعر الحر حينما وصفه بالخرافة ، ووصف أنصاره بفساد الذوق :

حملنا راية الشعر	مدى حين من الدهر
إلى أن جاء نشءٌ بيـ	من مأفون ومُغتـ
وقالوا : شعر كـم عبـ	دعونا نأتِ بالحـ
هي الأذواق قد فسدت	فصار الترب كالتـ
حديث خرافة ينبـو	عن الأذواق والفكـ

وقد ذكر أن استهجان الشعر الحر يرجع لأسباب أقلها : " أنه لا رواة له ، وأنه يسوء يوم يولد ، وشتان بين هرم من صخر يصارع الزمن ، وكوخ من قش لا يلبث أن تذروه الرياح ، ولو سلمنا بأن هذا الضرب من الكلام يسمى شعراً ، ما كان في العربية ناطق غير شاعر " (٢) .

والواقع أن هذه النظرة الثاقبة المتأنية لم تأت إلا من ناقد فاحص بعيد النظر يمتلك مواهب ذاتية وقدرات فنية ساعدته على إصدار هذا الحكم النقدي الخطير على مستقبل الشعر الحر ، وإنما قلت خطيراً لأنه صدر في وقت كانت المعركة فيه محتدمة بين دعاة التجديد من جهة والمحافظين من جهة ثانية ، ولكن حماسه وقناعته وحبه للشعر القديم قد دعاه إلى التمسك برأيه والدفاع عن موقفه خاصة بعد أن فاز ديوانه الأول صرخة في واد بالجائزة الأولى في مباراة الشعر التي نظمها مجمع اللغة العربية ولقي قبولاً واستحساناً واسعاً في الأوساط الأدبية .

(١) محمود غنيم وشعره ، ص ٤٨٩ .

(٢) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٨٨٩ .

(٣) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٠٢ .

٥ - غنيم وشعر المناسبات :

تمكن غنيم بفضل ما أوتي من بعد النظر ، ودقة التأمل ، وعمق الإدراك أن يطوع شعره في خدمة الحياة . فالحياة باعث قوي على قول الشعر بشقيها المادي والمعنوي . يقول في هذا الصدد : " ومذهبنا في الشعر أن يكون هادفاً ، يضرب في صميم الحياة ، ويفرض نفسه عليها فرضاً ويخب ويضع في أحداثها ، وربما لم يعدم هذا المذهب ناقداً متحذلقاً يطلق على بعض ما نظمناه : " شعر المناسبات " (١) .

ثم يتساءل غنيم عن معنى هذا المصطلح الذي شاع على ألسنة النقاد في الساحة الأدبية في العصر الحديث وماذا يريدون من قولهم شاعر مناسبات أو شعر مناسبات فيجيب هو نفسه قائلاً : " أريدون أن يكون الشعر كله تشبيهاً بالحسان ، وشكوى من تريح الهجران ، ووصفاً لأمواج البحار ، ورمال الصحراء ، والنجوم المتألثة في السماء ؟ إن كان الأمر كذلك فقد باعد هؤلاء بين الشعر والحياة ، أو ربطوا بينه وبينها بخيوط أوهى من نسيج العنكبوت " (٢) .

فهذا استنكارٌ جميل حمله على أولئك القوم الذين أطلقوا هذه التسمية جزافاً وحاولوا أن يلغوا صلة الشعر بالحياة . ولم يكتف غنيم بهذا الاستنكار ؛ بل إنه ردّ عليهم وفند مزاعمهم وبين الخطأ والزلل فيما يدعون إليه قائلاً : " ويكفي في الرد على هؤلاء : أن أخلد ما في الشعر العربي قديمه وحديثه ما ارتبط منه بأحداث معينة ؛ كمعلقة عمرو ابن كلثوم ، وبائية أبي تمام في فتح عمورية ، ونونية شوقي في توت عنخ آمون " (٣) .

ولم يكتف بهذا الرد وحده ؛ بل ذهب إلى أبعد من ذلك حينما رأى أن شعر المتنبي قيل كله - تقريباً - في مناسبات خاصة ، وفي أتفه أبواب الشعر - وهو المدح - ومع هذا فقد استطاع أن يضمّنهما حكمه ويفرغ فيها فلسفته حتى فرضها على الناطقين بكل لسان في مختلف العصور والأزمان (٤) .

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٠١ .

(٢) السابق ، ص ٣٠١ .

(٣) السابق ، ص ٣٠١ .

(٤) السابق ، ص ٣٠١ .

ثم يرد عليهم برد آخر أقوى وأشد من سابقه وهو أن القرآن الكريم - وهو كلام الله - نزل في مناسبات متعددة وارتبط بأحداث تاريخية معينة .^(١)

ثم خرج عن دائرة الأدب العربي ولم يكفه ذلك الرد الجامع فراح يستدل لهم بأن الإلياذة والأوديسة وهما أقدم ما عرف في عالم الشعر قد نظمتا في حوادث معينة ومناسبات خاصة .^(٢)

ويخلص محمود غنيم من ذلك كله إلى " أن الشاعر لا يسأل : فيم نظم ؟ بل يسأل : كيف نظم ؟ وعلى أي نحو تناول ما عاجله من الموضوعات " .^(٣)

والواقع أن ما ذهب إليه الشاعر هو الصحيح ؛ لأن الشعر إذا لم يرتبط بحدث يؤجج الفؤاد لم يكن شعراً . فالشعر ما هو إلا مواقف معينة ينفع بها الأديب ويتفاعل معها . ومن هنا نستطيع القول إن نظرة غنيم هذه جاءت معتدلة بعيدة عن التحامل والتعصب ، لأن همه الوحيد خدمة لغته وأدبه .

٦ - غنيم والصدق :

كان غنيم يميل إلى مقولة " إن أعذب الشعر أصدق " .^(٤) ويقصد طبعاً الصدق الفني الذي يعني : " أصالة الكاتب في تعبيره ، ورجوعه فيه إلى ذات نفسه ، لا إلى العبارات التقليدية المحفوظة . وهذا الصدق الفني أو الأصالة هي أساس تقدم الفنون جميعاً ومنها فنون القول " .^(٥) - فن الشعر على وجه الخصوص - ومحمود غنيم في هذا الحكم الذي أطلقه كأنه يوافق بعض النقاد القدامى الذين يرون أن الشعر الخالد هو ما وافق الواقع، يقول ابن رشيق : " وليس في العرب قبيلة إلا وقد نيل منها ، وهجيت ،

(١) المصدر السابق ، ص ٣٠١ .

(٢) السابق ، ص ٣٠١ .

(٣) السابق ، ص ٣٠٢ .

(٤) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٦٥٤ .

(٥) محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث ، د. ط ، (القاهرة : نهضة مصر للطباعة ، ١٩٩٦ م) ص ٢١٤ .

وعُيرت، فحط الشعر بعضاً منهم بموافقة الحقيقة، ومضى صفحا عن الآخرين، لما لم يوافق الحقيقة، ولا صادف موضع الرّمية " (١) .

ويخالف في الوقت نفسه عبارة من قال " إنَّ أعذب الشعر أكذبه " والتي فسرّها عبد القاهر بقوله " الشعر لا يكتسب من حيث هو شعراً فضلاً ونقصاً وانحطاطاً وارتفاعاً، بأن ينحلّ الوضيع صفةً من الرفعة هو منها عار، أو يصف الشّريف بنقصٍ وعار، فكم جواد بخله الشعر وبخيل سخاه؛ وشجاع وسمه بالجن وجبان ساوى به الليث ... ثم لم يُعتبر ذلك في الشعر نفسه حيث تنتقد دنانيره وتنشر ديباجته، ويفتق مسكه فيضوعُ أريجه " (٢) .

فعبد القاهر هنا لا يجعل الصدق باعتباره المطابقة للواقع مقياساً في نقد الشعر، فأجود شعر المهجاء والمدح - في رأيه - ما قام على مخالفة الواقع والحقيقة . وعلى هذا " فالكذب الذي أباحه نقاد العرب نوعان : أحدهما وصف الممدوح أو المهجو بما ليس فيه من صفات ، وثانيهما ألوان الخيال المختلفة التي يستخدمها الشاعر ، ليجعل شعره أكثر وضوحاً وتأثيراً " (٣) .

وأعذب الشعر في نظر شاعرنا ما لامس النفس والتصق بها وعبر عما يختلجها من مشاعر في صور فنية صادقة ليست مزيفة ولا مقلدة . وقد استطاع من خلال نقده لمجتمعه ، وثورته على الظلم ، ودعوته إلى الوحدة والعودة إلى الاستمساك بالإسلام والعروبة أن يقدم أوضح دليل على صدقه الفني .

(١) ابن رشيق ، أبو علي الحسن القيرواني : العمدة في محاسن الشعر وآدبه ونقده ، الطبعة الخامسة ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، (بيروت : دار الجليل ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م) ، ٢/١٤٧ .

(٢) الجرجاني ، عبد القاهر : أسرار البلاغة ، الطبعة الأولى ، تحقيق محمود شاكر (القاهرة : مطبعة المدني ، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م) ، ص ٢٧١ .

(٣) أسس النقد الأدبي عند العرب ، ص ٤٢٨ .

ثانيا : التكوين النفسي :

لكل إنسان في هذه الحياة تكوينه النفسي الخاص به سواء كان شاعراً أم كاتباً أم صانعاً أم فلاحاً أم معلماً . وذلك منذ نشأته الأولى على وجه هذه الحياة . والتكوين النفسي يقصد به عند علماء النفس " التغيرات الجسدية والانفعالية والإداركية والاجتماعية التي يقوم بها الكائن الحي الإنساني في سلم الحياة حين يبدؤها جنيئاً فوليداً فريضاً ففطيماً فطفلاً فمراهقاً فشاباً فرجلاً فكهنلاً ثم شيخاً " ^(١) أو هو بمعنى آخر " حقيقة فسيولوجية سيكولوجية يتكون في إطار من العوامل المتفاعلة من استعداد فطري هو هبة الطبيعة الإنسانية مع ما يحيط به من رعاية بيئية تحدد كثيراً من مظاهر الفطرة ، وترسم لها طريق التكوين النامي " ^(٢) .

و غنيم - وهو ما نعنيه هنا - كان معتدلاً في تكوينه النفسي عموماً . فانفعالاته وسلوكياته وأفعاله وطبيعته كانت هادئة ومعتدلة منذ طفولته . والسبب في ذلك يرجع إلى تدينه وتعليمه ؛ حيث إنه كما أشرت سابقاً نشأ نشأة دينية خالصة في ظل أسرة صالحة وبيئة محيطة محافظة .

فهو واضح الشخصية اشتهر بالصراحة ، والمجاهة ، والثبات على الفكرة التي يؤمن بها ويعتقدها صالحة ، ولكونه عربياً يحب العروبة فقد تولد عنده اعتداد بأصله العربي يقول :

سل المعالي عَنَّا ، إنا عربٌ
شعارنا : المجدُ يهوانا ونهْـوَاهُ
هي العروبة ، لفظٌ إنْ نطقَ به
فالشرق ، والضاد ، والإسلام معناه ^(٣)

وهو لا يقف عند حد معين من المجد وإنما يحاول السير إلى قمته وذروته شأنه في ذلك شأن المميزين والمبدعين يقول معبراً عن طموحه العالي :

خليلي ، هل للمجد حدٌ فأنتهي
إليه ؟ لقد طال العبورُ ، ولم أُرْسِ
مآرب تترى كلما نلتُ مآرباً
تنازعني عنه إلى غيره نفسي

(١) عبد الحميد محمد الهاشمي ، علم النفس التكويني ، الطبعة السابعة ، (القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٩٩٢ م) ، ص ٢٠ .

(٢) السابق ، ص ٥٤ .

(٣) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٧٩ .

فلا النفسُ إنْ أبلغُ تقفُ عند غايَةٍ ولا هي إنْ أخفقُ تُرحني باليأس^(١)
ولكونه من أبناء الرِّيف فقد تكونت عنده كثير من صفات القرويين المعروفة من
الهدوء ، والصَّبْر ، وطيب النفس ، والخلق الصريح ، انظر إليه وهو يصف القروي بهذه
الصفات :

أكبرتُ في القروي حدة عزمه وحسبته في صبره " أيوباً "
ورأيت طيب النفس فيه سجيّة ووداده سهل المنال قريباً
فيه ترى الخلق الصريح ، ولا ترى ضحك النواجد بالخديعة شيباً^(٢)

ومن العوامل التي كونت شخصية شاعرنا حُبهُ الأكيد للتّعلم والتّعليم . ومشواره
العلمي الحافل بالجد والإثارة خير دليل على ذلك . وخير علمٍ تعلمه بعد حفظه للقرآن
اللغة العربية والأدب العربي . وقد شارك في معظم أعياد (العلم) التي أقيمت في عهده
يقول في مهرجان العلم :

عيدٌ تألّق : لا شمسٌ ، ولا شهبُ لكن كواكبه : الأقلامُ والكتبُ
والعلمُ روحٌ من الرحمن مُقتبسٌ ونوره من ضياء الله مكتسبٌ^(٣)
ويقول في نشيد عيد العلم :
في مهرجان العلم ، يامصرُ ، اطربي يا معقل العلم ، وحصن الأدب
يا مصرُ ، يا كثر علوم العرب بشراك بالعهد الجديد الذهبي^(٤)

و غنيماً دائماً يبحث عن كُنْهِ السعادة وحقيقتها ويتساءل أين توجد يا ترى ؟ هل
هي في الشعر ؟ أم في الزوجة ؟ أم في الولد ؟ أم في الوظيفة ؟ أم في المال ؟ ولكن بعد أن
يلقاها ويجدها سرعان ما تسلب منه وتفلت من بين يديه ، يقول :

(١) المصدر السابق ، ص ٢٧٣ .

(٢) السابق ، ص ١١٥ .

(٣) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٦٠٧ .

(٤) السابق ، ص ٦٠٦ .

لم أدر ما كنه السعادة في الصِّبَا فإذا بها موفورةٌ أسبابها
حتى إذا أصبحتُ أدرك كنهها سلب السعادة من يدي سلابها^(١)

وبعد تخرجه في دار العلوم والتحاقه بالوظيفة في تلك القرية النائية تكوّنت لديه كتلة غضب عنيفة في بداية حياته الوظيفية ؛ حيث كان يحس بعزلة شديدة عن جوّه الأدبي وعمّا كان يطمح إليه من مجدٍ عريق لا يتحقق إلاّ بوجوده في القاهرة موئل العلم والأدب . فقال في تلك الفترة قصائد مدوية سُمع صداها حتى عند أدباء المهجر . انظر إليه وهو يبعث شكواه من وجوده في تلك القرية وأنّ شبابه قد ذوى بين جدرانها عبر هذه الأبيات الأثيرة :

أيدوي شبابي بين جدران قرية يياب كأنّ الصّمت فيها مخيم ؟
أكادُ من الصّمت الذي هو شاملي إذا حُسب الأحياء ، لم أكُ منهمو
وعاشرتُ أهلها سنين ، وإنّني غريب بإحساسي وروحي عنهمو^(٢)

وتستمر هذه الشكوى المؤلمة والمرارة القوية من عمله في تلك القرية النائية . فها هو يتبرّم ويتسخط من الأمان والوعود الكاذبة حين وعدوه بأن يكون في القاهرة بعد تخرجه . ولكن للأسف فقد دمرّوا أحلامه وأمانيه وأبعدوه وأغلقوا باب الرزق عنه :

أفتلك عاقبتني وذاك مـآلي ؟ خُطُّوا المضاجع ، وادفنوا آمالي
لا تخذعوني بالمنى وحديثها قد كان ذلك في الزّمان الخالي
ولقد برمتُ بمصر حين وجدتها قبرَ النبوغ ، ومسرح الجهّال
أبصرت باب الرزق فيه مفتحاً إلّا عليّ ، فمحكم الإقفال^(٣)

وهو لم يتبرّم ويتسخط من الوظيفة فحسب ، وإنما اشتكى من قلة (الراتب) الذي يفلت من بين يديه كما يفلت الماء من بين الأصابع فأيام شبابه قد ذهبت هدرًا دون أن يجمع شيئًا من المال :

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في وادٍ ، ص ٢٧٣ .

(٢) السابق ، ص ٢٣٤

(٣) السابق ، ص ٢٤٠ .

ولي راتب كالماء ، تحويه راحتي
إذا استأذن الشهر ، التفت فلم أجد
قضيت حياتي بين داري ومكتبي
تشابهت الأيام عندي ، كأنما
فيلت من بين الأصابع هارباً
إلى جانبي إلا غريماً مطالباً
فألفيت وجه العيش أصفر شاحباً
مضى العمر يوماً واحداً متعاقباً^(١)

ويعضي غنيم في معاناته النفسية مع الوظيفة فتلهج نفسه بكثير من القصائد النفيسة
أمثال (مَنْ للموظف ، والعلاوة ، والكادر) . وهو دائماً يتحدث عن الأمل وكأنه بذلك
متأثر بالشعراء الرومانسيين أو بجماعة (أبولو) . فهو يشكو من أمله الطائح - كما
سماه - وذلك بسبب الواقع المر الذي يعاني منه :

أيها الهادي إلى وادي الفناء
أملني المعسول في واديك طاح
شدت في وهمي صرحاً من رجاء
فإذا صرحي تذروه الرياح^(٢)
ومع أنه شكى من الأمل الطائح ، إلا أننا نجده في آخر المطاف يقرر أن لذة العيش
في الأمل وأن الرجاء أفضل من اليأس والقنوط :

ما ألدَّ العيش في ظل الأمل !
فاسبحي يا نفس ، في جو الخيال
لا تقولي : " ليس " بل قولي " لعل "
وتعالي نثد اليأس تعالي^(٣)
وبهذا أستطيع القول بأن غنيماً قد تلقى أول صدمة من الواقع المؤلم عندما عين مدرساً في
تلك القرية النائية فخابت آماله ، وكثرت مسؤولياته ، مع ضالة الراتب وقلته فأحس
بالإحباط وخيبة الأمل ، وبسبب هذا الواقع المؤلم الذي عاشه تشكلت لديه عقدة من
غدر الأيام وجورها ، فعندما رزق بأول مولود أنشأ قصيدة يخاطب فيها ذلك الصغير
يفصح فيها عن خشيته وخوفه على مولوده من جور الأيام وغدر الليالي التي لم تنصف
أباه قبله :

سرَّك اليوم قولهم أم أساءك
حين قالوا : هذا غلامٌ جاءك ؟
أيها الطارق الجديد ، سلاماً
أسألُ الصفح إن أسأتُ لقاءك

(١) المصدر السابق ، ص ٢٤١ .

(٢) السابق ، ص ٢٤٥ .

(٣) السابق ، ص ٢٤٥ .

علم الله ما كرهتُك ضيفاً لا ، ولكنني كرهتُ شقاًءك
بتُ أخشى عليك جور الليالي . فالليالي ما أنصفت آباءك^(١)

وبسبب تلك التنشئة الريفية والدينية كان غنيم رجلاً كريماً سخياً على الرغم من ضيق يده وله أبيات كثيرة يدعو فيها إلى الكرم وإكرام الضيف ومنها تلك القصيدة التي يداعب فيها زميله الشاعر (محمد الأسمر) :

صُم إذا ما الضيفُ جـاءك وامنح الضيفَ عشـاءك
واجعل الصّوف غطاء الضـ (م) يف ، والسقف غطـاءك
لا تكن كزراً شحيحاً يكره الله لقـاءك^(٢)

وهو في الوقت نفسه كثير العطف على أسرته يحبهم ويعطف عليهم ، ولا عجب في ذلك فهذه عادة القروي المتدين . انظر إليه وهو يصف حال طفلة الصغيرة التي لم يتجاوز عمرها ثلاثة أعوام عندما أصابها المرض فهو في قلقٍ وانشغال عندما تن وتترفع درجة حرارتها يعاني من معاناتها ويمرض من مرضها :

أصبيت ، ولم تدر كيف تبـين إذا سُئلت ، فالجواب الأنـين !!
وحين يُلح عليها السُّعـالُ تشيرُ إلى صدرها باليمـين
وتنفذ آهاتها في الفـؤاد فتفعلُ فعل المدى بالتوتـين
تكاد الحرارة تصهرُ قلـبي إذا ناهزت عندها أربعـين^(٣)

ومن أبرز العوامل التي أثرت على شخصية غنيم الريف الجميل والطبيعة الساحرة يقول د. محمد أحمد سلامة : " وكانت الطبيعة زاداً لشاعرنا الغريد ؛ نهل منها ووقف في محرابها ، وعبر عنها في قصائد رائعة " ^(٤) .

فجمال الريف وسحر الطبيعة كانا له زاداً قوياً في شعره ، يقول مخاطباً الريف الذي كان مربعاً لطفولته وذكرراً لأيام صباه :

(١) المصدر السابق ، ص ٢٣٦ .

(٢) السابق ، ص ٢٦١ .

(٣) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٦٦ .

(٤) دموع على الشاعر محمود غنيم ، ص ١٠ .

قدستُ فيك من الطبيعة سرها
ولقد ذكرتُ فادّكرتُ طفولتي
كست الطبيعة وجه أرضك سندساً
وحيبت نسيمك - إذ تضوع - طيباً^(١)
ففي أحضان هذه الطبيعة الساحرة نشأ الشاعر وترعرع متأثراً بصفاتها البهي
وجمالها الشفاف .

يقول عنه د. مختار الوكيل : "كان (غنيم) عميق النظرة ، صافي التأمل ، هادئ
النفس ، مولعاً بالريف المصري ، ومتفانياً في حب أهله " ^(٢) .

وقد أشرت فيما سبق إلى أن غنيماً كان معتدلاً المزاج غير صاحب ولا بكاء يتميز
بالوسطية ومتحلياً بالصبر في كل ما مر عليه من ظروف نفسية واجتماعية . يقول
د/ خفاجي : " قد عاش حياته مزاجاً متعادلاً من الألم والأمل ، ومن البكاء والضحك
ومن الحزن والفرح " ^(٣) .

وقصيدته (كفكف دموعك) التي يبين فيها رأيه في الحياة خير دليل على تلك النفسية
المعتدلة المتفائلة :

دعوني أقضي الحياة مُزاحاً	وأقطعها بهجةً وانشراحاً
لقد قرّحت جفني العَـبَراتُ	وأثخن قلبي الأنينُ جراحاً
أأقطع عمري أنيناً وشكوى	وألبسُ فيه الحداد وشاحاً
وما أنا والهَمُّ مادمتُ ألقى	بدنيايَ خبزاً وماء قراحاً ؟
ومن ضاق ذرعاً بدنياه ، ضاقت	عليه ، وإن هي كانت براحاً ^(٤)

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ١١٣ .

(٢) دموع على الشاعر محمود غنيم ، ص ٥ .

(٣) دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه ، ١/٢١٢ .

(٤) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٧٠ .

وفيلسوفُ الشاعر موقفه من صروف الدهر ومحن الأيام وهموم الأزمان بقوله :

وقائل : كيف أنت في المحن ؟	فقلت : إلفان نحن من زمن
قد خلقت لي ، وقد خلقت لها	من قبل أن لم تكن ولم أكن
إذا بدت بسمةً على شفـتي	تشكو إلى الله غربة الوطن
تألي يا خطوبُ ، واحتدمي	عودي - كما تعهدين - لم يلن
ما عاد في الأرض حادثٌ جللٌ	يحولُ بين الجفون والوسن ^(١)

(١) المصدر السابق ، ص ٤٦٩ .

المصادر الخارجية

أولا : بيئة الطفولة :

✱ القرية .

✱ الطبيعة .

✱ الأسرة .

القرية

عاش الشاعر حياته الأولى - حياة الطفولة - في أحضان قرية (مليج) ذات الطبيعة الخلابة بمحافظة المنوفية . فنشأ فيها وترعرع ، وعلى ضفاف غديرها لعب وهوى ، وفي مزارعها حرث وزرع ، وبين حقولها سعى ودرج ، وعلى رباهما استنشق هواءها العليل واستمتع بجوها البديع ، وأحسَّ بسكون ليلها وهدوئه ، وبشروق نهارها وغروبه . وفي كتابيب القرية حفظ القرآن ، وتعلم مبادئ القراءة والحساب . كل ذلك تحت رعاية والده الذي شجعه على تعلم اللغة ، ورعى فيه موهبة الشعر .

فانتماء الشاعر للقرية كان منذ ولادته ومُذَّ التَّصق بالإنسان والمكان والفلاح والحقل والحيوان والغدير . كل ذلك كان منبعاً معيناً يستقي منه شعره ويرسمه في لوحات إبداعية مثيرة . والحياة الريفية التي عاشها الشاعر تشمل كل ما يتعلق بالقرى وأحوال سكانها .^(١)

وقد سيطرت القرية على وجدان الشاعر منذ أن قرض الشعر حيث " أفرد شاعرنا باباً من أبواب ديوانه الأول للوصف ، وكان للطبيعة منه نصيبٌ كبير ، خاصة عن الريف الذي نشأ بين أحضانه ، وعشق جماله الموهوب ، وأعجب بشمسه في شروقها والغروب ، وتذكر ملاعب صباه " ^(٢) .

فأوجدت هذه النشأة في قرية مليج علاقة وطيدة بين الشاعر والمكان ، فلم ينسها عندما غادر المدينة للوظيفة ؛ بل كان يزورها ويعودها : في أيام إجازته وأوقات فراغه يقول د. سلامة : " ولا عجب أن يُبدع هذا الإبداع في الرِّيف فقد نشأ فيه ، وأقام به صغيراً ، وعاد إليه مُصطافاً وهو كبير " ^(٣) .

والواقع أن غنيماً قد وقف من القرية مواقف متنوعة كغيرة من أبناء عصره من الشعراء فوصف مظاهر الجمال فيها ، ومجدَّ الفلاح ووقف بجانبه وساعده ، وحنَّ

(١) انظر : أنيس المقدسي : الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ، الطبعة الثامنة ، (لبنان - بيروت : دار

العلم للملايين ، ١٩٨٨ م) ، ص ٣٣٦ .

(٢) محمود غنيم وشعره ، ص ١٤٧ .

(٣) السابق ، ص ١٤٢ .

إليها في غربته ، واشتاق إلى ملاعب الطفولة ، وذكريات الصِّبا . يقول المقدسي : " إنَّ النَّزْعَةَ الرَّيفِيَّةَ اليومَ بارزة في الأدب العربي وتتجلى لنا في ثلاث جهات رئيسية هي : الوصف ، والإشفاق ، والحنين " ^(١) . وهذه الترعات الثلاثة السالفة الذكر نلّمحها واضحة عند (غنيم) حينما صوّر القرية ووصفها في شعره .

وصف مظاهر القرية :

صَوَّرَ غَنِيمٌ مَظَاهِرَ الْجَمَالِ فِي الْقَرْيَةِ ، وَتَغْنَى بِسِحْرِهَا الصَّافِي ، وَجَمَاهُا الْمَوْهُوبُ
الْأَخَاذُ ، وَقَدَّسَ أَسْرَارَ الطَّبِيعَةِ الْخَلَائِبِ ، وَافْتَتَنَ بِمَنْظَرِ شَمْسِهَا وَقْتَ الشَّرُوقِ وَالْغُرُوبِ :
عَشَقُوا الْجَمَالَ الزَّائِفَ الْمَجْلُوبَ ————— وَعَشَقْتَ فِيكَ جَمَالَكَ الْمَوْهُوبَ —————
قَدَّسْتُ فِيكَ مِنَ الطَّبِيعَةِ سِرَّهُ ————— أَنْعَمَ بِشَمْسِكَ مَشْرِقاً وَغُرُوباً (٢)

وَفِي لَوْحَةٍ رَسَّامٌ مُبْدِعٌ يَصُورُ لَنَا غَنِيمٌ الطَّبِيعَةَ الْقَرْوِيَّةَ وَكَأَنَّهَا جَنَّةٌ مَقْدَسَةٌ فَالْأَرْضُ
قَدْ لَبَسَتْ سِنْدَساً أَخْضَرَا ، وَالنَّسِيمُ الْعَلِيلُ قَدْ فَاحَ طَيِّباً وَعَنْبَرًا ، وَالْبُسْطُ تَظَلَّلَهَا الْغُصُونُ
الْمُتَمَائِلَةُ عَلَى مَاءِ الْغَدِيرِ كَأَنَّهَا أُمٌّ تُقَبِّلُ طِفْلَهَا ، وَبَدَتْ النَّخِيلُ الْبَاسِقَاتُ وَهِيَ تَحْمِلُ غُصُونًا
مُتَزَيِّنَةً بِحَبَاتِ الْعَقِيقِ مِنْ أَخْضَرِ اللَّوْنِ وَأَحْمَرِهِ :

كست الطبيعة وجه أرضك سندساً
بُسْطُ تظللها الغصون ، فأينمـا
مالت على الماء الغصون كما انحنـت
وبدا النخيل : غصونه فـيروزجُ

وحبت نسيمك - إذ تَضَوّع - طيبا
يَمّت، خلّت سرادقاً منصوبـا
أمّ تقبّل طفلها المحبوبـا
يحملن من صافي العقيق حبوبـا^(٣)

وفي أثناء وقوفه بذلك الرّوض البهيج في القرية يسمع أصواتاً موسيقية عذبة
متناغمة تصدر عن (ساقية) قد أنّت وانسكب دمعها لغير صباية ، وحمامة هتفت
وسجعت فاستجاب لها قلبه :

(١) الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ، ص ٣٣٦ .

(٢) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ١١٣ .

(٣) السابق ، ص ١١٣ .

يَارُبُّ سَاقِيَةَ لَغَيْرِ صَبَابَةٍ
وَحَمَامَةٍ سَمِعَ الْفُؤَادَ هَتَافَهُ

أَنْتَ وَأَجَرْتَ دَمْعَهَا مَسْكُوبًا
فَسَمِعْتَهُ بَيْنَ الضُّلُوعِ مَجِيئًا ^(١)

ويعلق أحد النقاد على نظرة غنيم تجاه الرّيف فيقول عند حديثه عن الواقعية الرومانسية : " ثمّ تواجهنا طائفة من الشعراء تتوسط في نظرهما بين المثالية بخيرها وجمالها والواقع المر الذي يحياه الفلاح وتحياه القرية ، في شكل يجمع بين الرومانسية والواقعية أو ما يمكننا تسميته بالواقع الرومانسي أو الرومانسية الواقعية إذا صح هذا التعبيران ، تلك هي نظرة بعض الشعراء نذكر منهم على سبيل المثال محمود حسن إسماعيل ، ومحمود غنيم " . (٢)

ومن أهم المظاهر القروية التي صورها والتصقت في ذهنه منذ صباه صورة (الفتاة القروية) فقد ربط بينها وبين وصف الطبيعة الريفية . فرسم لنا صورتها وهي غادية مع قريناتها إلى غدير الماء يحملن فوق رؤوسهن (الجرار) بكل حشمة ووقار :

والغيد تغمس في الغدير جـ رارها
سربان من بط وبيض خُرد

فيظلُّ يضحك ملء فيه طروباً
يتباريان سباحة ووثوباً^(٣)

ومن القصائد التي تحسب له في هذا الصدد قصيدته (على ضفاف الغدير) التي نالت استحسان كثير من الشعراء والأدباء والنقاد . إذ يصور فيها جمال القرويات وهنّ ذاهبات إلى غدير الماء لملء الجرار . استمع إليه وهو يطلب من أصحابه العبور به عن بحر (الروم) والوقوف به على غدير القرية ليرى الفتيات وهنّ يحمّن حول الغدير في عفاف وطهر :

جنباي خليج بحر الروم
ها هنا الغيد في ائتلاق النجوم

وقفا بي على ضفاف الغدير
حُمن حول المياه مثل الطيور^(٤)

(١) المصدر السابق ، ص ١١٣ وتاليها .

(٢) منصور نصره: القرية في الشعر العربي المعاصر، د. ط، (الإسكندرية: مركز اسكندرية للكتاب، ١٩٩٦ م)، ص ٣٢.

(٣) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ١١٤ .

(٤) السابق ، ١٤٧ .

ثم يندفع غنيم في وصفهن في لوحة جميلة مشرقة ويخرج به انفعاله قليلاً عن باب العذريّة والعفة إلى باب الوصف الحسي . يقول أحد النقاد معلقاً على ذلك : " وبالرغم من وصفه لفتاة القرية بالعفاف إلا أنه يعريها بالتوصيف الحسي لكل جزء - تقريباً - في جسمها عدا مكان العفة فقد وصف الصدور ، والسيقان والحواشي - عند رفع أطراف الثياب - والوجه والرقبة والأذرع ورجرجة الأجسام الزنبقية " (١) ، انظر إليه يقول :

هُنَّ أَقْبَلْنَ بَارِزَاتِ الصَّدُورِ ثُمَّ شَمَرْنَ كُلَّ ذَيْلٍ عَفِيفٍ
يَالِهَا مِنْ طَهَارَةٍ فِي سَفْـوَرٍ جَمَعَ الطَّهْرُ كُلَّهُ فِي الرَّيِّفِ

* * *

قَدْ كَشَفْنَ الذُّيُولَ عَنْ سَيْقَانِ أَرَأَيْتِ الدُّمَى وَهُنَّ عَـوَارِ
وَتَقْدَمْنَ فِي خَطَا مَتـِـوَانِ يَتِمَايِلْنَ خَيْفَةَ التَّيـِـارِ

* * *

رفعت ذيل حالك في السّواد عن حواشي مورّد اللون دام (٢)
وفي الوقت الذي يغمرن فيه الجرار يلتقط شاعرنا هذا المنظر ويصوره لنا أدق تصوير فركوعهن أشبه ما يكون بركوع الطاهرات البتول في المحراب وكم يبدو هذا المنظر جميلاً في الرحلة إلى الغدير حين يقول :

رَكَعَتْ كُلُّ غَادَةٍ هَيْفَاءٍ كَرَكُوعِ الْبَتُولِ فِي الْمَحْرَابِ
فَرَأَتْ ظِلَّ وَجْهَهَا فِي الْمَاءِ وَرَأَى الْمَاءَ فِيهِ ظِلَّ الْعَبَابِ (٣)

ويعقد غنيم مقارنة لطيفة بين جمال الفتاة القروية وجمال الفتاة المدنية ويشيد بالجمال القروي ؛ لأنه طبعي غير متكلف ولا مُتصنع فهو " هبةٌ من الخالق ، غذته الطبيعة بعواملها ، فالشمس ، والهواء النقي ، وحياة الحقل ، و الزروع كلها عوامل تبعث القوة والحيوية في دماء الريفيات وتضفي جمالاً على جمالهن " (٤) ومن هذه السمات الجمالية التي أبرزها الشاعر في فتاة القرية أن سيقان القرويات مصقولة ناعمة لم تعرف جوارب

(١) القرية في الشعر العربي المعاصر ، ص ٥١٢ .

(٢) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ١٤٧ .

(٣) السابق ، ص ١٤٨ .

(٤) القرية في الشعر العربي المعاصر ، ص ٥١٤ .

الحريـر ، ورؤسهن إنما خلقت للأعباء لالقص الشعور ، ووجوههن طبيعية لم تعرف
الأصباغ ولا الأطلاء كما تفعل معظم فتيات المدينة ؛ بل إن ألوان بشرتهن الحمراء طبيعية
جرت في الوجوه كجري ماء النـمير :

تلك سوق مصقولة في العـراء لم تمس في جوارب من حريـر
ورؤوس خلقت للأعـباء لا رؤوس ألفن قص الشعـور

...

ما ترهلن في ظلام الخـدور أوطلين الأديم بالألـوان
بل جرت في الوجوه جري النـمير حمرة الشمس صبغة الرحمـن^(١)
فهذه الأبيات تصور عشقه للريف وأهله ، وتدل على مدى محبته لهم وإعجابه
الشديد بكفاح المرأة الريفية في سبيل عيشها واستقرار أسرتها .

وما يلفت نظرنا هنا أن غنيماً قد وصف في شعره بعض الأدوات التي يستخدمها
الفلاح في زراعته . ومن تلك الأدوات (المحراث) الذي يعد من المستلزمات الرئيسية
للفلاح ، والمحراث آلة مصرية قديمة تحرث الأرض وقد شبهه الشاعر بريشة الرسام الذي
يخطط الصفحات البيضاء في روعة وإتقان:

يخطط الأرض في نظمٍ وإتقان كأنه ريشة في كف فنـان
يخطط الأرض لكن لا يلوئها فإن نما زرعها ، ازدانت بألوان^(٢)

ولولا المحراث لما أخرجت الأرض بركاها :

لولاها ما جاد بالخيرات باطنها ولا جنى ثمراً من ظهرها جان^(٣)

الاهتمام بالريف وتقدير أهله :

غنيماً ابن القرية عاش فيها ، واختلط بأهلها ، وتطبع بطباعهم ، ولبس من لبسهم
، وأكل من أكلهم ، وحزن في حزنهم ، وفرح في فرحهم ، وعالج قضاياهم ودافع عنها

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ١٤٩ .

(٢) السابق ، ص ١٣٩ .

(٣) السابق ، ص ١٣٩ .

وأخلص لهم ، وتغنى بأخلاقهم ، وأشاد بأجسادهم ، ووصف مكارمهم . ومدحهم بثبات العقيدة ، وأسبل على نسائهم أوصاف العفة والحشمة والوقار كيف لا : " وهو متعصبٌ للريف وبناته ، وقد ألف أن يمضي عطلة الصيف في أحضانه ، مؤثراً الاستمتاع بجماله الطبيعي الصادق (غير المجلوب) " ^(١) ومن ذلك قوله في أهل الريف :

حيث فيك الثابتين عقائداً والطاهرين سرائراً وقلوباً
والذهابات إلى الحقول حواسراً يمشي العفاف وراءهن رقيماً ^(٢)
والريف في نظره مصدر إلهام لأصحاب القرية من الشعراء والكتاب . وأهل القرية أصحاء لما يتمتعون به من بيئة سليمة ، وهواء نقي ، تسري أشعة الشمس في أبدانهم وهم فوق ذلك يتمتعون بأجسام رياضية معتدلة بسبب المشي بين الحقول الفسيحة . وفي هذا ردٌ على من زعم أن الريف مرعى للماشية ومأوى للحشرات والأوبئة ومستودع للحظائر والبهائم :

زعموك مرعى للسموم ، وليتهم
فهي القرائح أنت مصدر وحيها
ماضر أهل الريف ألا يحفلوا
ضمنت سلامتهم سهولة عيشهم
وسرى شعاع الشمس في أبدانهم
سر في الحقول ، ترى الرياضة عندهم
زعموك مرعى للعقول خصيماً
كم بتّ تلهم شاعراً وخطيباً
بالطب ، أو لا يعرفوا (الميكروبا) ؟
وصفا هواؤهم ، فكان طبيماً
فجرى بأوجههم دماً مشبوباً
فناً ، وخطأ عندنا مكتوباً ^(٣)

الفلاح بين عهدين :

بقى الفلاح في عنت ومشقة وظلمٍ وحرمان حتى تفجرت ثورة يوليو (١٩٥٢م) بمصر وأولت الفلاحين اهتمامها ورعايتها . ولم يكن غنيم في هذه الفترة بعيداً عن أخوانه الفلاحين ؛ بل دافع عنهم وعالج قضاياهم في شعره كيف لا وهو فلاح ابن فلاح يعرف معاناتهم ويحس ما يحسون به من فقر وحرمان وإهمال عانوا منه سنين عديدة .

(١) دموع على الشاعر محمود غنيم ، من كلمة الدكتور / مختار الوكيل ، ص ٤٥ .

(٢) الأعمال الكاملة . صرخة في واد ، ص ١١٣ .

(٣) السابق ، ص ١١٥ .

ومبعث الإشفاق على الفلاح كان سائداً في أدبنا المعاصر يقول المقدسي عن قضية الفلاح : " وهو عادة مستسلم لأولي أمره لا يعرف إلا ما ألفه ودرج عليه وأولو الأمر قلما يهتمون من شأنه إلا بما يعود عليهم بالخير والربح " (١) .

وفي هذا الصدد يشيد غنيم بالفلاح لالتصاقه به وانتمائه إليه ، وله قصيدة بعنوان (الفلاح) يصف فيها الفلاح ويصور قطرات العرق السائلة على جبينه بحبات (اللؤلؤ) وهي في تألقها ولمعانها برقٌ لامع . وتلك القطرات من العرق توحى بالتعب والمشقة والمكابدة . ولكنه مع ذلك يختال في سيره عزة وكرامة كالأمير :

شاهدت لؤلؤة كالبرق تأتلق
على جبين أمير سار مختالاً (٢)
ثم يسألها في صورة إنسانية رائعة عن هويتها ، فتجيبه بأنها عرق الفلاح المسكين الذي يحرق الأرض بمعوله ليأكل منها غيره :

فقلت : ما أنت ؟ قالت : إنني عرق
من جبهة الزارع المسكين قد سالا (٣)
وهنا يشتد انفعاله لحالة الفلاح المسكين الذي أصابه العنت والمشقة والحرق . فالناس تنعم وتشبع وهو جائع بائس لاجاه له ولا مال ومن أين يتأتى له ذلك والملاك وسائر الناس قد امتصوا مامعه من خير ؟ :

الناس تنعم ، والفلاح يحترق
وليس يحرز : لا جاهاً ولا مالاً !
امتصه الناس حتى ما به رمق
كأنه صُب للإيثار تمثالاً (٤)

فهذه الأبيات السابقة في شأن الفلاح وأحواله دليلٌ قاطع على أن الشاعر : " مولع بالريف المصري ، ومتفان في حب أهله ، الذين يجدون السعادة أقصى السعادة في العمل الدائب الشريف ، إنهم يبدون في شعره أمثلة ونماذج للأبطال الكادحين ، وفي بواكير نظمه ما ينطق بحبه الصادق النبيل لأهل الريف الصابرين " (٥) .

(١) الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ، ص ٣٤٢ .

(٢) الأعمال الكاملة ، صرخة في وادٍ ، ص ٢٨٢ .

(٣) السابق ، ٢٨٢ .

(٤) السابق ، ٢٨٢ .

(٥) دموع ، ص ٤٥ .

وفي قصيدته (راهب الحقل) يشبه ارتباط الفلاح بالخالق (عز وجل) منذ أن فطره وأوجده في ذلك الحقل بالراهب العابد في محرابه الذي لم يعتره شك في وجود الله :

راهبٌ خطَّ في القرى محرابه	بين شطِّ الغدير واللَّبابه
عاش للحقل والنبات فكانه	دينه في حياته وكتابه
عرف الله فطرة لا اكتسابه	فرجا عفوه وخاف عقابه ! ^(١)

ومواقف غنيم من قضية الفلاح واضحة وبينه من خلال ما عرضه لنا من قصائد عظام . استمع إليه وهو يقدم لنا نماذج رائعة من ذلك الكفاح المبرر للفلاح وكيف استطاع الاقطاعيون أن يتخذوا منه جسراً للعبور إلى قمم المجد العالية ، وأن يظفروا من ورائه بالمال والجاه وهو يكدح ويتعب ويشقى :

ما لهذا الملاك أمسى وأضحى	وهو نهبٌ ، مُقسَّم لعصابه
صرفوا الراهبَ البتول عن اللـ (م)	ه ، وصاروا من دونه أربابه
عبروه جسراً إلى المجد ؛ حتى	بلغوا فوق منكبيه الذُّبابه
باسمه يظفرون بالمال والجـ (م)	ه ويقضي كل امرئ أرابه
وهو يشكي من الطوى ، لاصق بالـ	أرض ، يجترُّ حلقه أوصابه ! ^(٢)

وبقى الفلاح يعيش في هذا التوتر النفسي الرهيب نتيجة لذلك الظلم الاستبدادي وهو لا يملك من أمره شيئاً سوى أن يرفع يديه إلى السماء داعياً الله أن يَفُكَّ أسرَه وضيقه ولا يمضي طويل وقت حتى تتفجر الثورة التي بددت الظلم والقهر الذي كان يمارس ضد الفلاحين ويسلب حقوقهم وأموالهم ، فاستبشر الفلاح بها خيراً وعادت أنفاسه إليه مستعيداً إيمانه بعد الشك الذي سيطر عليه ونغص حياته فتره طويلة من الزمن :

بسط الراهبُ البتولُ يديه	ودعا الله دعوة مستجابـه
ظلَّ في أرضه غريباً إلى أن	بعث الله من يردَّ اغترابه
فإذا ثورةً على الظلم تـبـري	رأسه ، ثم تقتفي أذنا به

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في وادٍ ، ص ٧٦٦ .

(٢) السابق ، ص ٧٦٧ وتاليتها .

وإذا الراهب الذي نسي الشَّـدَّ (م) وَ ، من الشَّجْوِ يَسْتَرُدُّ ربابه
مستعيداً إيمانه بعد شـك في السموات كاد أن يتأبَّه (١)

ولقد ينام القوم ملء العين في زمن يقض مضاجعاً وجنوباً

وهي السعادة ، كم أوت كوخاً ، وكم هجرت أشم من القصور رحيباً

قالوا : الحضارة ، قلت : أسفر وجهها وبدت محاسنها فكن عيوباً^(١)

والقرية هي مسقط رأسه ومصدر ألحانه فيها بدأ الهوى وعلى مسرحها تعلم ولعب ، وهي مصدر زفراته وأناته ولها عنده قداسة كقداسة بيت حرام :

سائلاني عن أهل تلك المغـاني إن هذا الأديم مسقط رأسي

لقتني طيوره ألحاني وسقاني هواه أول كأس

مسرح كنت فوقه منذ حـين وعليه لعبت دور الغـلام

لك — يا ريف — زفرتي وحنيني لك عندي تقديس بيت حرام^(٢)

فهو ملتصق بها تماماً لم يستطع أن ينقطع عنها بعد أن هاجر إلى المدينة فخصص لها جانباً من زيارته ، وكان يقضي صيفه فيها ، ويتغنى بها في أشعاره وأسفاره .

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في وادٍ ، ص ١١٤ .

(٢) السابق ، ص ١٤٩ .

الطبعة

كان غنيم شاعراً يجيد الوصف الدقيق للطبيعة والغوص في أعماقها ، وعندما يصف يبدو وكأنه يحاول أن يُطبق ما قاله ابن رشيقي في (عمدته) : " أبلغ الوصف ما قلب السمع بصراً " ^(١) وهذا ما يسمى تراسل الحواس .

و لتمييز شاعرنا برهافة بالغة في الإحساس ، ودقة بارعة في التصوير ، وملكة قوية في التذوق . فقد استلهم أغلب مظاهر الطبيعة في عصره من ريف وروضٍ ونهرٍ وبحرٍ وقمرٍ ... واستطاع " الوقوف عند مظاهر الوجود ، ومناجاة الطبيعة واستلهاها " ^(٢) .

ولا أحد يستطيع أن ينكر هذا المصدر عند الشاعر أو يقلل من شأنه وإبداعه فيه فالطبيعة هي المصدر الأول المغذي لشعره . فكانت ملهمة وموحية له في معظم آثاره الفنية الشعرية . وعلاقته بها قديمة منذ أن وجد على وجه قرية القابعة في أحضان الطبيعة ، فكانت زاداً له نهل منها وعبر عنها . فصور الكون والحياة في قصائد كتب لها السرور والخلود .

ولدراسة هذا المصدر المهم عنده فإنني سوف أقف عند كثير من النماذج والأمثلة التي تبين مقدرة الشاعر في هذا الباب . وقد حاولت تقسيم عناصر الطبيعة عنده إلى عدة أقسام لتسهيل الدراسة ويتضح المراد . وهي كما يلي :

١ - الطبيعة النباتية (الروض) .

٢ - الطبيعة الفصليّة .

٣ - الطبيعة المائية .

٤ - الطبيعة الكونية .

١ - الطبيعة النباتية (الروض) :

الأرياف المصرية غنية بالخضرة والجمال والرياض الغناء . و(الروض) بصفة العموم : تضم جميع مظاهر الطبيعة من أزهار ، وورود ، وأنهار ، وطيور ، وأشجار ، ففي قرية (مليج) ؛ حيث مرتع صبا الشاعر ومجلى أنسه بقاع جميلة تزدان بطبيعة ساحرة

(١) العمدة ٢/٢٩٥ .

(٢) دموع ، من كلمة د/ كامل السوافيري ، بتصرف ، ص ٣١ .

وفي (كوم حمادة) رياض غناء وظلالٌ وافرة ، حركت في نفس الشاعر انعكاساً رائعاً جعلته يهيم بالرياض ، ويصفها وصفاً رائعاً .

ففي الروض رمالٌ فضية يتخللها عشب أخضر ، وماءٌ زلال :

جلستُ على بساطٍ من رمالٍ خلال العشب والماءِ الزلال^(١)

أما نسيمها فقد رق وصفاً ، فكان أطيب من الوصال بين المحبين العاشقين :

وقد رق النسيم ، فكان أشهى إلى قلب الحب من الوصال^(٢)

وفي الروض تتعانق الألحان والأصوات الموسيقية الصادرة عن تغريدات الطيور ،

وهمس ماء النهر :

طيور الأيك تصدح عن عيمي وماء النهر يهمس عن شمالي^(٣)

والنخل مثمر بجبات (البلح) كأنه أحجارٌ كريمة متألئة ، أما شجرته فعملاقٌ عليه

مظلة ، أو ربما مارداً مخيف :

وبدا النخيل غصونه فيروزج يحملن من صافي العقيق حبوباً

أرأيت عملاقاً عليه مظلة أو مارداً ملء العيون مهيأ؟^(٤)

وفي قصيدته (عرش الجمال) التي يصف فيها أنسة مصرية فازت بلقب ملكة جمال

العالم ، نراه يتعرض للروض المصرية ويصف فيها حسننها وجمالها :

وكيف يذبلُ روضُ الحسن في بلدٍ مخضوضٍ ، جوه روح وريحان؟^(٥)

وتجتمع في الروض المصرية عادة الماء ، والظل ، والطيور :

وكل صُقعٍ بمصر روضة أنفٍ ماءً ، وظلٌ ، وأطيّارٌ ، وأغصانٌ^(٦)

و الشاعر عندما يثور على الحضارة المدنية المادية ، والرفاهية الزائدة يعود إلى الطبيعة فهي

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في وادٍ ، ص ١٣٣ .

(٢) السابق ، ص ١٣٣ .

(٣) السابق ، ص ١٣٣ .

(٤) السابق ، ص ١١٤ .

(٥) السابق ، ص ١٥٩ .

(٦) السابق ، ص ١٥٩ .

"ملاذه ومُستراحه من نعيم الحضارة الزائفة" ^(١) وفي هذه العودة إلى الطبيعة يجد

كل ما يفتقده في المدنية من الراحة ، والسعادة ، والحنان ، والشفقة :

هي الطبيعة ، مابر الأنامُ بهـا أُمّا ؛ وبرت بهم من قبل أنجالا

عودوا إلى حجرها إن شئتمو رغدا كما نشأتم بهذا الحجر أطفالا ^(٢)

ثم يقارن بين صورتين رائعتين إحداهما تمثل لحناً من ألحان الطبيعة وهو

صوت (الهزار) والأخرى تمثل لحناً مصطنعاً وهو آلة (العود) الذي يمثل المدنية . فالأول

في نظره أقوى أثراً في النفس من الثاني :

صوتُ الهزار وصوتُ العود أيهما أشجاهما أثراً في النفس فعّالا ؟ ^(٣)

ثم يقسم على أن عينه لم تقع على منظرٍ في المدينة يُقارن بجمال الرمل الأصفر

وحسن منظره ، والماء السلس في الطبيعة الخلابة :

أقسمت ، ما نظرت عيني بحاضرة كالرمل أصفر ، أو كالماء سلسبلا ^(٤)

٢ - الطبيعة الفصلية :

من روافد الطبيعة التي أمدته زاداً شعرياً عذباً فصول السنة : الربيع ، والشتاء ،

والصيف ، وكان لكل فصلٍ انعكاساته لدى الشاعر ، فهو لم يصفه بعيداً عن نفسه

ووجدانه ؛ بل امتزج بتلك الفصول : " فكان لكل فصلٍ معطياته من صور الجمال التي

ترضي جميع الحواس لدى الإنسان ، والتي تخلق لديه من المتع النفسية ما يجعل لكل فصل

مكانة خاصة لا تزغها مكانة فصل آخر " . ^(٥)

ولعل فصل الربيع من الفصول المحببة لدى الشاعر ، فهو يوحي بالخير ، والخصب ،

والنماء ، والجمال ، والسعة ، وهو فصلٌ جالب للسعادة ، والفرح ، والبهجة . ومن أهم

ما رسمه الشاعر في الربيع من قصائد قصيدته الرائعة (موكب الربيع) والتي فازت

(١) محمود غنيم وشعره ، ص ١٠٢ .

(٢) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٧٥ .

(٣) السابق ، ص ٧٥ .

(٤) السابق ، ص ٧٥ .

(٥) الصنوبري شاعر الطبيعة ، ص ٢٨ .

بالجائزة الأولى ، في إحدى مسابقات الإذاعة .^(١)

وقد صور في هذه القصيدة جميع مظاهر الربيع فالنسيم رسول للربيع يحمل رسالة من الأزهار والرياح تتضمن تلك الرائحة العبقية من شذى الأزهار ، وعطر الرياض ، وفي الوقت نفسه يُداعِبُ صفحات الأمواج ، وأطراف الأشجار ، فكأنه في طوفانه قبله عاشق، وفي ديبه في الأوصال كأس خمر :

حمل النسيم رسالة الأزهار	وأذاع سر الـمـروضة المعطار
وسرى يداعب صفحة الأمواج في	سريانه ، وذوائب الأشجار
ويطوف بالوجنات قبله عاشق	ويدب في الأوصال كأس عقار ^(٢)

ثم يُحيي الشاعر الربيع بنسيمه العليل الذي يهب في شهر (آذار) وهو بداية شهر

الربيع:

حي الربيع ، وحي عطر نسيمه
ويتحدث الشاعر في مقطع آخر من القصيدة عن أثر الربيع الإيجابي للطبيعة إذ كان سبباً أساسياً في صحوة الطبيعة بعد أن طال هجوعها . فكأنها عروس مُنعمَةٌ استيقظت على صوت آلة (القيثار) بعد طول منامها . " فلما جاء الربيع أيقظها ففتحت منافذ مخدعها لاستقبال النور شاكيةً من طول ليل الشتاء ، واحتجاب نهاره بالغيوم " ^(٣) فأظهر الربيع مفاتنها وزينتها :

صحت الطبيعة بعد طول هُجوعها	صحو العروس على صدَى "قيثار"
ونضت ستائر مخدعيها ، تشتكي	من طول ليلٍ ، واحتجاب نهار
وجلا مفاتنها الربيع كأنمـا	هي دميعةٌ عرضت على الأنظار
حتى إذا اتقت العيون ، تلفعت	من دوحها ومُروجها بإزار ^(٤)

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٦١٧ .

(٢) السابق ، ص ٦١٧ .

(٣) السابق ، ص ٦١٧ .

(٤) السابق ، ص ٦١٧ .

(٥) السابق ، ص ٦١٧ .

والطبيعة في الربيع (عيدٌ) سعيدٌ للشاعر من خلال ما بدت به من أثواب زاهية
وجمالِ فتان ولكن الشاعر يأبى أن يحتفل بها وحده ؛ بل أشرك معه الوحوش والطيور في
استجلاء محاسن الربيع التي كانت أيام الشتاء محتفية نائمة ، وقد شمل ذلك الحُسن حتى
الجمادات الصَّم من صخورٍ وأحجار :

عيدُ الطبيعةِ يحتفي وحشُ الفـ_____لا
الحُسنُ فيه بكل شيءٍ ماثـ_____لُ
بحلوله ، والـ_____طيرُ في الأوكار
حتى الصخور الصم ، والأحجار ^(١)

ثم يرسم لنا لوحةً فنية رائعة للربيع عندما يلتقط الطيف ويطلّي به الأزهار التي
تكاد ألوانها تذهب بالأبصار ، ويغوص في البحر ويستخرج دُرّه ثم يذّيبه في فم (التّوار)
فيتمتع الناظر بمراى الزهر في أحلى حلله ، أما السمع فيستمع بتغريد الطيور فوق الغصون
وبوسوسة ماء النهر الجاري كأنغام موسيقية تجانست ، بينما الغصن يميل على أخيه في
رقصٍ وهمسٍ كأنما يخبره سره :

لقط الربيع الطيفَ ثم طلى بـ_____ه
واصطاد در البحر ثم أذابـ_____ه
الطير يهتفُ فيه فوق غصونـ_____ه
والغُصنُ مال على أخيه هامسـ_____اً
أزهاره فأخذنَ بالأبصار
طلاً يسيلُ على فم النـ_____وار
فتحبُّ وسوسةُ النمر الجـ_____اري
همس الأُحبة فيه بالأسـ_____رار ^(٢)

أما الطريف الجديد في وصف الربيع عنده فقد تمثل في قوله:

هو ناصبُ الأسلاكِ إن وصل الهوى
بين القلوب ومُرسل التـ_____يار ^(٣)
إذ شبه ما يحدثه الربيع في القلوب من دعم أواصر الحب والهوى بوصلة التيار
الكهربائي وما تحدثه من شحنات كهربائية ، وجعل الربيع هو ناصبُ أسلاك هذه
الكهرباء ومولد التيار . يقول د. سلامة معلقاً : " لقد منح الصورة من قوة الخيال ، وابتكار
المعاني ، وتوليد الصور ، ماجعل ربيعاً فريداً جديداً ؛ بل إنه أضاف إلى ذلك انطباعات .

(١) المصدر السابق ، ص ٦١٨ .

(٢) السابق ، ص ٦١٨ .

(٣) السابق ، ص ٦١٨ .

فنية متأثرة بالعلم الحديث" . (١)

وعلى عادة الشعراء القدماء نجد غنيما يدعو صاحبه للسير في موكب الربيع
والتأمل فيه ، كي يسيرا فيه كفرشتين تتلمسان الأضواء والأنوار ، أو كبلبين جميلين
بروضة بهيجة يتطارحان الألحان العذبة :

رَكْبُ الربيع بدت طلائعه لنا	قم ، نَسِر في ركب الربيع الساري
قم ، نسر فيه فراشتين بربروة	يتلمسان مشارق الأنوار
قم ، نسر فيه بلبين بأيكة	يتطارحان السجع في الأسحار (٢)

ثم يبين الشاعر معاناته عندما يرى الطيور محقة في الهواء الطلق مما يزيده شوقاً
لرؤية الدنيا من الأفق ، ويوضح أن الطيور ليست مطوقة ولا أسيرة ؛ بل هي كالملك على
الدولة ، لأنها ترى الدنيا بحرية تامة من خلال تحليقها:

دنيا الهواء تشوقني أرجاؤها	إن لاح لي سرب من الأطيوار
فأحس نفسي أفلتت من قيدها	ومضت محقة بريش هـزار
ما أنت ، ياطير الغصون ، مطوق	بل أنت عاهل دولة الأحرار (٣)

وتألق شمس الربيع توقد من وجدان الشاعر ، وتلهب من حرارة أشعاره ، فيزداد
وله به جمال الربيع، فهو امرؤ مولع بالجمال إذ جعل حب الجمال شعاره ؛ بل إن الحياة
لا تطيب له إلا في هذا الفصل حتى وإن كثرت أثقالها وأوزارها :

إني لترهف في الربيع مشاعري	ويدق حسي دقة الأوتار
ويمد وجداني تألق شمسـه	بحرارة تنساب في أشعاري
ويزيد فيه بالجمال تدهشي	إني امرؤ ، حب الجمال شعاري
ويطيب لي معنى الحياة بهـ، وإن	تكن الحياة كثيرة الأوزار (٤)

(١) محمود غنيم وشعره ، ص ١٤٩ .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٦١٨ .

(٣) السابق ، ص ٦١٩ .

(٤) السابق ، ص ٦١٩ .

طير وزهر :

نيسان ، أنت لعين الدهر إنسانُ ياليت كل ليالي الدهر نيسانُ!
ما الطيرُ ؟ ما الزهرُ ؟ إني لا أخصهما بفتنة ؛ كل شيء فيك فتان ^(١)
و (الصخر) عنده ليس مجرد صخر جامد صلب بعد أن أضفى عليه الحركة
والإحساس ، فبدى لنا منتشياً فرحاً بمقدم الربيع:
الصخر يبدو لعبني فيك منتشياً أحس فيه حياةً وهو صفوان ^(٢)
والربيع عنصر مهم من عناصر صحة الإنسان وعافيته ، ذلك أن دفء الربيع يجلي
السقم عن الأبدان ، فهو في سريانه وانسيابه في الأجسام خموراً صافية لا كروم فيها ولا
كؤوس:

ينسابُ دفؤك في الأبدان عافيةً لا تشتكي السقم في نيسان أبدانُ
وللربيع خمور ؛ لا كروم لها ولا كؤوس ، ولا دَن ، ولا حان ^(٣)
ثم تطرق الشاعر إلى فكرة فلكية ظنّها صحيحة وهي تعادل الليل والنهار في فصل
الربيع وقد علق الدكتور أحمد زكي على هذه الفكرة بقوله : " وهذه فكرة - وقد ظنّها
طريفة - لا يمكن أن تكون صحيحةً لسببٍ علمي هو أن الربيع لا يعتدل فيه النهار والليل
مطلقاً ، بل لا يعتدل هذان في كفتي ميزان إلا في يومين اثنين يوافقان (٢١) من مارس ،
و (٢٣) من سبتمبر ، ويسميان بالاعتدالين الربيعي والخريفي... " ^(٤) وقد صاغ الشاعر تلك
الفكرة كما يلي :

قالوا : الربيع ، فقلت : العدل طابعه لا في النهار ، ولا في الليل طغيان
تعادل الليل فيه والنهار معاً كأنما هو للأيام ميزان ^(٥)

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٧١٧ .

(٢) السابق ، ص ٧١٧ .

(٣) السابق ، ص ٧١٧ .

(٤) مجلة الرسالة ، العدد ١١١٦ ، ص ٣٤ وتاليتها .

(٥) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٧١٧ .

ويشير غنيماً إلى بعض المظاهر الحيوانية في فصل الربيع حيث تتحول جميع الطيور فيه إلى عصافير مغردة، وصار كل موضع في الأرض بستاناً زاهياً :

كل الطيور عصافيرٌ معرّدةٌ فيه، وكل مكان فيه بستان (١)
ويطلب من الطير أن يصدح في كل مكان في الأفق بصوته الشجي فلحنه بمثابة المزمار والعيّدان، ثم يرسم لنا صورةً موسيقية رائعة عندما تتداخل أصوات الطيور مع همس الغدران :
هذي منابرُك العليا مهيةٌ ياطرُ ، فاصدح ؛ فكل الكون آذان
أنت الملحنُ والمنشئُ ، وأنت لنا رقُّ ، وأنت مزاميرٌ وعيّدان
الطيرُ يصدح ، والغدران هامسة المطربان هما : طيرٌ ، وغدران (٢)
ثم يأمر صاحبه بالنظر في (ماء النهر) وهو هادئ والبط يسبح فيه وهو فرحان وقد رسم خطوطاً مموجة تذهب بذهابه:

قم ننظر الماء — ماء النهر — في دعة والبط يسبح فيه وهو جـذلان
يخط فيه خطوطاً لا بقاء لها كأنها حادثٌ يحويه نيسان (٣)
ويرسم لنا صورة رائعة للنسيم حينما يمر على صفحات الماء في وقت الضحى وقد أطبق جفنيه. ويسأله عن سر تجعده وغضبه ، ولكن سرعان ما يزول ذلك الغضب والتجعد حينما يبوح إليه النسيم بأسراره :

مر النسيمُ على سطح الغدير ضحىً وماؤه مطبق الجفنين نعسان
فيم التجعد إذ مر النسيم به — ؟ سلوا الغدير ، سلوه : أهو غضبان؟
إن النسيم رسول الزهر حملته سرّ العبير ، وللأسرار كتمان (٤)

ثم يعدد الشاعر مآثر (النسيم) فكم من شعر طويل داعبه وثوب قصير كشفه :
وكم للنسيم مع الشعر الطويل أو الـ (م) ثوب القصير دُ عابات لها شأن
وكم له بغصون الدوح عريضةً كأنه بغصون الدوح ولهـان (٥)

(١) السابق ، ص ٧١٧ .

(٢) السابق ، ص ٧١٧ .

(٣) السابق ، ص ٧١٨ .

(٤) السابق ، ص ٧١٨ .

(٥) السابق ، ص ٧١٨ .

أما الطبيعة في الربيع فقد استحوذت على عرشه، واعتلته وتولت الحكم في دولته ، وهو عرش ممتد في كل ناحية يدور حوله حور وولدان ومعاذفه وألحانه مصدرها الطير والأفنان لا القصب والعود ، وأزهار مُنسقة مصطفة قد أخذت تشكيلة باقة الورد العطرة من وردٍ ، وآسٍ ، ونسرین، وریحان ، أما أفق الطبيعة فقد أضيء بالنجم اللامع لا بالشمع المشتعل ، وأرضه قد فرشت بالبسط الخضراء ، وهذه اللوحة المرسومة قد قلبت السمع بصراً بفضل مأوتي من دقة في التصوير :

إن الربيع لهذا العرش سلطــــــــــــــــان	عرشُ الطبيعة قد صُفّت أرائكــــــــــــــــهُ
يقام ، يشهده حُورٌ وولــــــــــــــــدان	عرشُ سراقه في كل ناحيــــــــــــــــة
لكن معازفه طيرٌ ، وأفــــــــــــــــنان	ليست معازفه رقا ، ولا قصبــــــــــــــــاً
ورد ، وآسٌ، ونسرین، وریحــــــــــــــــان	قد نسّقت فيه أزهارُ الربــــــــــــــــأصصاً
والأرض بالبسط الخضراء تزدان ^(١)	الأفق بالنجم — لا بالشمع — مزدهر

والربيعُ كتابٌ للحب والغرام من أوله إلى آخره ، تبدو لنا فيه العين سيفاً فاتكاً ، والقدُّ رُمحاً حاداً طاعناً ، والخد تفاحاً ناضحاً ، والنهدُ في الصدر رماناً بارزاً :

إن الربيع كتابُ الحب نقــــــــــــــــرؤه	الحب حاشيةٌ فيه ، وعنــــــــــــــــوان
فكل عينٍ به كالسيف فاتكــــــــــــــــة	وكل قدٍ به كالرمح طعــــــــــــــــان
وكل خدٍ به تفاحةٌ نضجــــــــــــــــت	وكل نهدٍ حواه الصدرُ رمان ^(٢)

ولفصل (الشتاء) نصيبٌ في ديوان الشاعر لما له من انعكاسات على نفسية الشاعر وموهبته . وإذا كان فصل الربيع هو ملك الطبيعة ، فإن في الشتاء ظواهر مغايرة له فهو شهر الأمطار والمياه ، والسحب والروعد، والغيم والثلج. ومن خلال إحصاءٍ دقيقٍ للديوان وجدت له قصيدة كاملة ينعي فيها الشتاء بدأها بيت يبين فيه تعادل كفتي الليل والنهار في فصل الربيع ، ونهاية (البرد) في فصل الشتاء:

(١) المصدر السابق ، ٧١٨ .

(٢) السابق ، ٧١٩ .

وكذلك يتساءل عن الطيور المغردة أين ذهبت ، ويرجو أن ينفض الربيع عنهما الغبار:

الطير والأيك أين غابا ؟ لينتفض عنهما الغبار (١)

حتى النهار في الشتاء قد تحول إلى ليل من شدة الغيم أو لشدة طول الليل ، أما
الرياح فقد أثارت الغبار فكأنك في ساحة قتال :

كم من نهار مضى عليه ثوب من الليل مستعار !

رياحه قد آذنت بحرب فالتقع في جوه مثير (٢)

أما الشمس في الشتاء فهي تشبه الظي في نفوره ودلاله :

كأن شمس الشتاء ظي من طبعه الدل والنفسار (٣)

ثم يقابل بين منظر كل من البدر والشمس في الربيع والشتاء . فالبدر لا يشبه بدر
الربيع الذي هو كالفضة في اللمعان ، كما أن الشمس ليست مثل شمس الربيع التي تحاكي
الذهب في النضارة :

لا بدره - إن بدا - لجين كلا ، ولا شمسه نضار (٤)

وفي غاية الدقة في التصوير يرسم لنا منظر ماء النهر والنبات والأزهار من حوله
بشكل مرايا من زجاج عليها برواز وإطار :

ولا أواذية مرايا والنبات من حولها إطار (٥)

ولشدة البرد في الشتاء تزداد أهمية الفحم في التدفئة ، فيصير كالزاد للجائع
والمسافر ، حيث يشعله كل صاحب دار للتدفئة بناره ، ويقعد حولها وكأنه من (المجوس)
الذين يعبدون النار :

كم أصبح الفحم - وهو فحم - كالزاد لم تخل منه دار

كل امريء كالمجوس فيه أمامه موقد ونار (٦)

(١) المصدر السابق ، ص ١٣٤ .

(٢) السابق ، ص ١٣٤ .

(٣) السابق ، ص ١٣٥ .

(٤) السابق ، ص ١٣٥ .

(٥) السابق ، ص ١٣٥ .

(٦) السابق ، ص ١٣٥ .

ولئن تعادل الليل والنهار في (الربيع) فإن (الشتاء) له وضعٌ خاص حيث يطول ليله ، ويقصر نهاره وهذا ما عبر عنه بقوله :

نجومه قد مشين حبــواً وشمسه جرّها البخــار^(١)

فالحبو هنا يدل على البطء والتراخي، بينما (الجرُّ) يدل على السرعة والانقضاض ، ثم نخبرنا عن حالة الأرض إذا اقبل الليل إذ تخلو من أهلها تماماً ، فكأنما هي صحراء خالية لا ساكن فيها . بينما الناس في بيوتهم كالمسجونين المحاصرين :

إن جن فيه الدجى احتجبنــا فالأرض من أهلها قفــار

وبات كل امرئ سجينــاً في داره حوله حصــار^(٢)

ويتمنى الشاعر في آخر الأبيات أن تكون (الحياة) كلها ربيعاً خالصاً على الرغم من أنه قصير لكي يتمتع بالأيام الجميلة في ظله :

يا ليت أعمارنا ربيعــع صرفٌ ، ولو أنها قصــار^(٣)

ومن الظواهر الاجتماعية في فصل (الشتاء) اجتماع الأسرة الواحدة داخل البيت للدفء حول النار أو حول (المدفئة) ، وقد عبر عن هذا في قصيدته التي أنشأها في كوم حمادة عن فصل الشتاء بعنوان (حول المدفئة) يصف فيها جلوسه مع أبنائه حول المدفئة للدفء. والجلوس حولها - عنده - من أطيب الساعات والأوقات في فصل الشتاء نظراً لاجتماع الأسرة وتآلفها :

وأطيبُ ساع الحياة لديــا عشيةً أخلو إلى ولديــا

وأغزو الشتاء بموقد فحــم وأبسط من فوقه راحتيــا

هنالك : أنسى متاعب يومــي كأني لم ألق في اليوم شيــا^(٤)

(١) المصدر السابق ، ص ١٣٥ .

(٢) السابق ، ص ١٣٥ .

(٣) السابق ، ص ١٣٥ .

(٤) السابق ، ص ١١٦ .

وإذا اتجهنا إلى فصل الصيف لنرى كيف صوره الشاعر وتعامل معه نجد أنه قد تحدث عنه أثناء إجازته الصيفية في الريف أو على شواطئ البحر في الإسكندرية . ومن أبرز مظاهر الصيف عنده جلوسه على شاطئ الإسكندرية ، وفيه يقول :

كل شيء الصيف يشكو الركودا وأرى الثغر وحده في نشـاط
قذف البحرُ دره المنضـودا أرأيت الجمان فوق الشاطي ؟ (١)

ولم يتعود الشاعر أن يقضي الصيف على الشاطئ ، بل نراه يذهبُ إلى الريف يستجلي من خلاله مفاتن الطبيعة ، ومن ذلك قصائده التي مرت (الريف، وعلى ضفاف الغدير) . وسوف أتحدث عن فصل الصيف أكثرَ عندما أتناول شعر البحر عند الشاعر إذ الالتزام بينهما وثيق الصلة .

٣ - الطبيعة المائية :

تعد البلاد المصرية من أكثر البلدان العربية التي وهبها الله مصادر مائية متنوعة من (ينابيع، وغدران ، وبحار ، وسحب، وأمطار) مما هيأ لها أن تكون رافداً طبعياً استمد منه شاعرنا موضوعاته وصوره .

ونهر النيل والبحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر تمثل أبرز المصادر المائية في مصر ، مما دفع الشاعر أن يكثر من ذكرها ووصفها وأن يستلهم منها مادة شعرية خصبة جعلت الشاعر يُعد من أبرز شعراء الطبيعة في مصر .

وقد قصدت بـ (الطبيعة المائية) عنده كل ما يتعلق بالماء ، وما يرتبط به ، من منابع ومصادر ، وقسمتها إلى أربعة أقسام :

■ المطر والسحاب .

■ الجداول والغدران .

■ النهر (نهر النيل) .

■ البحر .

(١) المصدر السابق ، ص ١٤٣ .

■ المطر والسحاب :

وقف شاعرنا الغريدُ أمام المظهر الأول من مظاهر الطبيعة المائية (المطر والسحاب) وقفات جميلة متأنية ، وعادة ما يرتبط ذكر المطر بالسحاب ، والأنواء ، والأرض ، والسماء ، والربيع ، والشتاء ، فكلها رموز متلازمة مع وصف المطر . ومن القصائد الجميلة التي تذكر له في هذا الشأن أرجوزة بعنوان (يومٌ عابس) أنشئت على إثر يومٍ ماطر عاناه الشاعر في بلدة (كوم حمادة) .

ووصف ذلك اليوم بالعبوس يوحى بأن المطر قد شوه عليه منظر الربيع فأذبل بعواصفه ورياحه أزهاره ، وحجب بغيومه وقطراته نور شمسهِ:

ياالصباح حائل الأديم	قد طعنَ الربيعَ في الصميم ———
أمطارُهُ قد شوهت آزارَهُ	وريحُهُ قد صوحت أزهارَهُ
قد يظفر الباحثُ بالعنقَاء	فيه ، ولا يرى ابنة السماء ^(١)

ثم يتساءل الشاعر عن سر عبوس ذلك اليوم الذي غابت شمسهُ ، واختفى صباحه ويتعسف في خطابه للشمس فيقول لها : " ويحك " ، ويأمرها بالطلوع ، والأرض بابتلاع الماء ، والسماء بالكف عن المطر ، مستوحياً في ذلك قصة الطوفان في القرآن :

فقلتُ : هل ضل صباحُ اليوم	أم أرقّت شمسُ الضحى في النوم ؟
ويحك ، يَأَيَّتْهَا الشمس اطلّعي	يا أرضُ غيضي ، يا سماءُ أقلعي ! ^(٢)

ولغزارة المطر وشدته فقد وقف على الطريق حيران مرتبكاً كحيرة الغريق وارتباكهِ ، حيث صارت الأرضُ بجزراً تحتاج إلى عوامٍ يعوم فيها بدلاً من المشي على الأقدام ، مما جعل يتعثر في مشيته ، وينسى حدود طريقه واتجاهه ، ويتخبط في سيره ، فإذا أراد اليمين جذبهُ الماء إلى اليسار ، وإذا شاء التقدم دفعهُ المطر إلى التقهقر :

وقفت حيرانَ على الطريق ———	ممن غير ماءٍ صرتُ كالغريق !
الأرضُ تحتاج إلى عوام	فكيف بالسير على الأقدام ؟

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في وادٍ ، ص ١٣١ .

(٢) السابق ، ص ١٣١ .

من رام أن يسعى يمينا ، أيسرا
ومن مشى قدام ، عاد القهقري ^(١)
ومع كل ذلك السيل العارم، والمطر الغارق ، ألي إلا أن يخوض الخضم، فمشى فيه
كالنشوان المترنح الذي أوغل في الشراب ، فاحتل جسمه عن الاتزان ، ومشى يسأل عن
اتجاهات الطريق كأنه غريب :

لكنني شحذتُ غربَ عزمي
مشيتُ كالنشوان ، كل همي
أسال في الطريق كل سابل
كأنني أسيرُ في الجاهل ^(٢)
ويشبه هطول المطر فوق رأسه بالدمع المنسكب ، والأرض من تحته بالبحر الواسع
، وهذا يدل على شدة المطر وغزارته :

دمع السماء فوق رأسي همام
والأرض من تحتي بحر طمام
ثم يصور لنا مافعله (المطر) بملابسه ، وأغراضه ، بعد أن كان حريصاً عليهما ، وفي أثناء
المشي وسط هذا الوحل مرت به وبصديقه — الذي كان يرافقه — سيارة مسرعةً كسهم
مارق ، فتقاذف الماء على ثيابهما ، ثم يعقد مقارنة بسيطة بين حالته الفقيرة وحالة
صاحب السيارة المترف في النعيم ، وفي هذا نقد اجتماعي وتصوير للطبقات الاجتماعية
في عصره:

وبعد أن كنت على "غاري"
فرطت فيه غاية التفریط
وبينما نحن نجوز حماره
تنطلق انطلاق سهم مارق
تنضح بالمياه جانباه
فطرزت إذ ذاك من ثيابي
فقلت : ويل للفقير العافي
أخشى من الرشاش والغبار
وصرت لا أخشى سوى السقوط
إذ دهمتنا عندها سيارة
ساجحة في خفة الزوارق
على ثياب ليس لي سواها
ما أخطأته ريشة السحاب
من الغني المترف المتلاف ^(٣)

(١) المصدر السابق ، ص ١٣١.

(٢) السابق ، ص ١٣١.

(٣) السابق ، ص ١٣٢.

ويعقد في نهاية الأرجوزة محاورة مع صديقه عن قرب موعد دق (الجرس) إيذاناً بدخول التلاميذ فصولهم وبدء الدرس اليومي ، ولكنه يطالب صديقه بالتريث وتأجيل التوجه إلى المدرسة إلى أن يتوقف سقوط الأمطار ، ويناشده ألا يتمسك بحرفية قانون الحضور والانصراف ، لأن ظروف المطر في القرى أقوى من قوانين الانتظام في العمل ، ثم يبين أن عدم تصريف المياه يذهب بكل ما في الريف من مميزات ومكتسبات وفي هذا كله نقد اجتماعي لصورة المجتمع في عصره:

قال صديقي: دنت الـ	دروس	وبعد خمس يضربُ الناقدُ	وسُ
فقلت مهلاً أيها الرفيـ	ق	مايفعل المدرسُ الغريـ	ق؟
لا تذكر القانونَ في الأريـ	اف	قد وُضع القانون في الجفـ	اف
حيث الشوارعُ التي لا تنضـ	حُ	ولا بماء المزن فيها تسمـ	حُ
وكل ما في الريف من محامـ	د	يذهب في أمطار يومٍ واحد ! ^(١)	

وله مقطوعة من ثلاثة أبيات ، يناجي فيها (المطر) ؛ حيث شاهد الأرض في الشتاء وهي غريقة في الماء ، فاتجه إلى (الغمام) يسأله هل حل بك خطبٌ يا (غمام) مثل خطبي حتى بكيت مثلي ؟

فيجيبه الغمام قائلاً : (لا) وإنما قصدت من ذلك أن أطهر جسد الأرض وأغسل وجهها بالماء بعد أن دنستها أعمال البشرية بالإثم والعدوان . وهو في هذه المقطوعة يهرب إلى الطبيعة ويمتزج معها هروباً من قسوة المجتمع وفساده :

بدت الأرضُ مرةً في الشتـ	اء	ثرةً مثل صفحة الدمـ	اء
فسألتُ الغمام : هل بك خطـ	بٌ	مثلُ خطبي حتى بكيتَ بكائي ؟	
قال : لا ، بل دنستم الأرض بالإثـ	(م)	م ، فظهرتُ وجهها بالمـ	اء ^(٢)

وإذا تحدث شاعرنا عن المطر ، والسحاب ، والغيم ... فإنه قد تحدث عن (الماء) بصفة عامة، واستخدمه (رمزاً) لصورة (البطش والفتك) التي تنتج من نفس (الضعيف) إذا اتحد وصار كتلة واحدة ، على الرغم من ضعفه وسطوته .

(١) المصدر السابق ، ص ١٣٢ .

(٢) السابق ، ص ٢٨٣ .

وقد استلهم هذه المقطوعة من (الماء) وهو في الكأس ، وقد دارت به الأيادي للشرب فكأنه فضة بيضاء ناصعة ، فلما تناوله الشاعر وهو في حالة ظمأ شديد سبح خياله في الماء ، فبدأ في وصف تلونه وأنه يتلون بتلون كأسه :

كأس تدور على ثغور ظمَاء	ملئت بذوب الفضة البيضاء
أقبلت في ظمأ أقبلُ ثغرها	فإذا خيالي سابح في الماء
الفيتة يحكي أديم إنائه	متلونا كتلون الحرباء ^(١)

وبعد أن سبح خياله في الماء ، بدأ التحليل والتفصيل فذكر مصدر الماء الأساسي الذي يتدفق منه وهو السحابة الوطفاء الدائمة الانهمار ، فإذا تدفق إلى الأرض صار كالجيش العظيم الذي يغير في جحافل وجيوش كثيرة على صفحة الأرض فيعمرها ويغير لوها :

فذكرت هذا الماء إذا هو دافق	من ثدي كل سحابة وطفاء
فإذا به جيش يغير جحافلاً	حتى يضرج صفحة الغبراء ^(٢)

ثم يبين لنا صورة أخرى من صور (الماء) وهي قدرته على الانسياب في جوف الصخور بباطن الصحراء المقحلة ، ومكوته فيها ، أما في حالة (تجمده) فإنه يزداد تمداً وحجماً ، فيذيب الصخرة الصماء بكل يسر وسهولة، وهذه الصورة ينفرد بها الماء عن بقية السوائل الأخرى التي تنكمش بالبرودة :

وذكرت هذا الماء إذ ينساب في	جوف الصخور بباطن الصحراء
فإذا تجمد، زاد قدراً حجمه	فأذاب قلب الصخرة الصماء ^(٣)

والماء وسيلة حياة لكل مخلوق ، وهو مصدر للطاقة البخارية الحديثة فمن غليانه يتولد البخار الذي يستخدم ضمن ما يستخدم في تسيير المركبات والقطارات المتحركة : وذكر أن الماء سلط غـازـه

فغزا زمان الناقة الوجناء

(١) المصدر السابق ، ص ٢٨٩ .

(٢) السابق ، ص ٢٨٩ .

(٣) السابق ، ص ٢٨٩ .

فإذا القطار ببأسه متحركاً ينساب مثل الحية الرقطةاء^(١)

ويوضح الشاعرُ صوراً جديدةً من صور بطش الماء من خلال (ثوران) موج البحر ساعة الأنواء ، فإذا به يرغب ويزد كالبعير الهائج . ومن خلال (هول اليم) إذا فغر فمه لتناول الأحياء :

وذكرت موج البحر إذ هو ثائرٌ يرغب ويزد ساعة الأنواء

وذكرت هول اليم، إذ هو فاغرٌ أفواهه لتلقف الأحياء^(٢)

وفي آخر المطاف ، وبعد أن سبحَ خياله في الماء ، وتذكر بطش الماء وفتكه سقطت (الكأس) من يده وهو في حالة عطشٍ شديد وذهول مرير من جيروت ذلك الضعيف، وعلم أن (الماء) يخفي بطشه وفتكه تحت ستارين جميلين هما السلاسة والصفاء :

وهنا رأيت الكأس تسقط من يدي فظمت، والماء القراح إزائي !

ورأيت أن الماء يسترُ بطشه ورأيت : سلاسة وصفاء^(٣)

■ الجداول والغدران :

لا شك أن الأرياف المصرية مليئةً بالجداول والغدران التي تضيئ جمالاً وبهاءً عليها وذلك من خلال نقائها وصفائها ، ومنظر النباتات والزهور حولها ، وهمس الماء فيها ، وسباحة البط عليها ، وجمال الكوابع وهن يغمسن الجرار فيها .

وللغدران والجداول مظاهر متعددة ، فهؤلاء الغيد الحسنات يدرن حولها ، ويغمسن الجرار فيها فتظهر أصوات الفقايع الناتجة عن حلول الماء محل الهواء فكأنك تسمع ضحكاً له في هذه الحالة ، ثم يصور لنا مشهد هؤلاء الحسنات وهن يسبحن مع البط ويلعبن في الغدير :

والغيدُ تغمسُ في الغدير جرارها فيظل يضحك ملء فيه طروبها

سربان من بطٍ وبيضٍ خردٍ يتباريان سباحةً ووثوباً^(٤)

(١) المصدر السابق ، ص ٢٨٩ .

(٢) السابق ، ص ٢٩٠ .

(٣) السابق ، ص ٢٩٠ .

(٤) السابق ، ص ١١٤ .

أما منظر الجداول وقت الأصيل فكأنه منظر فضاء نضرة :

وترى الجداول في الأصيل ، كأنها من فضة فيها النضار أذينا
وفي قصيدته (على ضفاف الغدير) - التي مرت سابقاً - ^(١) صورة جميلة لغمس
الفتيات الجرار في الماء ، وكيف أن ماء الغدير راح يمانع ويصارع عند ضغط الجرة فيه ،
فإذا ما غمسنها فيه أصدر ضحكاته مثلة في تلك (الفقايع) :

رُمنَ غمس الجرار في الآذي
فأبي غمسها دلالاً وتيهها
فإذا ما انتصرون نصر الكمي
ضحكت كل جرة ملء فيها^(٢)
وتكون الأنهارُ أروع منظرًا حينما يسبح فيها (البط) ، وكأن أعناقهم زوارق
خضراء ذات سارية :

والبطُّ يسبحُ شارعاً أعناقاًه
 كزوارقٍ خضراء ذات سوارٍ^(٣)
 وقد سجل لنا صورة سمعية لأصوات الطير وهي تمتزج مع همس الغدير فكأنك
 تسمع موسيقى متنوعة الآلات :

الطير يصدح ، والغدران هامة
 ■ نهر النيل :
 المطربان هما : طيرٌ ، وغدران^(٤)

تنافس الشعراء المصريون في وصف نهر (النيل) والتعبير عن مشاعرهم تجاهه بقصائد خالدة ، حتى إن بعضهم قد امتزج به وغاص في أعماقه والتجأ إليه كعادة الشعراء الرومانسيين .

وقد كان (النيل) مصدراً لشاعرنا المبدع ، فهل منه ، وعبر عنه بقصائد رائعة

(١) انظر : البحث ص ٤٥ .

(٢) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ١٤٨ .

(٣) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٦٢٠ .

(٤) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٧١٧ .

VΣ

سائلاه : أنت نبُع الجنــــــــــــــــان
أم رحيقٌ طالت عليه الليــــــــــــــــالي
أم جنى النحل ، أم رُضاب الغواني ؟
لم يُعتق أمثاله في الدنــــــــــــــــان ؟ (١)

وينادي صديقيه ونديميه ويبين لهما شدة عشقه وحبّه لماء النيل ، ويطلب منهما أن يسقياه من النيل ، ويهتفا بمنابعه التي ينبع منها ، ومواطنه التي يمشي فيها ، فإن ماءه ليس بخمرة تطيش بالعقول ، وإنما هي جزء من الوطن وحبها شعبة من الإيمان وهي ليست من عصر البشر ، وإنما هي معصورة بيد الرحمن :

يا نديمي ، إنما أنا صــــــــــــــــبٌ
أترعا من منابع النيل كأســــــــــــــــي
يا نديمي ، تلك ساعة صفــــــــــــــــو
خمرة لم تطش بلُب لبيــــــــــــــــب
عصر الناس كلَّ خمر . وخمــــــــــــــــري
عصرت كرمها يدُ الرحمــــــــــــــــن (٢)

ثم يتساءل عن ذلك الماء أهو ماء فضة أم ماء عنبر أم اختلط مع غيره فصار عقيقاً ، أم هو من حب الجمان ؟

سائلاه: أينَ عبريه مــــــــــــــــاءٌ
شيب آذيه ؛ فكان عقيقــــــــــــــــاً
أم لجينٌ ، وعنبرٌ سائــــــــــــــــلان
وصفا ؛ فهو ذوبٌ حبّ الجمان (٣)

ثم يبين بعض صفات النيل فهو حلِيمٌ إن طافت به الرياح اللينة، وطائشٌ إن طافت به الأعاصير العنيفة ، وسخيٌّ في عطاياه كسخاء حاتم الطائي ، وطاغيةٌ إن هاج وغضب ، وهو في استوائه كالقد المعتل ، وفي تشنيه كالخيزران ، وفي تلويه حالة سيره كالأفعوان ، وفي رحابته كصدر الحليم ، وفي ضيقه كصدر المدلل الغضبان ، يرد الناس حوضه على مر العصور فلا يملُّ ولا يكلُّ ، وهو طبٌّ للأجسام المريضة ، وطهرٌ من كل قذارة خبيثة ،

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٥٩٣ .

(٢) السابق ، ص ٥٩٣ .

(٣) السابق ، ص ٥٩٣ .

وغسيل للقلوب من الحقد وكوامن الأضغان :

وأطافت به الرياح رُخَاءً
وسخا؛ فهو حاتمى العطايــــــــــــا
واستوى ؛ فهو كالقدود اعتدالاً
وتلوى في سيره أفعــــــــــــــــواناً
مثل صدر الحليم في الرحب . أوفي
هو طب الجسوم من كل داءٍ
كاد أن يغسل القلوب من الحقـــــــــــــــــ (م) د، ويمحو كوامن الأضغان (١)

ثم يناديه بقوله : " أيها النيل " مستفهماً عن عمره كم لبث ؟ وعن مكان تفجره
أين تم ؟ ولكن يتعجب بأنه لا أحد من الثقلين يعلم عن ذلك :

أيها النيل ، كم لبثت ؟ ومن أيــــــــــــــــ (م) — من تفجرت؟ مادري الثقلان ! (٢)
والنيل سجلٌ حافل للوقائع والأحداث التاريخية منذ قدم الإنسان حين كان يعيش
في كهفه ، ويخالط الحيوانات في الغابات ، وقد درج عليه الفراعنة والفرس والروم .
وشهد كل الديانات ، وفرح بمقدم الإسلام ، وافتخر بالحنيفية ديناً وبالرسول نبياً :

ياسجل التاريخ ، حدث بما عــــــــــــــــا (م) ينت . ليس السماءُ مثل العيان
قد شهدت الإنسان يأوي كهوفــــــــــــــــا
حدث الناس عن فراعين مصرــــــــــــــــ: كيف بذوا الشعوب في البنيان؟
كيف دانت لدولة الفرس مصرــــــــــــــــ؟ كيف دانت لعاهل اليونــــــــــــــــان؟
حدث الناس عن بسالة عمــــــــــــــــرو وجنود الفاروق في الميــــــــــــــــدان
أنت ، يانيل ، معرضٌ للحضــــــــــــــــارا (م) ت ، وشتى الشعوب والأديــــــــــــــــان
أفأبصرت كالحنيفة دينــــــــــــــــاً أو رسولاً يحكي فتى عدنــــــــــــــــان (٣)

و يرسم صورةً صافيةً للنيل عندما شبه ماءه بالبنان الرقيق وجعل له ظفراً يحفر

(١) المصدر السابق ، ص ٥٩٤ .

(٢) السابق ، ص ٥٩٥ .

(٣) السابق ، ص ٥٩٥ .

يارقيق البنان ، كيف حفرت الص ————— (م) ————— خـر بالظفر ؟ يا رقيق البنان ^(١)

ثم يعدد الشاعر بعض مناقب النيل وأفضاله فلقد ملأ الصحراء بالعمران ، وكسى الحقول بالخضرة والخيرات :

كيف جُبت الفلا بغير دليــــــــــــل
وملأت الصحراء بالعمـــــــــــــران؟
رُب حقلٍ كسوته بعد عُـــــــــــــري
فإذا الحقلُ أخضرُ الطيلــــــــــــسان (٢)
ويرسم صورة جميلة للنيل فهو في سيره وثباته كقطارٍ يمشي على قُضبان، ثم يصفُ
الدورة المائية التي يدورها النيل وهي : أن ماءَ البحر يتحول سحاباً ، والسحاب يسقط
مطراً فيمتلىء النيل منه، ثم يصب النهرُ في البحر ... وهكذا حتى يأخذ الماء دورته :

دائرٌ بين لجةٍ ونـ_____جارٍ
لك في الأرض والهواءِ مـ_____دارٌ
كنجومِ السماء في الـ_____دوران
حار فيه مقوم البلـ_____دان (٣)
والقصيدة طويلة تحتاج إلى صفحات طوال لبيان مافيها من معانٍ نابضةٍ ، وصورٍ
فنية رائعة .

وإذا كان النيل مصدر إعجاب وفخر واعتزاز للشاعر ، فإنه يعتب عليه أحياناً ويؤنبه حين يطغى ويبطش بالإنسان ، ومن ذلك قصيدته (سفينة الموت) ؛ حيث أجاد فيها وأبدع ، ونالت إعجاب النقاد والقراء . يقول الغزالي حرب : " وإذا كان لشوقي ميزة الأسبقية في الحديث عن النيل فلمحمود غنيم ميزة التفوق على شوقي نفسه في طلاوة البيان ، وروعة الموسيقى ، وميزة التفوق في قصيدة أخرى فاضت بعبابه على النيل حين ابتلع الباخرة " دندرة " بمن فيها إذ يناجى النيل مناجاة حارة " . (٤)

(٤) دموع ، من كلمة الغزالي حرب ، ص ٢٠ وتاليتها .

فَعَتَابُ شَاعِرِنَا كَانَ بِسَبَبِ تِلْكَ الْفَجِيعَةِ الْقَاسِيَةِ حِينَمَا ابْتَلَعَ النَّيْلُ بَاخِرَةً (دندرة)
 بِمَنْ فِيهَا مِنَ الرِّكَّابِ أَثْنَاءَ ذَهَابِهِمْ لِلْقَنَاظِرِ الْخَيْرِيَةِ لِلْإِحْتِفَالِ بِعِيدِ (شَمِ النَّسِيمِ) .^(١)
 وَقَدْ تَأَجَّجْتَ نَقْمَةَ الشَّاعِرِ عَلَيْهِ مِنْذُ أَوَّلِ بَيْتٍ فِي الْقَصِيدَةِ حِينَمَا جَعَلَ الْيَمَّ وَحْشاً
 فَاغْرَأَ فَاهَ لِلرِّكْبَانِ ، وَالْمَاءُ قَدْ طَغَى حَتَّى اخْتَفَتْ شَطْآنُهُ ، وَالْمَوْتُ بَدَأَ كَاشِحَ الْوَجْهِ لَمْ
 تَسْتَطِعْ خَبْرَةَ الرِّبَانِ مَعَهُ أَنْ تَحِيدَ وَتَبْتَعِدَ عَنْهُ :

فَغَرَّ الْيَمُّ فَاهَ لِلرِّكْبَانِ _____ وَطَغَى الْمَاءُ ، وَاخْتَفَى الشَّاطِئَانِ
 وَبَدَأَ الْمَوْتُ سَافِراً كَالْحِجَابِ _____ (م) _____ ، وَلَمْ تُجِدْ حِيلَةَ الرِّبَانِ^(٢)
 وَيَصِفُ قَهَاوِي السَّفِينَةِ تَحْتَ الْمَاءِ الَّذِي يَبْلُغُ فِي الارتفاعِ ارتفاعَ الْجَبَلِ الْأَرَعْنَ
 الشَّاهِقِ ، وَالزَّيْتُ قَدْ اخْتَلَطَ بِالْمَاءِ وَطَغَى عَلَى سَطْحِهِ :

وَقَهَاوِي السَّفِينِ تَحْتَ جِبَالِ _____ شَاهِقَاتِ الذَّرَا غِلَظِ الرَّعْوَانِ
 رُبَّ زَيْتٍ يَفْرِي الْبُطُونِ ، وَمَاءٍ _____ عِبٌّ مِنْهُ مَنْ لَيْسَ بِالْظُمْآنِ^(٣)
 ثُمَّ يَصُورُ الْمَوْتُ حِينَمَا دَخَلَ السَّفِينَةَ وَهُوَ يَخْطُو كَخَطْوَةِ السَّارِقِ ، فَتَحَوَّلَتْ أَغَانِي
 الرِّكْبِ إِلَى أَتْنٍ مَحْزَنٍ ، وَتَبَدَّلَتْ أَلْحَانُهُ إِلَى حَشْرَجَاتٍ مِنْ حُلُوقِ النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ :
 دَخَلَ الْمَوْتُ ، يَسْرِقُ الْخَطْوَةَ ؛ لَصّاً _____ بَيْنَ رَقْصِ الدَّمِيِّ ، وَعَزْفِ الْكِمَانِ
 سَائِلِ الرِّكْبِ : كَيْفَ صَارَتْ أَغَانِي _____ (م) _____ أَهْ أَنْيْنَا يَصُكُّ سَمْعَ الزَّمْآنِ ؟
 وَاسْتَحَالَتْ أَلْحَانُهُ حَشْرَجَاتٍ _____ مِنْ حُلُوقِ النِّسَاءِ وَالْوَلَدَانِ ؟^(٤)
 ثُمَّ يَتَلَهَفُ عَلَى مَنْ مَاتَ مِنَ الرِّكْبَانِ ، وَيَصُورُ مَشْهَدَ مَصْرَعِهِمْ فِي صُورَةٍ بَائِسَةٍ
 فَهَذَا صَبِيٌّ مَاتَ فِي حَضَنِ أُمِّهِ ، وَذَاكَ فَتَى أَطْبَقَ الْمَوْجَ عَلَيْهِ ، وَهَذِهِ فَتَاةٌ بَكَرَتْ زَوْجَهَا النَّيْلَ
 ، وَذَلِكَ نَاجٍ مِنَ الْمَوْتِ قَضَى عَمْرَهُ حَزِيناً بَاكِياً :

لَهَفَ نَفْسِي عَلَى صَبِيٍّ غَرِيْبٍ _____ غَافِلٍ عَنِ طَوَارِقِ الْحَدَثِ _____
 مَاتَ فِي حَضَنِ أُمِّهِ ! يــــالْأُمُّ _____ أَدْرَكَتْهَا فِي لَحْظَةٍ مَوْتَتـــــــان !
 لَهَفَ نَفْسِي عَلَى فَتَى أَطْبَقَ الْمـــــــو _____ (م) جُ عَلَيْهِ فَخَانُهُ السَّاعِـــــــدان !

(١) انظر : الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٧٣ .

(٢) السابق ، ص ٤٧٣ .

(٣) السابق ، ص ٤٧٣ .

(٤) السابق ، ص ٤٧٣ .

أَيُّهَا النَّيْلُ ، كَمْ عَمَرْتُ يَبَاباً
فَعَلَامَ اسْتَحَلَّتْ مَوْتاً زَوْامِياً
نَلْتَمَسُ مَا لَمْ تَنْلُهُ - يَانَيْلُ - مَنْعَا

وَبَعَثْتَ الْحَيَاةَ فِي الْأَبْسَدَانِ
وَأَشَعْتَ الْخَرَابَ فِي الْعَمْرَانِ
ضَارِيَاتُ الْأَسْوَدِ وَالذُّوبَانِ (٢)

رب لا أظلم المقادير	إن بدا الشك ، لذت بالإيمان
إن نقل : أذنب الكبار فمـاذا	قد جناه طفلٌ رضيعُ لبـان ؟
عبر كلما تأملت فيها	عدتُ منها مُشتت الوجـدان
أيها الهاربون من تعـب الأر	ض ، استريحوا بجنة الرضـوان (م)
إن في الكوثر الأمان لمن عـزّ	عليه في النيل شط الأمـان (م)
شهداء السلام أنتم ، ويـاربّ	شهيد من مات في الميـذان ! (٣) (م)

(١) المصدر السابق ، ص ٤٧٣ وتاليتها .

(٢) السابق ، ص ٤٧٤ .

(٣) السابق ، ص ٤٧٦ .

(٤) انظر : السابق ، ص ٣٤٨ .

لمساعدة من أحد فكما شيدت الأهرام الشامخة فإنه لا يعجزها بناء سد :

على أساسين من: عزم وإيمان
نبيه ، لا من : جرانيت وصوان
إن الألى رفعوا الأهرام شامخة
هيئات يعجزهم إنشاء خزان ! ^(١)

ثم يشيد بمقدرة (جمال عبد الناصر) في تحرير النيل من الأعداء وبناء السد :
من أطلق النيل أمسى وهو يجبسه
جمال ، يثنى عليك المطلق العاني ^(٢)
ويخاطب نهر النيل بأنه قبل بناء السد كان يشتكي منه الظامى والغرقان، أما اليوم
وبعد بناء السد فلم تعد يانيل تظمئنا ، أو تبطش بناء بطغيانك:

قد كان يشكوك صاديننا وغارقنا
يانيل . حلاك في واديك ضدان
ما عدت، يانيل، بعد اليوم تظمئنا
أو عدت تطغى علينا أي طغيان ^(٣)
أما كونك يانيل قد غضبت من أبنائك المصريين عندما بنوا السد وصانوا ماءك
فكم أريقتم دماؤهم في سبيل تحريك من بطش العدو وغدره . وهو دم غالي الثمن
مستخلص من فتيت المسك :

إن صان ماءك في حرز بنوك ، فكم
فدوه من قبل هذا بالدم القاني
كأنه من فتات المسك سمرته
فلا نجود به إلا بميزان ^(٤)

وله في السد والنيل قصيدة أخرى جميلة تحمل عنوان (معجزة السد) نقتطع منها
بعض الأبيات التي تعبر عن إعجاب الشاعر بماء النيل وبناء السد العظيم . فالسد عنده
أعظم من عجائب الدنيا السبع ؛ بل إنها لا تساوي شيئاً بالنسبة له . والسد مصدر عظيم
لليمن والبركات :

لا تقولوا : عجائب الأرض سبع
فهي - من بعد السد - سبع هئات
أيها السد، ما عهدناك إلا
مصدر اليمن ، مصدر البركات ^(٥)

(١) المصدر السابق ، ص ٣٤٨ .

(٢) السابق ، ص ٣٤٩ .

(٣) السابق ، ص ٣٤٩ .

(٤) السابق ، ص ٣٤٩ .

(٥) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ٧٦٩ .

وبعد أن يفيض في الحديث عن وصف السد ، ينادي النيل وكيف أنه قد شق طريقه في الجبال ، والفلاة ، والنجود :

أيها النيل، كم شققت طريقاً في جبالٍ، ومهيماً في فلاة
كم نسفت النُجُودَ نجداً ، فنجداً وفريت الصفاة بعد الصفاة^(١)

أما ماء النيل فإنه لعدوبته وسريانه كان أسهل انسياباً في الصخر من شفرة الفأس الحادة ؛ بل إن الصخر يتكسر ويتفتت من رفقته وسهولته :

ماؤك العذب كان في الصخر أمضى من شفار الفئوس في اللبسات
تطأ الصخر في أناة ورفق فإذا الصخرُ حفةً من فُتات^(٢)

والنيل قد قهر الطبيعة بجماله ، أما البحر فتعيس لملوحة مائه . ثم يبدي الشاعر أسفه لعدم استغلال ماء النيل الاستغلال الأمثل ، فإن ما يضيع من مائه في البحر كان يمكن أن يكون قوتاً طيباً للآدميين يسقي جذور النبات الذي يغذيهم بدلاً من أن تتعيش عليه الحيتان :

لم تزل تقهر الطبيعة ، حتى قهرتها أيدي البُناة الكُـمـاة
حسبك اليوم أن ماءك حُرر من قيود المستعمرين الطغاة
تعس البحر ، وهو ملح أجـاج كيف يحظى بوصلٍ عذبٍ فرات
ما قذفنا في البحر ماء ك عذباً بل قذفنا في البحر بالأقـسـوات
وسقينا الحيتان عذباً ثمـيراً وحرّما منه جذورَ النـبـات^(٣)

■ البحر :

احتل البحر منزلة سامية في ديوان شاعرنا ، كيف لا وهو ابن النيل الذي عشقه وعبر عنه وأجاد في تصويره . ووصفه للبحر قد اتخذ شكلين متباينين، الشكل الأول وصف منظر البحر في فصل الربيع ، والثاني وصف منظره في الصيف .

(١) المصدر السابق ، ص ٧٧٠ .

(٢) السابق ، ص ٧٧١ .

(٣) السابق ، ص ٧٧١ .

فاقترب الشاعر من البحر وامتزج به ، ورأى عالماً غنياً بالعجائب المثيرة للخيال من أسماك وحياتان ، و أمواج وعواصف ، وأنواء ، وصخور، ولؤلؤ ومرجان، وبواخر وسفن ، وشواطئ جميلة ترتع عليها فتيات حسان كُن مصدر إعجابه وسبباً في تذكر أيام شبابه فكان البحر رافداً قوياً لإبداع الشاعر ، كيف لا ؟ والبحر قد اتصل بالإنسان في شتى العلوم والفنون ومنها الأدب حيث " كان طليعة لاكتشاف عالم البحر وفهمه وتفسيره . كما أسهم في ارتياده وتسجيل عالمه الجميل المضطرب ، وإبداع النماذج الأسطورية والرومانسية والواقعية المعبرة عن تطور علاقة الإنسان بالبحر" (١)

فالبحرُ رافدٌ قويٌّ لشعره، استقى منه أفكاراً ومعاني جميلة ومؤثرة. وقد اتخذ عنده عدة مظاهر رائعة . فصوره كما قلت في فصل (الربيع) فنقل إلينا مشهد الفتيات المستحلمات في البحر وهن يلحن جمالاً كالحمار ، ويخطرن تيهاً ودلالاً كالغزلان .

أما رملُ الشاطئء فيحيط بالمياه التي تبد وكأها فضة محوطة بسياج من الذهب :

أو ما رأيتَ البحرَ فيه كأنـما	لاحت توائمه بغير محـار ؟
الغيدُ تسبحُ أو تميمسُ بشطـه	أسراب آرامٍ بغير نضـار
والرمل يكتنفُ المياه، كأنـما	هي فضةٌ محفوفةٌ بنضـار (٢)

ويتخذ البحرُ في (الربيع) مظاهر متعددة تختلف عن مظاهره في الشتاء، فيأمر الشاعر (ساده) بأن يفتح شطآنه ليتمتع الناس بأموواجه ورملة وكتبانه الناعمة ، بعد أن كان في سباته شتاءً :

يا سادن البحر، قم، وافتح شواطئه	بالباب للبحر زوارٌ ، وضيـفـان
مرت عليه شهور ، وهي في سـنة	لا الموج موجٌ، ولا الشيطان شطـان
مهتدٌ به الرمل ، والكتبان ناعمـة	أغلى ثمارٍ له رمل، وكتبـان (٣)

(١) أحمد محمد عطية ، أدبُ البحر ، د.ط ، (القاهرة : دار المعارف ، د.ت) ، ص ٧ .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٦١٨ .

(٣) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٧١٩ .

ويصور غنيماً منظر الغواني الحسان وهن يتهيان للدخول فيه وقد تكشف منهن
ما تكشف من أعضادٍ وسيقان ، ولعشق غنيماً للجمال فقد بدأ يصفُ جماهن الفتان
فأعينهن فيها شئاً من السحر ، يتمتعن بالرشاقة واللياقة . فالخصر في ضموره ظامىء ،
والأرداف ريانة ممتلئة ، إذا سبحن في البحر ، تفتحت أمواجه لاحتضانهن ، فكأنهن وقتها
دررٌ وهو دهقان :

سربُ الغواني على الأبواب منتظرٌ تكشفُ منه أعضادُ ، وسيقان
من كل ساحرة العينين ، ضامرةٍ الخصرُ في ظمأ ، والرَدَف ريان
إذا سبحن على أمواجه ، فتُحلت للسابحات من الأمواج أحضان^(١)
وهو أخيراً لا يخافُ ركوب البحر مادامت الحسان فيه، وإن هاج البحر فإن غضبته عطفٌ
وحنان على أولئك الحسان ، وهو لا يهاب صوته إن سبحن فيه ؛ بل إن صوت هديره
طربٌ وألحان لأولئك الغواني ، ثم يتعجب من ذلك البحر فمع أنه يفيض ماءً وزبدًا ، إلا
أنه دائم الظمأ لرضاب الغيد الحسان :

لا أرهبُ البحرَ والغيد الحسان به فإن غضبته عطفٌ وتحنُّانُ
ولا أهابُ هدير البحر إن سبحت فيه المها ؛ فهو تطريبٌ وألحان
عجبتُ للبحر؛ قد فاض العُبابُ به لكنه لِرُضَاب الغيد ظمآن^(٢)

وإلى جانب تلك المقطوعات التي تناول فيها وصف البحر في فصل الربيع نجدُ له قصائد
مطولة يصور فيها المظاهر البحرية في فصل الصيف ومن ذلك قصيدته (على شاطئ
البحر) ؛ حيثُ بدأها بذكر السفن وهي تسير كالأعلام الراسية ، وتراقص فوق الأمواج
المتلاطمة . ويشير إلى كثرة السابحين المتبرمين من حر الصيف والذين انغمسوا في مائه
البارد :

ياربُ جاريةٍ في البحر كالعلم تراقصت فوق موج منه ملتطم
وسابحين على شطآنه برموا بالصيف ، فانغمسوا في مائه الشبم^(٣)

(١) المصدر السابق ، ص ٧١٩ .

(٢) السابق ، ص ٧٢٠ .

(٣) السابق ، ص ٧٢١ .

وفي المقطع الثاني من القصيدة يناجي غنيم البحر على عادة الرومانسيين ، فهو عندما يسأم ويمل ويضيق بالحياة الكثيرة والجامدة ، يهرب للبحر للاسترخاء، حتى يريح نفسه من ذلك السأم الرتيب ، ويريد من البحر أن يعالج سقمه وألمه :

يابحرُ ، قد سئمت نفسي الحياة على وتيرة ، فأرح نفسي من السأم
إني أتيتك مصطافاً ، ولمتمسأً من مائك المعدني البرء من سقمي^(١)

وما يكاد يبدأ رحلة العلاج النفسي ، حتى يتذكر أيام الصبا الخوالي عندما يرى الحسان على الشواطئ ، لكنهن يعرضن عنه حين يلحقن شبيه المعتلي رأسه :

أما الحسانُ على الشاطي ؛ فقد لمحت شيبي ، فهمتُ بها وحدي ، ولم تهَم
إذا نظرتُ إلى حسناء ساجحة ناديتُ عهدَ شبابي ، وهو في صمم
حسي نسيم الصبا، فاملاً به رئي ولا تحرك بأيام الصبا المـي^(٢)

ويوازن غنيم بين مشهد النساء في (البحر) ومشهد النساء في (الحرم) فكلاهما يختلطن بالرجال إلا أنهن في الحرم محتشمات محتجبات في حرمة وقديسية ، أما نساء البحر فهن أكثر حرية وانطلاقاً وفتنة في الملبس والأجساد :

إن كان شطك بالجنسين مختلطاً فر بما اختلط الجنسان في الحرم
أستغفرُ الله زى البيت محتشـم لكن زيك زى غير محتشـم
ورُحْن ينقشن في الأمواج من صور ما ليس ينقشه الرسام بالقلـم^(٣)

وفي دهشة يتساءل عن ذلك (الحباب) الناتج عن الأمواج ويشبهه بكأس مليئة بخمرة علاها الزبد ، ويصاب بالدهشة مرة ثالثة عندما يمشي على رمل البحر ، ويشبهه ببساط أصفر فيه نقش جميل من صنع الأعاجم :

حبابُ مائك ، أم كأس لها زبدٌ ؟ وهمسٌ موجك ، أم شاج من النغم ؟
وفوق رملك أمشي ، أم على بسطٍ صفراء منقوشة من صنة العجم ؟^(٤)

(١) المصدر السابق ، ص ٧٢١ .

(٢) السابق ، ص ٧٢١ .

(٣) السابق ، ص ٧٢١ .

(٤) السابق ، ص ٧٢٢ .

ثم يعدد بعض فضائل (البحر) والتي تميز بها على (الأنهار) بسبب (الطاقة الشمسية) التي تصير ماءه عذبا خالياً من الملوحة ، ولولاه ما هطلت السحب مطراً ، ولا شرب الكائن الحي ماءً ، ولا نما شجرٌ وأثمر زهرٌ ، ثم يتساءل كيف يأخذ الماء دورته فيتسرب أولاً في باطن الأرض وينساب ثم يطير إلى الأفق فتتكون منه السحب ، وله فضلٌ على النيل والدانوب والناس أجمعين :

ألم يحول شعاعُ الشمس ماءك من	ملح أجاج إلى عذب من اليمـم؟
لولاك ما هطلت وطفاء، أو هذلت	ورقاء، أو قبلت كأسٌ شفاه ظمى
لم ينتسب شجرٌ إلا إليك أبـاً	ولا انتمى زهرٌ إلا إليك نُـمى
سريتَ في طبقات الأرض مُسرباً	فكيف أصبحت تيجاناً على القمم؟
وكيف طرت بلا ريشٍ وأجنحة	في حائق الجو كالعقبان والرخـم؟
النيل يعرفُ والدانوب أهُمـاً	من فيض سحبك، أو من سيلك العـرم ^(١)

والبحر كريمٌ بسخائه وعطائه فهو في كرمه ككرم حاتم الطائي ، وهو سرُّ الحياة موغلٌ في القدم ، ويتعجب الشاعر منه كيف بقي شاباً مع هذا القدم في النشأة :

كم مئة لك في الأعناق تبذلها	ولا تمن بها ، يا حاتم الكـرم !
سر الحياة - لعمري - أنت مذ نشأت	حول الضفاف، تعالى بارىء التسم !
مرت عليك قرونٌ ليس يحصرها	عد ، ولم تشك من شيب ولا هرم
قل لي - بربك - : كهل أنت ، أم هرمٌ	أم لا تزال غلاماً بالغ الحـلم ؟ ^(٢)

وامتزاجه بالبحر في المقطوعة السابقة يعكس إحساسه بالضعف والوهن وأن شيخوخته بدأت تدب فيه . بعكس ما عليه البحر من القوة والتجدد .

ويزيد امتزاجه بالبحر حينما يسأله عن أمر الأحياء الذين يعيشون فيه وما مصيرهم ؟ وهل فيه صراعٌ كصراع وحوش الغاب كما هو شأن الحياة في البر ؟ وفي ذلك إشارة إلى ما عليه المجتمع العالمي من انقسامات وصرعات . وقتل وفتك ، ودعوات كاذبة إلى السلام العالمي المزعوم :

(١) المصدر السابق ، ص ٧٢٢ .

(٢) السابق ، ص ٧٢٢ .

يكادُ سائلك الرقراقُ يخدعنا
أشـرعة الغاب تقضي بين أهلك ، أم
هون عليك ، فكم في البر من سمك
قالوا : السلامُ ، ولم تعرف شرائعهم
والبحر على الرغم من اتساعه ورهبته وجبروته إلا أنه ذرةٌ صغيرةٌ في ملكوت الله ، وهذا
الأمر لا ينقص من قدره ، لأن الله قد أقسم به في كتابه ، وهذا يدل على تدين الشاعر
وتأمله في مخلوقات الله عز وجل :

إن كنتَ يابجرُ عملاقاً ، فأنت وما
تخويه في ملكوت الله كالقـمـز
وما أنا لك في شعري بمنقصـة
يكفيك أن خصك الرحمن بالقسم^(٢)
والبحرُ في الصيف ملتقى للأحباب . ومبعثاً للنشوة والأنس ، ومحارب قوي لحر
الصيف وجذوته ، يقول الشاعر في قصيدته من (وحي البحر) :

يابجرُ، أنت ملتقى الأحباب
وباعثُ النشوة في الأعصاب
ومبدلُ الأنس بالاكْتئاب
وطاعنُ الصيف بلا حراب^(٣)

وكلُّ شيءٍ في البحر جذابٌ ، خاصة عندما يصطدم موجه الصاخب بالصخور
الصم الصلبة فهو عندها يشبه زئير الأسد المثار الغضبان :

مافيك شيءٌ ليس بالجذاب
حتى اصطدامُ موجك الصخاب
بالصم من صخورك الصلاب
يحكي لنا زئيرَ أسد غـاب
مُـهتـاجـةٌ ، مُثارةٌ ، غضاب^(٤)

(١) المصدر السابق ، ص ٧٢٢ وتاليتها .

(٢) السابق ، ص ٧٢٢ .

(٣) السابق ، ص ٧٢٥ .

(٤) السابق ، ص ٧٢٥ .

وعن اصطدام موجه بالصخور يصور لنا صورةً بصرية جميلة فهو في ومضه كالشهاب الساطع ، أو قل كالسيف اللامع المسلول من قرابه :

كم موجة تُومض كالشهاب
أو كحُسامٍ سل من قِراب^(١)

ويرسم لنا صورة حركية أخرى للموج في تقلبه الدائم كتقلب الدهر والزمن فمرة تراه لنا هادئاً ، وأخرى مرتفعاً كالهضاب :

موجك - مثلُ الدهر - في انقلاب
بيناً نراه لين الجناب
إذا به أرفعُ من هضاب^(٢)

■ العناصر الكونية :

ونقصد بها عناصر الطبيعة الفلكية من شمس وقمر ونجوم ... ، انظر إليه وهو يستقبل العام الهجري الجديد مرحباً بالهلال آملاً منه أن يعود بالسلام وينشره على البشرية جمعاً ، وأن يعمر النفوس الخربة بالأيمان والأمل الجميل :

أَهْلًا بِمَظْلَعِكَ السَّعِيدِ يَا غُرَّةَ الْعَامِ الْجَدِيدِ
عُدْ بِالسَّلَامِ عَلَى الْوَرَى وَانْشُرْهُ خَفَاقَ الْبَنَى
وَاعْمُرْ خَرَابَ النَّفْسِ يَا أَبَا ————— (م) نَ الشَّمْسِ بِالْأَمَلِ الْوَطِيِّ ————— (٣)

أما نوره فهو بسمه في فم الوجود إذا حل اليأس والعبوس :

عَبَسَ الوجودُ ، فكان نـو

راك بسمه بفم الوجود

(٤)

ثم يشبهه بالقلادة في الصدور ، وكأن النجوم حب تناثر من ذلك العقد :

لاح الهلال مقوساً
 كقلادة الدر النضيد

بين النجوم كأنهم
 حبٌ تناثر من عقود^(٥)

(١) المصدر السابق، ص ٧٢٥ وتاليتها .

(٢) السابق، ص ٧٢٦.

(٣) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٥٢.

(٤) السابق، ص ٥٢.

(٥) السابق، ص ٥٢.

فالقمر عند غنيم مصدرٌ كوني يستمد منه نوره وضيائه ، ويثثه أحزانه وآماله
" ولا نكاد نعثر على شاعر عصري عني بالقمر عنايته به ، وسواءً ذلك قمر السماء وقمر
الفضاء " (١) .

انظر إلى عشقه للقمر وحبّه له وامتزاجه به وتأمله لتغيراته المستمرة :

عشقناك حتى حسبنا الليالي ومقدار نورك فيها حساباً
ليالٍ كساها شعاعك سحراً فطابت لمن يحتلها ، وطاباً
وأخشى - إذا ما نزلناك - ألا يكون جمالك إلا سراباً (٢)

وللشمس نصيب وافرٌ في شعره فهذه صورة شمسية للون السماء والماء وقد صار
كلُّ منهما أزرق صافياً ، ثم يصور لنا الشمس وشعاعها في صورة حركية مضطربة .
فشعاع الشمس حينما يسطع في البحر تحسب أنها شمسٌ أخرى غير التي في الأفق :

تلك السماء ، وذاك سطحُ الماء كل بدا في الحلة الزرقاء
والشمسُ بأسطة الشعاع ، تخالها في الأفق باديةً ، وفي الدأماء
لولا اضطربُ الماء في الدأماء ، لم نعرف ذكاءً من شعاع ذكاء (٣)

وفي مشهدٍ آخر من مشاهد الفضاء الجميل عندما يلتقي الأفق بالغياب ومواكب
السحاب من فوقه تسبح في فضائه ، ترى الشمس تارةً سافرة بلا نقاب ، ومرة محتجة
خلف الغيم والضباب في لوحة جميلة:

يا لجمال المنظر الخلاب !

عند التقاء الأفق بالغياب !

وفوقها مواكبُ السحاب !

تسبحُ في الفضاء كالقباب !

(١) محمود غنيم وشعره ، ص ١٥٧ .

(٢) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٧١٤ .

(٣) السابق ، ص ٧٣٦ .

والشمسُ تارةً بلا نقاب
وتارة تسرفُ في الحجاب
خلف ظلام الغيم والضباب^(١)

ثم يكتمل مشهد الغروب رويداً رويداً فيطلب الشاعر مجهراً أو اصطربلاً حتى يرى الشمس ويقرب منها ، عندما يميل قرصها إلى أشعتها الذهبية في الماء فكأنه سراج خال من الضوء فتنتطوي صفحة ذلك اليوم البهيج بغياب شمسهِ الجميلة :

من لي بمجهرٍ وإصطربلاب ؟
حتى أرى الشمس على اقتراب
إذ مال قُرصها إلى الغياب
واصطبغت بحمرة العتاب
وانطفأت جمرَةُ الالتهاب
في الماء ؛ فهي كالسراج الخابي
وصاح صوت الدهر كالغراب
- في نغمٍ خال من الاطراب - :
صفحةً انطوت من الكتاب !^(٢)

ثم انظر إلى هذه المناجاة الجميلة للشمس حينما يجسدها في صورة شخصٍ يتحدث معه . ويقابل بين منظر الغروب والشروق . ويتعجب من حمرة عينها في الصباح . فتجيبه أن تلك الحمرة ناتجة عن تلك الدماء التي يتلطح بها الغرب حينما أطوف عليهم :

قلت للشمس : يا عروسَ السماء	إنما تغربين في عين مــاء
فلماذا لمحت وجهك إذ أشــ	(م) سرقَ مثل العقيقة الحمــراء ؟
قالت الشمس : إنني طفت حول الــ	(م) غرب، والغربُ سابحٌ في الدماء ^(٣)

(١) المصدر السابق ، ٧٢٤ .

(٢) السابق ، ٧٢٤ وتالياتها .

(٣) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٢٨٣

وهذه صورة تأملية رائعة في الليل وما يضمه من نجوم وسكون وهدوء . فالليل إذا
عم وغشى يشبه جيشاً يغير على كل شيء:

وجيشُ الليل من أبناء حـامٍ يغير على المزارع والتلال (١)
ثم يتابع تأملاته في ذلك الليل البهيم وحوله بنات الفكر وبنات النجوم وهي
تأملات تسمو به إلى عالم الخيال :

وقد وليت شطر النجم وجهي وألف بيننا سهر الليالي
فخلت كأني أسمو بروحي إلى دنيا سوى دنيا الزوال
هنا تتكشف الدنيا أمامي ويسبح في مجاهلها خيالي
فأنت تخالي فرداً، وحيولي بناتُ الفكر تسرف في الدلال (٢)

ويزداد تأمل الكون في عمقه إذا سكن الليل وهدأ ، وهو من شدة سكونه صمته
يسمع وقع أقدام النمل ، فتمتلىء نفسه خشوعاً ومهابةً وتصفو كصفاء حبات اللآلي ،
ويتصنع له كنه حقيقة ذلك الكون على ضوء الهلال بعد أن حجبه نور الشمس :

سكون الليل يُرهف غربَ حسي فأسمع وقع أقدام النمل
وبملاً صمته نفسى خشوعاً فتصفو صفو حبات اللآلي
وتخفي الشمسُ كنه الكون عني وألحهُ على ضوء الهلال (٣)

(١) المصدر السابق ، ص ١٣٣ .

(٢) السابق ، ص ١٣٣ .

(٣) السابق ، ص ١٣٣ .

في رحاب المدنية الحديثة

• مع المخترعات الحديثة .

• مع الفضاء .

عاشت البلاد العربية فترةً من الركود الصناعي والحضاري في شتى مجالات الحياة المختلفة ، ولما هبت رياح التقدم الحضاري الجديدة والآتية من الغرب لم يبق المشرق العربي بمعزلٍ عنها ؛ بل تقبلها وتعامل معها ، وانبهر بهذا الجديد القادم الدخيل على المجتمع .

وكان شأن البلاد المصرية كشأن غيرها من بلاد المشرق العربي ، حيث امتزجت مع الحضارة الجديدة ، وانبهرت بها وعبر عنها الشعراء في أشعارهم ، وكان شاعرنا القدير من ركب أولئك الشعراء الذين تغنوا بنواحي المدينة الحديثة ومن بينهم البارودي وشوقي وحافظ وغيرهم من شعراء ذلك العصر .

ولم يكن موقف الشاعر موقف إعجابٍ فقط من تلك المخترعات ، بل إنه كان بعاتب قومه على وقوفهم عاجزين ومبهورين أمام تلك المخترعات حاثاً إياهم أن يتقدموا ويتعلموا حتى يصلوا إلى ما وصل إليه الغرب من تقدم وحضارة :

في كل يوم نرى للغرب خارقةً وليس للشرق إلا السمعُ والنظرُ
القوم يتكرون المعجزات لنا ونحن نفتنُّ في إطرء ما ابتكروا^(١)

وفي رحاب المدينة الحديثة التي كانت رافداً من روافد شعر غنيمٍ عشت أوقاتاً مع خيال الشاعر ، وقمتُ بتناولها من وجهين ، الأول : وصف الشاعر للمخترعات الحديثة . والثاني : وصفه للمركبات والرحلات الفضائية . وإليك بيان ذلك :

● مع المخترعات الحديثة :

١- المذيع (الراديو) :

وهو آلة تقوم بنشر الأخبار والبرامج المتنوعة عبر الأثير " وقد وصفه عددٌ ليس بقليلٍ من الشعراء ، منهم عباس العقاد ، وأحمد محرم ، واسكندر الخوري البيتجالي ، وعلي الجارم " ^(٢) .

وقد صوّره غنيمٌ تصويراً رائعاً وجميلاً لما له من تأثير في حياة الناس ، ويبدو أنه قد احتار في وصفه منذ البداية فهو شادٍ يغني لكنه ليس بطير ولا بشر ، وإنما لسانه مخلوق من حديد

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في وادٍ ، ص ١٣٠ .

(٢) الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ، ص ٢١٤ .

وخشب ، بفضل العلم الحديث :

شاد ترنم ، لا طيرٌ ولا بشرٌ
إني سمعت لساناً قد من خشب
ياصاحب اللحن ، أين العود والوتر ؟
فهل تُرى بعد هذا ينطق الحجرُ ؟^(١)

وبفضل الأثير الذي تمرُّ عبره الموجات فإنَّ الراديو قد جعل العالم قرية صغيرة بعد
أن أصبحت الكرة الأرضية محصورة من خلاله ، وهو عندما يطوي الفياقي الواسعة كأنه
شمس وقمرٌ قد طويا الأرض ، وهما ثابتان في رأي العين :

وآلة جعلت من حجرتي أفقاً
كأنها الكرة الأرضية انحصرت
يرتدُّ منحسراً عن حدِّه البصر
في جوفها ، والورى في جوفها انحصروا
تطوي الفياقي طياً وهي جائمة
كأنها الشمس إذ تسري ، أو القمر^(٢)

ثم يتألق في وصف جزئيات تلك الآلة الحديثة فكل رقمٍ منها محشو بالألحان
والطرب ، وهي عوراء ، صماء ، بكماء ، ثرثرة :

وكل رقمٍ عليها حشوة طرب
عوراء ، لا تخرج الأصوات من فمها
وفيه كثر من الألحان مستتر
إلا إذا ما بدا من عينها الشـرر
بكماء ، من فمها الأخبار تنتشر
لكن تعي ما لا تعي أذن
فإن أردت القول ثرثرة
فإن أردت اختصاراً فهو مختصر^(٣)

٢- الإنسان الآلي :

أنشئت هذه القصيدة عقب اطلاع الشاعر على صورة نُشرت في الصحف
للإنسان " الميكانيكي " الذي اخترع في أمريكا سنة (١٩٣٤) ، وزاول كثيراً من
الأعمال التجارية التي يزاوها الإنسان^(٤) .

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في وادٍ ، ص ١٢٨ .

(٢) السابق ، ص ١٢٩ .

(٣) السابق ، ص ١٢٩ .

(٤) انظر: السابق ، ص ١٢٩ .

وهذا الإنسان العصري أو قل (الآلي) كان مصدر إعجاب الشاعر الذي أثار تساؤله من أول بيت في القصيدة ، فهو إنسانٌ لم يُخلق من طينٍ ولا ماءٍ ، وليس نسله من نسل حواء ، يشبه الإنسان في الشكل والهيئة دون الروح والعاطفة والشعور ، ولكنه نتيجة حتميةٌ للعلم الذي كشفه ، وللحضارة التي أنجبته ، وهي حضارةٌ عذراء كعذرية مريم البتول:

وماذا أشاهدُ ؟ لا طيناً ولا ماءً	وليس هذا الفتي من نسل حواء !
لا يشبهُ الناس : إحساساً وعاطفةً	ويشبهه الناس : تركيباً وأعضاء
فتى عريقٌ ، بجبل العلم متصلٌ	إنَّ عددَ الصَّيِّدِ أجداداً وآباء
وهي الحضارة أمُّ أنجبته ، وما	زالت كمرِّم ذات الظهر عذراء ^(١)

ولذلك الإنسان الآلي صفاتٌ حسنة صورها الشاعر في تراكيب جميلة فهو لا يشتكي سقماً ، ولا يهاب موتاً ، يرى ويسمعُ ما يدور حوله ولكن في غير إحساس وتمييز ، حتى وإن قطعوه بالسيف إرباً :

لا يشتكي مثلما يشكو الوري سقماً	ولا يهابُ رسول الموت إنَّ جاء
يرى ويسمعُ ، لكن لا يحسُّ ، وإن	هم قطعوه بحدِّ السيف أشلاء ^(٢)

وهو ساع وخادمٌ لا يتعب من المشي ، وخازنٌ أمينٌ لا يغترُّ بمالٍ ، وحارسٌ نشطٌ لا يشكو أرقاً ، ولا يغمض جفنًا :

فياله ساعياً : يمشي على قدم	لا تشتكي إنَّ شكت أقدام وجناء !
وياله خازناً : لا تستبيهُه ، ولا	تغريه بالمال إنَّ حاولت إغراء !
وياله حارساً : لم يشك من أرق	ليلاً ، ولا حاولت عيناه إغفاء ! ^(٣)

ومن أبرز سمات ذلك الإنسان الآلي الإخلاص في العمل كإخلاص الأبناء ، ومن ثمَّ لم يعد هناك مجالٌ للخوف من العقم :

(١) المصدر السابق ، ص ١٢٢ .

(٢) السابق ، ص ١٢٢ .

(٣) السابق ، ص ١٢٢ .

لن ترهب العقم بعد اليوم والدة^(١) أو يعدم الشيخ بعد الشيب أبناء^(٢)
وعلى الرغم من تلك الإيجابيات الحسنة لذلك الإنسان الآلي ، إلا أن له مساوي
اجتماعية واضحة وجلية على شباب البلد الذين يعانون داء (البطالة) ؛ حيث إنه سيسد
أمامهم فرص العمل المتاحة ، وفي ذلك مشاركة اجتماعية رائعة من الشاعر فهو لم ينس
قضية البطالة التي تنتشر في البلاد :

قم سائل العلم- إذ سوى جوارحه:- هل رام هدمًا به أم رام إنشاءً ؟
يشكو البطالة غادينا ورائحنا- فهل نضيفُ إلى أدوائنا داءً ؟
أما ترى الأرض قد ضاقت بمن حملت فثارت الحربُ حول القوت شعواء ؟^(٣)
وفي آخر المطاف يعقد موازنةً طريفةً بين ذلك الإنسان الآلي وما يحمله من صفاء
ونقاء ، وبين الإنسان الحقيقي الذي قد ملأ قلبه الحسد والحقد والضعينة :

لأنت أسلم - يابن الصلْب - عاقبةً من أنفُس ملئت حقداً وبغضاً
أقسمتُ ، أنك بين الناس أنزههم يداً ، وأطهرهم قلباً وأحشأ
حييت فيك فتى : ما قال فاحشةً يوماً ، ولا عاب إنساناً ، ولا ساءاً !^(٤)

٣- آلة التصوير (الكاميرا) :

أعجب غنيم بهذا المخترع الجديد ووصفه في مقطوعة من بيتين ، وهي آلة تأتي
على الشيء وتلقطه في صورٍ محاكية للواقع الملموس ، وهذه المحاكاة كأنها في نظره شيء
من القدر المحتوم ، ووصفُ الشاعر لها كان معتمداً على النقل الواقعي المباشر دون زيادة
أو خيال عميق يقول :

شاهدتُ حاكيةً تأتي على الصور كأنما يتحدى رُسْمها القـدرا
فقلتُ : خلق بلا سمع ولا بصـر لينفخ المرءُ فيها الروحُ إن قدرا^(٥)

(١) المصدر السابق ، ص ١٢٢ .

(٢) السابق ، ص ١٢٣ .

(٣) السابق ، ص ١٢٣ .

(٤) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٨٠ .

وفي قصيدته " خيالٌ في يقظة " التي أنشدها في صباه عندما أُهديت إليه صورةٌ حبيبة إلى نفسه نراه يعرض لوصف " آلة التصوير " فهي عنده آلة تعتمد على الطبيعة ، والطبيعة هي الموحية باختراعها ، ويتعجب من هذه الآلة فهي تنقش الطبيعة بدون ريشة أو قلم ، فكأنها سحرٌ يرسم ملامح الوجوه في طلائعها وعبوسها ، واستخدام تلك الآلة ليس عسيراً بل إنها تنقل الواقع الحقيقي بالضغط على (زرارها) دونما أي تعب ، ثم إنه من شدة وضوح تلك الصور ومحاكاتهما للواقع لم يبق عليهم إلا أن يخلقوا لها لحماً وعظاماً :

ومصوّر فوق الطُّروس تخالـــــه	في الفنّ وقاد القريحة مُلهمـــــا
لم يتخذ إلاّ الطبيعة مُرشـــــداً	وعلى مسائلها الدّفاق تعلّمـــــا
قد بات ينقشُ في الزُّجاج ، وماله	كفُّ تحرُّك ريشة أو مرقمـــــا
عجبي عليها آلة سحريـــــة	تصفُ الوجوه طلاقة وتجهّمـــــا
لا تقتضيك سوى تحرُّك إصبـــــع	حتى تصوّر ما تشاء وترسّمـــــا
صُورٌ إذا وضعت بجانب أصلهـــــا	لم تعرف الأصل المحاكي منهمـــــا
لم يبق من شيء سوى أن يخلقـــــوا	لحماً لها تيك الرسوم وأعظمـــــا (١)

٤ - القدّاحة (الولاعة) :

أُهديت للشاعر (ولاعة) من الأمير : صقر القاسمي وكانت ثمينةً وغاليةً ، فأجحت قريحة الشاعر فوصف شعلتها ، وفتيلها ، وزينتها ونورها :

قدّاحةٌ جاءتك من قـــــداح	قدّاح ، زند المجد والسمـــــاح
شعلتها تضيء كالمصبـــــاح	هازئةٌ بعاصف الريـــــاح
فتيلها من طرة المـــــلاح	وزيتها من قطرات الـــــراح
أو من عصير الزنبق الفـــــواح	لله ومضُ نورها اللمـــــاح

(١) المصدر السابق ، ص ٤٨٠ .

يحكي لنا عن فلق الصبح ——— اح رقصته تدعو إلى الـ ——— مراح ^(١)

٥- الساعة :

فُقدت للشاعر ساعةٌ عزيزةٌ لديه وهو في أيام الشباب وقد رثاها بأبيات جميلة جعل عنوانها (فجيعَةٌ في ساعة) ^(٢) ضمَّت ضمن باب الدعابات والفكاهة ، وهذه الساعة كأنها توحى وترمز إلى فقد عزيزٍ لدى الشاعر خاصة وأنه قد جعلها كالسوار حول يده :
وساعةٌ كالسوار حولَ يــــــدي ضاعت ، فأوحى ضياعُها جلدي
وهذه الساعة التي أضاعها نجله الصغير كانت بمثابة فقد الابن ، وهي خسارة جُلُّ في نظره :

ضيعها نجلي الصغيرُ ، وكـــــــم حملتني من خسارة ولــــــدي
قالوا : فداءُ له ، فقلت لهـــــــم كلاهما فلذتان من كبــــــدي
وبدأ في سرد بعض المناقب الهامة للساعة فهي أنيسةٌ له في سفره ، تذكره بوعوده التي وعدها ، وترتبُ له أيام أسبوعه ، وتنظم له أوقاته :

من مسعدي إن أكن على سفــــرٍ ومن يفني لي بالوعد إن أعــــد ؟
التبست أيامي عليّ ، فــــلا أفرق ما بين السبت ، والأحــــد
واختل وقتي ، فإن وعدتــــك إن أزورك اليومُ ، جئت بعد غــــد
ثم يبين حالة يده وشكلها من غير الساعة ، وكيف أصبح منظرها وكأنه رمذٌ للعيون ، فبالساعة يحسن المنظر ، ولصوتها تغريدٌ في الآذان :

أمست يدي - بعدها - معطلــــة منظرها في العيون كالرمــــد
فمن لعيني بحسن طلعتــــها ومن لأذني بصوتها الغــــرد ؟
كم آنست وحشتي بدقــــها فالآن أصبحتُ شبه منفــــرد

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٨٤٢ .

(٢) الأعمال الكاملة ، صرخة في وادٍ ، ص ٢٥١ .

٦ - الباخرة :

وصف الشعراء في العصر الحديث الباحة وصفاً دقيقاً ، وأكثروا منه في أشعارهم : " وهم عادةً يجمعون بين مشاهد السفينة والبحر ، وأحوال الركاب ، وقد يستطردون إلى ذكر البلدان التي يؤمونها أو الأغراض التي يقصدونها " (١)

وشاعرنا كان من أولئك الشعراء الذين أجادوا وصفها ، وجمعوا بينها وبين أهوال البحر وأحوال الركاب . ومن أشهر تلك البواخر المصرية التي تحدث عنها في شعره الباخرة (زمزم) : حيث وصفها عند أول رحلة قامت بها ، فرسم لها صورة جميلة وهي تمخر البحر ، فـ (زمزم) في نظره كاعبٌ حسناء تختال وتتبختر جمالاً وبهاءً ، أما صغيرها فقد أشجاه كما يشجيه لحن الحمام المغرد:

أرأيت زمزمَ وهي في البحر
وتختالُ مثل الكاعب البكر ؟

وصفِيرُها يشجي الفؤاد ، كما
يشجبه نوحُ حمائم السدر^(٢)

ثم يشبه حركتها بجبل يتحرك فوق التراب ، وإذا سارت فإن عين الله ترعاها :

وتحرّكت ، فكأنهما علّمَا
سارت وعينُ الله تتبعهما

متحرّكٌ فوق الثرى يجري
في البحر من عبّر إلى عبّر^(٣)

ثم يشبه خفقانها وهي تتهدى في البحر عندما تهب عليها الرياح بخفقان قلب العاشق المحب الذي هزه الشوق ؛ أما ظلمات البحر العاتمة فقد انقشعت بضياء الباخرة ونورها :

إن داعبتها رِيحه ، خفقت
ظلمات بحر القلزم انقشعت

خفقات قلب الصب في الصدر
بضياء ذات الأنجم الزهر^(٤)

وهي درة نفيسة من درر البحر المكنون ، تمشي بأمرها الرياح منصاعة ، وتتحرك فوق الماء بانسياب يدفعها البخار الرقيق ، أما صوت مرجلها فكأنه زفرات قلب ذاب من شدة الهجر:

(١) الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ، ص ٢١١.

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٥٠ .

(٣) السابق ، ص ٤٥٠.

(٤) السابق ، ص ٤٥٠.

يا دُرَّةً في البحر ، لو وزننت	رجحت على مافيه مــــن دُر
تمشي الرياحُ على مشيئتها	مأمورةً تنصاعُ للأمر
تنساب فوق الماء جاريةً	مدفوعةً بالماءِ والجم
وكأنما زفرات مرجله	زفراتُ قلبٍ ذاب من هج
وهو البخارُ أرقُ حاشيةً	في مسّه من نسمة الفجـ ^(١)

ثم يصور هيئة تلك الباخرة المصنوعة من الحديد وهي تجر ذنباً ضخماً يمشي في خفة الطير ، ويبين مكانة الباخرة في نفوس الناس وأنها قد سلبت من الخيول والإبل المكانة والعزّة ، وتفوقت على السفن الشراعية التقليدية ، فالعصر إذاً هو عصر الباخرة لا عصر الخيل والإبل والسفن الشراعية :

جر الحديد وراءه ذنباً	ومشى به في خفة الطـ
سلب الخيول الغر دولته	وأدال مُلك العيس في القفـ
وغزا الشراع، ففر منهزم	وكفاه شر الطي والنشـ ^(٢)

فتلك الأبيات السابقة تدل على مقدرة شاعرية وحس في الأداء لأنه عاجل موضوعاً يُعد جديداً وهو وصف المخترعات الحديثة التي كانت مصدر إلهام لشعره.

● مع الفضاء :

للفضاء في ديوان غنيم نصيبٌ كبير قل أن تجده عند شاعر آخر من أقرانه . واتصاله بالفضاء الخارجي ينم عن سعة اطلاعه في هذا المجال الرحب الذي يحتاج إلى دراسة علمية مستفيضة وتجارب تطبيقية للتعرف على هذا الفضاء الخارجي والغوص في كلياته وجزئياته.

وغنيم قد وصف (القمر) كما مر معنا وجعلنا ذلك الوصف جزء من الطبيعة الكونية . أما هنا فسوف نعرض لعلم الفضاء والأدوات الحديثة التي استخدمها للوصول إليه ومن تلك القصائد الجميلة التي اهتمت بالفضاء (زورق في الفضاء) وفيها يتحدث عن (مركبة الفضاء) . فبفضل العلم أصبح هذا الزورق الفضائي يتحدى العقاب في الجو :

(١) المصدر السابق ، ص ٤٥١ .

(٢) السابق ، ص ٤٥١ .

زاحموا النون في البحار ، وراحوا يتحدون في الهواء العقابا ^(١)

وهذا الزورق الفضائي كأنه سفينة اتخذت من الفضاء طريقاً لها ، ومن الهواء أمواجاً تعبر عليها . وهو طائرٌ سريعٌ مستقيم الجناح . لكنه ليس كالطيور المعروفة ؛ مصنوع من حديد لا روح فيه ، اتخذ من الحضارة أمّاً ومن العلم أباً :

زورقٌ شق في الهواء طريقاً	فكأن الهواء صار عباباً
طائرٌ ليس كالطيور ، صقيلاً	مستقيم الجناح ، صلب الذنابي
نفخوا الروح فيه ، وهو جماد	وكسوه من الحديد إهابا
معرقٌ ؛ أمه الحضارة ، والعلـ	م أبـوه ، إذا أراد انتسابا ^(٢)

وهذه المركبة الفضائية تجمع بين السلام والحرب ، فهي في وقت السلم ملكٌ ، وفي وقت الحرب شهابٌ محترقٌ :

ملك في السلام حتى إذا مـ
خاض نار الحرب ، كان شهباً ^(٣)
إلا أن لتلك المركبة الفضائية أضرارها الخطيرة على الفضاء والبيئة والحضارة والسلام ، يقول في هذا الجانب :

أيها الطيرُ المخلوق نحسنا	أنت أحدثت في الوجود انقلاباً
كم مقتنا لأجلك النور مقتناً	وكرهنا المناخ إن هو طابا
قد بلونك عادياً ، فوجدنا	ك أحـد الطيور ظفراً ونابا
لك عدوُّ الظباء سارت خفافاً	وزئيرُ الأسود ثارت غضاباً ^(٤)

ومع ذلك التطور العلمي وازدياد صلة الإنسان بالكون والقمر والفضاء يقرأ غنيماً خيراً أوردته مجلة (الكتاب) مفاده " أن ترويض الذرة سيـمـكـن من ارتياد الكواكب " ^(٥)

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في وادٍ ، ص ١٢٤ .

(٢) السابق ، ص ١٢٤ .

(٣) السابق ، ص ١٢٥ .

(٤) السابق ، ص ١٢٥ .

(٥) السابق ، ص ١٢٧ .

فشارك بقصيدة يقرر فيها أن القمر بفضل الوسائل الحديثة صار قريباً ، وأن الأرض قد تبادلت معه السفراء فأصبحوا على اتصال دائم :

كأني بالزمان وقد دنا —————
يد المتناولِ القمرُ —————
و صار الكوكبان على اتصالٍ —————
لكلٍ عند صاحبه سفيرٌ ^(١)
ثم يتساءل قائلاً : هل في ذلك الكوكب الفضائي سكان يعيشون عليه ؟ وهل به
بحارٍ وغدران ؟ وهل في جوه غيمٌ وحرٌ وبحرٌ ؟

ثرى : هل فيه سُكَّانٌ؟ وهل هم —————
وهل ينمو به زرعٌ ، وضرعٌ —————
وهل يجري به ملحٌ أجـاجٌ —————
وهل في جوه غيم ، وصحو —————
أناسٌ أم ملائكةٌ وحرورٌ ؟
وتسجعُ في خمائله الطيورُ ؟
من الآذِيِّ أم عـذب نميرٌ ؟
وحرٌّ لافحٌ ، أو زمهريرٌ ؟ ^(٢)

ولا ينسى غنيمٌ وهو يتساءل عن أحوال ساكني تلك الكواكب أن يشير ويسأل قائلاً :
هل بهم شره وشر كأهل الأرض ؟ وهل لحياتهم نهاية وموت ونشور ؟ فهو ناظمٌ على أفعال بني
جلدته أولاً ومقتنع بالموت والنشور ثانياً :

وهل في أهله شرهٌ ، وشـر —————
وهل لحياتهم أجلٌ مُسمـى —————
كأهل الأرض أم كـرمٌ ، وخير —————
وموتٌ بعد ذلك أو نشورٌ ؟ ^(٣)

ثم يناجي (القمر) الذي جعله سليلاً للأرض أن يرأف بحالها ويزورها يساعدها ويخفف
عنها ذلك العبء الثقيل من تراحم السكان الذين ضاقت بهم :

سليل الأرض ، مالك غير بـر —————
بأملك لا تُزار ، ولا تـزور ؟
ألا خففت عبء الأرض هـونا —————
فأملك آدها النسل الكثـير ؟
أرى أرضاً تضيق بساكنيها —————
وبحراً كله سفنٌ تمـور ؟ ^(٤)

(١) المصدر السابق ، ص ٢٧١ .

(٢) السابق ، ص ٢٧١ .

(٣) السابق ، ص ٢٧١ .

(٤) السابق ، ص ٢٧١ .

ثم ينتهي الشاعر بعد تلك الرحلة الفضائية التأملية إلى التوحيد الرباني والتسليم المطلق بأن الله ليس أمامه أمر عسير وأن ذلك الحلم سيصبح حقيقة :

أمان كنَّ أحــــــــــــــــــــــلام الأولى
فهل يأتي بها الزمن الأخـــــــــــــير ؟

تعالى الله إن العلم أمســــــــــــــــي
وليس أَمَامَهُ أمرٌ عســـــــــــــــــيرُ^(١)

ويعمضي الشاعر في رحلاته الفضائية فيأتي بمطولته الرائعة في وصف مركبة الفضاء الأمريكية (أبولو) " التي ترسلها أمريكا بين الحين والحين إلى سطح القمر لتتعرف على أسرار الحياة فوقه وتدرس طبيعته " ^(٢) فيبدأ القصيدة بتهنئة المركبة على ما تحقق لها من انتصار، ولكنه يتعجب كيف استطاعت أن تحمل أناساً من الأرض وتطير بهم وتترلمهم على سطح القمر بسلام وأمن ، مع أن القمر كوكبٌ غريبٌ يصعب العيش فيه :

ليهنك ، يا أبولو ، الانتصار
وكيف حملت ، ركبك في سلام
وكنّا نحسبُ الأفلاكَ خلقاً

بربك : كيف طرت بهم وطاروا ؟
فقرهم على القمر القرار ؟
غريباً لا يزور ولا يزار (٣)

ويتعجب من الطريق الذي سلكه ذلك المركب فهو طريق ليس مُعبداً وغير مطروق ، إذ لا يمر به إلا حطام النيازك والشهب ، حتى أن الرياح والسحب لا تمر به ، فالطريق غريبٌ مجهول ليس به لافتات ولا هُداة ، ولم يسلكه عربيٌّ ولا أعجمي :

بربك : كيف سرت على طريقٍ
ولم يمررُ به إلا حطاماً
فلا ريحٌ لها فيه هُبُوبٌ
ولا كُتبت عليه لافـتاتٌ
ولا خط الأعاجم فيه يومئاً

عقيم، لم يعبد السَّـفـار ؟
يطير من النيازك أو نثـار ؟
ولا سُحِبٌ لها فيه اهُمـارُ
ولا يهدي السُّرأة به منـار
ولا خطرت به يوماً نـزار^(٤)

(١) المصدر السابق ، ص ٢٧٢ .

(٢) محمود غنيم وشعره ، ص ١٦١ .

(٣) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٧٠٧ .

(٤) السابق، ص ٧٠٧ .

ثم يجعل آلات البخار القديمة طلاً دارساً يكي عليه ، بفضل الآلات الحديثة كالصواريخ الجديدة التي تدين لها الأفلاك ، والتي من أجلها باتت النجوم سافرة كاشفة لاحجاب عليها ، وبفضلها سيحمل الأثير الناس إلى الكواكب الفضائية فيتخذون منها مصطافاً ومنتجعات :

مضى عهد البخار ، فبات يكي	على أطلال دولته البخار
ومرحى بالصواريخ اللواتي	يدين لنا بها الفلك المدار
نجوم الأفق ما عادات وجوها	عن الأنظار يحجبها خم
سيحملنا الأثير إلى الدار	كما حملت أوالينا المه
وتتخذ المصايف في ذراها	وتفجع في شواطئها البحار ^(١)

ثم يتذكر شاعرنا عظمة المولى عز وجل بعد تحليقه وتأمله في ذلك الأفق البعيد ، والصعود إلى القمر:

تعالى الله إن العلم نور	سناه من سناه مستعار
أفوق الأرض يُضمن - ليت شعري	بهذا الكشف للعلم انتشأ
ويُرسى للسلام به أسس	ويكتب للحضارة الازدهار ؟
أمان تلك ، إن هي أخطأتنا	فلا نصر هناك ، بل اندحار ^(٢)

يقول د. صابر عبد الدائم معلقاً على جوانب التأمل النابع من رؤية الشاعر الإسلامية ومنها رحلات الفضاء : " وللشاعر مطولات في هذا الاتجاه .. ، وهو يتأمل هذه الظاهرة العلمية ويخلق في آفاق الفضاء ، ولكنه يظل مرتبطاً بالأرض ، حريصاً على رخاء البشرية ، متمسكاً بحبل الله المتين " .^(٣)

ثم يسائل الشاعر تلك المركبة عن سطح القمر ويودُّ منها أن يعرف حقيقة الحياة على سطحه ، حتى ينتفع الناس بها عن طريق العلم والذرة والاكتشاف :

(١) المصدر السابق ، ص ٧٠٨ وتاليها .

(٢) السابق ، ص ٧٠٨ .

(٣) مجلة البيان ، العدد ١١٧ ، السنة الثانية عشرة ، جمادى الأولى ، ص ٤٨ .

1.3

ثم يتساءل الشاعرُ في تأمل عن ثمار ونتاج تلك الرحلات الفضائية وكأنه فيما يبدو غير راضٍ عنها بسبب ما أصاب الأرض وأهلها من الويلات والنكبات:

سلوا الأفلاك — إذ طرتمُ إليهما	أكانَ لها من الضحك انفجار ؟
وقبلكمو بنى هامانُ صرحاً	فكاد النجم يدركه انهيار
أضعتم في الهواء كنوزَ مـال	وملء الأرض بُؤسٌ وافتقارُ
وحول القدس من جوع وعُري	ألوف تستجيرُ، فلا تسـجارُ
وقد فتكت بنا الأمراضُ فتكاً	وأيدى الطب عاجزةٌ قصارُ ^(١)

وفي آخر تلك القصيدة " ينتهي الشاعرُ من تأملاته إلى الاحتماء بمظلة الإيمان ، ودائرة التوحيد ، ولم تنته به التأملات إلى القلق أو الشك .. وإنما لأنه شاعرٌ مسلم تنطلق تجاربه مع نبع إيمانه الفياض بالتسليم المطلق لخالق الكون " ^(٢) يقول :

تعالوا نبتكر عهداً جديداً	يُعم الخيرُ فيهِه واليسارُ
شهدت بأن لله اقتـدراً	وغير الله ليس لـه اقتدارُ
وأن الجهل للإنسان — مهمـا	يزد علماً ، ومعرفةً — شعـار
وأن وراءَ هذا الكونِ ربـا	له في الكون أسرارٌ كـبارُ ^(٣)

ولقد أثارت هذه القصيدة نفوس الخاصة والعامة عند نشرها . فهذا الأستاذ عبد القدوس الأنصاري يعلق عليها تعليقاً جميلاً نقتطف منه ما يلي " بروح الإسلام العالية يخاطبُ الشاعرُ محمود غنيم هؤلاء المغترِّين بعلمهم المادي الذي صرفوه في غزو الفضاء ، وصرفوا فيه الكثير من قناطيرهم المقنطرة فلم يغنوا بذلك شيئاً حيال الأمراض التي تفتك بالبشرية ، وحيال الحروب التي هي بصدد تدميرهم ، وتدمير علمهم وتراثهم ، فما فائدة علم يطير إلى الفضاء وفي الأرض كل آهاتها ، إن الله هو المقتدر وحده ، فهو الذي خلق هذا الكون ونظَّمه ، وغيرُ الله عاجزٌ مهما يؤت من علم " ^(٤)

(١) المصدر السابق ، ص ٧١١ .

(٢) مجلة البيان ، العدد ١١٧ ، السنة الثانية عشرة ، جمادى الأولى ، ص ٤٨ .

(٣) الأعمال الكاملة ، رجوع الصدى ، ص ٧١٢ .

(٤) مجلة التضامن الإسلامي ، عدد يونيو سنة ١٩٧٢م ، ص ٥٤٥ (بتصرف) .

الأسرة

كان محمود غنيم من الشعراء العرب الذين انتهجوا نهجاً إسلامياً في شعرهم .
وبقراءة نقدية فاحصة يتبين الناقد البصير فكراً إصلاحياً ، واتجاهاً إسلامياً عند الشاعر .
وهذا الفكر والاتجاه نتج من عدة عوامل وروافد مهمة كان من بينها أسرة الشاعر المحافظة
التي نشأ وترعرع فيها ، وهذه الأسرة التي شكّلت رافداً وعاملاً قوياً في شعره سأتناولها
من زاويتين الأولى الأسرة التي أنجبت الشاعر وترى بين حناياها والثانية الأسرة التي كونها
الشاعر وأسسها وتشمل الزوجة والأولاد .

ولو نظرنا بعين واعية إلى أسرته الأولى والتي نشأ فيها نجدها تتكون من أبيه
وإخوته الذكور أحمد ، وعبد الواحد ، أما أمه فقد ماتت وهو صغير جداً ، وبين حنايا
هذه العائلة نشأ تنشئةً دينية ؛ حيث حرص والده الذي كان يعمل في التجارة والزراعة
على تربية أولاده ومن بينهم غنيم تربية كريمة خاصة بعد وفاة والدته .

وعاش (غنيم) مع أسرته في رفاة من العيش إذ كان أبوه كما قلت سلفاً تاجراً
ومزارعاً " وكان يأتيه من وراء ذلك ربحٌ يكفي حاجة الأسرة ؛ بل ويفيض عنها في بعض
الأحيان " (١) . كما اشتهر أبوه بالتقوى والزهد والنفقة على المحتاجين من أبناء قريته .

ولمّا توفي والده عاشت الأسرة بعده في شقاءٍ وعسرٍ وضيقٍ لكثرة ما كان ينفقه
أبوه من أموال في سبيل الله " ولكنّ عين الله ورعايته أحاطت بأفرادها ، وكلائهم فلم
يضيعوا مع الفقر ، ولم يعدموا حيلة لمواجهة الحياة " (٢) فتكونت لديه في هذه الفترة نفسُ
عصامية واجه بها معترك الحياة ودفعته إلى مواصلة الدراسة ، وطلب العلم ، والترقي في
المناصب التعليمية المهمة .

ولو وقفنا وقفةً يسيرة مع تلك النشأة في ظل والده لوجدنا أنّ الشاعر كان يتجه
الاتجاه الصحيح أمام عين والده التي كانت ترعاه فتعلم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب ،
وحفظ القرآن في الكتاتيب . وكان أبوه مولعاً بالشعر متذوقاً له مطلعاً عليه حاثاً ابنه على
حفظ أشعار العرب وتذوقها يقول غنيم مخاطباً والده بعد رحيله عن الدنيا : " وما زلت
أذكر - وإنْ بَعُدَ العهد - أنني كنتُ حين أقرأ لك في قصة عنترة ، أتجاوز الشعر كلما

(١) محمود غنيم وشعره ، ص ٣٦ .

(٢) السابق ، ص ٣٧ .

بلغته ؛ برماً به وشغفاً بتتبع مجرى الحوادث ، فتردني إليه في شبه انتهار قائلاً : " أقرأ الشعر تتعلم الفصاحة " (١)

فأبوه يأمره بتعلم الشعر وحفظه وروايته ، حتى يصبح فصيحاً بليغاً ، وكان يمنحه جائزة تقديرية كلما حفظ شيئاً من شعر حماسة عنترة ، أو من شعر الحكمة لعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) . (٢) فكان لتلك النصيحة الغالية أثرها ، ولتلك الجائزة وقعها ، فأصبح ينشد لأبيه شعراً صادراً عن موهبة أصيلة صُقلت بالتدريب والتجريب ولكنه " قلماً سلم من اضطراب في بنيانه ، أو تخلخل في أوزانه " . (٣)

فكان أبوه يستمع إلى ذلك الشعر المضطرب ولكن المنية بادرت به قبل أن يسمع من ابنه الصغير شعراً سليم البنيان ، مستقيم الأوزان . (٤) فأبى غنيماً بعد أن صلب عوده ، وصقلت تجربته ، وأصبح شاعراً رفيع المستوى إلا أن يهديه ديوانه الأول (صرخة في وادٍ) لروح والده الطاهرة المباركة (٥) .

والواقع أن أسرته الأولى قد أمدته بعاملين قوين في شعره : الأول : تشجيعي : ويتمثل في تشجيع والده له وحثه إياه بحفظ أشعار عنترة وحكم علي (رضي الله عنه) ؛ بل وحفظ الشعر كله وروايته ؛ حتى يتعلم الفصاحة والبيان ، " فكان في قراءة هذا الشعر وترديده ، ثم حفظه أكبر الأثر في تذكية الشعور وتنمية المواهب ، وتحريك الأحاسيس " (٦) فأخرج أول قصيدة وكان عمره سبعة عشر عاماً في رثاء الزعيم الوطني (محمد فريد) سنة (١٩١٩ م) . ومنها :

قضى نخبه منها فريداً وودعاً	فيا مصر أجرى نيلك اليوم مدمعاً
قضى وقضاء الله لا شك واقع	وما المرء إلا أن يعيش فيضراً

(١) الأعمال الكاملة ، مقدمة ديوانه صرخة في وادٍ ، ص ١٠ .

(٢) انظر : السابق ، ص ١٠ .

(٣) السابق ، ص ١٠ .

(٤) انظر : السابق ، ص ١٠ .

(٥) انظر : السابق ، ص ١٠ .

(٦) من تاريخنا المعاصر ، ص ١٧٩ .

أرى العيش مهما طال ظل سحابة إذا أومضت لا بد أن تتقشعا^(١)

والثاني : عاطفي : إذ عاش غنيماً في بيئة فقيرة قاسية بعد وفاة والده ، محروماً في الوقت نفسه من حنان الأمومة حيث توفيت والدته وهو صغير ، فتولد عنده ما يُسمّى بالعصامية حيث نشأ ملتزماً بالكد والاجتهاد فواصل دراسته ، وتطلع إلى ميادين المعرفة ليحقق أعلى الرُتب ، ويكون أسرة سعيدة مكتملة الجوانب ؛ لأنه قد ملّ وتعب من شقاء العزوبة واكتوى بنيرانها ، فكلها مخاطر وأسرار وعدم استقرار فلا أرض تقلّه ولا دار تأويه ، يقول مخاطباً أحد أصدقائه في حفل زواجه :

عهد العزوبة قد مضى بشقائه
قد عشتُ قبلك أعزباً لكنني
لا تسألوا عن بعض ما قاسيْتُه
إِنَّ العزوبة كلّها أخطار
لا أرض تأويـني ، ولا لي دار !
قبل الزواج ؛ فهذه أسرار^(٢)

فقرر الزواج والاستقرار ولكنه وقف حائراً أمام تلك الزوجة التي ستشاركه حياته ، والتي ستصبح أمّاً لأولاده فراح يتساءل هل يتزوج ريفية ؟ أم يتزوج مدنية ؟ فاختار ريفيةً ولجأ إلى " بنات الأعيان من القرية ، واتجه إلى عائلة تلعب ، وهي أسرة ريفية ، لكنها ذات غنى وجاه " ^(٣) ولكن ما صفات تلك الرّيفية في نظره هل هي تلك الجاهلة القابعة في فناء التخلف المتمسكة بأحبال الماضي البالية ؟ أم تلك المتعلمة الواعية المحافظة الملتزمة بشؤون الأسرة والحياة . لا شك أنّها تلك الواعية المدركة التي ترعاه وترعى أسرته من بعده ، وما دام الأمر كذلك فانظر وهو يبلور فلسفته ونظرته من الزواج بالفتاة الرّيفية ، وعدم التعلق بفتاة المدينة التي أخذت من المميزات أكبر من حجمها :

قالو الزواجُ ، فقلتُ : من ريفية
لا تخذعنك عادةً حضريّة
لا المَدُنُ تُعجبني ، ولا الأمصار
فيها بياضُ زائفٌ ، وحمار^(٤)

ويؤكد على الزواج من الرّيفيات ، ويتفنن في وصفهم فيقول :

(١) المصدر السابق ، ص ١٨١ .

(٢) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٨٦٠ .

(٣) محمد غنيم وشعره ، ص ٤٩ .

(٤) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٨٦١ .

اختر لنفسك من فتيات القرى
أنا لا أقول : تزوجوا ريفيَّة
أهلاً ، فهن ملائكة أطهر ———
ممن يُدقُّ لأجلهنَّ الزَّار
حورٌ ، حرائرٌ ، نُهدٌ ، أبكار
ولكن بين جدران القرى
أنثى مثقفة إذا عاشرت ———
تدري شئون البيت كيف تُدار ^(١)

تزوج غنيم من تلك المرأة الريفية التي أرادها ، وعاش معها أجمل سني عمره ،
وكان زواجه منها في أوائل عهده بالوظيفة وأنجب منها " أولاده الثمانية وهم سبعة ذكور
وبنت واحدة " ^(٢) . عاشوا كغيرهم من أبناء عصرهم ، وحاول الشاعر أن يوفر لهم سبل
العيش لتربيتهم وتعليمهم . ومن الطريف في الأمر أن أسماء أولاده تبدأ بحرف واحد وهو
حرف (العين) ، وقد جمعهم الشاعر في قوله :

عاطفٌ ، عادلٌ ، عزيزٌ ، عزمي
عصمةٌ ، عاصمٌ ، عماد ، علاء ^(٣)

وعند استقبال أول مولود له وهو (عاطف) أنشد فيه قصيدة تنم عن خوفٍ
وترقب وتشاؤم من الحياة المصيرية لذلك المولود الجديد الذي كان سبباً في تغيير حياة
والده فحياة اللهو والمرح قد ولت وأصبحت من نصيب مولوده ، وصارت حياة الأب
حياة تعب وكدٍّ تحمل عبء أسرة لا عائل لها إلا هو ، انظر إليه وهو يخاطب نفسه :

سرَّكَ اليومَ قولهم أم ســــــــــــــــاءك
حينَ قالوا : هذا غلامٌ جــــــــــــــــاءك ؟
جانب اللهو من شبابك ولــــــــــــــــى
فدع اللهو ينتظر أبنــــــــــــــــاءك
وتحمل عبء الأبوه ، ياويــــــــــــــــ (م)
حكٌ ، لم يحمل امرؤُ أعبــــــــــــــــاءك ^(٤)

وخوفه على مولوده من جور الليالي وبطشها ، وكرهه الشقاء على مولوده كان سبباً في
تبرمه من مولوده ، وعدم مقابلة بالفرحة والبسمة ، ولكنه يطلب منه الصفح والسَّماح
على ذلك التَّصرف ، ويتمنى بقاءه على مرِّ الأيام سليماً معافاً ، وإذا ما أصابه مكروه فإنه

(١) المصدر السابق ، ص ٨٦١ .

(٢) محمود غنيم وشعره ، ص ٥٢ .

(٣) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٧٣٩ .

(٤) الأعمال الكاملة ، صرخة في وادٍ ، ص ٢٣٦ .

سوف ييذل الغالي والرخيص لأجله :

أيها الطارقُ الجديدُ ، سلاماً

علم الله ما كرهتُك ضيفاً

بتُ أخشى عليك جورَ الليالي

غير أني أمسيت - رغم شعوري -

وأراني إذا أصابك سـوءٌ

أسألُ الصفح إن أسأتُ لـقـاءك

لا ، ولكنني كرهتُ شقـاءك

فالليالي ما أنصفتُ آبـاءك

أتمنى على الزمان بقـاءك

أبذل النفس والنفيس فدائك^(١)

ويزداد حسرةً وأسىً حينما يتصور أن أبوتّه لوليدته هي سبب شقاء ذلك الوليد وبلائته

وهو في هذه النظرة والترعة التشاؤمية متأثر بترعة أبي العلاء المعري^(٢)، يقول غنيم :

ساعني ، يابني ، أن كنت نـجـلاً

لي ؛ فكانت أبوتّي لـك داءك

أيّ ذنب جنيت في المهد حتّى

يصبحُ الهمُّ في الحياة جـزاءك^(٣)

إلا أن ذلك التشاؤم الذي عاناه لم يخرج به عن نطاق الأبوة ، فهو يشعر بها ،

ويعجزها ، ويظلّ وفيّاً بواجبه نحوه ، ييذل كل ما في وسعه لتحقيق مطالب وليده على

مطالبه الشخصية :

ليت شعري : أقانعُ أنت أم لـو

تستطيع الكلام تبدي استيـاءك ؟

أفتدري : كم بتُ أرفو كسائي

وأوشي بكل زاهٍ كسـاءك ؟

وإذا ضنّ ثدي أمك يومـاً

بالحيا ، جعتُ ، والتمستُ غـذاءك

ولقد أسمع الرعود تـدوي

في ثبات ، ولا أطيع بكـاءك

أنراها جناية أم تُراها

منّة تستحقُّ منك ثنـاءك^(٤)

وتهدأ عاصفة الأسي ، والخوف على المولود من الشقاء والفقر ، ويرجو من الله

العزیز أن يجعل الخير والغنى من نصيب مولوده :

(١) المصدر السابق ، ص ٢٣٦ .

(٢) حيث كان يرى أن استمرار الحياة جناية يرتكبها الآباء في حق أبنائهم لذلك قرر الامتناع عن الزواج حتى يتوقف النسل ، وتقف حركة الحياة . فالحياة في - رأيه - لا قيمة لها ، ولا تستحق الحرص عليها . انظر كتاب :

في الشعر العباسي نحو منهج جديد ، ص ٢٠٩ .

(٣) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٢٣٦ .

(٤) السابق ، ص ٢٣٦ .

وأحسبني بين طفليَّ " شاهراً " وأحسب كوخِي قصراً عليَّاً ^(١)
وفي لحظات كهذه ينسى حاجته الطبيعية إلى الطعام والشراب . ولكن ما حاجته
إليهما مادام ولداه بجانبه ؟ فهما زاده وشرابه :

وما حاجتي لغذاءٍ ومـ_____ ؟ بحسبي طفلاي زاداً ، وريئاً ^(٢)
وأيةُ مناجاةٍ عنده تتضاءل أمام مناجتهما ، حين يقول أحدهما : (أبي) ، ويرد
عليه بقوله (بني) ؛ بل إن وقاره وكبره يذهبان ، ويعود صبيّاً عندما يلغوان
ويخلطان في كلامهما فيتذكر صباه وماضيه :

وأية نجوى كنجواي طفلي _____ يقول : أبي ، وأقول : بنيئاً _____
ويارب لغو يفوه الصـ_____ به ؛ فيكون حديثاً شجيئاً _____
هنا أستعيدُ قديم حياتي _____ وأرجعُ أطوي الليالي طيئاً ^(٣)
ويلجأ إلى الله فيدعو لهما بالحفظ والصّون ، ويتمنى من الزمان أن يطول به ، حتى
يرى أبنائه قد كبروا ، وأن غرسه قد أثمر ينعه :

يصونكما الله من حادثـ_____ات (م) الزّمان ويبقيكما لي مليئاً _____
ألا ليت شعري : أتمتـ_____دُ بي حياتي فأجني غرسَ ידיئاً _____
وأشهدُ طفليَّ يِفـ_____عُ ، ثم يشبُّ ويصبح شهماً أبيئاً ؟ ^(٤)
ويوحي إلى طفليه بالعمل ، وأن يكونا من أصحاب الأموال والتجارة لا من
أصحاب الشعر والأدب كأبيهما المسكين فالناس في نظره يقدرّون الثري ، ويحتقرون
الأديب :

أبوك امرؤٌ من رجال الكـ_____لام فكن أنت ، يا ابني ، امرأً عمليئاً _____
فما احتقر الناسُ إلّا الأديبـ_____ب ولا احترام الناسُ إلّا الثريئاً ! ^(٥)

(١) المصدر السابق ، ص ١١٦ .

(٢) السابق ، ص ١١٦ .

(٣) السابق ، ص ١١٦ .

(٤) السابق ، ص ١١٧ .

(٥) السابق ، ص ١١٧ .

وحينما رُزق الشاعرُ بأطفاله الثمانية جميعاً . ازداد عطفه وحنانه الأبوي عليهم . وقال فيهم شعراً جميلاً يبين فيه مشاعر الآباء عامة تجاه أولادهم ، ويبين فيها المنهج الإسلامي السّوي في التعامل مع الأولاد وطريقة تربيتهم ومن تلك المبادئ التي أعلنها غنيماً في أسلوب شعري جميل . مبدأ التسوية في الحب :

هم جميعاً في الحبّ عندي سواءُ
عقدتهم كلُّ حبةٍ فيه مهمماً
لا امتيازُ كلا ، ولا استثناءُ
كُثر الحبُّ ذرةً عصماً^(١)

فلا تميز عنده ولا تفضيل . فالوسيم وغيره والذكي وغيره سواء :

ليس عندي وسيمهم بأثـيرٍ
لا ، ولا ميز الذكيّ الذكاءُ^(٢)
إنّ المساواة بين الأبناء أمرٌ طبعي ، فعيون الآباء في نظرهم إلى أبنائهم كأها عيون مصابة بالحول ، لا تستطيع التمييز بين الوسيم والقيح أو الذكي والغبي :

وعيونُ الآباءِ حولاءٌ ؛ فيها
يستوي الحاملون والنهباءُ^(٣)
وللشاعر نظرة مثالية أخرى تجاه أولاده تكاد تكون عامة بين الكثيرين من الآباء وهي إثارة للصغير من أولاده أكثر من الكبير ، وعطفه على المريض أكثر من السليم ، واشتياقه للمغترب المسافر أكثر من الحاضر :

غيرَ أن الصغير منهم أثـيرٌ
وأثيرٌ من بات يعـروه داءُ
وأثيرٌ من بات عني بعيـداً
وكثير أولادي الغرباءُ^(٤)
وهو يرى في أولاده استقامةً لظهره ، وقوة لشبابه خاصةً بعد أن ظهرت عليه علامات الشيخوخة والكبر :

أنا فيهم أرى استقامةً ظهري
من جديد إن آد ظهري انحناءُ^(٥)
والشاعر لم يعرف الحنان والعطف والحبّ إلا بعد ولادتهم ، وهو لا يطلب منهم أجراً على عطفه ؛ بل يكفيه راحتهم وسعادتهم :

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٧٣٩ .

(٢) السابق ، ص ٧٣٩ .

(٣) السابق ، ص ٧٣٩ .

(٤) السابق ، ص ٧٣٩ .

(٥) السابق ، ص ٧٣٩ .

ما عرفتُ الحنانَ والحسبَ إلاَّ
لستُ أبغي منهم على العطف أجراً
يوم جاعُوا ، أنعم بهم يوم جاعُوا !
لهم الحسنى أحسنوا أم أساءُوا (١)
والقصيدة في مجملها مفعمة بالمشاعر الحانية تجاه الأولاد ، وهي مشاعر أبوية صادقة لا يشوبها الكذبُ والتصنعُ .

ومما يؤكدُ حبه لأولاده ، وإحساسه بألمهم ، وعطفه عليهم قصيدته التي أنشأها عندما مرضت طفلة البالغة من العمر ثلاثة أعوام سنة ١٩٤٩ م . (٢) بعنوان (آهة طفلة !) يصف فيها أُنيتها بالمرض ، وإصابتها بالسعال الشديد ، وتكلفتها الشديد بشرب الدواء المرير :

أُصِيت ، ولم تدر كيف تبيِّن
وحيث يُلحُّ عليها السُّعال
إذا سُئِلت ، فالجواب الأنين !!
تشيرُ إلى صدرها باليمين
تُسَامُ الدواء ؛ فتطبقُ فاهاً
- على ضعفها - فهو حصنٌ حصين (٣)
وعندما ترتفع درجة حرارتها ، ينصهر قلبه حرقاً وحزناً عليها ، وتنفذ إلى قلبه آهاتها وزفراتها الشَّجِية :

وتنفذ آهاتها في الفـؤادِ
تكادُ الحرارةُ تصهرُ قلبي
فتفعلُ فعلَ المدى بالـوتين
إذا ناهزت عندها أربعين (٤)
ويقرر أن هذه المعاناة التي تمر بها ابنته الصغيرة قد استطاعت أن تنفذ إلى قلبه وفؤاده مع أن ذلك الفؤاد قد نجا من غرام الفتيات الحسان أيام الشباب ، فلم يستطع أن يخرجهُ إلا فتاة صغيرة تعاني من المرض :

نجا من سهام الكعاب فـؤادي
وأصمته بنتُ ثلاث سنين (٥)
ثم يعمد الشاعر إلى التصوير الحسي ، وهو أمرٌ طبيعي في مثل هذه الحالة فالشحوب قد كسا الوجه جمالاً فوق جماله ؛ ويعلل ذلك بأن الشحوب في بعض الأحيان قد يكون

(١) المصدر السابق ، ص ٧٣٩ .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٦٦ .

(٣) السابق ، ص ٤٦٦ .

(٤) السابق ، ص ٤٦٦ .

(٥) السابق ، ص ٤٦٦ .

جمالاً فلم يستطيع المرض أن يؤثر على جمالها ولا أن يطفى نور جبينها المشرق :
مُحِيًّا كسَاهُ الشُّحُوبُ جَمَالاً وبعضُ الشُّحُوبِ جمالٌ يزيـن
فما أذبلَ الداءُ وردَ الخـدود ولا أطفأ السُّقْمُ نورَ الجبـين
سوى أن ذاك جمالٌ طـروبُ وهذا الجمالُ جمالٌ حزـين^(١)

والواقع أن شعر غنيم في أسرته يُعد شعراً رومانسياً مفعماً بمشاعر الحب والعطف والحنان ، يجسد من خلاله مشاعر الأبوة الحانية . وهذا النوع من الشعر الوجداني قديم في أدبنا العربي: " إذ كان أول شعر زاولته البشرية ، يلجأ إليه الإنسان عندما ينفعل ويريد أن يُعبّر عن انفعاله بأي شيء كلامي " ^(٢) .

(١) المصدر السابق ، ص ٤٦٧ .

(٢) علي جواد الطاهر : مقدمة في النقد الأدبي ، الطبعة الأولى ، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، د.ت) ،

ص ٥٥ .

ثانياً : التَّعليم الرسمي

✻ الكتاب .

✻ الأزهر .

✻ مدرسة القضاء الشرعي .

✻ دار العلوم .

لا مفر للباحث وهو يتحدث عن مصادر الإبداع عند محمود غنيم أن يُعرج على مصادر تعليمه ، وذلك لأثرها الواضح والبناء في تكوينه النفسي والثقافي . ويمكن أن نُقسّم تعليمه الرسمي الذي نهل منه وغذى به عقله إلى :

● الكُتّاب :

ويمكن تعريفه بألفه : " مؤسسة تربوية إسلامية قديمة ، عرفتھا المجتمعات الإسلامية ، ووظيفة هذه المؤسسة تشبه ما تقوم به رياض الأطفال والمدارس الابتدائية في العصر الحديث " (١) .

وقد كان من الضروري أن يدخل الشاعر الكُتّاب خاصة بعد أن أصبح قادراً على تعلم القراءة والكتابة فدفع به والده إلى " كُتّاب الشيخ علي عيسى " (٢) فحفظ به القرآن ، وتعلم فيه مبادئ القراءة والكتابة والحساب ، ولكن هذه الوسيلة التعليمية " لم تكن قائمة على نظام ثابت ، يحدد فيه عمر الطالب ، ودرجة ثقافته ، ومراحل تدرجه ، وشروط نجاحه وغير ذلك مما نجده في المعاهد الحديثة " (٣) ، فتكوّنت عند الشاعر الرغبة في أن يكمل تعليمه في مدارس نظامية قائمة على أسس ثابتة ومنهجية عالية فتحقق له ما أراد .

● الأزهر :

بعد أن حفظ الشاعر القرآن ، وتعلم المبادئ الأساسية للقراءة والكتابة والحساب ، قرر والده إلحاقه بالمعهد الأحدي بطنطا سنة (١٩١٥ م) وهو أحد المعاهد الأزهرية التي تهتم بعلوم الفقه والحديث والسنة فأبوه يريد أن يصبح ابنه من الوعاظ وأولي الخير

(١) سليمان عبد الرحمن الحقييل : نظام وسياسة التعليم في المملكة العربية السعودية ، الطبعة التاسعة ، (الرياض : مطابع التقنية للأوفست ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٦م) ، ص ١٠ .

(٢) دموع ، من كلمة الدكتور : محمد أحمد سلامة ، ص ٤ .

(٣) بكري شيخ أمين : الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، الطبعة الرابعة ، (لبنان : بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٥م) ، ص ١٤٤ .

والصلاح في قريته ، لكن غنياً كان غير راضٍ بذلك المعهد فأخذ " يسترضي أباه في الالتحاق بمدرسة منظمة لها مقاعد وفصول وأجراس تعرف بها المواعيد ، وكانت مدرسة القضاء الشرعي تسترعي انتباهه وتلفت نظره لحسن تنظيمها ودقه العمل بها " ^(١) . فرغبته كانت في مدرسة منظمة تشتمل على جميع الجوانب التربوية المهمة كما يعرف اليوم بالمدرسة النظامية الحديثة التي تواكب التطورات التربوية في شتى ميادين العلم والثقافة والآداب ، لكن محاولات غنيم في استعطاف والده باءت بالفشل " فقضى في معهد طنطا أربع سنوات ، ثم توفي والده ، وكانت سنه إذ ذاك سبع عشرة سنة " ^(٢) .

● مدرسة القضاء الشرعي :

تغيرت مجريات الأمور على شاعرنا بعد أن توفي والده ، وبقيت فكرة المدارس المنظمة تراوده وتشغل باله ، فصرف نظرة عن المعهد الأزهري بطنطا ، وانتقل إلى مدرسة القضاء الشرعي ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان حيث " ألغيت هذه المدرسة بعد ثلاث سنوات من دخوله إليها سنة (١٩٢٣ م) " ^(٣) .

فوقع غنيم في حيرة من أمر تعليمه بعد أن خير المسؤولون عن التعليم الطلبة وكان محمود غنيم وصديقه الشاعر محمد الأسمر من بينهم " بين الالتحاق بتجهيزية دار العلوم أو المعاهد الدينية ، ففضل محمود المعاهد الدينية ، وكأن رغبة والده تشده إلى الأزهر " ^(٤) . فحصل الشاعر على الثانوية من الأزهر ، وحصل على كفاءة المعلمين الأولية على نظام الاختبار من الخارج ^(٥) ، وعين بعدها في المدارس الأولية مدرساً في محافظة المنوفية ^(٦) . وقد كان لتلك المعادل العلمية التي قضى فيها جزءاً من حياته العلمية قبل الدخول

(١) محمود غنيم وشعره ، ص ٣٩ .

(٢) دموع ، ص ٤ .

(٣) محمود غنيم وشعره ، ص ٣٩ .

(٤) دموع ، ص ٥ .

(٥) انظر : البحث ، ص ١٠ .

(٦) انظر : محمود غنيم وشعره ، ص ٤٠ .

في كلية (دار العلوم) أثرها على ثقافته وشعره . انظر إليه وهو يتذكر أيام الصبا في تلك المعازل اليافة ، وكيف درج فيها ، وسعى بين معاقلها . فكلما تذكرها فاض فؤاده من بين ضلوعه حرقاً وصبابة عليها :

لعمرك ما صارت رسوماً بوالها
ولكن بلينا نحن ، وهي كما هيا
تكاد لذكرها تذوب حُشا شتى
ويطفئ من بين الضلوع فؤاديا ! ^(١)
ثم يلقي سلامه على (كُتاب) الشيخ علي عيسى ، الذي تعلّم فيه ، وحفظ القرآن ، ودرس الحساب :

سلامٌ عليها في " مليج " مثابةً
حفظتُ بها السبعَ القصارِ الماثيا ^(٢)
ويُعرج على (المعهد الأحمدي بطنطا) ويُسلم عليه تقديراً لجميله وعرفانا به ، لأنه تعلّم فيه نظم القوافي والأشعار :

سلامٌ على طنطا ، ومعهدِها الذي
نظمتُ به قبل البلوغ القوافيا ^(٣)
وهو لا ينسى كذلك أن يُسلم على مدرسة (القضاء الشرعي) تلك المدرسة التي انبهر بها وتعليمها المنظم :

سلامٌ على دار القضاء ، وأهلها
وربّع من العرفان أصبح حاويا
لقد وأدوها منذ خمسين حجّةً
وما زال قلبي غائر الجرح داميا ^(٤)
فهو لم ينس تلك الأيام الجميلة التي قضها في رحاب المعازل العلمية التي أفادته وعلمته حتى أصبحت رمزا من رموز التربية والتعليم في مصر .

والواقع أن غنيماً أثناء دراسته في تلك المعازل قد واجه بعض العقبات التي استطاع بعزمته وطموحه أن يتجاوزها ويتخطاها بعد أن كانت عقبةً في طريقه وفي طريق تقدمه العلمي ، وتتمثل في أمرين :

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٧٤٥ .

(٢) السابق ، ص ٧٤٥ .

(٣) السابق ، ص ٧٤٥ .

(٤) السابق ، ص ٧٤٥ .

الأول : تحمس والده لإلحاقه بالمعهد الأحدي بطنطا وهو غير راض بذلك .
والثاني : إغلاق مدرسة (القضاء الشرعي) بعد أن استمر فيها ثلاث سنوات وبعد أن كانت حُلماً له في الدراسة بها .

لكنه استطاع كما قلت أن يتغلب عليها ويتفاعل معها فلم يُصب بالفشل أو الإحباط ؛ بل زادته عزماً وطموحاً ومثابرةً في سبيل التحصيل العلمي لذلك يقول :
كفاني من الإنجاح ما قد أصبتهُ ومن فشلٍ ما كنتُ فيه ملاقياً^(١)
وتعد مدرسة (القضاء الشرعي) من المعامل العلمية التي أثرت في تكوينه الشعري ، واستطاعت أن تدفعه إلى الأمام وأن تُذكّي من حسه الشعري فكان يطلب منه المعلمون " أن يشارك بشعره في المناسبات المختلفة " ^(٢) . خاصة بعد أن اشتهر بقصيدته الرائعة في رثاء محمد فريد زعيم الحزب الوطني وهو في السابعة عشرة من عمره ^(٣) .
وقد كانت جذوة الحماس تشتعل بينه وبين منافسيه من الشعراء الشباب في تلك المدرسة أمثال محمد الأسمر مما جعله " يعترف للأسمر بحسن الديباجة ، وحلاوة النغم " ^(٤)
فكان ذلك الحماس مصدراً ورافداً في تقوية شعره وسيرورته .

● دار العلوم :

كانت دارُ العلوم مركزاً للطلبة الموهوبين والمفوهين فيما يخص علوم اللغة العربية وآدابها أمثال محمد الأسمر ، وعلي الجندي ، ومحمود غنيم وقد كانت " تخرج الفطاحل من المربين والعلماء الجديرين بالثناء والإعجاب فقد خرّجت أسماء وشخصيات في الفكر والأدب والشعر ، وفيها قال الشيخ محمد عبده : " تموت اللغة العربية في كل مكان وتحيا في دار العلوم " ^(٥) . ومن علمائها البارزين في ذلك الوقت الشيخ محمد عبده ، والشيخ محمد عبد المطلب الذي تتلمذ على يديه شاعرنا .

(١) المصدر السابق ، ص ٧٤٨ .

(٢) محمود غنيم وشعره ، ص ٤٠ .

(٣) انظر : دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه ، ١/٢٢٣ .

(٤) محمود غنيم وشعره ، ص ٤١ .

(٥) السابق ، ص ٤١ .

فدارُ العلوم إذن كانت من الروافد البارزة التي كوَّنت شخصية شاعرنا الثقافية والشعرية ؛ حيث درس فيها شاباً ، وحنَّ إليها في مراحل عمره التالية ، ووقف معتزلاً بها في المحافل والمناسبات الشعرية . فعندما كان يدرس فيها ظلَّ يعدُّ نفسه " شاعرها ، وأساتذته وإخوانه يرون فيه ذلك ، ويندبون بل ويكلفونه في المناسبات المختلفة بالاشتراك بقصيده الرائع " (١) .

وقد رأى فيه معلموه شخصية الشاعر المبدع وأوكلوا إليه نظم القصائد وإلقاءها في مناسبات ، واحتفالات دار العلوم المختلفة ، ومن تلك المشاركات الفعلية والتي كان لها أثرٌ فاعل في استمرار شعره وسيرورته مشاركته في حفل رثاء أستاذه (اللـوَّاتي) ، ولكن الظريف فيها ما حصل له من ارتباك ونسيان ؛ حيث أصر على أن يلقي القصيدة التي أعدها بهذه المناسبة من ذاكرته . فلمَّا ألقى البيتين الأولين نسي ما بعدهما ، فأدخل يده في جيبه وأكمل قصيدته من الورقة ، وقد أورد الأبيات محمد أحمد سلامة في رسالته عن محمود غنيم ، ولم تكن موجودة في الديوان . فالشاهد من هذا الحديث أن غنيماً استطاع من خلال هذا الموقف المخرج أن يكسر حاجز الخجل ، وأن يواصل إلقاء قصيدته حتى إنَّ بعض زملائه شجعه وقال لـه : " إنها باكورة طيبة ، وإنَّ بدءك أحسن من بدء الشيخ عبد المطلب " (٢) . أما شيخه وأستاذه عبد المطلب فقد تضايق وقال لـه : " كسَّفتنا (أخجلتنا) " (٣) .

فالعيب كما هو واضح ليس في القصيدة وإنما في إلقائها " واضطراب الذاكرة ، وإلقائه بعد العملاق الكبير وأستاذه الجليل عبد المطلب " (٤) .

ومنَّ المناسبات التي شارك فيها بقصائده أثناء دراسته في دار العلوم والتي منحتة الفرصة للظهور الاحتفال الذي أُقيم بمناسبة إمارة شوقي للشعر فجاءت قصيدته " ثاني قصيدة مصرية أُلقيت في احتفالات تكريم شوقي التي استمرت أسبوعاً كاملاً " (٥)

(١) المصدر السابق ، ص ٤١ .

(٢) السابق ، ص ٤٢ .

(٣) السابق ، ص ٤٢ .

(٤) السابق ، ص ٤٢ .

(٥) السابق ، ص ٤٣ .

ومجيئها في المرتبة الثانية دليل على مكانته الشعرية بين أقرانه في عصره ، ودليل

على تفوقه على زملاء دراسته في نظم الشعر والقوافي . ومن هذه القصيدة قوله :

الشعر مملكة وأنت أمـــــــير	ملك البيان كما علمت أمـــــــير
لك دولة تبقى بقاء الدهر مــــا	ظفر الرّشيد بها ولا المنصــــور
دانت لها مصرٌ ودانت جــــلق	وعلى الفرات لواؤها منشــــور ^(١)

والواقع أن هذه المناسبات والاحتفالات التي كانت تقيمها دار العلوم أثناء انتظامه على مقاعد الدراسة فيها مكّنته من البروز ، ومشاركة الأدباء في قرض الشعر وإلقائه ، كما ساعدت على منافسته لزملائه المفوّهين في تلك المرحلة .

وإذا كانت (دار العلوم) قد أمدّته بالأشعار وهو طالبٌ يدرس فيها ، فقد ظلّت موحيةً لأشعاره حتى بعد أن فارقتها وأصبح معلماً في التربية والتعليم . حيث كان يحن إليها ويتذكر أيام شبابه فيها . انظر إليه وهو يبادرها السلام في صورة تجسدية رائعة ، مملوءة بالحنين والتشوق إلى عهودها ومغانيها الماضية حينما كان طالباً يتذاكر العلم في غرفاتها ويقرض الأشعار في مناسبتها :

سلامٌ على دار العلوم ، وعهدــــها	وهيهات هذا العهدُ يرجع ثانيــــا !
مغان غرفتُ العــــلمَ من غرفاتــــها	وأودعتُ فيها بضعةً من شبايــــا
أروح إليها كلَّ يومٍ ، وأغتــــدى	إلى العلم عطشــــاناً ، من العلم راويــــا
وهمى من الدُّنيا : كتابي ، ومرقمي	خليليّ ، رُداً مرقمي ، وكتايــــا
وإذ نتبارى في القريض ونظمــــه	ونفتنُ فيه بنيةً ، ومعانيــــا ^(٢)

وظلّت (دار العلوم) تلازمه طوال حياته ، وظلّ هو يعتز بها ويُمجّدُها في أشعاره ويبين فضلها وأثرها على اللغة والأدب . انظر إليه وهو يرثي المرحوم محمد جاد المولى بك ، المفتش الأول للغة العربية . حينما جعله فقيداً للفصحى ، وجعل دار العلوم تشيد به لأنها مورد اللغة وأداها :

(١) المصدر السابق ، ص ٤٣ .

(٢) الأعمال الكاملة ، رَجْعُ الصّدَى ، ص ٧٤٥ .

أشادتُ بذكرك " دارُ العلوم " فما كنتَ إلا فتاها الرشيداً
لعمرك ، مازال للدار أهلاً وما زالت الغابُ تنمى الأسوداً^(١)

ثم يُعَدُّ فضل دار العلوم ويبين أنَّ الفصحى ما زالت بخير وأن أثرها ليس قاصراً
على مصر وحدها ؛ بل امتد إلى كثير من الدول العربية مثل العراق والحجاز .

ولا يحسب الناسُ " دار العلوم " بناءً على أرض مصر مشيداً
فإنَّ لها بالعراق فصلاً وإنَّ لها في الحجاز حـدوداً
إذا رفعت في الكنانة بنـداً فقد رفعت في سواها بنوداً^(٢)

وانظر إلى تلك العلاقة الحميمة بينه وبين دار العلوم بعد تخرجه منها في قصيدته
التي ألقاها " في مسرح الحديقة الأزبكية ، في حفلة أقامها رجال دار العلوم ؛
تكريماً لمعالى : هيكل باشا " ^(٣) (وزير المعارف) حينذاك . فهو لا يزال يعترف
لها بالفضل الجميل ، لأنها ما زالت تخرج النبلاء من أدياء مصر وعلمائها ، الذين خدموا
الفصحى فصالوا كالأسود ولاحوا كالنجوم :

دارُ أعدتْ للكنانة معشـراً صالوا بها أسداً ، ولاحوا أنجماً^(٤)
ودار العلوم قد جمعت بين فنون الإبداع الثلاثة : الخطابة ، والشعر ، والكتابة ،
ويشبهها بالنَّيل في إروائه للظمان ، فهي تروي العقول بالعلم والمعرفة ، فلولا النيل لما
ارتوى زرع مصر ولولا دار العلوم لما ارتوت عقول شبابها :

حملت بأوّل من تسنّم منـبراً وشدا بقافية وحرّك مرقمـاً
دار العلوم ، ونيل مصر ، كلاهما يروي بسلسله البلاد من الظما^(٥)
ويـرى أنَّ مصر لو خلقها الله بشراً سوياً ، لكانت دار العلوم لسانها
الذي تتكلم به :

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في وادٍ ، ص ١٨٥ .

(٢) السابق ، ص ١٨٦ .

(٣) السابق ، ص ٢٢٦ .

(٤) السابق ، ص ٢٢٩ .

(٥) السابق ، ص ٢٢٩ .

لو أن مصرًا سوّيت بشرًا ، غدت دارُ العلوم لسانه المتكلمًا^(١)

ولازالت دار العلوم تطلبه في إنشاد قريضه في مناسبتها الثقافية المختلفة على المستوى العربي ، فهذا وفدٌ ثقافي من لبنان حضر إلى مصر ، فأقامت جماعة دار العلوم في ناديها حفلة تكريم له ، وألقى الشاعرُ قصيدةً يحيي فيها لبنان ويبين فيها مكانة دار العلوم التي كانت حصنًا منيعًا للغة الضاد :

دارُ العلوم ، وما دارُ العلوم سوى عقد تتيه به الفصحى وتزردان
للضاد في مصرَ بل في الشرق أجمعِه حصنٌ بنوها له : أسٌ ، وأركان^(٢)
ونلاحظ في وصفه لدار العلوم أنه دائماً ما يصفها بالحصن المنيع للغة الضاد ، وأنها أنجبت الفصحاء ، والنُجباء ، وكثيراً ما يشبهها بالنيل في عطائه وإروائه للظمان كقوله في حفل تأبين المرحوم علي الجارم أحد أساتذة دار العلوم :

أرثيك حفظاً للجميل ، وإنه دينٌ أعيذُ النفس من نكرانه^(٣)
ثم يبين مكانة دار العلوم وفضلها :

دارُ العلوم بنتك حصناً شامخاً تلقى الأمن في أحضانه
دارٌ قد انتظمت أياديها الحمى أشياخه ، والنشء من ولدانه
دارُ العلوم ونيل مصرَ كلاهما بنميره يروي صدى ظمآنه^(٤)
ويصفهـا في قصيدة أخرى بأنها مشكاة الحمى ، ولولاها لساد الجهلُ

وانتشر :

دارُ العلوم ، وأنت مشكاة الحمى لولاك ظلّ الجهل فيه سائدا
ما كنت - وأيم الله - إلاّ معهداً فرداً تقسم في البلاد معاهدا^(٥)

(١) المصدر السابق ، ص ٢٢٩ .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٧٧ .

(٣) السابق ، ص ٥١٣ .

(٤) السابق ، ص ٥١٣ .

(٥) السابق ، ص ٥٥٤ .

وبمناسبة مرور خمسين عاماً على إنشائها وهو لا يزال طالباً فيها سنة (١٩٢٧ م)

نراه يحمل لواء الشعر فيها ويقوم ملقياً قصيدته التي مطلعها :

خلّ العذارى ، لا يرقنك منظراً هُنَّ الظباءُ صرغنَ آساد الشّرى ^(١)

فدار العلوم أمه التي علّمتها العفاف والطُّهر ؛ بل هي جنته التي نزل بها ، وكوثره

الذي ينهل منه :

قالوا عجبنا كيف تصدق في الهوى وتعفُّ في شرخ الشبيبة مئززا ؟

أوما ترى صرح الفضلية قد هوى باسم الهوى والحب ؟ قلت : نعم ، أرى !

لكنها دارُ العلوم أمومي لتي قد علمتني أن أحبَّ وأطهِّـرا

دارُ نزلتُ بها ؛ فكانت جنَّةً ووردت منهلها ؛ فكانت كوثرًا ^(٢)

وبعد هذا التجوال في سماء معاقل تعليمه الرسمي يتبين لنا أثرها الكبير في نفسه ، إذ

مكنته تلك المعاقل من التغذي بالثقافة العربية الأصلية . فجاءت عباراته عالية المتزلة في

البلاغة فصاحة وبياناً . فأنج لنا هذا التراث الشعري الضخم الذي سدَّ به فراغاً كبيراً في

المكتبة العربية .

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٨٢٨ .

(٢) السابق ، ص ٨٢٩ .

ثالثاً : الثقافة الشخصية

✻ أدبية .

✻ تاريخية .

✻ دينية .

تنوعت مصادر ثقافة غنيم الشخصية (التثقيف الذاتي) إلى ثلاثة مصادر رئيسة هي :

- الأدبية .

- التاريخية .

- الدينية .

● الثقافة الأدبية

فعندما نتحدث عن ثقافته الأدبية لابد أن نشير إلى موهبته الأدبية التي استطاع أن ينقيها ويصقلها بحسن اطلاعه وقراءاته المتعددة . فمن خلال قراءة الديوان يتعين للباحث البعد الثقافي الذي يتميز به الشاعر .

وإذا كان للمدرسة والمعاهد الدينية وكلية دار العلوم أثرها الفاعل في تكوينه الثقافي . فإن شغفه بالقراءة أعم وأشمل لاسيما أنه كان يجد المتعة والسرور والفائدة والقدرة على الفهم والاستيعاب في التعليم الذاتي أكثر من تثقيف المدرسة التي تعتمد على التلقين والتدريس والخصوصية المنهجية . فكان يأخذ المعرفة من مختلف ينابيع العلوم الأدبية المختلفة متوخياً في كل ذلك حُسن الاختيار والدقة المتناهية في أخذ المعلومة من المصادر الصحيحة الصافية .

فنجده وهو صغير مولعاً بقراءة كتب التراث العربي القديم فكان أبوه ما يبرح أن يشجعه ويدربه ويرصد له الجوائز التشجيعية حينما كان يقرأ على مسامعه تلك الأشعار الحماسية مما ينسب إلى عنترة ، بالإضافة إلى شعر الحكمة المنسوب إلى علي بن أبي طالب . فهذه القراءات المختارة لهذه الأشعار المفعمة بالحماسة والحكمة في هذا الوقت المبكر من سنه كان لها أكبر الأثر في " تذكية الشعور وتنمية المواهب ، وتحريك الإحساس " (١) .

ولم يكتف غنيم بهذا القدر من القراءة ؛ بل إنه قرأ أمهات الكتب والدواوين التي كانت متوافرة في مكتبة أخيه أحمد الذي يكبره بعامين ، بالإضافة إلى ما كان يقتنيه هو من مصروفه الخاص كالبيان والتبيين للجاحظ ، والأمالى للمرتضي (٢) .

(١) من تاريخنا المعاصر ، ص ١٧٩ .

(٢) محمود غنيم وشعره ، ص ٩٥ .

فتكوّن لديه بذلك مخزون ثقافي أدبي واسع اخترنته ذاكرته ، وتعلق في أعماق نفسه ، وكونّ منه كترًا ثرياً من الأدب استمدّه في شعره وصوره ومعانيه وأفكاره .
والواقع أن غنيماً لم يقصر قراءته على عصر دون عصر أو كُتب دون كتب ؛ بل كان معجباً بشعراء العصر العباسي وخاصة شاعر الطبع أبو عبادة الوليد بن عُبيد البحرّي الذي يُعد من أبرز شعراء الطبع الأصيل في عصره . ^(١) فقرأ ديوانه وتمثل أشعاره وتأثر بمذهبه الشعري "وما أكثر وأقوى وجوه الشبه بين الشاعرين في طلاوة الشعر وسلاسته وجمعه بين الفكرة والأسلوب " ^(٢) . وقد شارك (غنيم) في مهرجان البحرّي الذي أقيم له في دمشق ، وأنشد قصيدته (في مهرجان الوليد) إيماناً وعرفاناً بقيمة هذا الشاعر الذي بلغ ذكره الآفاق ، ومما جاء فيها قوله :

حين غنت دمشق شعر الوليد	قالت الطير : يا دمشق أعيدي
روضة البحرّي منبت ريشي	وبها قد نشأت واشتد عودي
وأحب القريض سمح المعاني	مشرق اللفظ شاجي الترديد ^(٣)

وإذا كان شاعرنا قد قرأ لأبي عبادة البحرّي ، وأعجب بشخصيته ، واستوحى منه الكثير من المعاني والأفكار ، فإنه قد أعجب بشاعر عباسي آخر عُرف بفلسفته وعمقه الثقافي هو أبو الطيب أحمد بن الحسين المتني . فانكب على ديوانه وحفظه ، وتأمل في شخصيته واستوحاها ، واتخذه مثلاً أعلى في الشعر خاصة فيما يتعلق بشعر المناسبات ، فنراه " لا تمر مناسبة أدبية أو نقدية يشترك فيها إلا وتمثال المتني أمامه ، يستدل بشعره ، ويحرك لسانه بأدبه " ^(٤) . انظر إليه وهو يتمثل شخص المتني في قصيدته التي قالها في تكريم طه حسين :

أعد يا شعرُ أحمد ، من جديـد	يصوغُ ثناءه في ابن العميد
وأقسم ، مارفعتُ بذاك طه	فأين ابنُ العميد من العميد ؟ ^(٥)

(١) انظر : شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، ص ١٨٨ .

(٢) دموع ، من كلمة الغزالي حرب ، ص ١٧ .

(٣) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٦٢٩ ، ٦٣١ .

(٤) محمود غنيم وشعره ، ص ٩٦ .

(٥) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٥٣٧ .

ومن الغرابة على أي شاعرٍ مثل غنيمٍ لاسيما وأنه - معلمٌ للغة العربية وآدابها - ألا يكون قد قرأ الأدب الجاهلي والأموي ، وتأثر بقصائد الفحول والعمالقة من الشعراء في تلك العصور .

أما إذا انتقلنا إلى الأدب في العصر الحديث فنجد أنه قد قرأ لشعراء النهضة الحديثة أمثال البارودي . وشوقي . وحافظ . يقول الدكتور خفاجي : " كان إعجابه بأحمد شوقي يضاهي حبه وإعجابه بأحمد المتنبّي ، ويرى أن الأحمدين هما عمود الشعر ، وهما منارةُ الشاطئ ، وما بعدهما قد يكون لمعات وإشعاعات لاتصلُ إلى قوة المنارة " (١) . وتأثره بحافظ واضحٌ وجلّيٌّ فنراه يقابله في أشعاره الاجتماعية والوطنية حتى عن بعض النقاد والأدباء أن يلقبوه بخليفة حافظ لما بينهما من تشابه قوي .

وقد اطلع الشاعر أيضاً على ما كتبه الأدباء في محيطه الأدبي أمثال العقاد وطه حسين ، وتوفيق الحكيم ، وإبراهيم ناجي ، والجارم ، وغيرهم كثير .. وقد كان للصحافة والمجلات الأدبية دورها الكبير في تثقيفه كمجلة (الرسالة) الغراء التي كانت تنشر له شعره .

● الثقافة التاريخية :

أولع غنيمٌ بالقراءة والاطلاع والتثقيف المستمر في شتى العلوم والمعارف ، وأخذ يحظّ وافراً من الثقافة التاريخية ، واهتم بقراءة التاريخ القديم خاصةً التاريخ الإسلامي الحافلُ بأبجاء أُمته وبطولاتها ، وانتصاراتها وتقدمها في سائر العلوم والمعارف ، فقد كانت مبعثَ الحضارة ومصدرَ النور الإلهي . ومنارةٌ جامعةٌ للإسلام والمسلمين . فاستمد كل ذلك في شعره كقصيدته المشهورة (وقفه على طلل) .

وكان مولعاً أشد الولع بتاريخ مصر وأمجادها ، وبما كانت تحويه من حضارات فرعونية وقبطية ، ثم الحضارة الإسلامية التي علت كل الحضارات .

ولم يستعقم في قراءة التاريخ القديم وحده ، بل اطلع على التاريخ المعاصر لأُمته ، وللأمم الأخرى المجاورة ، وقرأ أيضاً مذكرات العظماء والسياسيين . وقصائده في الاستعمار وفي مناهضة العدو الإسرائيلي وفي ماضي أُمته وفي الثورة والحضارة والقومية والاجتماع خير

(١) من تاريخنا المعاصر ، ص ١٨٢ .

دليل على ظهور الأثر التاريخي في شعره . كما أن لرحلاته وأسفاره في البلدان العربية المجاورة ومشاهدات حضارتها وقراءة تاريخها أكبر الأثر في تثقيفه واستزادته بكل ما هو جديد . وما سفره إلى فلسطين وغزة والتي يصعب السفر إليهما في الوقت الحالي إلا تأكيد على حبه للاطلاع واهتمامه بأحداث التاريخ المعاصر .

● الثقافة الدينية :

ينبغي ونحن بصدد الحديث عن ثقافة الشاعر الشخصية ألا نغفل ثقافته الدينية الأصيلة ، التي استمدتها من نشأته المباركة في تلك القرية برعاية والده وإخوانه ففي القرية حفظ القرآن الكريم وهو صغير ، ثم التحق بالمعاهد الدينية فتعمق في دراسة القرآن ، مع حفظ كثير من الأحاديث النبوية المطهرة التي كان لها أكبر الأثر في توجيهه وتقويمه التقويم الديني الصحيح ، ولم يغفل قراءة السيرة النبوية المطهرة المشتملة على سيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وأخلاقه الفاضلة ، وما واكبها من أحداثٍ جلية ، وغزواتٍ مباركة ، كما أحب قراءة سير الصحابة الصادقين . والخلفاء الراشدين وما اشتملت عليه حياتهم من أحداث عظام ، وكيف نهضوا بالدولة الإسلامية ، وحققوا العدل ، وأقاموا القضاء ، وسيروا الجيوش واهتموا بالفتوح . وديوانه مليءٌ بالقصائد الخالدة التي تناول فيها كثيراً من هذه المناسبات الدينية كالمولد النبوي واستلهام شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم فيه ، والحديث عن حادثة الإسراء والمعراج ، وعن الهجرة المباركة وما تخللها من مشاهد وعبر ، واستلهم في مجموعة من قصائده الغزوات الإسلامية ، وشخصيات كثيرٍ من الصحابة الكرام . كما أنه خصص قصائد بعينها يستلهم فيها شخصيات إسلامية معينة كشخصية الفاروق ، والقائد خالد بن الوليد ، وفي العصر الأموي له (أسطول معاوية) ويستوحي شخصية هارون الرشيد الحكيم والعاذلة . وتتجلى ثقافته الدينية في قصائده التي قالها في الحج والزيارة ووصف المتنسكات بالحرم ، وفي قصائد العيد وفي حديثه عن (الأذان) ودعوته إلى الأخلاق الإسلامية كالسماحة والعدل والصبر ، ونصح الشباب وتوجيههم والدعوة إلى طلب العلم والصبر في تعلمه واليقين الصادق في قضية الموت والاستعداد له . كل تلك القصائد والمعاني والأفكار استمدتها من ثقافته الدينية. وسوف ترى تلك النماذج عند حديثنا عن مثيرات الإبداع عنده .

انظر إليه وهو يدعو الشباب إلى التمسك بالفضيلة ، والالتزام بالأخلاق الكريمة ،

ويعيب على من أطاع هواه واتبع شهواته :

ابنوا على أسس الفضيلة مجدكم	تبنون مجداً ليس بالمتداعــــــــــــــــي
ما خير علم لم يزود ربــــــــــــــــه	بكریم أخلاق ، وحسن طبــــــــــــــــاع ؟
أو مارأيت العلم ينقض ما بــــــــــــــــنى	ويهدد العُمران بالإشــــــــــــــــعاع ؟
إني لأبرأ من شباب عابــــــــــــــــث	رخو إلى غير المكارم ســــــــــــــــاع
إن يدعُ داعي الهوى لــــــــــــــــجى ، وإن	نصح النصوح له فغير مطــــــــــــــــاع
الشعبُ بالأخلاق ينهضُ ، إــــــــــــــــها	جيشا : هجوم - للحمى - ودفاع ^(١)

وفي قصة (البعث) تظهر ثقافته الدينية للسيرة النبوية ، يقول في مدح الرسول :

ناشئٌ لم يقض في اللهو صبــــــــــــــــاه	عرف الله ؛ ولم يعرف ســــــــــــــــواه
ما انحنى للآت يوماً ، أو منــــــــــــــــاه	دانت الحكمة طراً لصــــــــــــــــي
من قريش لقبوه بالأــــــــــــــــمين ^(٢)	

وأخيراً أقولُ إن هذه الثقافات المتعددة من أدبية ودينية وتاريخية شكّلت منه شاعراً

مُبدعاً ، وكاتباً بارعاً ، وناقداً فذاً ومصلحاً اجتماعياً ، وداعياً قومياً ومعلماً تربوياً .

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٤٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٩٨ .

الفصل الثاني

مثيرات الإبداع

- ✱ مناسبات دينية .
- ✱ مناسبات وطنية .
- ✱ مناسبات قومية .
- ✱ مناسبات اجتماعية .
- ✱ مناسبات ثقافية .

المناسبات الدينية

يشغل الجانب الإسلامي حيزاً كبيراً في شعر محمود غنيم . وهذا بالطبع يعود إلى عدة أسباب منها نشأته الدينية المباركة إذ حفظ القرآن الكريم وهو يافع ، ودرسته الشرعية في المعاهد الدينية كالأزهر ومدرسة القضاء الشرعي ، وتأثره الكبير والواضح بدار العلوم ، ووجوده في عصرٍ كان للاستعمار فيه اليد العليا في محاربة العرب والمسلمين مما جرك في المصريين الشعور الديني والوطني في محاربة المستعمر وطرده من البلاد ، فإقليم كمصر كانت تتنازع فيه قوى الخير والشر لا بد أن سيكون مصدر إبداع وإلهام لكل شاعرٍ مسلم كيف لا وغنيم ابن مصر عاصر الاستعمار ، وذاق ويلات الحرب مع إخوانه ضد المستعمرين الإنجليز ، فتلك الأسباب السابقة أثرت تأثيراً قوياً وواضحاً في شعره ، إذ نظم مجموعة من القصائد الإسلامية ذات الموضوعات المتباعدة ، والمناسبات الدينية المتعددة ، فديوانه الضخم يطغى عليه الجانب الإسلامي والشعور الديني ، فنجد كثير الحديث عن الإسلام وفضائله ، وعن أثره وقوته ، كما نجد كثير الشكوى من الحال الذي آلت إليه الأمة الإسلامية ، وما أصابها من ضعف وتمزق وتفكك ، فنراه يدعو إلى وحدة الصف ، ووحدة الشعور ، ووحدة الأمة ، ولم الشمل واجتماعه ونبذ كل الخلافات الشائكة التي تشكل عبئاً ثقيلاً على الأمة ، كما أن شعره الإسلامي يظهر واضحاً وجلياً في كثير من المناسبات الدينية التي نظم فيها كثير من شعراء هذا الاتجاه أمثال شوقي وحافظ ومحمّر ، ومن تلك المناسبات الدينية الواضحة التي كانت مثيراً قوياً لإبداعه الشعري ما يلي :

١- المولد النبوي :

أكثر شعراء الاتجاه الإسلامي من ذكر هذه المناسبة الدينية التي تدرج ضمن المدائح النبوية ، وعُرفت هذه المناسبة بأنها : " لونٌ من التعبير عن العواطف الدينية ، وبابٌ من الأدب الرفيع ، لأنها لا تصدر إلا عن قلوبٍ مفعمة بالصدق والإخلاص " ^(١) . وهي من المناسبات الدينية التي كان معظم الشعب المصري يحتفل بها كل عام لما يرى فيها من شدة التعلق بالإسلام وبالنبي (صلى الله عليه وسلم) .

(١) د. زكي مبارك : المدائح النبوية في الأدب العربي ، د. ط (منشورات دار المكتبة العصرية ، د. ت) ، ص ١٦ .

ولا أريد في هذه الدراسة الأدبية التي تتناول مصادر إبداع الشاعر أن أتطرق إلى حكم الاحتفال بالمولد النبوي وما يصاحبه في هذا الزمان من البدع والخرافات التي طغت عليه في كثير من الأحيان ، وإنما أريد أن أتحدث عن أثر هذه المناسبة في قصائده وأشعاره ، بوصفها مثيراً من مثيرات إبداعه الشعري .

وشاعرنا في هذا الباب قد سار على نهج سابقه من الشعراء الذين تناولوا هذه المناسبة الدينية فكرر المعاني والأفكار التي طالما ذكرها البوصيري ، وشوقي ، وحافظ ... وغيرهم . وكانت الشخصية الحمديدية هي الموقد الأول لهذه المناسبة كيف لا والنبى عليه السلام : " قد شغل الشعراء منذ بدء البعثة الحمديدية ، وقبلها ، وحتى اليوم ، إلى أن يشاء الله باعتباره عنصراً أساسياً في الحركة الاجتماعية والحضارية على كافة المستويات ، لدى المسلمين وغيرهم على السواء " (١) .

ففي قصيدته (ذكرى محمد) يرى أن الاحتفال بمولد الرسول مناسبة عظيمة فهو ميلاد نبى جليل لا ميلاد رجل مخترع أو مكتشف ، فلولاه عليه السلام لا نقطع الزمان عن بعضه ، فلقد أسس حضارة إسلامية تكفلت بأن تكون حلقة اتصال وثيقة بين الحضارات القديمة والحضارات الحديثة :

هو عيد ميلاد ابن عبد مناف	لا عيد مخترع ، ولا كشاف
أكبرت قدرك - يابن عبد الله - عن	تأليف أوزان ، ونحت قواف
لولاك لانقطع الزمان ، فلم تكن	حلقاته موصولة الأطراف
دجت القرون ، فقام دينك حارساً	يحمي دمار حضارة الأسلاف (٢)

ثم يشير إلى مولد الرسول وكيف أن الوجود قد اهتز بكفه وهو لا يزال في مهده ، ويبرز بعض الملامح الخاصة بالرسول - عليه الصلاة والسلام - فهو يتيّم وفقير لكنه مخلوق من أصفى وأطهر طينة على ظهر البسيطة :

هزّ الوجود بكفه في مهده	طفل يتيّم من كنانة عفاف
-------------------------	-------------------------

(١) حلمي القاعود : محمد صلى الله عليه وسلم في الشعر الحديث ، الطبعة الأولى ، (المنصورة : دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٧م) ، ص ٥٢١ .

(٢) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٨٧ .

جادت به الفلواتُ أصفى طينةً وطويةً من جوّهن الصّافي (١)

وقد استطاع الرسول القائد الأمي أن يكون رمزاً للقيادة العليا إذ استطاع أن يخضع القياصرة والأكاسرة تحت حكمه وهم مرغمو الآناف ، وأن يكون مرشداً دينياً بارعاً في نشر مبادئ الدين التي اجتاحت الحصون قبل السيوف والقنا ، فكأنها سحر قد لامس القلوب دونما تعب ، ويرد على من قال إنَّ الرسول لم ينشر دينه إلاّ بالسيف وإراقة الدماء ويوضح أن تلك المبادئ الإسلامية قائمة على ركيزتين هما : الحق ، والإنصاف :

فإذا الأكاسرُ خاضعون لحكمه	وإذا القياصرُ مرغمو الآناف
فتحت مبادئه الحصون أمامه	قبل الصّوارم والقنا الرّعاف
غزت القلوبَ بسحرها ، فكأنها	قد لامست منهن كل شغاف
أين الذي يغزو القلوب من الذي	يغزو الرّقاب بحدّة الأسيف ؟
تلك المبادئ - وهي شتى - جمّعت	في مبدئين : الحق ، والإنصاف (٢)

ولقد كان الرسول علاوة على ذلك ، اجتماعياً ناشطاً إذ قرّر مبدأ الأخوة بين الناس بعد التناحر والشقاق ، وذلك بفضل ما أتى به من إعجازٍ بليغٍ تمثل في كتاب الله الحكيم ، الذي لانت منه القلوب بعد جفاء ، والرّماح بعد عداء :

أخي ابنُ عبد الله بين معاشر	يتناحرون تناحر الأخيـاف
لانت قناتهم لدعوته ، ومـا	لانت قناتهم لغمز ثقـاف
هذا هو الإعجاز ، لـابـحر ، ولا	قمرٌ قد انشقا إلى أنصـاف
آيٍ من الذكر الحكيم أتى بهـا	فإذا القلوب تليّنُ بعد جفـاف (٣)

ويُنَدِّدُ الشاعر بالكفرة المجرمين الذين اهتموا الرسول بالسحر والشعوذة والكهانة ، وأنّ ما جاء به من قرآن ومعجزات سحرٌ قويٌّ كان تأثيره واضحاً على القرشيين ، ويرجع الشاعر ذلك إلى الإيمان الحقيقي والنور الإلهي ، ويبين أثر الإيمان في القلوب ، وأنه الوسيلة الحقيقية للنصر على الأعداء :

(١) المصدر السابق ، ص ٨٧ .

(٢) السابق ، ص ٨٧ وتاليها .

(٣) السابق ، ص ٨٨ .

عجباً ! أ جاءَ محمدٌ بالسحر في
أقسمتُ ، ما كان النبيُّ ، محمدٌ
لكنه الإيمان من يظفرُ به
لو يرزقُ الإيمان طودٌ ، لارتقى
هذا الذي جعل النبيَّ ورهطه
آياته أم شأها بسُـلاف ؟
بمشعوز ، كلا ، ولا عـرَّاف
يلق المفاوز سهلة الأكنـاف
بقوادم من ريشه وخـواف
إن حاربوا، انتصروا على الأضعاف^(١)

ولم تكن الشخصية المحمدية التي طالما تحدث عنها الشعراء مثلاً للدين والقيادة والاجتماع والمثل الإنسانية الكاملة فحسب ، بل كانت رمزاً للحضارة الإسلامية والعربية . فـقارن شعراء هذا الاتجاه بين معطيات الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية " وقد كانت المقارنة بين المدنية الغربية والمعطيات الإسلامية من خلال الشخصية المحمدية عنصراً بارزاً في أعمال الشعراء حيث ركزوا على إبراز الجوانب الحضارية التي تحت عليها الشخصية المحمدية في العلم والقوة والتفوق والبطولة " ^(٢) .

انظر إلى غنيم وهو يعقد تلك المقارنة بين الحضارة الغربية والحضارة العربية من خلال شخصية الرسول الحضارية :

قم سائل الأعراب : آيةٌ دولة
بذت " أثينا " في الحضارة أمةٌ
شغلوا بفلسفةٍ وعلمٍ بعدمـا
تخدوا القصور مساكن وتسربلوا
فإذا الجزيرة بعد جذب جنة
يارب أسطول بنوه كأنـه
السوقة الأجلاف قد حكموا الوري
ما شئت من : عدل ، وتسوية ، ومن
فمضوا بها حملاً على الأكتاف
لم تأو غير مضارب وفيـاف
شغلوا بوصف منازل وآثـاف
بالخز ، لا الأوبار والأوصاف
مياسةٌ مُهتزةٌ الأعطـاف
بحرٍ خضمٌ فوق آخر طـاف
أنعم بحكم السوقة الأجلاف !
شورى ، فيا لثلاثة أحلاف ! ^(٣)

(١) المصدر السابق ، ص ٨٨ .

(٢) محمد صلى الله عليه وسلم في الشعر الحديث ، ص ٥٢٤ .

(٣) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٨٩ .

وقد صور غنيم في قصيدته الثانية (مولد الهادي الأمين) فرحة الكون ، واستبشار السموات بمولد النبي ، فغرّدت الحور في الجنان بقدمه ، وسرت من أجله النجوم في السماء سُعوداً ، فبدأها بهذه المسألة اللطيفة مع النفس :

سائل الكون : هل عرفت الوليداً هزّ في مهده الصغير الوجــــودا ؟
أيُّ بشرى إلى السموات زُفّت ردّتها أملاكها تردّيــــدا ؟
غردي في الجنان يا حور ، نشوى واسر ، يانجم ، في السماء سُعودا ^(١)
ثم يمدح الرسول ويذكر بعض شمائله وصفاته التي عرف بها كالصدق والأمانة والاصطفاء والنور والهداية :

وُلد المصطفى ! سلامٌ عليه ما حبا ، أو مشى ، أو اشتدَّ عودا !
وُلد الصادقُ الأمين ، فيا شمســــة مس أطلّي ، وباركي المولــــودا
اقبسي النورَ والهداية منــــه إن من يهتدي به لن يحــــودا
نورُ طه من وجه ربّ البرايا وحده جلّ وجهه معبــــودا ^(٢)
وقد علّم الرسولُ اليتيمُ العربَ أصول القيادة والرئاسة فهو "القائد المنتصر، والقائد المتحضر، والقائد المتفوق" ^(٣).

فلمّ الشمل وشحذ العزم ، متحلياً في ذلك كله بالصبر الجميل ، و متمسكاً بأخلاق سمحة ، وبيان عذب :
الوليدُ الذي تربى يتيماً علّم العُربَ كُلها أن تســــودا
شاحداً عزمهم ، وكان كهاماً جامعاً شملهم ، وكان بديــــدا
ساحراً لا يجبله وعصاه بل بخُلُق سمح يروض الأســــودا
وبيانٍ من ذاق حلو جنــــاه عاف بنتَ العُنقودِ والعنقــــودا ^(٤)

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٩٢ .

(٢) السابق ، ص ٣٩٢ ، وتاليتها .

(٣) محمد صلى الله عليه وسلم في الشعر الحديث ، ص ٥٢٤ .

(٤) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٩٣ وتاليتها .

ويتناول في معرض حديثه عن المولد - وكما هي عادة الشعراء الإسلاميين - أهم معجزة أتى بها الرسول وهي (القرآن الكريم) :

النبيُّ الأُمِّيُّ جاء بـــــــآي	تركت سادة البيان جمـــــــودا
أخرست كل ناطق ، تركت كلَّ	لسان من عيِّه معقـــــــودا
حرَّك الصَّمَّ إذ تلاها عليها مــــم	وتغالى فحرك الجلمـــــــودا
وألان القلوب وهي غــــلاظٌ	يُشبه الصخر طبعُها والبيــــدا ^(١)

ومن معجزاته الخالدة أنه على أميته جاء بشريعة صالحة لكل زمان ومكان :

النبيُّ الأُمِّيُّ لم يدرك العلـــــــم	مُ قرارا لدينه أو حـــــــدودا
شرعة ظللت بأدواحها مــــن	حلَّ بيذاً ، أو حلَّ قصرا مشيــــدا
كلما مرت العهودُ عليها مــــا	أثبتت أنها تجاري العهـــــــودا ^(٢)

ويستلهم شاعرنا من السيرة النبوية في قصيدته (قصة البعث) بعض الأحداث التي واكبت حياة الرسول عليه السلام قبل هجرته المباركة . ومن أهم وأبرز تلك الأحداث والقصص (حادثة الحجر الأسود) حينما اختصمت قبائل قريش بشأن من يضعه في مكانه وهم يجددون جدار الكعبة وكيف أن الرسول استطاع بحكمته حل القضية وحسم النزاع ، إذ أخذ بالحجر ووضعه في ثوب ، ثم أخذت كل قبيلة بطرف ، فأوحت هذه الحادثة لشاعرنا بهذه القصيدة الرائعة ، إذ يقول:

هل رأت " مكة " في يوم الحجر	وعيون القوم ترمي بالشـــــــرر
كيف ثارت فتنة بين الأســـــــر	ثم ساد الحلمُ بعد الغضـــــــب

حين مد الثوب " طه " باليمين ؟^(٣)

(١) المصدر السابق ، ص ٣٩٤ .

(٢) السابق ، ص ٣٩٤ وتاليتها .

(٣) السابق ، ص ٣٩٨ .

ويروي لنا قصة (غار حراء) حينما كان الرسول يتعبد فيه، ويصف مشهد الوحي عندما نزل إليه جبريل بأول سورة في القرآن وهي (اقرأ)، يقول مخاطباً الرسول عليه السلام:

أَيُّهَا النَّاسُكَ فِي غَارٍ حَرَاءٍ أَرْهَفِ السَّمْعَ رَوِيداً لِلنَّسَاءِ
هَاتِفٌ مِنْ عِنْدِ رَبِّ الْعَرْشِ جَاءَ يَا لَصُوتٍ مِنْ وَرَاءِ السُّحُوبِ
هتف : " اقرأ " باسم ربِّ العالمين ! ^(١)

وحينما دعا الرسولُ قومه إلى عبادة الله وترك عبادة الأصنام اعترضوا عليه وصمّوا آذانهم تكبراً وطغياناً، وطلبوا منه أن يكف عن الدعوة ، مقابل ما يعطى من جاه أو ما يأخذ من مال فأبى الرسول وامتنع ورضي بالزهد شعاراً له :

وَيَحِ أَهْلَ الشَّرِكِ عِبَادَ الصَّنَمِ إِنَّ دُعَاؤَ الْحَقِّ ، لَازِدٌ بِالصَّمَمِ
سَاوَمُوا الْمُخْتَارَ فِي اللَّهِ ، فَلَمَّ يَرْضُ بِالْجَاهِ ، وَلَا بِالنَّشَبِ
إنما الزُّهْدُ شعارُ المصلحين ^(٢)

وتشدُّ الشاعرُ مؤامرة قريش على الرسول حينما تسلّلوا إلى داره ليلاً لقتله، فحثا في وجوههم التراب، وخرج من أمامهم عياناً ولم يره أحد:

خَابَ جَمْعٌ بِالرَّسُولِ ائْتَمَرَا وَلَمَنْ أَرْسَلُهُ عَيْنٌ تَسْمُرَا
نَشَرَ الثَّرْبَ عَلَيْهِمْ ، وَانْبَرَا فَإِذَا أَبْصَارُهُمْ فِي حُجُبِ
ما الذي أعشى عُيُونَ المُشْرِكِينَ ؟ ^(٣)

وتشير قصة (غار ثور) تلك الحادثة التي نزل فيها قول الله تعالى ﴿ ثَانِيَا أَتَيْنَا إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ ^(٤). وكان بطلها الرسول عليه

(١) المصدر السابق ، ص ٣٩٨ ، وتاليتها

(٢) السابق ، ص ٣٩٩ .

(٣) السابق ، ص ٣٩٩ .

(٤) سورة التوبة ، آية ٤٠ .

سائل " الصديق " ماذا رَوَّعَهُ
فضله - سبحانه - ما أوسعَه !
وإلهُ العرش في الغار معه ؟
حلَّ ركبُ المصطفى في " يثرب "
فتلقَّوه لقاءَ الفاتحين

ولا يخلو مدح الرسول عليه السلام من الإشارة إلى غزواته المباركة التي قادها ضد المشركين فكانت أول غزوة له غزوة (بدر الكبرى) ، ولنستمع إلى الشاعر وهو يصف التقاء الجمعين، ويصور أجواء المعركة:

حدثني ، يا " بدر " عن صيدٍ كُـمَـاةٍ
لم تزل سيرُثُهم بعد الممـات
طلبوا الموتَ ، ففازوا بالحياة
قَصَصَ الدهر ، ونجوى الحقب
ولها في مسمع الدنيا رنين ^(٢)

مَنْ رَأَى شَعْباً شَتِيتاً مِنْ رُعَاةِ
أَصْبَحَتْ تَحِي لَه الدنْيا الجبَاهِ
أُمَّ فِي الْمَشْرِقِ "كَسْرَى" فَعَزَاهُ
وَتَحْدَى "قِصْرًا" فِي الْمَغْرِبِ
نَاشِرًا أَعْلَامَهُ فَوْقَ السَّفِينِ

(٢) السابق ، ص ٤٠٠ وتاليتها .

بدويّ علّم الدنيا الحضارة خذ الإنصاف والشورى شعاره
 فإذا الدنيا : ابتسام ، ونضارة يتساوى أهلها في الحسب
 لم لا ، والكُل من ماءٍ وطن ؟ ^(١)

٢ - حادثة الإسراء والمعراج :

لم يقتصر حديثُ غنيم في المناسبات الدينية على مولد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومدحه ، وذكر الأحداث التي وقعت في حياته ؛ بل تعدى ذلك إلى معجزاته الخالدة . ومن بين تلك المعجزات الحسية التي تناولها الشاعر ، وأفرد لها قصيدة طويلة من إبداعه معجزة (الإسراء والمعراج) . وشعراء الاتجاه الإسلامي كثيراً ما تحدثوا عن هذه المعجزة باعتبارها مناسبة دينية يحتفل بها عند بعض المسلمين ، وعامة القول في ذلك " إن الشعراء لم يتركوا حادثة تتعلق بشخصية الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) إلا وعالجوها ، وأبرزوا من خلالها ملامحه الخاصة ، فتحدثوا عن الإسراء والمعراج والهجرة ، والمعاناة في سبيل الدعوة " ^(٢) .

ويقصد بالإسراء كما هو معروف في كتب السيرة : الذهاب بالرسول ليلاً إلى بيت المقدس ، وبالمعراج : الصعود إلى السموات العُلا .

وتوحي لنا قصيدته (أغنية الإسراء) بتلك العاطفة الدينية القوية التي يحملها الشاعر ، وتدل دلالة واسعة على سعة ثقافته وإطلاعه على كتب السير ، يقول مستوحياً معجزة الإسراء :

رَكْبٌ سَرى نحو بيت القدس مسـراه	شقَّ الفضاءَ - بلا ريش - جناحاه
من حوله سارت الأفلاك هاتفةً	جبريل يحدوه ، والرحمنُ يرعاه
مَنْ صاحبُ الركب قد حفَّ الجلال به ؟	هذا هو المصطفى أسرى به الله
أطاعه من بساط الريح جائحُهُ	كما دعاه سليمانُ فلبَّاه
سبعُ طباقٍ له الرحمن ذلَّهـا	وكيف لا ، وهو طاوئها يميناه

(١) المصدر السابق ، ص ٤٠١ .

(٢) محمد صلى الله عليه وسلم ، ص ٥٢٣ .

القدس رحباً بالهادي ، وهشّ لــــه إذ لامست جبهة الهادي مُصْلاّهُ ^(١)
ثم يصف لنا حادثة (المعراج) وما صاحبها من تطورات ، وكيف ماست وتمأيلت
(سدرة المنتهى) فرحاً بمقدمه ، ويشير إلى ما تناقلته الروايات من أن الرسول (صلى الله
عليه وسلم) رأى ربه ، وخاطبه مشافهة :

جَابَ السَّمَاءَ، فَرَّاحَ النِّجْمِ يَرُضُّهُ	وَيَقْبِسُ النُّورَ مِنْ زَاهِي مُحِيَّاهُ
وَوَدَّتِ الشَّمْسُ لَوْ تَبَدُّو أَشْعَثُهَا	لَيْلًا، لَتَنَعَّمَ عَنْ قَرَبٍ بِمَرَّاهُ
وَسَدْرَةُ الْمُنْتَهَى مَاسَتْ لِمَقْدَمِهِ	أَفْنَأْنُهَا، وَانْثَنَّتْ تَيْهًا بَلْقِيَاهُ
مِنْ سَدْرَةِ الْمُنْتَهَى أَصْغَى الْحَبِيبُ إِلَى	صَوْتٍ - يَجُلُّ عَنْ التَّشْبِيهِ - نَادَاهُ
فِي مَوْطِنٍ قُدُسٍ، تَعْشُو الْعَيُونُ بِهِ	تَكَحَّلَتْ بِجَمَالِ اللَّهِ عَيْنَاهُ ^(٢)

وفي آخر القصيدة وكما هي عادة الشعراء في هذا الباب يتوسل الشاعر بالرسول
(صلى الله عليه وسلم) ، ويطلب منه الشفاعة يوم الحشر ، راجياً منه القربى والمترلة
الرفيعة :

أَنْتَ الْحَبِيبُ الَّذِي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ	لَكَ الْوَسِيلَةُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْجُورُ
أَنْتَ الْمَشْفَعُ يَوْمَ الْحَشْرِ إِنْ شَعَلَتْ	كُلُّ أَمْرٍ عِنْدَ ذَوِي الْقُرْبَى خَطَايَاهُ
لَا أَبْتَغِي غَيْرَ قُرْبَى مِنْكَ مَتْرَلَةً	إِنْ بَاتَ يَبْغِي مُحِبُّ قُرْبَ لَيْلَاهُ ^(٣)

٣ - الهجرة النبوية :

تشكل هجرة الرسول المباركة مناسبة دينية عند بعض المسلمين يحتفلون بها ،
ويعلنونها، ويجتمعون من أجلها، وقد أجاد الشعراء الذين يمثلون الاتجاه الإسلامي في
تصوير هذه المناسبة واستلهاهم أحداثها من كتب السيرة النبوية المطهرة.

ويُقصد بالهجرة هنا : هجرة الرسول المباركة إلى المدينة بعد أن لقي من قريش
العذاب والعنت، وما ارتكبه في حقه من التكذيب والسخرية ، واتهامه بالأباطيل الكاذبة.
فهاجر الرسول إلى يثرب يطلب العون والمساعدة من أهلها ، وينشر دعوته بين ساكنيها ،

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٠٢ .

(٢) السابق ، ص ٤٠٣ .

(٣) السابق ، ص ٤٠٣ وتاليتها .

فصدقوه وأعانوه ورحبوا به هو ومن معه من المهاجرين ، وقد أشار القرآن الكريم إلى تلك
 الهجرة ، فقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا
 يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ
 شَحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١)

ولنستمع إلى الشاعر وهو يستلهم أحداث هذه الهجرة من القرآن والسنة ، ويصف
 لنا هجرة الرسول في جنح الليل خفية من قريشٍ قاصداً المدينة:

أيُّ ركبٍ دبَّ في جوف الفلاة	يقتفي التاريخ في شوق خطاه؟
تحت جنح الليل يسري خفية	في سبيل الله والحق سـُـراه
يقطع الليل مسيراً، فإذا	وشت الشمسُ به، ألقى عصاه
وقريشٌ خلفه لاهثة	تسأل الركبان عنه والمشاه (٢)

ويصف فرحة أهل المدينة المنورة عندما قدم الرسول إليها ، مضمناً أبياته نشيد
 الأنصار حينما استقبلوا الرسول وصحبه :

حلَّ ركبُ المصطفى في يثرب	كيف لا ، والله يرعى من رعاه ؟
رحبت يثربُ، بل أَلقت على	أذنُ الدهر هتافاً، فوعاه
"طلع البدر": نشيدُ خالِد	كلما رده الدهرُ شجاه
بشرَّ الشرك بموتٍ عاجلٍ	أيها الشركُ، دنا يومُ الوفاه (٣)

٤ - عيد (الفطر) :

يشكل (العيد) مناسبة دينية غالية عند المسلمين لما فيه من فرحة ورحمة بينهم ،
 وهو رمزٌ للمحبة والعطف والخير بين أفراد المجتمع المسلم، لذا فإن غنيماً قد أفرد له قصيدة
 (طلعة العيد) يخصُّ بها عيد (الفطر) المبارك الذي يلي شهر الصوم مباشرة .

(١) سورة الحشر ، آية ٩ .

(٢) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٦٦٧ .

(٣) السابق ، ص ٦٦٩ .

فَنراه يصوّر فرحة المسلمين ، واستبشارهم به، ويصف نفوسهم الطاهرة بعد انقضاء الصيام ، ويشير إلى المعاني السامية والجليلة التي يرمز إليها كل من الصيام والعيد في آن واحد :

فرحة المسلمين والإسلام	طلعة العيد إثر شهر الصيام
يفطر الصائمون فيه على أجـ	ر من الله، وهو خير طعم
كلما لاح فجره، استقبلته	أنفس طهّرت من الآثام
إنما تطهر السرائر بالصـو	م ، وتصفو صفاء ماء الغمام
لك يارب في الصيام وفي الفطـ	ر معان دقت عن الأفهام ^(١)

ويجسد من العيد شخصاً آخر فيخاطبه بأن يطل ويشرق بابتسامته وفرحته لينقشع الظلام عن وجه الأرض التي تجهّمت واسودّت من آثار الظلم والبطش والفساد:

أيها العيد قد تجهّم وجهه الأ	رض، فاطلع بثغرك البسّام
قبس أنت في ظلام الليالي	وظلال في مهمه الأيـام ^(٢)

ثم يشير إلى بعض الأعمال الدينية التي يفعلها المسلمون في ذلك اليوم من تكبير وتهليل ، فتسري أصواتهم وألحانهم بها في تناغمٍ وتناسقٍ وترتيل ، محفوفةً بالروحانية والقداسة :

كبر المسلمون - حين تجلّيـ	ت عليهم - تكبيرة الإحرام
وأهلّوا كأنما جمعتهم	مكة بين زمزم والمقام
فسرى لحنهم إلى كل نفسٍ	سريان الشفاء في الأجسام
ما أحبّ التكبير في بكرة العيـ	د نشيداً مرتل الأنعام ! ^(٣)

ثم يناديه مرّةً أخرى بأن يُعلّم الناس معنى الحب والوئام بدلا من الكره والشقاق وأن يسكب في النفوس الأنس، ويمسح دموعه اليتيم والفقير ، وأن يملأ الأرض والبحر

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤١٢ .

(٢) السابق ، ص ٤١٣ .

(٣) السابق ، ص ٤١٣ .

سلامًا ؛ لأنه رمز للسلام ، وينشر الأمن في كل مكان ، وأن يُعلّم الناس الصفاء والود بين ذوي الأرحام ، وبني الأعمام:

أُيِّها العيدُ ، لَقِّنْ الناسَ درسَ —	— حبّ ، واعزف لهم نشيدَ الوئام
أُسكب الأُنس في النفوس ، وكفكف	من دموع العُفاةِ والأيتام
واملاً البرَّ واملاً البحر ، يا عي —	— دُ سلامًا ، فأنت رمزُ السلام
أنشر الأمن — أيها العيدُ — في كل	مكان مُرفرف الأعلام
علّم الناس أن يومك ي — وم	يتصافى فيه ذوو الأرحام
قل لهم: إنَّما الخلائقُ — مهمما	نرحت دورهم — بنو أعمام ^(١)

٥ - الحج :

فُرضَ الحجُّ في السنة التاسعة من الهجرة ، وهو الركن الخامس من أركان الإسلام الخمسة ، فأصبح واجباً ولازماً على كل مسلم بالغ عاقل أن يحج مرة في عمره متى استطاع ذلك ، قال تعالى حاثاً الناس على الحج : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾^(٢)

وقد كان الحج رمزاً مقدساً عند الشعراء فراحوا يتداولونه في أشعارهم منذ العصر الجاهلي . وقوي في شعرهم حينما جاء الإسلام وتحقق للعرب ما تحقق من وحدة الدين والتئام الشمل ، وفي الشعر الحديث : " أخذ الحج نصيباً موفوراً من الذكر ... ذكره الكثير من الشعراء الحجاج وغير الحجاج ، ذكره شوقي — وإن لم يحج — وقصيدته " إلى عرفات الله " مشهورة ، وغير شوقي شعراء كثيرون جداً .. " ^(٣) . وكما أكثر غنيم في الحديث عن المولد النبوي وما مر من مناسبات دينية فإنه قد أفاض في الحديث عن الحج

(١) المصدر السابق ، ص ٤١٣ وتاليتها .

(٢) سورة آل عمران ، آية ٩٧ .

(٣) عبد العزيز الرفاعي ، : الحجُّ في الأدب العربي لمحات عابرة ، الطبعة الأولى ، من منشورات المكتبة الصغيرة ،

١٣٩٥هـ ، ص ٥١ .

وأحواله وذلك لأدائه فريضة الحج أكثر من مرة ، ولهذا فإنه يجب إدراج اسمه ضمن قائمة (الشعراء الحجاج) . ففي قصيدته (في أرض النبوة) تظهر عاطفة الشاعر الدينية أيما وضوح ، فهذه الشعيرة الدينية (الحج) كانت مصدراً دينياً مثيراً لعاطفة الشاعر وإبداعه الشعري ، ففي مقدمة القصيدة يخبرنا أنه سمع صوتاً روحانياً عذباً من السماء يناديه بالتلبية والحج ، وقد لباه الشاعر وأجابه بنفس راضية ، وقلب خائف ، وعين تدمع :

صوتٌ من العالم العلويّ نـاـداـني	لبيكَ لبيّـك ! لاآن، ولا واني
ما أعذب الصّوت ! ما أشجاه من نغم	سمعته بجنـانـي لا بأذاني
وكيف تسمعه أذنٌ ، ويحملـه	موجُ الأثير حروفاً وهو روحاني
لبيته بفؤادٍ ملؤه وجـلـل	وصيبٌ من دموع العين هتان ^(١)

ويتساءل الشاعر كيف له أن يقف بباب الرسول وصحائف أعماله مليئةً بالذنوب والخطايا ، ثم يخاطب الأراضي المقدسة ويعترف لها بأن سبب بعده عنها يكمن في تقصيره وتفريطه ، ومع ذلك فإن يقين الشاعر بالله وحسن ظنه به ، وأمله في رحمة ربه قد قربته منها :

كيف الوقوف على باب الرسول ، وفي	يدي صحائفُ زلاّتي وعصيانـي ؟
دار النبوة ، ذنبي عنك أبعدني	وحسنُ ظني بربي منك أدنـاني ^(٢)

ويترجم الشاعر في تضرع ووجل مشاعره تجاه الأراضي المقدسة ويقرر أنها دائماً في باله وحسبانه، وأنها لم تغب لحظة واحدة عن خياله وأحاديثه ولوحه :

ما غبت عني ، وإن لم يمتلئ بصـري	من أهلك الصّيد أو من ربعك الغاني
قد كنتُ ألقاك في لوحـي ، وفي كـتي	وفي سطور أحاديثي ، وقـرآني
ما زلت رسماً جميلاً في مخيـلي	حتى كأننا التقينا منذُ أزـمان ^(٣)

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، من ٦٦١ .

(٢) السابق ، ص ٦٦١ .

(٣) السابق ، ص ٦٦١ .

ثم يتوجه بالخطاب إلى أهل مكة والمدينة الآمنين ، ويناديهم بقوله " يا جيرة الحرمين " ويهدي لهم تحياته العطرة الممتزجة برائحة الريحان الزكية ويذكرهم بما من الله به عليهم من شرف المكان والمكانة :

يا جيرة الحرمين الآمنين ، لكم
الله أورثكم مجداً يُقرُّ به
والله شرف مغناكم ، وشرفكم
أهدي التحية من روح وريحان
قبل الحبيب لسان الحاسد الثاني
خير البقاع أقلت خير سگان^(١)

ويشير إلى بعض ما امتازت به تلك البقاع الشريفة عن غيرها من الأمكنة كوجود ماء زمزم النقي الطاهر ، واعتبار تلك الأمكنة باب الوصول إلى جنات النعيم ، وفي تلك البقاع القدسية أقيمت أول جامعة إسلامية أسسها النبي الأمي وكان طلابها من أوائل الصحابة رضوان الله عليهم أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي الذين ساهموا في نشر العلم في ربوع العالم مبشرين ومصلحين ، وكان منهم القادة والحكام والساسة الذين ساسوا الشعوب بأحكام الكتاب المبين :

هنا رحيق ، عتيق ، حل مشرب به
هنا مفاتيح أغلاق السماء ، هنا
هنا بني المصلح الأمي جامعاً
ما كان طلابها إلا شراذم من
ربي العتيق أبا بكر بها ، وأبا
طلابها في ربوع العالم انتشروا
فيها تخرج سؤاس البرية من
ساسوا الشعوب بأحكام الكتاب ، فما
فيه طهارة أرواح وأبدان
باب الوصول إلى جنات رضوان
على أساسين من : علم ، وعرفان
رعاة إبل ، ومن عبّاد أوثان
حفص ، وربي عليا ، وابن عفان
مبشرين بإصلاح وعمران
أدنى المحيط إلى أقصى خراسان
أحسن شعب بجور ، أو بطغيان^(٢)

ويبين الشاعر أن سبب قوة أولئك النفر من الصحابة يكمن في تمسكهم بشعار التكبير (الله أكبر) الذي تفوقوا به على الفرس والرومان والجبابة العتاة :

(١) المصدر السابق ، ص ٦٦٢ .

(٢) السابق ، ص ٦٦٢ .

"الله أكبر" كانت سر قوتهم
شاد البداة حضارات بها، وبها
لا حصن قيصر أغنى عنه زحفهم
على الجبابر من فرس ورومان
ثلّو عروشاً، وسلّوا دُرّ تيجان
ولا احتفى منهمو كسرى بإيوان^(١)

أما سبب ضعف المسلمين اليوم فيعود إلى بعدهم عن الارتباط بالله ونسيانهم
التوكل عليه ، فأصيبوا بالضعف وغطوا في الوسن ، انظر إليه وهو يشكو إلى الله واقع
أمتة وحال قومه :

يا ويح قومي! نسوا الله الكبير ، فلم
يا ربّ شعبك يشكو ما أحاط به
أدرك بلطفك شعباً غط في وسن
يذكرهم الله ، نسياناً بنسيان
من الخطوب ، فأدرك شعبك العاني
على تخوم عدو غير وسنان^(٢)

ولا تخلو هذه القصيدة من مدح الرسول عليه السلام ، واستعطافه وطلب الشفاعة
والرحمة منه ، ويقرر أن مكانة الرسول أجل وأكبر من أشعاره ومزاميره التي ينشدها :

يا سيدّ الرسل ، لم أنشدك ممتدحاً
إني لأطرق باب المصطفى بيـد
وأبسط الكفّ أستجدي رضاه ، وما
فأنت فوق مزاميري وألحاني
بيضاء لم تتعود طرق بيـد
بسطة كفي لذي من وإحسان^(٣)

ويعقد الشاعر مصارحة مع نفسه ، يعترف فيها بالذنوب والإساءة ، ويتحدث عن
النفس الأمارة بالسوء وأن جهادها أصعب من جهاد الأعداء ، وهي أفتك من الشّبع
بالإنسان ، ويطلب من الله المغفرة والرحمة :

لا أكتم الله ما أسلفت من زلل
إذا جوارحي اللاتي جنت شهدت
جاهدت ، ياربّ، أعدائي فما وهنت
وهل يغطي عليه طول كتمانني ؟
بما جنت ، كان إقرارني كنتكراني
قواي، لكن جهاد النفس أعياني

(١) المصدر السابق ، ص ٦٦٣ .

(٢) السابق ، ص ٦٦٣ .

(٣) السابق ، ص ٦٦٤ .

والنفس أفتك بالإنسان من سبـع
أستغفرُ الله ! ذنبي لستُ أجحـدُه
يا ربّ ، إن لم تُقلْ ذا عثـرة ، فلمـن
ضار ، وأردى له من ناب ثعبان
لكن على الغير يلقي التهمة الجاني
ما في جنانك من حور وولدان ؟ ^(١)
والقصيدة مليئة بالتوبة والندم والاستغفار والمناجاة وطلب المغفرة والرحمة ، وكلها
مشاعر دينية فياضة ، وعاطفة صادقة نبيلة تحس بالندم والحسرة على ما اقترفت من
الذنوب والخطايا راجية من الله الكريم الأمل المضيء المشرق في المغفرة وقبول التوبة.
ونلمح في قصيدته (تحية وقضية) - التي أنشدها أثناء تأديته فريضة
الحج - التركيز على أمور تتعلق بالأمة الإسلامية منها :

الدعوة إلى الاتحاد والأخوة ووحدة الصف ، فيذكرهم بماضيهم العريق ، ويسدي
لهم النصح القويم ، وعدم الميل إلى العادات الغربية المشينة ، أو الانحراف في مجرى تياراتهم
المخزية ، ويشير إلى قضية عقدية خطيرة انتشرت عند بعض المسلمين وهي التبرك بقبور
الأنبياء والصالحين والتوسل بها لتحقيق نصرٍ سياسي أو غرض شخصي ، ويدعوهم إلى
العمل الجاد المثمر ، وحمل السلاح على الأعداء ، والجهاد في سبيل الله :

و بنصرهم نطق الكتابُ المـترلُ	المؤمنون بكل أرضٍ إخـوـةٌ
فلهم بفضل الوحدة المستقبـلُ	إن كان حاضرهم تجهم حقبـةٌ
صفاً ، كما سار الرّعيـلُ الأوّلُ	سيسودُ آخرنا بفضل وقوفنا
لسنا بغير سلاحنا نتوسـلُ	وسلاحنا الماضي وسيلة نصرنا
للغرب طرفٌ في السياسة أحولُ	لا تبسطوا للغرب ، يا قومي ، يدًا
أنّ الدّفين به نبيّ مُرسـلُ	لا تستمدوا النصر من قبرٍ ، ولو
بل قال - جلّ جلاله - : "وقل اعملوا"	ما قال ربك: بالقبور تمسّحوا

(١) المصدر السابق ، ص ٦٦٤ .

إني أقبلُ رأس كلِّ مجاهدٍ
 إن قبل الصخر الأصمَّ مُقبِّلُ^(١)
 وبعد أن يُذكر المسلمين بماضيهم المجيد ، وتاريخهم البطولي ، مستغلاً ذلك في
 تحميسهم على الجهاد والاستشهاد في سبيل الله :

إنا لنشهدُ أهل بدرٍ أننا
 في النصر أو نيل الشهادة نأمل
 ويقول قائلنا لدى استشهاده
 يا ليتني في كل يومٍ أقتل !
 أسلافنا في كل ملحمة لهم
 تاريخٌ مجدٌ بالدماء مُسجَّل
 لسنا بأجداد الأوئل نكتفي
 لكن كما فعل الأوئل نفعلُ^(٢)

نراه يقتضُ تجمع المسلمين في هذا الجمع العظيم المبارك ، ويعرض عليهم تفاصيل
 القضية الإسلامية الأم ألا وهي القضية (الفلسطينية) فيدعو المسلمين للدفاع الجاد عن
 الأقصى ، ويعرض مشاهد مأساوية لما ارتكبه اليهود بالمسلمين ، وما فعلوه من استبدادٍ
 وبطش بحق الشعب الفلسطيني ، كحرق الأقصى وإشعال النار فيه ، فينعتهم بالخزي
 والعار والفساد ، وأنهم شعبٌ يعوقُ ركب السلام والحضارة ، ويذكرهم بماضيهم الوخيم
 عندما طردهم الرسول من المدينة ، وأخرج منها أجدادهم من يهود بني قريظة وبني
 النضير :

عن ثالث الحرمين ندفعُ غضباً
 دخلته كالمكروب إذ يتسلَّل
 وعروقتنا تغلي بهنَّ دماؤنا
 فكأنما في كلِّ عرقٍ مرَجَلُ
 هم أشعلوا في المسجد الأقصى اللظى
 فليحترق بشواظها مَنْ أشعلوا
 شعبٌ تحامته الشعوبُ ، يكاد إن
 حملته أرضٌ تحته تتزلزلُ
 متفوقٌ في السخريات ، معوقٌ
 ركب الحضارة ، للفساد مُسبِّل
 سلُّ أرض يثرب عن يهود قريظة
 وبني النضير، يُجبك كيف استؤصلوا
 عرف اليهود محمدٌ فأبادهم
 ما ضرَّ لو بمحمدٍ نتمثِّلُ ؟^(٣)

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٦٨٩ وتاليتها .

(٢) السابق ، ص ٦٩٠ .

(٣) السابق ، ص ٦٩٠ وتاليتها .

ثم يدعو المسلمون إلى (الجهاد) وعدم الاسترخاء ، وأنه أفضل من التبتل
والتهجد ، ويطلقها صرخةً مدوية من مكة بأن يحمل المسلمون السلاح ؛ لأنه صار فريضةً
عليهم بعد أن استبيحت أرضهم وانتهكت محارمهم :

يا مَنْ بيت الله طافوا سبعةً	وتسكوا فيه ، وفيه تبتلوا
أعلمتموا وقد استبيحت أرضكم	أنَّ الجهاد من التهجد أفضل ؟
اليوم قد دخل العدو بلادنا	وغداً علينا في المخادع يدخل
إني لأطلقها بمكة صرخةً	مشوبةً ، في المشرقين تُجلجل
حملُ السلاح اليوم صار فريضةً	والزحف للدين الحنيف مُكْمَلُ ^(١)

والواقع أن غنيماً في هاتين القصيدتين الرائعتين لم يتطرق للأمور التي تتعلق بالحج
وشعائره ونسكه ، وإنما كان الحجُّ مناسبةً صالحةً وفرصةً سانحةً لعرض الأمور التي تتعلق
بالأمة ووحدها ومناقشتها مناقشةً صريحةً مستفيداً من تجمع المسلمين في مكة ، ولكنَّ
الحجَّ يبقى مناسبةً دينيةً رائعةً تمدُّ الشاعر بالصور الجديدة والمعاني الرائعة ، انظر إليه وهو
يصفُ مشهد النساء العابدات المنتسكات في الحرم المكي الشريف وقت الحج ، ويصورهن
تارةً بحمام الحرم ، وتارةً أخرى بسرب المها الحسان :

حيَّ حمائم الحرم	بالبيت سربها اعتصم
سربٌ من الآرام	حواه بانَّ أو علم
وهنَّ حسناوات جميلات لكنه حُسنٌ متوجَّ بالتقوى والورع :	
حسناً ، إلا أن هــ	هذا الحسن بالتقوى اتَّسم
يصوئها من كل ريم	سبة جلال وعظم ^(٢)

ثم يصف حللهن البيضاء ذات الطابع الإسلامي الأصيل ، فهي بيضاء فضفاضة لا
تشف عن مفاتن الجسم . يمشين بكل احتشام ووقار متمسكات بالحجاب :

(١) المصدر السابق ، ص ٦٩١ .

(٢) السابق ، ص ٧٥١ .

في حُلٍّ بيضٍ عليــــ	—ها طابعُ الزُّهد ارتسم
فضفاضةً ، لكنــــها	كالبدر فيها أو أتم
لا ثوبُها يـُخـصـرــــها	وشى ، ولا بالصدر نَم
والحسنُ كم يزداد حُســــ	نًا إن هو احتشم ^(١)

وفيض في الحديث عن طبائعهن وأخلاقهن فهُنَّ في الاحتشام والتستر كالرُهبان ،
وهنَّ فوق ذلك من النساء المؤمنات القانتات العابدات القائمات في الليل الدَّالِج :

في مسحة الرُّهبان لا	حت وهي من خير الأمم
مسلمةً ، قانتــــة	لله بارئ النــــم
قوامةً الليــــل إذا	جنَّ الظلامُ وادلَّهــــم ^(٢)

وبالإضافة إلى ما يتمتعن به من حشمة ووقار فإنَّ الشاعر يحاول أن يستقصي
بوضوح ودقة كحل مشهد من مشاهد أولئك الحسان داخل الحرم فهو ينقل إلينا أصواتهن
المتجانسة المتناغمة وهُنَّ يلين الله في خشوعٍ وندم :

في البيت قد سمعتهــــا	تدعو بصوتٍ من نغم
سمعتهــــا وهي تــــلــــ	بي في خشوعٍ ونــــدم
تلبيةً تــــكــــاد أن	تنفذَ في الصَّخَرِ الأصــــم ^(٣)

ويحاول مرّةً أخرى بكل إبداع ودقة أن يصور مشهد أولئك المتنسكات وهُنَّ
يطفنن بالبيت سبعاً ، وما يقمن به من أعمال نسكية أخرى كاستلام الحجر الأسود ،
والوقوف عند الملتزم ، وشرب ماء زمزم الطاهر وكيف يلتقي الماء مع الرّيق وقت الشرب
في عذوبةٍ وشبم وكلاهما بلسمٌ تلتئم به الجروح :

سربُ الظباءِ — ويحكــــم	على الطواف قد عــــزم
خلوا له طريقــــة	إن طاف سبعاً واستلــــم

(١) المصدر السابق ، ص ٧٥١ .

(٢) السابق ، ص ٧٥١ .

(٣) السابق ، ص ٧٥٢ .

هنا رأيت الحسن بالـ	سیر التقى والملتزم
والحجر الأسود بالـ	عقيق والدرّ الثم
خير صفاة في الوجـ	ود قبلت بخير فم
سلسل زمزم التقى	بريقها العذب الشبم
هذا وذاك بلسـم	إذا أسا الجرح التأم ^(١)

ويتابع الشاعر وصف أولئك النسوة الحاجات وهن يقمن بما تبقى من أعمال الحج فبعد أن طفن بالبيت ، اتجهن إلى السعي بداية بالصفى ونهاية بالمروة ، شاقات طريقهن المزدحم بكل هدوء ووقار ، وعين الله ساهرة تحرسهن وترعاهن ، والأملك كالأعلام فوق رؤوسهن ترفرف :

فديتها من الصفا	ساعية على قدم
ترفرف الأملك فـو	ق رأسها مثل العلم
تشق في هـوادة	طريقها في المزدحم
تحرسها إذا سعت	عين إله لم تنم ^(٢)

ويتوجه الشاعر بآلته التصويرية لنقل عمل نسكي آخر من أعمال الحج ، فيصور تلك الفئة من النسوة الحسنات وهن يرجعن الشيطان بالخصى سبعا عند الجمرات بأنامل لينة كشجر (العنم) ، فيندحر إبليس ويهب من مكمنه منهزما أمام طهر أولئك النسوة المتبتلات :

هنا رأيت الحسن من	إبليس بالرجم انتقم
كبرت سبعا ، وهي تر	مي الجمرات بالعنم
ياليت شعري - إذ رمت -	أغيط إبليس احتدم ؟
أم هب من مكمنه	يلثم كف من رجـم ؟

(١) المصدر السابق ، ص ٧٥٢ .

(٢) السابق ، ص ٧٥٢ .

إن ترمه اليوم ، فكــــم أمام طُهرها انهمزم ! ^(١)

ويعقد الشاعر عدّة تساؤلات مع صاحبه حول أولئك الحسان ، ففي البداية يأمر صاحبه بأن يقوم ويسأل إحدى الحسنات ماذا قدمن من الهدى بعد أداء ورمي الجمرات والطواف ؟ وهل هديها أحسنّ بالألم عندما نخرته ؟ ثم يسألها ثالثة هل هي كالناس أم أنّها ملك منزل من السماء جاء لينشر السلام والعدل في الأرض ؟ ، يقول :

قُمْ سائل الحساء : ما	ذا قدّمت من النعم ؟
سَلْ هديها - إذ نخرتــــ	هُ - : هل أحسنّ بالألم ؟
سلها : أنت مثلُ كلِّ	الناس من لحمٍ ودم ؟
أم ملكٌ مــــــزلّ	ينشرُ في الأرض السّلم ؟ ^(٢)

ويتمنى لمنّ في آخر القصيدة ألاّ يَكُنَّ قد عانين ما عاناه هو من السّقم ، ثم يدعو لمنّ بالفداء من كل مكروه وأن يجعل حجّهن مبروراً يمحو الذنوب الكبيرة والصغيرة ، وأن يكتبه الله لمنّ في اللوح المحفوظ ، فهنّ حكمةٌ في الحجّ كما أنّ الحجّ في نظره كله حكمٌ بالغة ومعاني جليّة سامية :

يا حلّو ، لا عانيتَ بعــــ	ض ما أعاني من سقم
نفسى لنفسك الفــــدا	من كل مكــــروه ألم
وحجة مــــبرورة	تمحو الذنوبَ واللّــــم
يخطُّها في لوحــــه	ربُّ العباد بالقلــــم
في الحجّ أنت حكمــــة	والحجّ كله حكم ^(٣)

(١) المصدر السابق ، ص ٧٥٣ .

(٢) السابق ، ص ٧٥٣ .

(٣) السابق ، ص ٧٥٣ .

مثيرات إسلامية متفرقة :

١ - أذانُ الفجر :

أثار أذانُ الفجر قريحة الشاعر وعاطفته الدينية المتأججة فشدا بهذه المقطوعة الشعرية ، أو قل الأنشودة الدينية ، فالأذان عنده أنشودة قدسية الألحان مصدرها الهاتف الرباني ، فكل شيء في الصباح يكبر ويهمل حتى الكون :

أنشودةُ الأذانِ	تسري إلى الآذن
قدسيةُ الألحان	من هاتف رباني
الصبحُ أسفر	والكونُ كُـرّر
اللهُ أكـبر !	اللهُ أكـبر ! ^(١)

وهو صوتُ حلو الصدى قوي السريان ، ينساب إلى الأذان كالماء الطاهر ، بل هو أصفى من القطر ؛ لأنه يدعو إلى الفوز وطلب الأجر :

صوتُ مع الفجر	حلوُ الصدى يسري
ينسابُ كالطهر	أصفى من القطر
يدعو إلى الذكر	والفوزِ والأجر ^(٢)

ويجعل الشاعر الطبيعة تشارك المصلين في الاستجابة لذلك اللحن الرباني ، فالطيور

قد أصغت له في الروضة ذات الأزهار العطرة وشاركته نداء الأمة وقت السحر :

لحنٌ بلا أوتار	أصغت له الأطيّارُ
في الروضة المعطار	نادى مع الأسحار
أنْ وحّدي القهّار	يا أمة المختار ^(٣)

وهذا الصوت الرباني وقت السحر يدعو إلى الصلاة وتوحيد الإله ، فمن أجابه

فقد نجى وحصل على الخير العظيم وهو دخول الجنة :

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤١٥ .

(٢) السابق ، ص ٤١٥ .

(٣) السابق ، ص ٤١٥ ، وتاليتها .

ووحدة الإله	يدعو إلى الصلاة
طوبى لمن لبَّاه	يدعو إلى النجاة
تعنو له الجباه ^(١)	وقال : يا ربَّاه

وفي آخر القصيدة يأمر النائمين بأن ينهضوا ويهبوا ويستحيوا لنداء الإله حتى
ينعموا بالخير العظيم :

ناداكم الربُّ	يا نُومًا ، هُبُّوا
من شاقه القرب	لُبُّوا التَّدا ، لُبُّوا
عن فرشه الجنبُ ^(٢)	من ربِّه ، ينبُّو

٢ - نشيدُ الأنصار :

استوحى الشاعر هذا النشيد الديني من نشيد الأنصار الذي استقبلوا به الرسول
عليه السلام حينما هاجر من مكة إلى المدينة ، وقد ضمنه منذ البداية كلمات ذلك النشيد
المذكور في كتب السيرة وهو :

من ثَّيات الوداع	طلَّع البدرُ علينا
ما دَعَا الله داع	وجبَ الشكرُ علينا
جئت بالأمر المطاع ^(٣)	أيُّها المبعوثُ فينا

ويشبه الرسول الأمين الذي أرسله الله رحمة بعباده المؤمنين بالنور المبين الذي ملأ
البرَّ والبحر حقًا ويقينًا وأمنًا :

نورُ خير المرسلين	طلع النورُ المبينُ
نورُ حقٍ ويقين	نورُ أمنٍ وسلامٍ
رحمةٌ للعالمين	ساقه الله - تعالى -

(١) المصدر السابق ، ص ٤١٦ .

(٢) السابق ، ص ٤١٦ ، وتاليتها .

(٣) السابق ، ص ٤١٧ .

فعلى البرّ شعاعٌ وعلى البحر شعاعٌ^(١)

ويسترسل الشاعر في نشيده المستوحى من نشيد الأنصار في وصف الرسول وذكر ما تمتع به من بيان قوي يعجز عن مثله البلغاء :

قوله قولٌ فصيحٌ يتحدى البلغاء^(٢)

ويتحدث عن بعض الأخلاق الحميدة التي جاء بها الهادي البشير كفك الأسير ، وإرشاد المخطيء والتائه ، وذلك بفضل ما أتى به من دينٍ واضح وصريح ، من تمسك به حصل على السعادتين في الدنيا والآخرة :

جاءنا الهادي البشير	مُطلقُ العاني الأسيرُ
مرشدُ الساعي إذا ما	أخطأ الساعي المسير
دينُهُ حقٌّ صُراحٌ	دينُهُ مُلكٌ كبرير
هو في الدنيا نعيمٌ	وهو في الأخرى متاعٌ ^(٣)

وهو نبيٌّ أتى بدينٍ جديدٍ هدم به الأصنام المعبودة وقتل كاللات والعزى ، فوحد الله ، ولم الشَّمْل ، وألّف بين القلوب ، وقرّر مبدأ الأخوة بعد صراع طويل :

ليس للآت مكانٌ	ليس للعزى ثبات
وحد الله ، ووحّد	شملنا بعد الشّتات
أنت ألّفت قلوباً	شفّها طولُ الصّراع ^(٤)

ثم يشير إلى موقف الأنصار النبيل حينما عاهدوا الرسول على أن يحاربوا معه ويساعدوه ويكونوا معه حتى لو خاض بهم البحر :

نحن أعطينا العهد	نحن لله جنود
خض بنا البحر ، نخضه	واقترح غاب الأسود

(١) المصدر السابق ، ص ٤١٧ وتاليتها .

(٢) السابق ، ص ٤١٨ .

(٣) السابق ، ص ٤١٨ .

(٤) السابق ، ص ٤١٨ وتاليتها .

ولنا نصر مبــــين أو لنا دار الخلود^(١)

٣ - تسيحات وابتهالات :

يلمس القارىء حينما يقرأ ديوان غنيم وضوح عاطفته الدينية القوية التي تطغى على بعض قصائده ، والترعة الإيمانية تتجلى واضحة في قصائده الدينية خاصة تلك القصائد المليئة بالندم والتوبة والاستغفار ومناجاة الرب .

ففي قصيدته (تسيح وابتهاال) نجده يسبح الله ويعظمه على عدله وجلاله وربوبيته متخذاً من الطبيعة الحية والصامته عنصراً فاعلاً يشاركه في هذا التسبيح والتعظيم ، فالحيثان في البحر والنجم في الفلك يسبحون الله ويخضعون له :

سبحانك اللهم ! ما أعدلك ! نحن العبيد نحن ، والملك لــــك
تعنو لك الحيثان في لجهــــا وكل نجم سابح في الفلــــك^(٢)
وعواء الذئب في الفلاة يوحى بالثناء على الله ، والطير إذا شدا دل على الاعتراف
بنعمة الله ، أما الحجر الأصم الصامت فقد هتف بأسماء الله الحسنى :

الذئب إذ يعوي بصحرائه يثني على الله وآلائه
والطير إذ يشدو على غصنه يقر لله بنعمائه
والحجر الجلمد في صمته يهتف بالله وأسمائه^(٣)

ويشتد تأمل الشاعر في الكون وعظمته ، وما فيه من مخلوقات دقيقة وعجيبة ، ويطرح على نفسه عدة تساؤلات حول ذلك الكون وما فيه من مخلوقات كلها تداعيات ونزعات إيمانية تدل على عظمة الخالق وسعة ملكه بعيدة عن الشك والظنون :

من علم النملة معنى العمل ؟ من ألهم النحلة صنع العسل ؟
من سير الأفلاك في دقــــة ؟ من سخر البحر ، وأرسي الجبل ؟
مَنْ مَلَأَ الدنيا بأســــرارهِ ؟ مَنْ كَوَّنَ الأكوان منذ الأزل ؟

(١) المصدر السابق ، ص ٤١٩ .

(٢) السابق ، ص ٣٩٠ .

(٣) السابق ، ص ٣٩٠ .

تباركت أسماؤه ! كلُّ مــــا
 في ذلك الكون على الله دلّ ^(١)
 ومن المعروف أنّ " الكون في التصور الإسلامي آية من آيات الله الكبرى ،
 وصورة فذة من صور قدرته العظمى ، وشاهد ما بعده من شاهد على وجود الله عز وجل
 وكماله وجلاله " ^(٢) .

ويمثل محمود غنيم الأدب الإسلامي خير تمثيل عندما يُعبر عن تجاربه الذاتية النابعة
 من النفس الإنسانية ، عن طريق الكلمة المؤثرة والمبدعة " والأديب المسلم حين يعبر عن
 حياته تلك ، وعن تجربته من خلال هذا التصور لا يمكن أن ينطق بلسان الآخرين أو
 يستعير أدواتهم ، لأنه يملك أدواته ، ويملك موهبته ، ويملك تصوره " ^(٣)

انظر إلى غنيم وهو يخاطب نفسه ويأمرها بأن تهيم في ملكوت الله من خلال
 التحرر من قيود الخداع والهموم والأمنيات الكاذبة ، يقول :

دعيني أنج من دنيا الهموم	وفي ملكوت عرش الله هيمي
دعي خدع المني يانفسس ، إني	أريد البحث عن عيشٍ كريم
لقد مَنَيْتَنِي دهرًا طويلاً	فعدتُ ، وما حصدتُ سوى هشيم
فأعطيني مقادك ، واتبعيني	أُقدك إلى الصراط المستقيم ^(٤)

ويستمر غنيم في تأنيب نفسه الأمّارة بالسوء ، فيأمرها بأن تحتنب الحقد والبغض
 والكراهية ، وألاًّ تحمل الضغن الدفين لأحدٍ من الناس ، بل تكون أرقّ من عبير الزهور :
 ألا ، يانفسُ ، ويحك ! لَسْتُ نفسي
 فسلي الضغن من صدري
 إذا حاولت نيلاً من غريمي !
 ورقني للأحبة والخصوم
 وكوني : من حباب الماء ، أو من
 عبير الزهر ، أو ألق الثجـوم

(١) المصدر السابق ، ص ٣٩٠ وتاليتها .

(٢) عبد الرحمن رفعت الباشا : نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد ، د.ط ، (الرياض : دار البردي للنشر
 والتوزيع ، د.ت) ، ص ١٠٣ .

(٣) محمد حسن بريغش : الأدب الإسلامي أصوله وسماته ، الطبعة الثانية ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م) ، ص ١٠٦ .

(٤) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٧٥٥ .

أحبي كلَّ حيٍّ ، لا تَحْصُرْني
 بحُبِّك كلَّ ذي وجهٍ وسيِّم^(١)
 ويدعو نفسه إلى التفاؤل المشرق، وإلى الأمل الباعث إلى السعادة ، وعدم المبالاة
 لمشاكل الحياة المعكرة لصفوها ، وأن تلتجئ إلى الله في كل وقت وكل حين ، وأن تداوم
 على طاعة الله وتقواه :

متى ألقاك لا تلقين بــــالاً
 لما يعروك من خطب جسيم ؟
 يكون الكون حولك مكفَّهراً
 وتبتسمين عن دُر نظيم ؟
 إذا دَجَّتِ الحوادث ، فاستضيئي
 بنور الله في الليل البهيم
 ودُومي إن أردت الله ذُخْراً
 على التقوى ، وعنهما لا تريمي
 ولا تصغي إلى همس الأُماني
 وإلا ، عشت في همٍّ مُقيم^(٢)

ثم يلتجئ إلى الله بقلب خالص ، يسأله السعادة الدائمة لكل مخلوق ، فلم يكن
 سؤاله ذاتياً خالصاً وإنما كان إنسانياً عاماً ، فهو يدعو للغني والعلم ، ويسترسل في
 دعائه، ويكثر من سؤاله لله عز وجل في جميع شؤون الحياة ، وهذا يدل على قوة ارتباط
 الشاعر بربه ومناجاته إياه ، وهذا من روائع الأدب الإسلامي :

إلى الله اتجهتُ بكلِّ قلبي
 وأسأله السعادة للعُموم
 سألتُ الله للمُثري مزيـداً
 من التُّعْمى ، ويُسرّاً للعـدم
 سألتُ الله يمحو الداءَ محـواً
 فلا تقُعُ العيونُ على سقيـم
 سألتُ الله للعاني انطلاقاً
 وعطفَ أبٍ وأمٍ لليتيم
 سألتُ الله للدنيا سلاماً
 يعيشُ الليثُ فيه مع الظلِّيم^(٣)

أما أن أدبه يدخل ضمن روائع الأدب الإسلامي فذلك لأن الأديب إذا: " حركت
 أعماله الأدبية المشاعر العليا عند القراء ، وأثارت تفكيرهم السامي ، وأيقظت الروح

(١) المصدر السابق ، ص ٧٥٥ .

(٢) السابق ، ص ٧٥٦ .

(٣) السابق ، ص ٧٥٦ .

الإسلامية في نفوسهم حظي بالانتساب إلى الأدب الإسلامي ، وعُدَّ من الأدباء الإسلاميين" (١) .

٤ - استلهام التاريخ الإسلامي :

جاء استلهام الشاعر للتاريخ الإسلامي نتيجة لثقافته الدينية ونتيجة كذلك لعمله التربوي الذي ينبغي معه أن يكون موسوعة علمية في كثير من النواحي ، وقد كان الهدف من تلك الوقفات على تاريخ المسلمين بعثَ الروح الإسلامية في نفوس أبناء أمته ، وتبنيهم من غفلتهم وسبائهم ، وقد استلهم ما استلهمه من صفحات تاريخه الإسلامي بأسلوبين ، الأول : استدعاؤه لبعض الشخصيات الإسلامية ، والثاني : استعراضه لأعجابه أمتة الإسلامية .

فمن أهم الشخصيات الإسلامية التي استدعاها في شعره : شخصية (الفاروق) عمر بن الخطاب (٢) التي يصف فيها زهدة وورعة وعفافه ، وإعراضه عن متع الحياة وملذاتها، وتواضعه وعدله :

راغبٌ في الله ، عفٌّ عن سواه ما سَبَّ عينيه زيناتُ الحياه
لا ، ولا اعتزَّ بسُلطانٍ وجاه عُمرُ الفاروقُ ! حدَّث عن عُمر

موثِّل العدل ، إمام الزاهديـــــــــــــــــن

ثم يصف بطولاته العمرية ، ويصور صفاته القيادية :

فاتحُ الأمصار ، ذو الملك الكبير لم يكن صاحبَ تاجٍ أو سريـــــــــر
حزٌّ في جنبه فرشٌ من حصـــــــــير وكسا عطفه ثوبٌ من وبـــــــــر
وأواه الكوخُ من ماءٍ وطـــــــــين (٣)

ثم يذكر بعض مظاهر الزهد عند عمر ومنها نومه في المسجد وهو قرير العين مرتاح البال لتطبيقه العدل الذي من خلاله تحقق الأمن والأمان :

(١) نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد ، ص ١١٨ .

(٢) انظر في ترجمته : العسقلاني ، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ،

الطبعة الأولى ، (دار إحياء التراث العربي ، ١٣٢٨هـ) ، ٢/٥١٨ .

(٣) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٠٤ .

ملك الشرق بباب المسجد
مُطَبِّقُ الجَفِينِ ممدود اليــــد

آمن شرَّ اعتداء المعتــــدي
نائمٌ تحرسُهُ عَيْنُ القــــدر

وعليه يسهرُ الروحُ الأــــمين^(١)

وإلى جانب شخصية الفاروق وما اتسمت به من عدلٍ وزهدٍ والذي يُمثلُ بصفاته العليا القائد الحق الذي يجب على الملوك والرؤساء الاقتداءُ به في وقتٍ ذهب فيه العدلُ شر مذهب ، نجدُ غنيماً يستلهم من التاريخ الإسلامي شخصيةً قياديةً مجاهدةً مسلمةً ألا وهي شخصية خالد بن الوليد الذي شاع ذكره على كل لسان وعُرف بلقب (سيفُ الله المسلول) (٢) :

خَالِدٌ فِي كُلِّ عَصْرٍ خَالِدٌ ذِكْرُهُ لِحَنٍّ عَلَى كُلِّ لِسَانٍ
قَائِدٌ لَمْ يَدْنُ مِنْهُ قَائِدٌ سَابِقَ النِّجْمِ اسْمُهُ فِي السَّدَّورَانِ
هو سيفُ الله ، فخرُ العرب (٣)

ثم يشير إلى شجاعة خالد التي أرعبت ملوك الفرس في غزواته التي خاضها أمامهم كغزوة اليرموك . تلك الغزوة التي يرجع انتصار المسلمين فيها إلى شجاعة خالد ودرايته :

سائلوا كسرى به والموبـذـان سائلوا التاريخ ، يصدّق في الخبر :

أيُّ عرشٍ تحتَ سيفِ الله لأن كان كالطودِ ثباتاً فاندثر

وغدا أقصّوصةً في الكتب ؟

عرفَ القيصرُ سيفَ ابنِ الوليدِ
سائلوا "اليرموك" كم شابَ وليد
وهو ربُّ التاجِ ربُّ الصَّولجانِ
من بني الرومِ وكم فرجبانِ
فزعاً من سيفه المختضبِ ؟^(٤)

وبعد أن يذكر فضائله ، ويمجد بطولاته ، يستوحي مقالة خالد عندما أدركه الموت :

(١) المصدر السابق ، ص ٤٠٥ .

(٢) انظر : الإصابة في تمييز الصحابة ، ١/٤١٣ .

(٣) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٠٧ .

(٤) السابق ، ص ٤٠٧ .

" ليس في جسدي موضعٌ لم تصبه ضربةُ سيف ، أو طعنةُ رمح ، وهأنذا أموت على فراشي كما يموت العير ، ألا لا نامت أعين الجبناء ! " ^(١) . ويصيح منها شعراً عذباً للقلوب الحية :

مات في مضجعه الليث ، فقال : كيف أقضي بسوى حدِّ السَّلاح ؟
أخطأ الموتُ بميدان القتال ذلك الجسم الذي أعيا الجراح
بعد أن جدَّ له في الطَّلَب ^(٢)

وإذا كان غنيماً قد استدعى بعضاً من الشخصيات الإسلامية في شعره ، ووقف أمامها لبعث الروح الإسلامية في أمته ، فقد استعرض أجداد أمته ليدفع عنها شعور الذل والانكسار ، ويث فيها الحماس والحياة من جديد ، ومن تلك الأجداد التي استعرضها من صفحات تاريخنا المشرق (أسطول معاوية) ذلك الأسطول الضخم الذي امتلك به جزر البحر الأبيض حتى صار بحيرة عربية ، انظر إليه يصف عظمة ذلك الأسطول وهو يشق طريقه في البحر ناشراً مبادئ الإسلام جاعلاً من التكبير لحناً شجياً :

لمن السفينُ تلحنُ كالأعلام فوق العُباب نواشرَ الأعلام ؟
يمخرن باسم الله موج خُضارة واسم الهدى ومبادئ الإسلام
يهتفن بالتكبير لحناً شاجياً فتجيبُ أمواجُ الخضم الطامي ^(٣)

وهذه (السفين) لم يدفعها هبوب الريح فقط ، وإنما كان يدفعها الإحساس الديني

الصادق ، والحرارة الإيمانية الملهبة التي يحملها أولئك الجند :

هذي سفينُ الله سارت عيلماً مترامياً في عيلمٍ مُتَرام
لم تدفع الريحُ الهبوبُ قلاعهم بل أقلعت بالوحي والإلهام
وحرارة الإيمان - وهي حرارة - ما زادها الآذي غيرَ ضرام ^(٤)

(١) المصدر السابق ، ص ٤٠٧ .

(٢) السابق ، ص ٤٠٨ .

(٣) السابق ، ص ٤٢٠ .

(٤) السابق ، ص ٤٢٠ وتالياتها .

ثم يبين شجاعة الجند الفاتحين وكيف انقلب البحرُ بهم إلى أسودٍ ضارية ، فكأنه غابةٌ منبئةٌ للأسود والأبطال ، وفي براعة تصوير يصف لنا مشهد الدماء المختلطة بأمواج البحر التي امتزجت به :

أزجى معاوية السفين ، تسير ، أو	ترسو بكل غضنفر ضرغام
فكأن بحر الروم أصبح منبتاً	بعد الفلا للغاب والآجام
بدم الشهادة خضبوه ، فضاع من	أرجائه أرج العباب الدامي ^(١)

ويكشف الشاعر عن أثر ذلك الفتح الجليل لتلك البحيرة إذ أصبحت عربية اللسان والنسب مكتظة بالصائمين والقائمين يُسمع في أرجاء جزرها صوتٌ عذبٌ هو صوت الأذان :

لله بحر الروم وهو بحيرة	عربية اللّهوات والأرحام !
ومعقل اليونان وهي محارب	مكتظة بالصوم القوام
لله " رودس " إذ تصيح " وقبرص "	لصدى الأذان مُرّتل الأنغام ^(٢)

والواقع - كما قلت سلفاً - أن استدعاء الشخصيات الإسلامية في شعره ، واستعراض بعض أجداد أمته إنما كان لهدف بعث الروح الإسلامية في نفوس أبناء أمته ، وتنبيههم من غفلتهم وسباتهم ، حتى يترعوا عنهم لباس الذل والضعف والانكسار بعد أن أصيبوا بداء التخاذل والبعد عن الله .

(١) المصدر السابق ، ص ٤٢١ .

(٢) السابق ، ص ٤٢١ .

المناسبات الوطنية

كان محمود غنيم متمسكاً متمسكاً قوياً بوطنه الصغير (مصر) ينافح عنه ويتحدث بلسان شعبه ، يحس بما يحسونه ، ويشعر بما يشعرون به ، لأن نفسه كانت مصرية خالصة تمكنت من التعبير عن نزعتة الوطنية بلغة جزلة صافية .

ومن الواجب علينا ونحن في صدد الحديث عن المناسبات الوطنية أن نحدد مفهوم الوطنية باعتبارها إحدى مثيرات الإبداع عند الشاعر ، فالوطنية : " هي حبُّ الوطن ، والشعور نحوه بارتباط روحي ، وهي نزعة اجتماعية تربط الفرد بالجماعة ، وتجعله يحبها ، ويفخر بها ، ويعمل من أجلها ، ويضحى في سبيلها " ^(١) .

والمشاعر الوطنية الحققة هي تلك القيم النبيلة التي يحملها المواطن الحق من الدعوة إلى الحرية المعتدلة ، والتمسك بالكرامة والنبيل ، وإباء الضيم ، ودفع الظلم ، وكرهية العدوان ، ومقاومة الاستعمار ، والتغني بحب الأرض ، والتحذير من الفرقة والخلاف وإخلاص النصيح لولي الأمر ، وبذل كل ما هو غالٍ ورخيص لمصلحة الوطن .

وقد كانت تلك القيم النبيلة معاني سامية يتغنى بها الشعراء ويوظفونها في قصائدهم العظام . وما محمود غنيم إلا واحد من أولئك الشعراء الذين استطاعوا أن يتغنوا بالأرض ويفاخروا بأمجادها .

وقد حرص شاعرنا بفضل ما أوتي من ملكة شعرية خصبة أن يسجل كل الأحداث الوطنية التي دارت في عصره ، وأن يخلدها في شعر نابضٍ بالحب والتضحية. والواقع أن غنيمًا لم يترك أيَّ حدث له صلة بوطنه المصري دون أن يسجله ويعلنه ، فجاء تعبيره صادقاً ؛ لأنه انبثق عن عاطفة وطنية صادقة ، وليس عيباً على شاعر كبير كغنيم أن يكون شعره الوطني قد قيل في مناسبات مختلفة ومتنوعة ، فما أكثر المناسبات في الحياة ، ولكن الشاعر استطاع أن يحقق التميز ؛ لأنه صدر عن عاطفة صادقة . لذلك " فالشاعر الذي يخضع شعره للمناسبة ثم يتخلص منها ببراعة إلى موضوعات أخرى يتسع للفن هو أقوى طاقة من شاعر آخر يستولي عليه الخيال ويستبد به ، ويجعله يشطح

(١) محمد الصادق العفيفي : الاتجاهات الوطنية في الشعر الحديث ، د.ط (بيروت : دار الكشف ، ١٩٦٤ م) ،

ويمكننا بعد ذلك التوضيح أن نقف عند أبرز القضايا والأحداث الوطنية التي تحدث عنها الشاعر في موطنه الأول مصر ، ومنها :

۱ - ذکرى حادثه (دنشواي) :

تفجرت نفسٌ غنيمةً ألماً وحرقةً وهو يتذكر حادثة (دنشواي) المؤلمة التي وقعت عام (١٩٠٦م) ذلك عندما قصد خمسةٌ من جنود الاحتلال الإنجليزي بلدة (دنشواي) لصيد الحمام فأشعلت إحدى قذائفهم النار في أحد أجران القمح ، فتعرض لهم بعض أهل القرية وطاردوهم ، وتسببوا في قتل أحدهم مما أثار مندوب الإنجليز في مصر آنذاك فأمر بتشكيل محكمة صورية أصدرت حكمها بإعدام أربعة من أهل (دنشواي) ، و بجلد سبعة ، وحبس ثمانية ، ونُفذ الحكم وقتئذٍ بمرأى ومسمع من سكان البلدة عقاباً وتنكيلاً^(٢) .

وقد أثارت تلك الواقعة حفيظة شعراء الوطنية في ذلك الوقت أمثال حافظ إبراهيم الذي تهكم وسخر بفعل الإنجليز ، ومن ذلك قوله :

جاء جُهلنا بأمرٍ وجئتـــــــــــــــم
أحسنوا القتل إنْ ضننتم بعفوِ
ليت شعري أتلك " محكمة التّفـــــــــ

ضعف ضعفه قسوةً واشتدادا
أقصاصًا أردتم أم كيـــــــــــــادا ؟
تيش " عادت أم عهد نيران عادا (٣)

وقد أعاد غنيم تلك الحادثة إلى الذاكرة في إحدى قصائده تمجيداً وذكرى لتلك القرية ، فاستهل قصيدته بالإشادة بتلك القرية التي كانت مسرحاً للحدث فجعل من

(١) طلعت صبح السيد : التيارات الفنية في الشعر السعودي الحديث ، الطبعة الأولى (الرياض : دار عبد العزيز آل حسين للنشر والتوزيع ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م) ص ١٦٦ .

(٢) انظر : محمد عبد الرحمن حسين : نضال شعب مصر (١٧٩٨-١٩٥٦ م) ، د. ط ، (الإسكندرية : منشأة المعارف) ، ص ٧٣ .

(٣) ديوان حافظ إبراهيم ، صححه وشرحه : أحمد أمين ، أحمد الزين ، إبراهيم الابياري ، (بيروت : دار الجيل ، ١٤٠٨هـ — ١٩٨٨م) ، ٢/٢٠ وتاليتها .

حروفها نشيداً عذباً ولحنًا خالداً :

في السمع أحرُفها نشيداً
أمشي على هذا الصعيـد
نُ ، وكم هُنا سبطُ شهيد
ودمٌ تدفقَ من وريـد
—ها صرُحُ الاستقلالِ شيداً! ^(١)

هي دنشوايُ ولا أزيـد
إني لأُحني الـرأسَ إذ
في كربلاءَ قضى الحسيـد
كم هامة صُلبت هنـد
لله أشلاءٌ ، عليها

ويصفُ الحدثَ للسامعِ عن قربٍ وكأنه معهم ، ويصور لنا قسوة الحكم وتعسفه

ووحشيته على أهل البلدة المستضعفين :

مُك ليس بالسَّهْمِ السَّديـد
قومُ أباةٍ الضيم ، صيـد
دَ من الشَّري ، فهو المصيـد
—وانُ البُطولة والصُّـد
ع عن الحلائل والحصيـد ؟
—كمة الثعالب والقـرود
دُ العزل تنظرُ في جُمـود !
تُ ملَّها طولُ الصعـود !
—يخ واهنٍ ، وفقى جليـد ! ^(٢)

يا صائدَ الورقاء ، سهـد
لقد اعتديت على جَمـى
من جاءَ يصطاد الأسـود
يا دنشواي ، وأنت عنـد
ماذا جنيت سوى الدَّفـد
هم حاكموك أمام محـد
نصبوا المقاصِل ، والحُشـود
زفرائها متصعـدا
وعلى المقاصِل : كلُّ شيد

وبعد أن يذكر تلك المشاهد البائسة ، وأثرها في النفوس ، يقررُ أمنَ وسلامة مصر في عهده ، مؤكداً أنَّ عهود الرِّقِّ والإقطاع قد خابت واندحرت ، وأن عهد الاستعمار قد خاب وخسرفي ظلِّ الرئيس الناصري السديد الذي ضمن لهم الحرية والنهضة والإصلاح :

ضُ ، خست من بين العهود !

يا أيها العهدُ البغيـد

(١) الأعمال الكاملة ، رجُع الصِّدى ، ص ٧٧٣ .

(٢) السابق ، ص ٧٧٤ .

إقطاع ، والملك الطريــــــــــــد !	لا كان عهدُ الرق ، والــــــــــــ
مُ يعيشُ في ذُلِّ العبيــــــــــــد	عهدُ به الحرُّ الكريــــــــــــ
طاغٍ ، ولا مَلِكٌ قعيــــــــــــد	اليوم لا مستعمــــــــــــر
لا " لمبسونَ " ولا " لُويــــــــــــد "	الأمر في يدِ ناصــــــــــــر
فيها نعيشُ كما تُريــــــــــــد	أوطاننا ملكٌ لنــــــــــــا
قل ، والمصانع ، والســــــــــــدود ^(١)	في أرضها نبنى المعــــــــــــا

ويعود مخاطباً (دنشواي) مرة ثالثة مفتخراً بمجدها الغابر وحاضرها السعيد ومؤكداً أن مآتمها بالأمس قد أصبح اليوم عيداً لها ولمصر كلها :

أحرزت من ماضٍ مجيــــــــــــد !	يا دنشواي ، هناك مــــــــــــا
دُ ، وطاب غابرك التليــــــــــــد	قد طاب حاضرك السعيــــــــــــد
بالأمس ، وهي اليوم عيــــــــــــد ^(٢)	ذكراك كانت مآتمــــــــــــا

٢ - مبايعة الملك فاروق ملكاً :

كان عامُ (١٩٣٧ م) عامًا جديدًا لمصر ، حيث قام الملك فاروق ملكًا عليها ما يقارب (خمسة عشر عامًا إلا ثلاثة أيام) بعد أن أطاحت به ثورة (١٩٥٢ م) ^(٣) .

وللنشوة الوطنية ، ولأجل مصر بادر شاعرنا كغيره من الشعراء بتهنئة الملك الجديد لتوليهِ مهام العرش ، مستهلاً قصيدته بذكر الباخرة المعروفة بـ (النيل) التي أقلته من رحلته في أوربا لمباشرة مهام ملكه مشيراً إلى أن البحر قد غص من كبريائه عندما مشى عليه الملك في قوة ومنعة وعزة :

النيل تحمل سبط إسماعيلــــــــــــلا أرأيت نيلاً جاء يحمل نيــــــــــــلا ؟

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٧٧٥ .

(٢) السابق ، ٧٧٦ .

(٣) انظر : محمد عبد الفتاح أبو الفضل : تأملات في ثورات مصر ٢٣ يوليو ١٩٥٢ م ، د.ط ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤ م) ، ١/٣٠ .

لو كانت الأملاك تحدو مركباً
سارت ، فغضُّ البحرُ من غلوائه
يا بحر ، فوقك درةً ، هيهات أن
أما الشعب فإنهم في شوق لرؤيته ، وصبر على فراقه وعناء وجلد مما آلت إليه
أوضاع البلاد :

أشرق بنورك في البلاد ، فإنما
الشعب - يا فاروق - صاد ، نيله
ما كان يسعده التجلد ساعاً
صبرُ البلاد على فراقك عيلاً
من يوم بُعدك لا يبلُّ غليلاً
لو لم يكن بك قلبه مأهولاً^(١)

ويضفي الشاعر على الملك الجديد صفات الملوك العظماء فهو أصيد يافع يشبه في
شدته وبأسه الفراغة الأول ، بل إن وجهه المشرق قد زاد التاج المطرز بالذهب بهاء ونقاء
وهو على جبينه ، وتبلغ العاطفة الوطنية ذروتها حينما يفدي الملك بروحه ونفسه :

وليَ الأمور بمصر أصيدٌ ، يافعٌ
جاشت بصدري يوم قلَّد عرشه
ما أبهج الأكليل فوق جبينه!
أفديه من ملك أغر وراءه
وهو ملك ازداد جمالاً وجلالاً بتواضعه ، وتعامله الحسن مع الفقراء والأيتام :

ملك تواضعه يزين جلاله
يقضي لبانته اليتيم بيابه
ليس الغشوم المستبد جليلاً
ويرى الفقير دعاءه مقبولاً^(٢)

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في وادٍ ، ص ٢٠٣ .

(٢) السابق ، ص ٢٠٣ .

(٣) السابق ، ص ٢٠٤ .

(٤) السابق ، ص ٢٠٥ .

ويؤكد شاعرنا على أن الملك فاروق كان حلمًا للبلاد خاصة بعد أن تم عقد معاهدة الاستقرار بأمور مصر عام (١٩٣٦م) وإعلان استقلال البلاد .^(١)

يقول مستوحياً مضامين تلك المعاهدة ، مبيّناً أثرها على أمن مصر واستقرارها وتقدمها ، وحل مشاكلها :

قد حققت في عهدك المأمـولا	فاروق ، تلك عناية الله الـتي
حلمًا ، فكنت لحلمها تأويـلا	إن الكنانة ظنت استقلالـها
في عهدك الزاهي السعيد حلـولا	وهي المشاكل كلها وجدت لها
قد صرن في تاريخ مصر حجولا ^(٢)	عهد قصير ، غير أن غضونـه

ثم يصارح الملك بصدق ووضوح عن أمل البلاد فيه ورغبتها في الإصلاح فمصر وشعب مصر قد فدته بالروح والمهج ، وبايعته بالملك ، ووهبت له العرش ، فلا بد أن ييادرها بالعطاء والبذل نفسه ، وأن يكون لها ظلاً ظليلاً ، وحكيماً نافعاً ، وأن يقوم على جيش مصر ، ويكبح جماح الطامعين :

ظلاً - كما كان الجودود - ظليلا	إن الكنانة بايعتك ، فكن لها
إن شئت تلق كليهما مبـذولا	وهبت لعرشك مالها ، ودماءها
واجعل بلادك في المناعة غيـلا	فاملاً بلادك حكمة ، ومعارفـا
شبح المنية طيفها فيميـلا	فانفض بمصر وجيشها ، حتى يرى
لا تطمعوا في أخت عزرائيل ^(٣)	واكبح جماح الطامعين ، وقل لهم :

٣ - قيام ثورة ٢٣ يوليو عام (١٩٥٢م) :

يجدر بنا في هذا المقام أن نلقي الضوء على تعريف الثورة التي تعني " قيام الأغلبية (الساحقة) المقهورة وعلى رأسها المؤسسة الوطنية بتنحية الأقلية الحاكمة ... " ^(٤) وقد

(١) انظر : تأملات في ثورات مصر ٢٣ يوليو ١٩٥٢م ، ١/٣٠ .

(٢) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٢٠٥ .

(٣) السابق ، ص ٢٠٦ .

(٤) تأملات في ثورات مصر ، ١/١٠ .

ومن دون الوصول إليه كانت
مغاني الملك بات على ذراها
وهام المالكون بكـل أرض
قصور أوحشت من بعد أنـس
وكانت كعبة يغدى إليها
رعوس في الهواء بها يطـاح ؟
يرف لكل ناعية جنـاح
وتلك قصورهم بقيت وراحوا
فما لسنّا بساحتها ليـاح
بأفواج الرعية ، أو يُـراح ^(١)

أما سرير الملك فقد أمسى خاليا من عائلته وسيده :

سرير الملك قد أمسى خـلاء
وقد ذهبت بعائلته الريـاح ^(٢)
ويوضح لنا بعض الأمور التي يجب على الحاكم أن يأخذ بزمامها حتى يحافظ على
ملكه كـ (العدل ، والتدبير ، واختيار الحاشية الصالحة) :

سياج الملك تدبيرٌ ، وعـدلٌ
وحاشيةٌ تحفُّ به ثقبـاتٌ
لهم حزمٌ ، وتجربةٌ ، ونصـحٌ
وأعراضٌ نقياتٌ صحـاحٌ ^(٣)
- لعمر ك - لا مقامـرة ، وراحُ
لهم بالعلم والخلق اتشـاحُ

ويكشف الشاعر حقيقة ذلك الملك المخلوع الذي تظاهر بصلاحه أمام الناس كي
يطيعوه ، فحقق بتلك الشخصية الصالحة أطماعه الإدارية والمالية إذ كان يجمع ثروته
بالطرق المشروعة وغير المشروعة ^(٤) :

تظاهر بالصلاح لناظريـه
تساق إليه أموال الرعايـا
ومن أخلاقه برىء الصـلاحُ
وتسلبُ باسمه الأرض البـراحُ

وبعد أن يتحدث عن الحالة الفاسدة التي كانت سبباً في الإطاحة بالملك الراحل ،
يتوجه بخطابه الأدبي والوطني إلى الثوار من عسكريين ومدنيين ويصفهم بـ (حماة النيل)
ويعمد نجاح ثورتهم التي اجتثت الشر والفساد ، ويصور فرحة العرب وابتهاهم بقيامهم
فهي ثورة اتخذت من الظلم وقوداً لها ومن الفساد لقاحاً فتأججت نارها واشتد أوارها :

(١) المصدر السابق ، ص ٣٣٣ .

(٢) السابق ، ص ٣٣٤ .

(٣) السابق ، ص ٣٣٤ .

(٤) السابق ، ص ٣٣٤ .

حمأة النيل ، أحرزتم لمصـــــر
قد أجتحم بثورتكم شـــــروراً
تهللت العربـة يوم ثـــــرتم
وما كالظلم للثـــــورات زاد

نجاحاً لا يضارعه نجـــــاح
وما للشرِّ إلا الاجتـــــاح
كأن العُرب أدركهم " صلاح " (١)
ولا مثلُ الفساد لها لِقـــــاح (٢)

ولم تعتمد هذه الثورة في قيامها على سفك الدماء وإراققتها ؛ بل على الثبات والعزم، أما عن مراحل قيامها فقد كانت سرّاً وهمساً في بدايتها وحقيقة ظاهرة في نهايتها:

معاركُ بالثبات كسبتموهاـــــ
ولا سالت على أرض دمـــــاء
بدأتم أمرها همساً ، فأمســـــت
ولم تطلق بساحتها قـــــداحُ
ولا احمرّت من العلق الصّفـــــاحُ
على شفة الزمان بها يـــــاح (٣)

ويشير غنيم في هذه القصيدة إلى قضية خطيرة وهي سوء اختيار الوزراء وما صاحبه من فسادٍ في الأحزاب ، فيوصي القادة بأخذ الحيطة والحذر في اختيار الوزراء نظراً لما خلفوه من فساد مالي في العهود الماضية ، وأن يختاروا الصالحين من أصحاب العفة والقناعة :

حمأة النيل ، من لعثار شعبـــــ
به مستوزرون إذا ولـــــوه
تجار سياسة ، وهواة حكـــــم
إذا استلموا زمام الأمر ، عاثـــــوا
دعوا أمر البلاد يليه قـــــومُ
إذا فاض الثراء بمصر ، غابـــــوا

إذا هو قام أقعده الكســـــاحُ
فما للشعب بل لهم الربـــــاحُ
بأحشاء الحمى منهم جـــــراحُ
وإن حُرّموا زمام الأمر ، ناحـــــوا
لهم ذمٌّ مطهـــــرة ، وراحُ
وإن نزل البلاء ، بمصر ، لا حوا (٤)

(١) " صلاح " : هو صلاح الدين الأيوبي : (يوسف بن أيوب) . (٥٣٢ - ٥٨٩ هـ) . مؤسس الدولة

الأيوبية ، هزم الأفرنج قرب حطين ، وفتح بيت المقدس .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٣٥ .

(٣) السابق ، ص ٣٣٦ .

(٤) السابق ، ص ٣٣٦ وتاليتها .

ثم يكشف عن خطوة أخرى من خطوات الثورة المباركة وهي إلغاء (الألقاب)
والأوسمة :

خطونا الخطوة الأولى بمصر
وتتلوها بمصر خطى فساح
وألغيت الفروق ، فلا وسام
تعالى الله ! صار لمصر وعي
تزان به الصدور ، ولا وشاح
وآذان ليها ، وبدا الصباح^(١)

والواضح من كل هذا أن غنيمًا قد عبر عن (الثورة) تعبيرًا صادقًا وفرح وتغنى
بقيامها ، وأسدى النصيح للقيادة العليا ، حتى يتحقق لمصر التقدم والإصلاح ، لأنه أحس
بالظلم والقهر والاستبداد فأراد أن يدافع عن حياض وطنه بإظهار هذا الشعور الصادق
النبيل ، وهذا دليل قاطع على الوطنية الصادقة المتأصلة في نفسه .

وبعد أن تم خلع الملك فاروق ونادى مجلس الوزراء يوم ٢٦ يوليو بأحمد فؤاد ابن
فاروق ملكاً^(٢) . اقتنص غنيم هذا الخبر الوطني فأنشأ مقطوعةً بعنوان (الملك الرضيع)
يصف فيها صغر سن الملك وعظمة العرش ، ويتعجب من أمر ذلك الملك الذي لم يلبث
في عرشه طويلاً ، ولم ييك عليه أحد عند خلعه :

لنا ملكٌ سامي المقام رفيع
تبوأ دست الملك وهو رضيع
أقيم له عرشٌ ، وزلزل عرشه
ولم يمض في الدنيا عليه ربيع !
فما طاب بالسلطان نفساً ، ولا بكى
عليه بدمع العين وهو يضيع^(٣)

ويتعجب مرة أخرى من ذلك الشعب المسالم الذي يكل أمره لطفل رضيع ، وهو
هنا ناقم على تلك الملكية الجائرة المتعفنة التي جعلت من الشعب قطعانا تباع وتشترى :

عفا الله عن شعب وديع مسالم
يلبي أمره أطفاله فيطيح
توارثنا الأطفال ، حتى كأننا
-لعمري- بسوق السائمات قطع^(٤)

(١) المصدر السابق ، ص ٣٣٧ .

(٢) انظر : تأملات في ثورات مصر ، ١/٩٢ .

(٣) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٤١ .

(٤) السابق ، ص ٣٤١ .

٤ - إعلان (الجمهورية) :

تعد هذه المرحلة - مرحلة إعلان الجمهورية بدلاً من الملكية - من أقوى مراحل الثورة لما فيها من إعطاء الشعب الحرية المطلقة في المشاركة والاختيار وقد جسد شاعرنا هذه المبادرة ووصفها بيعة (الرضوان) وعبر عن صداها في قلوب الشعب :

يابيعة الحق والرضوان ، تلك يدي	الحكم للشعب بعد الواحد الصمد
قالوا غدت مصرُ جمهورية ، فسرى	مقاهم سريان البرء في الجسد
وقلتُ : حق قديم كان مهتضمًا	الثورة انتزعته من فم الأسد
الفرد ليس على شعب بمؤتمن	فليحكم الفرد لكن غير منفرد
لا يحسب العرش أن الشعب خادمه	العرش -لولا سواد الشعب- لم يسُد ^(١)

وبعد أن يتحدث الشاعر عن العرش والملك ، ويشرح حقيقتهما ، يعتذر عن مدحه للملك الراحل الذي انخدع فيه كما انخدع فيه غيره من أفراد الشعب ، ويسخر من نفسه عندما ألبسه من الأوصاف ما لا يستحق :

الكل يثني على آلائه كذبا	وينشئ المدح فيه غير معتقد
كم كنت أضحك من نفسي وأضحكها	إذ ألبسُ اليوم ريش الطائر الغرر
كم قلت لليل : أنت الصبح مؤتلقا	وقلت للدب أنت الليث ذو اللبد ^(٢)

ويحيي الشاعر أولئك البواسل من جيش مصر الذين أعلنوا الثورة وأقاموها ، وينصحهم بأن يجعلوا العدل والإنصاف أساس دولتهم ، وألا يقعوا في الأخطاء السابقة التي أدت إلى خراب مصر :

قل للبواسل من جيش الحمى : سلمت	أيد أصبتم بها الطغيان في الكبـد
من ينخر السوس نخرًا في نواجذه	فلا دواء له أشفى من الـدرد
خطوا على العدل والإنصاف دولتكم	وشيدوها من الشورى على عمد
وجنبوا مصر أخطاء لها سلفـت	فإنما خطأ الماضي صوابُ غـد ^(٣)

(١) المصدر السابق ، ص ٣٢٨ .

(٢) السابق ، ص ٣٢٩ .

(٣) السابق ، ص ٣٣٠ وتاليها .

ويتوجه الشاعر إلى خطاب الرئيس الجديد (جمال عبد الناصر) الذي تحمل من الأعباء الثقالة ما تعيا الجبال الراسيات كـ (رضوى ، وأحد) عن حملته وينثر عليه صفات القوة والمنعة ، والقيادة الحكيمة ، والكرم والعفة :

جمالُ حُمِّلَ ما تعيا الجبال بـه فكنت أثبت من رضوى ، ومن أحد
نَهَضت بالحكم في عزم ، وفي ثَقَّة حكم أفاد الحمى منه ، ولم تَفِد
لله درك من حُر يزينه إيمانُ عبد على الرحمن معتمِد
هو الجواد بما في كفه ، فـإذا سألته درهماً للشعب لم يَجِد
قالوا : التقشفُ ، والحرمانُ طابعه فقلتُ: من يرد الإصلاح يقتصد^(١)

وقد تغنى الشاعر بشخصية (جمال) وأشاد بها واستوحى منها كثيراً من أشعاره، انظر إليه وهو يمدح جمالاً ، معبراً عن روحه الوطنية الصادقة ، جاعلاً من شخصية جمال الزعيم العربي الذي يمثل العروبة ويحمي حماها :

جمالُ ، رسمك في لوح نقشنـاه لكن صاحبه في الصدر مـأواه
إن العروبة تدري أن صاحبـه يرعى حماها وعين الله ترعـاه
رسمٌ ترى الشرق طرّاً في ملامحـه الشرق ، لفظ وهذا الرسم معناه^(٢)

ولم يدع غنيم حدثاً سياسياً أو اجتماعياً في عهد الرئيس (جمال) إلا وتحدث عنه وعلق عليه بشعر وطني صادق ، وعاطفة وطنية حارة ، كما في قصيدته (القائد المظفر) التي يستنهض فيها همة الرئيس للوقوف في وجه بعض (الوصوليين) الذي تحركوا بعد الثورة ليستغلوا العهد الجديد كما استغلوا العهد القديم ، وليقدم عليهم ويباغتهم :

أقدم ، فإني أرى الإقدام قد وجبـا لا يحسب الليث حسبانا إذا وثبـا
أجهز على الداء ، أجهز غير متئـد إنا صبرنا على آلامه حقبـا
جمالُ سيفك يرضي الحق جوهـره في الحق ماقراً في الأغماد ، أو ضربـا
إني أرى معشراً بالغار قد لعبـوا فليحترق بلظاها من بها لعبـا

(١) المصدر السابق ، ص ٣٣١ .

(٢) السابق ، ص ٣٤١ .

قَلَمَ أَظَافِرَ أَيْدٍ غَيْرِ طَاهِرَةٍ بعد انتصارك مُدَّتْ تَجْمَعُ السَّلْبَا (١)
وكعادته ولحبه لوطنه يكرر النصيح والمشورة للرئيس بأن يأخذ حذره من أصحاب
الآراء الفاسدة الذين يسعون لتحقيق مصالحهم الشخصية ويريدون الاختلاف والفرقة :
لا تستشر ساسة في بحثهم غرقوا وشارو السيف ، أو قَوَادِكِ التُّجْبَا
لو ناقش القوم ضوء الشمس لاختلفوا حتى تشتت فيه الرأي وانشعبا (٢)
ثم ينتقل إلى الحديث عن حقوق الفلاح المهضومة وكيف أن الثورة أزالته عنه كل
أنواع الجور والتعسف ، وأعطته حقوقه كاملة كما ينبغي :

يا طالما عبروا الفلاح قنطرة وصيروه إلى أطماعهم سببا
كم أحرزوا باسمه جاهاً ، وليس له جاءه ، وكم كسبوا مالا ، وما كسبا !
يا حامل الفأس ، إن الشمس قد طلعت أما ترى ضوءها من كوخك اقتربا ؟
لقد دعوت ، فما ضاع الدعاء سدى لكنه اخترق الأستار والحجب
قد حقق الجيش للفلاح أمنيّة بل ردّ من حقه ما كان مغتصباً (٣)

٥ - تأميم القناة (١٩٥٦ م) :

كان لقناة السويس موقعها السياسي والاقتصادي لشعب مصر إلا أن إدارتها
كانت في أيدي المستعمرين الأجانب وبالتالي " فإن إيراداتها تذهب إلى المساهمين
الأوروبيين، ويحرم منها أصحاب الحق الشرعي فيها من الفلاحين الذين حفروها في بلادهم
بدمائهم وعروقهم وكدهم " (٤) .

لكن الجيش المصري الممثل للشعب والثورة لم يسكت عن حق الشعب الشرعي ؛
بل ربض على خط القناة حتى أعادها إلى أهلها وحماها ، بعد أن احتلها المستعمر الأجنبي
، فالقناة في نظر الشاعر قلبُ النيل النابض حتى وإن تولى أمرها غير أهلها :

(١) المصدر السابق ، ص ٣٣٨ .

(٢) السابق ، ص ٣٣٩ .

(٣) السابق ، ص ٣٣٩ ، وتاليتها .

(٤) دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه ، ٢/٢٤٨ .

ربض الجيشُ على خطِّ القنْصاةِ وعلى شطآنِها ألقى عصاه
أيها الجيشُ ، أعدّها للحمى فلذةٌ قد نزعوها من حشاه
هي قلبُ النيل ، إلا أنْهم وضعوها بين أضلاعِ سواه^(١)
ويكشف الشاعر حقيقة هذه القناة ، فهي التي ساقَت الحرب والموت والاستعمار
إلى أهلها مع أنْها في الوقت ذاته بعثت الحياة إلى بلدان الشرق والغرب الأخرى :
ساقَت الموت إلى مصر ، وإنْ بعثت في الشرق والغرب الحياة^(٢)
ويتساءل الشاعر قائلاً : من حفر هذه الحفرة يا تُرى ؟ ومن بنى ذلك الطريق
الحيوي بين الشرق والغرب ؟ ويطلب من الكل أن يسألوها ، فلا شك أنْها تعرف من
حفرها ومن بناها كما يعرف الطفل أباه . إن الذي حفرها هو الفلاح المصري الفقير
المكابِد بفأسه ومعوله وعرقه ودمه :
هذه الحفرة من عمَّقها ؟ ذلك الجسرُ المَعْلَى من بنَاه ؟
سألوها يُنبِكمُ ساحلُها من أبوه ؟ يعرف الطفلُ أباه
رب فلاحٍ شكَّت في كَفِّه فأسه الخرساء إذ خارت قِواه
لم يزل يحفرها حتى جـرى مأوها وهو مشوب بدمـاه^(٣)
ثم يشير إلى السبب المباشر لتأميم القناة وهو رفض (أمريكا) مساعدة مصر على
بناء (السد العالي) بمعونة مالية ، فوصفها بأمة (الدولار) ووسم الشعب (اليهودي)
بالشعب (الآبق) :
أمة "الدولار" مُدي غيرنـا من عبيد المال واستجدى رضاه
أسعفي بالمال شعباً آبقـا لفظته أرضه لفظ النـواه
كيف يستجديك شعبٌ مأؤه من الجين ومن التبر ثـراه ؟
أمة "الدولار" غلَّت يدهـا عن بني مصر به . شاهت وشاه

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٠٩ .

(٢) السابق ، ص ٣٠٩ .

(٣) السابق ، ص ٣٠٩ .

فأذكرنا حين ضنت مـــــــورداً قد تركناه مباحاً للسقــــاه
شرب الناسُ به بل سبـــــــحوا فيه والمصريُّ ما بلَّ صــــداه^(١)
ويعــــبر الشاعر عن فرحة الوادي وابتهاجه وطربه حينما أعلن الرئيس
(عبد الناصر) تأميم القناة على الملأ أجمع ، فرقص الناس ، وفرحوا ، وعلت
الابتسامات والضحكات فرحاً وطرباً بيوم (التأميم) عيد الوادي الأكبر :
حينما قال جمالُ : " أُمِّمْتَ " رقص الوادي ، وغنّت ضفّــــاه !
وسرت في كل عطف هــــزّة وتمشت بسمّة فوق الشفــــاه !
وأظل النيل عيدٌ شامــــلاً فيه حيا كل مصري أخــــاه
ما بنى التأميم سداً عاليــــاً بل بنى للنيل جاهاً أيّ جــــاه^(٢)

ويخاطب الشاعر الشرق أجمع بأن يذيع هذا الخير السعيد في كل مكان حتى يسمع
صداه الغرب ، وليعلنها مدوية أن مصر حرة ، وأن شعبها أحرار ، وأنها لم تعد طعاماً
سائعاً لجياع الغرب :

أيها الشرق ، أذعه نبــــأ يقرعُ الآذان في الغرب صــــداه
أن مصرأ حرةٌ في أرضهــــا شعبها يبرمُ فيها ما يــــراه
لم تعد مصرُ طعاماً سائغــــاً لجياع الغرب من شاء طهــــاه^(٣)

والقصيدة كلها تعبيرٌ صادق عن روح الانتماء إلى الوطن ، والحب الصادق
والأكيد للرئيس (عبد الناصر) الذي قاد مصر بحنكة وحكمة إلى الخير والتقدم .

٦ - مُعاهدة الجلاء :

وُقِّع الاتفاق النهائي على الجلاء في ١٩ أكتوبر سنة (١٩٥٤ م) وقد تقرر فيه
" جلاء القوات البريطانية جلاءً تاماً عن الأراضي المصرية خلال فترة عشرين شهراً من
تاريخ التوقيع على هذا الاتفاق " ^(٤)

(١) المصدر السابق ، ص ٣٠٩ ، وتاليتها .

(٢) السابق ، ص ٣١٠ .

(٣) السابق ، ص ٣١١ .

(٣) تأملات في ثورات مصر ، ١/١٧٧ .

وقد كان بطل الجلاء الذي تحقق على يديه هذا الاستقلال والإنجاز
(جمال عبد الناصر) . يقول غنيمٌ مشيداً بهذا الاتفاق الذي طال انتظاره، جاعلاً من ذلك
اليوم يوم عيد وفرح وجلاء :

أملٌ تحقق بعد طولٍ مطالٍه	بشرى الحمى بوثيقة استقلاله
عيد الجلاء ، لأنّ يوم النحر في	إحرامه ، والفطر في إحلاله
حققت للوادي أعزَّ رجائِه	وأتيت بالمنشود من آماله
يومٌ حتى التاريخ هامته لـه	واصطفّت الأحقاب لاستقباله ^(١)

وكعادته دائماً يرجع الفضل للثورة البيضاء التي لم تُلطخ فيها الدماء، وهي ثورة
أنقذت مصر من استبداد الملكية الظالمة ، وبطش المحتلين الغاصيين من الإنجليز :

الثورة البيضاء شَعَّ بياضهـا	في ظلمة الوادي شعاع هلالهـ
سبت ، فما احترقت بها دارٌ ، ولا	شيت بطيف دمٍ ولا بخيالـهـ
العاهلُ الجبار ولّى طائعـاً	مُتعرّ القدمين في أحوالهـ
والغاصب المحتلُّ سلّم سيفـهـ	ومضى لطّيته بدون قتالهـ ^(٢)

ويندد غنيم بمحاولة اغتيال (عبد الناصر) بعد أن أعتدي على حياته في وقت
يستحق فيه التكريم والتمجيد ، ويرجع فضل نجاته إلى اللطف الإلهي ، والتفاف الجيش
والشعب حوله :

سلم الرئيس لمصر ! ماذا يبتغـي	مُغتاله ؟ شُلّت يدا مُغتالهـ !
لطفُ الإله ، وجيش مصر ، وشعبهـا	من عن يمين رئيسهـا ، وشمالـهـ
قل للذي غدر الرئيس : غدرت مَنُ	ليس ارتكاب الغدر بعض خصالهـ ^(٣)

ولقد حزنّت مصر على هذا الاعتداء الأليم الغاشم ، حتى إن الوادي كاد يكف
عن الجريان من هول الفاجعة النكراء ، فليس من العدل والإنصاف أن يعصّ الشعب كفَّ

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٢٢ .

(٢) السابق ، ص ٣٢٢ .

(٣) السابق ، ص ٣٢٣ .

من حرّره ، وأن يفتك النيل بمن أنقذه وجعل الحياة تدبُّ فيه :

بطل الجلاء ، رماك غرٌّ غافلٌ	فتلفتت مصرُ بقلبٍ والـهـ
وحسبت ماء النيل كاد يكف عن	جريانه، ويثورُ عذبُ زلالـهـ
لما نجوت نجا الحمى من نكسة	تبقى بقاء الدهر في أجيالـهـ
أيقال: شعبٌ عضَّ كفاً حررت	بالأمس هذا الشعبَ من أغلالـهـ ؟
أيقالُ : أردى النيل منقذه الـذي	بعث الحياة تدب في أوصالـهـ ؟ ^(١)

ولكن الجماهير فرحت وهللت حين تأكدت من نجاة الرئيس ، فكان واقع الخبر عليها كوقع أذان بلال وحُسن صوته :

قالوا : الرئيس نجا ، فهلل معشـرٌ	يفديه بالمكتوب من آجالـهـ
قالوا: الرئيس نجا ، فكان لقولـهم	وقع الأذان ، وحُسن صوت بلالـهـ ^(٢)

ثم يتوجه بخطابه للمعلمين الصادقين بأن يحدثوا النشء الواعد عن الأبطال الكماة ، وأن يتخذوا من شخصية (جمال) قدوة ومثلاً لهم في استبساله ورجولته وإصراره حين رُمي في صدره ، وتناثرت القذائف من حوله ولم يقطع حبل كلامه حينما كان يخطب :

أمعلمي الوادي ، إذا حدّثتمـو	نشءَ البلاد الغضَّ عن أبطالـهـ
فلتأخذوا لهمو جمالاً قـدوةً	ولتضربوا الأمثال باستبسالـهـ
رجل تحدّى من رماه بصـدره	مستهزئاً بسهامه ونبالـهـ
رجل تناثرت القذائف حولـه	مطراً، فلم يقطع سياق مقالـهـ
قولوا لنشء النيل : هذا خـادمٌ	لبلاده ، فانسج على منوالـهـ ^(٣)

وفي قصيدته الأخرى (مصر تناجي المعلمين) التي أنشدها في مهرجان أقامه المعلمون ، احتفالاً بعيد (الجلاء) نراه يستهلها بخطاب توجهه مصر إلى المعلمين الحاملين لواء الدين واللغة ، معتبراً إياهم جنداً من جنود مصر الأوفياء ، جاعلاً من عيد (الجلاء) عيداً وأنشودة وطنية هامة :

(١) المصدر السابق ، ص ٣٢٣ .

(٢) السابق ، ص ٣٢٤ .

(٣) السابق ، ص ٣٢٥ .

يا منتبين رياض العلم في السوادي
يا مطلعين شموسي من مشارقها
الله يعلم هذا العيد عيدكم
سبعون عاماً وأنتم تطبعون على
إن قمتُ أشكرُ أجنادي ، فإنكم
ويطلب منهم أن يتمسكوا بالثقافة والمعرفة العربية وأن يردوها إلى سابق عهدها
كما رد الجيش أجداد بلاده ، ويريد منهم ثورة علمية جارفة يشع نورها في كل الأرجاء
تحمي السلام إذا ساد ، وتدافع عن الوطن إذا استبيح :

ردوا عليّ ثقافتي ، ومعرفتي
هيهات ما عينُ شمس^(٢) ، ما معاهدها
أريدها ثورة في العلم جارفة
تحمي السلام إذا ساد السلام ، فإن
وفي آخر القصيدة يتغنى بقيادة (عبد الناصر) الذي قاد البلاد من نصر إلى نصر
ويجعل العيد يحيي فيه فروسيته الفذة :

(١) المصدر السابق ، ص ٣٤٧ .

(٢) " عين شمس " : من ضواحي القاهرة في مصر الجديدة ، هي هليو بوليس القديمة ، بها جامعة عين شمس التي أنشئت عام ١٩٥٠ م .

(٣) " هارون الرشيد " : الخليفة العباسي الخامس (١٧٠ - ١٩٣ هـ) . من أشهر الخلفاء العباسيين . ابن المهدي والخيزران . ولد بالري تولى الخلافة بعد أخيه الهادي .

(٤) " ابنه " : هما : ١ . الأمين : (١٧٠ - ١٩٨ هـ) خليفة عباسي . ابن هارون الرشيد وزبيدة . قتل في نزاع حول الخلافة مع أخيه المأمون .

٢ . المأمون : عبد الله بن هارون الرشيد (١٧٠ - ٢١٨ هـ) الخليفة العباسي السابع . أمه جارية فارسية . قتل أخاه الأمين وخلفه . أنشأ " بيت الحكمة " في بغداد .

(٥) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٤٧ .

جمال ، مازلت تحدو الركب خلفك من
عبد الجلاء يحيي فيك فارســـــــــــــــــه
نصر لآخر ، عاش الركب والحادي !
لله عيد به توجت أعـــــــــــــــــادي !

٧ - حرب القناة :

أنشد غنيم قصيدته (حرب القناة) بعد انسحاب قوات العدوان الثلاثي من مدينة
(بور سعيد) الباسلة ، وكادت هذه الحرب تتسع وتنتشر لولا لطف الله وعنايته بأن أنقذ
الأرض من الدمار ، وفي ذلك الحدث يقول :

وقى الله البسيطة من دـــــــــــــــــمار
وقى الله الحضارة مـــــــــــــــــن زوال
وصان المشرقين من انفجـــــــــــــــــار
وصان الآدمية من بـــــــــــــــــوار
تحوها سحابا من بـــــــــــــــــار
تعالى الله ! كان العلم نـــــــــــــــــورا
فصار لظى شديدة الاستعــــــــــــــــار
وصار الناس في الدنيا فراشــــــــــــــــا
يُحوِّم سربه حول الشــــــــــــــــرار (١)

ثم يشير إلى مشعل تلك الحرب وهو (إيدن) رئيس وزراء إنجلترا في ذلك الوقت
ويشبهه بـ (نيرون) الذي أشعل الحرب في روما متلذذا بإراقة الدماء :

تناسى الناس " نيرونا " ورومــــــــــــــــا
بمن أمسى يجدف وهـــــــــــــــــوا
بمن قذف الورى بشواظ نــــــــــــــــار
بمن أمسى يجدف وهـــــــــــــــــوا
لها بالحرب " إيدن " فاستطــــــــــــــــارت
فصفق للهبب المستطــــــــــــــــار (٢)

وقد كادت الحرب تنتشر في أرجاء المعمورة لولا الموقف (الروسي) الذي أنذر
دول الاعتداء بالتراجع ، والموقف (العربي) الذي أدان وساعد ، والنخوة العربية
والفروسية المبدعة والوطنية الحقة في أهالي (بور سعيد) لولا تلك المواقف وأمثالها من
مواقف دول العالم الحر لانتصر (إيدن) وزين رأسه بتاج الملك ، ولكثر الموت في
الناس :

وكاد أوارها يمتد حتــــــــــــــــى
يهدد قبة الفلك المــــــــــــــــدار

(١) المصدر السابق ، ص ٣٤٢ .

(٢) السابق ، ص ٣٤٢ ، وتاليتها .

فلولا صيحةٌ من غاب "موسكو"
ولولا نخوة من "بور سعيّد"
ودك الأرض إسرائيل دكّا

ولولا وقفة لبني نزار
لزّين رأس "إيدن" تاجُ غرار
ومات الناسُ من غير احتضار^(١)

ويشيد شاعرنا بموقف (بور سعيد) في صد هذا الهجوم الثلاثي المتمثل في (إنجلترا سيدة البحار ، وجيش (السين) كناية عن فرنسا ، وإسرائيل التي شبهها بالغراب) :

ألم تر "بور سعيد" غداة قامت
وجيشُ "السين" يزحف عن يمين
وقالوا : نزهة في البحر ، قلنا :

تصدُّ هجومَ سيِّدة البحار ؟
وإسرائيل تحجِّلُ عن يسار ؟
نعم ، لكن تقوِّدُ إلى القرار (٢)

ويصف هول المعركة ، وكثرة القتلى والتنكيل بهم في صور مزرية ومذهلة ، مع أن هناك فارقاً كبيراً بين الجيشين نظراً للإمكانات الحربية لجيش العدوان في الأسلحة البرية والأسطول البحري ، والطائرات الحربية المقاتلة ، ومع تلك الإمكانات العجيبة إلا أنهم لاذوا بالفرار كالنعام بعد أن جاءوا يتباهون كالأسود الواثبة :

فكم جسدٌ غداً قوْثًا لِحـوتٍ
وما أغنى عن الثالوث جيـشٌ
ولا أغناه أسطولٌ عريـضٌ
ولا أغناه سربٌ بعد سـرب
أتوا كالأسد إقدامًا وفـروا
وكم رأسٌ تدحرج في مطـارٍ
كأن جنودَه رملُ الصحراري
يصاب البحرُ منه بالـدُّوارِ
يصلُّكُ أزيزه سمع الـدَّراري
وهم مثلُ النعامة في الفـرارِ^(٣)

ويزيد الشاعر قهكما وسخرية بجيوش العدوان حينما يقارن بين دمائهم ودماء الشهداء المصريين في الدناسة والطهارة ، وفي العبق والنتن وفي السمو والدناءة :

دُمُ الذَّوْبَانِ دَتَسَ أَرْضَ مَصْرَ — وعطرها دُمُ الْأَسَدِ الضَّوَارِي

(١) المصدر السابق ، ص ٣٤٣ .

(٢) السابق ، ص ٣٤٣ .

(٣) السابق ، ص ٣٤٣ ، وتاليتها .

تلاقى الأحمران : دمٌ خبيثٌ
 فهذا سال ممزوجاً بمسكٍ
 وآخر نفحهُ نفحُ العمّارِ
 وذلك سال ممزوجاً بقمّارٍ !
 وذاك مدادُ أمجادٍ ، وهـذا
 مدادُ صغيّفتي : خزي ، وعارٍ !^(١)

ويؤكد الشاعر على إصرار مصر وشعبها الأقوياء ضد المستعمر الطاغوي ، ويقرر
 أنّها لم تعد تباهي بطيب أصلها ، وكرم أهلها ؛ بل بأن السلاح صار لهواً بأيديهم ، ولعبة
 في أيدي أطفالهم ، وصار المدفع الرشاش في أيدي الفتيات الحسان أجمل وأبهى من السوار
 في معاصمهن ، والخنجر في البنان أزهى من الذهب والأحجار الكريمة ، وأن الكفوف قد
 صارت مخضبة بدماء الأعداء ، وأن القرويات قد حملن السلاح للدفاع بدلاً من حمل
 الجرار للشراب :

لعمرك ، لم تعد مصر تباهي
 لقد صار السلاح بمصر لهواً
 بطيب الأصل ، أو كرم النجار
 وتسلية لأطفال صغار
 فلا يرمي بها كرةً وليدٌ
 ولكن لعبه رميُ الجمّار
 وصار المدفع الرشاش أشهى
 وزان الخنجر الماضي بناناً
 إلى أيدي الحسان من السوار
 تزين بالعقيق وبالنضار
 فكم كف مخضبة كساهـا
 دمُ الأعداء صبغة الاحمرار
 وكم قروية حملت سلاحاً
 وما اعتادت سوى حمل الجرار^(٢)

فإذا ما تحقق السلم ورُفِرَ ظله فلن يكون لهم شعار سواه ، وإلا فهم الذائدون
 المحاربون إذا استبيح الوطن وانتهك العرض :
 إذا ما السلم رفّ ندى وظلاً
 فليس لنا سواه من شعـار

(١) المصدر السابق ، ص ٣٤٤ .

(٢) السابق ، ص ٣٤٤ .

فإن جارت علينا الشُّهُبُ يوماً _____

ويكشف الشاعر عن سبب حرب القناة وأن المحرك الأول لها كان تأميم
(قناة السويس) مما أثار غضب الإنجليز وعلى رأسهم رئيس وزرائهم في ذلك الوقت
مستر (إيدن) :

أمن أجل القناة تثور طفلاً ؟ _____

عجبنا : كيف ثرت وأنت تنمى _____

ومالك والقناة تذود عنها ؟ _____

ويذكرهم بأمجاد مصر السابقة وانتصاراتها المتلاحقة في بعض المعارك الطاحنة
كموقعة (رشيد) التي انهزم فيها الأسطول الإنجليزي أمام المصريين ، وكوقوف مصر في
وجه (التتار) في موقعة (عين جالوت) بعد اجتياحهم لبغداد أيام العباسيين :

رشيد أسلمتك " لُبْرُ سعيـد " _____

حلفتُ، لئن قُذِنَ الشرق منكُم _____

وفي (ذكرى العدوان الثلاثي) والاحتفال بعيد النصر على الأعداء نجد غنيماً
يقف شامخاً بقصيدته الرائعة في تلك المناسبة الوطنية العظيمة لوقوف مصر في وجه ثلاث
دول قوية (إنجلترا ، وفرنسا ، وإسرائيل) عام (١٩٥٦ م) . وفيها يبارك لمصر أعيادها
، ويذكرها بأمجادها :

وقفت أبارك أعيادهـا _____

وأمجاد مصر تهزُّ الوجـود _____

ألا قل لمن طاف حول الفضـاء _____

وأتلو على الكون أجمادهـا _____

ويستعذب الدهر إنشادهـا _____

ورام الكواكب فارتادهـا _____

(١) المصدر السابق ، ص ٣٤٥ .

(٢) السابق ، ص ٣٤٦ .

(٣) السابق ، ص ٣٤٦ .

سل النجم ، يخبرك : أنا قديمٌ _____
 ثم يتحدث الشاعر عن وقائع المعركة الكبرى التي خاضتها مصر ، فقد صور
 المعركة ووصف تأهب الشعب المصري لها بقوله :

وَيَوْمَ الْقَنَاةِ دَهَى الْمُعْتَدِينَ _____	عَلَى حُرُمَاتِ الْحِمَى مَا دَهَى _____
سَمَاوَاتُ " لَنْدُن " قَدْ أُرْعَدَتْ _____	فَمَا رَهَبَتْ مِصْرُ إِرْعَادَهَا _____
وَقَوَاتُ " بَارِيس " قَدْ أَوْعَدَتْ _____	فَمَا خَشِيتْ مِصْرُ إِبْعَادَهَا _____
وَنُخْلَفَ رُكَّابِ الْخَمِيسِينَ سَاقَتْ _____	عَصَابَةُ صَهْيُونَ أَوْغَادَهَا _____
سَلِ الْخَلْفِ - حَلْفِ الشَّيَاطِينِ - كَيْفَ _____	رَأَى غَابَ مِصْرَ وَآسَادَهَا ؟ _____
جِيُوشُ تَدُكُ بِآلَاقِهَا _____	رَأَتْ فِي الْكِنَانَةِ أُنْدَادَهَا _____
لَقَدْ عَبَّأتْ مِصْرُ يَوْمَ الْقَنَاةِ _____	مِنَ الْحَقِّ وَالْحَقْدِ أَجْنَادَهَا _____
وَعِىَ مَا اسْتَطَاعَ الْعَدُوُّ الْمَغِيرَ _____	بَغِيرِ الْهَزِيمَةِ إِخْمَادَهَا _____
لَقَدْ حَسِبَتْهَا السَّمَاوَاتُ " بَدْرًا " _____	فَسَاقَتْ إِلَى مِصْرَ أُمْدَادَهَا (٢) _____

ثم يشير إلى معايير النصر التي جعلت من المصريين منتصرين في نظره، وهي
 الاعتقاد الجازم بأن النصر من عند الله ، ثم وقفة بعض الدول العربية لمساعدتها كدمشق
 وبغداد :

إِذَا أَدْرَعْتَ أُمَّةً بِالْيَقِينِ _____	تَوَلَّى الْمُهَيْمِنُ انْجَادَهَا _____
وَلَمْ أَنْسَ أَنَّ الْعُرُوبَةَ كَانَتْ _____	سَوَاعِدَ مِصْرَ وَأَعْضَادَهَا _____
وَلَمْ أَنْسَ جَلَّقَهَا حِينَ مَسَدَّتْ _____	يَدَيْهَا ، وَلَمْ أَنْسَ بَغْدَادَهَا (٣) _____

والقصيدة كلها فخر بالعروبة ، وتغنٍ بالروح الوطنية ومدح لمصر بحسبها ملاذا
 للعروبة تحمي حماها وترعى لغتها ، ثم يتجه إلى مدح (عبد الناصر) باعتباره زعيماً للعروبة
 يضمّد جراحها ويدافع عنها :

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٧٧٩ .

(٢) السابق ، ص ٧٧٨ .

(٣) السابق ، ص ٧٨٠ .

وساد العروبة روح الوئــــــــــــــــام	وأنعم به حينما سادــــــــــــــــها !
ومصر ملاذُ العروبة ؛ تحمــــــــــــــــي	حماها ، وترعى لها ضادــــــــــــــــها
وتدفع عنها العوادي حــــــــــــــــين	تنوب ، وتحمل ما آدهــــــــــــــــا
وتدري العروبة أن جمــــــــــــــــالاً	إذا جرحت ، كان ضمــــــــــــــــادها ^(١)

٨ - بناء (السد العالي) :

كان مشروع السد العالي من أوليات واهتمامات عبدالناصر إذ " اعتبرته ثورة ٢٣ يوليو في مقدمة مهامها لتحقيق التنمية الزراعية ولتحقيق الرخاء بعد توفير مياه الفيضان التي تلقى في البحر " ^(٢) . ولم يأت بناء السد بين يوم وليلة ؛ بل كانت تعقد المفاوضات بين (أمريكا) من جهة ومصر من جهة ، وبين الاتحاد (السوفيتي) سابقاً من جهة ومصر من جهة أخرى ، وذلك حول التكاليف الإنشائية للمشروع ، وأملت أمريكا شروطاً قوبلت بالرفض من الجانب المصري لأنها "قد تؤدي إلى سيطرة الغرب على اقتصاد مصر ثم تنتهي بالإطاحة في النهاية باستقلالها كما حدث لمصر في عهد الخديوي إسماعيل وضخامة قروضه" ^(٣) .

وعقدت المفاوضات وأجريت المراسلات والوساطات بعد ذلك وصرّحت الإدارة الأمريكية أخيراً أن مصر لا تستطيع أن تأخذ قرضاً من البنك الدولي لضعف اقتصادها، وبالتالي فإنها لن تقدر ذاتياً على تمويل المشروع لضخامة التكلفة فغامر عبد الناصر مغامرة قوية بتأميم قناة السويس لبناء السد فتحقق الحلم وأصبح واقعاً.

وقد كان غنيم قريباً من تلك الأحداث والمفاوضات فأنشأ قصيدته (من وحي السد) يشير فيها منذ البداية بأن بناء السد قام على أساسين قوين هما: العزم والإيمان ، ويفتخر بأن المصريين القدامى ما داموا شيّدوا أهراماً شاهقة ، فلن يعجزهم اليوم بناء سد ، وفي هذا تنديد بأمريكا التي رفضت تقديم قروض مالية لإنشائه لتعسفها في إملاء شروطها :

(١) المصدر السابق ، ص ٧٨٠ .

(٢) تأملات في ثورات مصر ، ١/١٩٤ .

(٣) السابق : ١/١٩٥ .

على أساسين من : عزم وإيمان
 ما كاليقين ولا كالعزم إن صدقا
 نبيه ، لا من : جرائيت وصـوآن
 مُخطَّطٌ فوق ظهر الأرض أو بان
 هيهات يعجزهم إنشاء خزان ! ^(١)
 إن الألى رفعوا الأهرام شامخةً
 ثم يفتخر بإنجازات الرئيس جمال ، وعزمه على بناء السد ويشبهه بقوة
 فرعون وعظمته :

أطل من قبره فرعون مبتسماً
 بنى الحياة جمالاً والرخاء معاً
 وقال : إن جمالاً توأمي الثاني
 لكن "خوفو" بنى قبراً لجثمان
 من أطلق النيل أمسى وهو يحبسـه
 جمال يثني عليك المطلق العاني ^(٢)

ويرد غنيم بروح وطنية على من زعم أن مصر غير مؤهلة اقتصادياً لبناء هذا
 المشروع الضخم ، بأن العزم والنية الخالصة كانت موقداً قوياً للرئيس عبد الناصر :

يا باني السد ، قد فندت ما زعموا
 أقسمت ، لم تبتن الخزان منفرداً
 بالأمس عن مصر من إفك وبهتان
 بل الكرامة والخزان فـي آن
 وأنت بـناء دولات وأوطـان
 كرامة العرب من أبناء عدنان ^(٣)
 أسست سداً به كانت معلقةً

ويتمجه بخطابه للنيل ويقول له : لقد كنا نشكو منك فيما مضى أيها النيل في حالة

الجفاف وحالة الفيضان ، أما اليوم فلم نعد نأبه بالأمرين لوجود سد كبير يحميننا :

قد كان يشكوك صاديننا وغارقنا
 ما عدت ، يانيل ، بعد اليوم تظمئنا
 يانيل ، حلاك في واديك ضدان !
 أو عدت تطغى علينا أي طغيان ^(٤)

ويجسد من (السد) شخصاً آخر يخاطبه ويتمنى منه أن يكون مصدر رخاء ونعمة

على شعب مصر ، فماؤه الذي يحويه كأنه ذهبٌ ، بل إنه أغلى من الياقوت والمرجان ،
 فأصبح بهذا قد غطى على عجائب الدنيا السبع وبقي منفرداً بالذكر والتّميّز :

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٤٨ .

(٢) السابق ، ص ٣٤٨ ، وتاليتها .

(٣) السابق ، ص ٣٤٩ .

(٤) السابق ، ص ٣٤٩ .

يا أيها السد ، بشر بالرخاء ، فما
ما أنت حرز مياه فاض زاهرها
قالوا : العجائب سبع ، قلت : ويحكمو

حويت ماءً ، ولكن ذوب عقيان
بل أنت كثر يواقيت ومرجان
ما هذه السبع إلا سد أسوان^(١)

(١) المصدر السابق ، ص ٣٤٩ .

المناسبات القومية

عندما ندير وجهة الحديث إلى المناسبات القومية والتي كانت مثيراً قوياً لإبداع الشاعر نرى أن محموداً لم يكن يعيش لوطنه الصغير مصر ، وإنما كان يعيش لمواطنيه في الوطن العربي الكبير ، فيمتد بصره من المحيط إلى الخليج ليشارك في أغلب الأحداث التي أَلَمَّت بالشعوب العربية .

ونحن هنا حينما نتحدث عن القومية لا نعني بها المفهوم الضيق الذي يقصرها على الإقليمية الضيقة ، وإنما نقصد منها " التجربة الإنسانية التي تتجاوز كل الحدود والعقبات المصطنعة التي تعرقلها وتقف في طريقها ، وترتكز فوق اللغة والتاريخ على أساس عقائدي " (١)

وقد تبين لنا من خلال استقراء دواوين الشاعر الثلاثة أن تلك المناسبات القومية المثيرة لإبداعه صادفت عاطفة صادقة لديه تقوم وترتكز على حب الدين والعروبة فتفاعلت معه وامتزجت وأنتجت شعراً قومياً وإنسانياً يحمل في طياته الانتماء الصادق والأکید للوطن العربي .

وكان من الطبيعي جداً أن تكون عناصر القومية العربية التي صدر عنها محمود في شعره هي نفسها الموجودة عند شعراء العصر الحديث في البلدان العربية الأخرى من " إلحاحهم الشديد على وحدة الأصل العربي ، ووحدة اللغة وماضي العرب المجيد وتاريخهم الحافل ، وعلى آلامهم وآمالهم المشتركة ، ونزوعهم الشديد نحو وحدة أقطارهم وشعوبهم " (٢) .

وقد كان شعر غنيم القومي صدىً لكثير من الأحداث والمناسبات التي حدثت في الوطن العربي ينفعل بها ويصهرها في تجربته الواعية إلى مرحلة التصوير والإبداع ، وكل همه من ذلك الشعر استنهاض الهمم وتنبيه النفوس ، والدعوة إلى التضامن والتسامح بين

(١) محمد الصادق عفيفي : التجربة الإبداعية عند محمود هاشم رشيد ، الطبعة الأولى ، (جدة : دار العلوم للطباعة والنشر ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م) ، ص ١٧٩ .

(٢) عمر الدقاق : الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث ، الطبعة الرابعة ، (بيروت : دار الشرق العربي ، ١٩٨٥م) ، ص ٤٤٨ .

أبناء الشعوب العربية ، والوقوف في وجه العدو المحتل . والنماذج التي سوف أقدمها من شعر غنيم في المناسبات القومية ما هي إلا غيضٌ من فيض ، فالجمال ضيق ، والمهم من ذلك هو أن نمكن القارئ من التعرف عن قرب على سمو التجربة الإبداعية عند غنيم .

١ - الدعوة إلى الوحدة العربية :

شارك غنيم بشعره في مختلف مجالات الحياة المعاصرة ، وعبر في هدوءٍ وعقلانية عن قضايا أمته العربية ، فدافع عنها ، وحاول أن يلتمس الحلول العاجلة للرقى بها ، فامتزج بأحداثها وعبر عن آمالها وآلامها وعن أفراحها وأتراحها ، وتحدث عن مناسباتها القومية المختلفة .

فهو ينشد في شعره ما يسمى بـ (الوحدة والتلاحم) بين أبناء الدول العربية ، ويتمنى دائماً لو ترجع (الدولة الإسلامية) العظمى التي طالما حلم بها في ظل الظروف الصعبة التي يمر بها المجتمع الإسلامي والعربي في عصره ، ونلمح ذلك في قصيدته الرائعة (وقفة على طلل) والتي يتذكر فيها عظمة الإسلام وأجداد المسلمين :

أني اتجهت إلى الإسلام في بلد	تجده - كالطير - مقصوفاً جناحاه
ويح العروبة كان الكون مسرحها	فأصبحت تتوارى في زواياها
كم صرقتنا يدٌ كنا نصرّفها	وبات يملكنا شعبٌ ملكناها
كم بالعراق ، وكم بالهند ذو شجنٍ	شكا ؛ فرددت الأهرام شكواها !
بني العمومة ، إن القرع مسكمو	ومسنا ، نحن في الآلام أشبهاها !
يا أهل "يثرب" أدمت مقلتي يدٌ	بدريةٌ تسألُ المصريَّ جدواها
الدين والضاد من مغناكم انبعثا	فطبّقوا الشرقَ : أقصاه ، وأدناها
لسنا نمد لكم أيماننا صلوةً	لكنما هو دينٌ ما قضيناه (١)

وهو يتألم حرقةً وأسىً على ما ضاع من بلاد المسلمين كالأندلس وفلسطين ، فكان يتمنى لو ترجع تلك الأجداد ويحلم بعودة الدولة الإسلامية ، لأن في تحقيقها رفعة للإسلام والمسلمين.

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في وادٍ ، ص ٧٩ .

ومن أبرع وأروع ما رددته في الوحدة العربية قصيدته التي تغنى بها عندما تحققت
الوحدة بين مصر وسوريا ، والتي وقَّعتَ في فبراير سنة (١٩٥٨م) ففرح بها وابتهج
بتحققها فعلياً على أرض الواقع المعاصر :

عُرسان: في بنت المعزِّ ، وجِلِّقاً
هزاً بلحنهما الشجيَّ المشرقاً
الماء في بَرْدَى جرى مترنماً
وعلى حُداء النيل قام مصفّقاً
نهران ما سالا نغماً سائغاً
بل منهما المجد الأثيلُ تدفقاً^(١)

ثم يخاطب العروبة بأن تشاركهما فرحتهما وفخرهما بهذه الوحدة المباركة :

قل للعروبة : يا عروبة كبري!
بجدُ المعزِّ^(٢) بمجد مروان^(٣) التقى
أخوان بينها المشاعر ألفست
ما كان للأخوين أن يتفرقاً
الضاد أمهما ، ويعرب والـد
أرأيت أنجب منهما أو أعرقاً ؟
ماض يزين ، وحاضر يزهى به
كالكرم طاب جنى ، وطاب معتقاً
أخوان في حلو الحياة ، ومرها
يتقاسمان بها السعادة ، والشّقاً^(٤)

ويشير إلى أن الصلات بين البلدين قديمة ووثيقة من عهد الفراعنة :

لم يفصل التاريخ يوماً بيننا
لكنه عقد الصلات ووثقاً
من عهد فرعون ونحن وأنتمـو
بلدٌ ، وعند الروع نبذو فيلقاً^(٥)
وتتأجج المشاعر العربية لديه عندما يجعل الدولتين تتشاركان في الإحساس والألم

بما يحل فيهما من مصائب ونكبات ، فهما مشتركتان في وحدة الآلام والآمال :

قد كان ماضينا لماضيكم صدىً
ومصيركم بمصيرنا متعلقاً
إن أرقت أجفان مصر مُلْمَأةً
تر كل جفن في دمشق مؤرقاً
وإذا أصاب دمشق مكروه ترى
أحشاء مصر تكاد أن تتمزقاً^(٦)

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣١٣

(٢) " المعز لدين الله " : مؤسس الدولة الفاطمية في مصر .

(٣) " مروان " : هو مروان بن الحكم يعتبر المؤسس الثاني للدولة الأموية بعد معاوية .

(٤) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣١٣ .

(٥) السابق ، ص ٣١٤ .

(٦) السابق ، ص ٣١٤ .

ثم يتحدث عن عزيمة الشعبين وإصرارهما على التمسك بالحرية والاستقلال وتحطيم القيود المفروضة عليهما ، ويفتح صفحة مشرقة من صفحات التاريخ الإسلامي العريق للدولتين ، ويتذكر معاركهما الطاحنة مع الأعداء كموقعي (عين جالوت، وحطين)

شعبان ضاقا بالقيود ، ومن لــــه	ماضيهما لم يحيي إلّا مطلقــــا
والله ما أزرّت بنا أطواقــــا	الليث ليث ، مطلقاً ومطوّقــــا
قيد لبسنائه فلم تُرهِقْ بــــه	سيقاننا ، بل عاد منها مرهقــــا
إن ضاق في أقدامنا ، فلعلــــه	قد كان في قدمي " لويس " ^(١) أضيقا
أيام أقبل نحو مصر فاتحــــا	مصرّاً؛ فغادرها أسيراً معتقــــا
يا ربّ يومٍ فيه مصر وسوريــــا	ردا" التتار" فكان يوماً أبلقــــا
لما هوت بغداد تحت خيولهم	وجرى الفرات دمّاً صبيّاً مهرقــــا
في " عين جالوت " " غضبنا غضبة "	كشفت عن الشرق البلاء المحدثــــا
يا ربّ يوم جيش مصر وسوريــــا	صدّاً الصليبيين فيه فوقــــا
أبلى صلاح الدين فيه بجحفــــل	يجد الشهادة بالمجاهد أليقــــا
" حطين " تشهد أننا عــــربٌ ، إذا	فرق الأسود من الردى ، لن نفرقا ^(٢)

والشاعر قد تغنى بالوحدة الكبرى للم الدول العربية تحت كلمة واحدة ، ومن

ذلك قصيدته (الوحدة الكبرى) التي يقول فيها :

أيها العرب أرهفوا الآذانــــا	هل سمعتم - كما سمعت - الأذانــــا
هاتف علوي الدعاء إلى الوحــــا	دة ، من عالم الخلود دعانــــا
وحدة لم تشن فيها حــــروب	لا ولا سالت الدما غدرانــــا
قد أقمنا في كل صدر لها حفــــا	لاً ، وفي كلّ مهجة مهرجانــــا
حققتنا إرادة حرة فــــي	أمم حرة تعاف الهوانــــا ^(٣)

(١) " لويس التاسع " : ملك فرنسا الذي أسر أثناء الحرب الصليبية في دار ابن لقمان بالمنصورة .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣١٤ ، وتاليتها .

(٣) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٦٩٢ .

ثم ينادي وفود العرب المجتمعة في مصر بأن ينهضوا بالوحدة ، ويعملوا على

تحقيقها :

ياحماة الذُّمار في سفح " أورا	س " وأسدَّ العرين في نجراناً ^(١)
يا بني العم في العقيق ، ونجد	وبني الخال في ربا عَمَّاناً ^(٢)
أزفت ساعة النهوض فهياً	ليس باليعربي من يتوانى
فُتحت دراةُ الخلود، فإن زر	تم وجدتم بياها رضواناً
باسم الثغر قبل أن يفتح البـ	ب، لمن زار يفتح الأحضاناً ^(٣)

ونراه كثيراً ما يدعو إلى لم الشمل ، وإذابة الحدود الإقليمية ، ونبد الخلافات

الحزبية ، واتخاذ الدين أساس العروبة ، ولغة الضاد لسانها :

شملتنا عناية الله حـــــــتى	جعلتنا بفضلِهِ إخواناً
قد محونا من الوجود حـــــــدوداً	وتخوماً تفرق الأوطاناً
واتخذنا حب العروبة ديناً	يجمع المرسلين والأدياناً
وحفرنا في باطن الأرض جُباً	ودفنا الأحقاد والشَّنائناً
إن من خص كل قوم بلســــن	جعل الضاد للكرام لساناً ^(٤)

ويوضح أن تلك الخلافات وذلك الشقاق لم ينتج عنهما إلا الفرقة والشتات بين

أبناء القومية الواحدة ، فتمكن العدو من أرضنا واستباح حقوقنا الشرعية ، ونحن نقف

عاجزين متفرجين لا نعرف كيف نتصرف :

ما جنينا من الــــخلاف ورودا بل جنينا القَتَاد والسَّعدانــــ

(١) "أوراس" : منطقة جبلية ، تحصن فيها المجاهدون الجزائريون ، وفيها كانت المفاوضات . "ونجران" : موضع بالبحرين ، وآخر قرب دمشق ، وثالث بين الكوفة وواسط ، ولعله المراد هنا .

(٢) "العقيق" : موضع بالمدينة ، وباليمامة وبالطائف ، وبتهامة ، وبنجد ، ولعله يقصد هنا الأول . "ونجد" : قسم من الجزيرة العربية بين الحجاز والعراق . أكثر الشعراء القول في طيب ترابه ، وجودة هوائه ، وحسن نباته . "وعَمَّان" : عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية ، هي فيلادلفيا القديمة . من آثارها القلعة ومسرح روماني . وهي مركز ثقافي وتجاري وصناعي .

(٣) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٦٩٣ .

(٤) السابق ، ص ٦٩٤ .

حَسْبُنَا أَنْ عَصَبَةً لَفَظَتْهَا _____
 كَرَّةُ الْأَرْضِ تَسْتَبِيحُ حَمَانَا _____
 وَلَوْ أَنَّا لَدَى الزَّحْفِ صَفَا _____
 مَا دَهَانَا مِنَ الْأَسَى مَا دَهَانَا _____
 بَلْ قَذَفْنَا الْعَدُوَّ فِي مَوْجِ الْبَحْرِ _____
 وَرَقْنَا مِنَ لَحْمِهِ الْعُقْبَانَا ^(١)

ولحمود غنيم مجموعة من الأناشيد القومية التي تنمي في الشباب والناشئة حب العروبة والتمسك بالوحدة والدعوة الصريحة إلى تأكيد الانتماء لهذا الوطن العربي الكبير وذلك كما في نشيد (الكشاف العربي) الذي يقول فيه :

بُورَكَتْ يَا أَرْضَ الْعَرُوبَةِ مَوْطِنَا _____
 اللَّهُ أَكْبَرُ! إِنْ فَجَرَكَ أَذْنًا _____
 وَأَطْلَ فِي الْآفَاقِ لِمَاحِ السَّنَا _____
 أَمْجَادِكَ الْأُولَى سَاحِيهَا أَنَا _____
 أَنَا نَسْلٌ مِنْ خَطِّ الْحَضَارَةِ وَابْتَنَى

أَنَا بَلَسَمَ الشَّاكِي، وَمِنْهَا لَ الظَّمَى _____
 وَأَبُو الْيَتِيمِ ، وَكَتَرَ مَالِ الْمَعْدَمِ _____
 تُجْرِي الْمَرْوَةُ مِنْ قَدَمِي فِي دَمِي _____
 لَمْ لَا أَلَسْتُ إِلَى الْعَرُوبَةِ أَنْتَمِي ؟ _____
 مَنْ مِثْلُ أَسْلَافِي وَمِثْلِي مَعْدِنَا ؟ ^(٢)

ثم يفتخر بأن اللغة العربية أمه ، ويعرب والده :

الضَّادُّ لِي أُمُّ ، وَيَعْرَبُ وَالْـ _____
 يَفْنَى الزَّمَانَ ، وَمَجْدُ يَعْرَبِ خَالِد _____
 أَبَدًا يَظْلِلُنَا لَوَاءٌ وَاحِدٌ _____
 ضُمُّوا الصَّفُوفَ إِلَى الصَّفُوفِ وَجَاهِدُوا _____
 تَبَا لِكُلِّ يَدٍ تَفْرُقُ بَيْنَنَا ^(٣)

ولا يكتفي غنيم بتلك الأناشيد التي خصصها للدول العربية وحدها، بل إن العروبة عنده تشمل بلاد الشرق كلها ، فنراه ينشد للشباب الآسيوي والأفريقي معاً ، ويجعلهما أمة واحدة ، ليؤلف بينهما ، وليذيب كل النعرات التعصبية والحدود الإقليمية ، داعياً إلى المساواة بينهما ، فلا فرق بين أبيض وأسود في المعاملة والحقوق إلا بالتقوى :

اسْلَمِي يَا أُمَّمَ الشَّرْقِ ، وَسُودِي _____
 وَابْلَغِي الْأَوْجَ بِتَوْحِيدِ الْجَهْ _____
 لَا عِدَاكَ النَّصْرُ خَفَّاقُ الْبَنَى _____
 أَنْتَ ظِلُّ اللَّهِ فِي هَذَا الْوَجْ _____

(١) المصدر السابق ، ص ٦٩٤ .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٦١ ، وتاليتها .

(٣) السابق ، ص ٣٦٢ .

وبشير الأمن فيه والسلام

يا شباب الشرق، سودوا مثلما ساد الجدود صُحُفُ الماضي شهودٌ: أننا سدنا الأنام

* * *

هاهنا فجر جديدٌ طلَعَ وشباب للأذان استمع_____

بين أفريقيا وآسيا جمع_____ أَلْفَ الأحرار في الشرق مع_____

أَلْفَةٌ بين كرام وكرام

نحن شعب واحد يغيي الخلود لم تفرق بين أرضينا الخلود

ليس في شرعتنا بيض وسود كلنا شرق ، عن الشرق نذود

نقبل الموت ، ونأبى نضام

يا شباب الشرق، سودوا مثلما ساد الجدود صحف الماضي شهود : أننا سدنا الأنام^(١)

* * *

والواقع أن غنيماً قد دعا العرب في شعره القويم إلى التمسك بالدين واللغة
والعروبة دون أي تعصب حزبي أو عرقي أو سياسي فكان ديدنه اجتماع العرب على
كلمة واحدة ، والرجوع إلى مجد الدولة الإسلامية الأولى ، والتمسك به والنهج على
منواله ، فحلّق بشعره في أرجاء الوطن العربي الفسيح ، وأنشد وتغنى بالبلاد العربية مروراً
بالجزائر والسودان والعراق والشام والخليج ، وهذا يدل على حبه وعشقه للبلاد العربية
آسيوية كانت أم إفريقية .

ففي إفريقيا تغنى بمدينة (طرابلس) الليبية وبجمالها ، وبكرم أهلها ، يقول واصفاً
طبيعتها في قصيدته (جمال طرابلس) ويقارنها بطبيعة المدن الإيطالية :

هذي " طرابلس " أم هذه " بُلَى " ؟ البر مبتسم ، والبحر في جَـذَل

والشمس ضاحكة ترخي أشعتها_____ شعراً من التبر لكن غير منجـدَل

هنا الحياة ، هنا سر الجمال، هنا_____ موج الخلود على شط من الأزل

(١) المصدر السابق ، ص ٦٢ وتاليتها .

مدينة أنت ، يا "أويا"^(١) - فديتك - أم
 هب النسيم عليها عاطراً أرجوا
 القيقظ يخشى بفصل الصيف جانبها
 والماء يطغى ، وتستشري عجاجته
 ولا يقصر حديثه عن طبيعتها الساحرة وجمالها الفتان ؛ بل يتغنى بمكارم أهلها

وأخلاقهم الرفيعة ، وكرمهم الفياض ، ونفوسهم الطاهرة النبيلة :

يا أمة ورثت مجد العروبة ، لــــو
 لا ضيف أكرم من ضيفٍ يجاوركم
 ماذا لقينا لديكم من مؤانسة
 فيكم من البدو أخلاق مبررة
 قست النجوم بها في المجد لم تُقَسِّ
 بالدار ، والأهل ، والأحباب مؤتنس
 دلت على كرم في النفس منغرس ؟
 من كل ما حوت الأمصار من دنس^(٢)

وحين سافر إلى (الخرطوم) في مهمة ثقافية ألقى قصيدته (النيل والسودان) يصف فيها النيل والسودان ويجعل من السودان نفحةً من نفحات الجنة :

جيرة النيل ، أرضكم فوق ظهر
 سحب دمعها يسيل سجاماً
 أمة أمها الطبيعة ، والنــــيــــة
 وشعاع تزجيه شمس ضحكوك
 وكنوز لم يكشف الستر عنها
 الأرض نفح من جنة الرضــــوان
 يا لدمع يجري بلا أحــــزان !
 ل أبوها ، الأب الأبر الحــــاني
 ذات دل ومبسم فتــــوان
 وأراضٍ عذراء غير عــــوان^(٣)

ثم يخاطب النيل ويخبره أن شطآنه السودانية رمز للخلود ، وأن شعبه ذا البشرة السمراء يتمتع بأفضل الخصال الحسية والمعنوية :

أيها النيل ، إن شطك رمز الخــــي
 أيها النيل ، حول شطك شعــــب
 د في ذلك الوجود الفانــــي
 يتحلى بسمرة الأبــــدان

(١) "أويا" : اسم طرابلس القديم .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٦٦ .

(٣) السابق ، ص ٣٦٣ ، وتاليتها .

(٤) السابق ، ص ٥٩٩ .

ذو خصال مثل القواضب يـضـ ووجوه في سمرة المـرّان^(١)
ويشير في آخر القصيدة إلى الوشائج القوية التي تجمع بين البلدين فهما مشتركان
في الماء ، والدم ، والدين ، واللغة :

إن مصرأ وإن سودان مصـرـ في رضاع وفي دم أخـوان
وهما - منذ كون الله هذا الكـون - شعب ولا أقول اثـنان
ربط الله بيننا بربا طيـرـ من وثيقين : الضاد ، والقرآن^(٢)

وينتقل الشاعر بقيثارة شعره إلى أجواء الخليج العربي فيتغنّى بدولة (الكويت)
وبجمالها الأخاذ وطبيعتها الساحرة وذلك عندما قام بزيارتها :

قم ، حي فاتنة الجمـال بالشعر كالسحر الحـلال
حي الكويت ، وقل لهـا : يا درة بين الرمـال
يا واحة قد خطها الـحـلـل رحمن في وسط التلال
جنات خلد في لظى الـحـلـل صحراء وارفة الظلال^(٣)

ثم يصف بعض المظاهر الحضارية التي تتميز بها الكويت كإضاءة الشوارع بأعمدة
إنارة متميزة :

ولقد دخلتك في الدجـى فأريتني بيض الليـالـي
يا بلدة ، - يحمر - مـن خجل بها وجه الهـلال
لم لا ، وأعمدة الضيـا ء بها بدور في الكمـال ؟^(٤)

ولا ينس الشاعر أهل الكويت فتراه يشيد ببطولتهم وشجاعتهم وصدق فعالهم :

قالوا: بلاد الزيت ، قلـلـت : بلاد أبطال الرجـال
الذائدين عن الذمـلـل ر ، الصادقين لدى النضـال

(١) المصدر السابق ، ص ٥٩٩ .

(٢) السابق ، ص ٥٩٩ ، وتاليتها .

(٣) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٧٠١ .

(٤) السابق ، ص ٧٠٢ .

التابعين مقالهم _____ قبل التكلم بالفعل _____^(١) ال

وحقيقة الأمر أن الشاعر قد تحول بشعره في معظم البلدان العربية يتضح ذلك في حشد كبير من قصائده مثل (بغداد ، والبصرة ، وتحية لبنان) التي ليست سوى نماذج للتعبير عن حبه وإخلاصه للبلاد العربية ، وتغنيه بطبيعتها الساحرة ، وأخلاقيات أهلها الذين ينحدرون من أصل عربي ويجمعهم الدين والعرق واللغة .

٣ - فلسطين المحتلة :

بدأت عداوة اليهود للمسلمين منذ بزوغ فجر الإسلام وانتشاره ، وتمثل تلك العداوة في معارضة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وتكذيبه ، ومحاوله قتله وتهديده ، ومناصبه العداوة للمسلمين أجمعين ، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا في قوله تعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾^(٢) .

ونظراً لتأصل هذه العداوة المريعة في عمق التاريخ فقد امتدت وبلغت ذروتها في العصر الحديث حين أعلن اليهود قيام دولة " إسرائيل " عام ١٩٤٨م . وكان هذا الصراع مع اليهود باعثاً قوياً للشعراء ، ومنهلاً ينهلون منه أشعارهم وإبداعاتهم ، فوقفوا مناضلين ومدافعين بشعرهم تجاه هذا الاحتلال الغاشم لدولة فلسطين وتصوير فضائح ومجازر اليهود وما ارتكبوه ضد هذا الشعب الأعزل من السلاح من تهجير وتدمير وتخريب .

وقد أسهم غنيم كغيره من شعراء العصر الحديث في تصوير الحدث بقصائد رائعة يندد فيها بالاحتلال الغاشم ، ويصف فيها الأوضاع العصيبة التي تمر بها الأرض الفلسطينية ، ويستنهض فيها نخوة العرب لمساعدة إخوانهم ، فلم يقف إذاً بعيداً عن ذلك الصراع ، بل عايشه وامتزج به وسافر إلى (غزة) وقابل اللاجئين وتحدث عن أوضاعهم ، وندد بالهيئات

(١) المصدر السابق ، ص ٧٠٢ .

(٢) سورة المائدة ، آية ٨٢ .

الدولية كمجلس الأمن وعصبة الأمم التي وقفت مكتوفة اليدين ، واكتفت بالمشاهدة والاستنكار .

وقد بدأت مشاعره تتحرك تجاه هذه القضية بعد إعلان قيام الدولة الإسرائيلية فتحدث عن هذه المأساة الكبيرة والفاجعة العظيمة التي ابتلي بها المسلمون ، وقصيدته (يا أخت عمورية) ما هي إلا صرخات وعبرات أطلقها لكل المسلمين والعرب مستنكراً فيها الوضع المتأزم والخطر في منطقة الشرق الأوسط ، فقد بدأها بالدعوة إلى الجهاد المقدس ضد إسرائيل ، ورد القوة بالقوة بدلاً من التشدق بالخطب العصماء التي لا تقدم ولا تؤخر:

قلنا ، وأصغى السامعون طويلاً	خلوا المنابر للسيوف قليلاً
سقنا الأدلة كالصباح لهم ، فما	أغنت عن الحق الصراح فتيلاً
من يستدل على الحقوق ، فلن يرى	مثل الحسام على الحقوق دليلاً
لغة الخصوم من الرجوم حروفها	فليقرءوا منها الغداة فصلاً
ولقد بحثت عن السلام ، فلم أجد	كإراقة الدم بالسلام كفيلاً ^(١)

ويندفع الشاعر في مواجهة إسرائيل بالسؤال عن ملكهم الذي يدعونه ويبحثون عنه ، مؤكداً أن تلك الدعوات ماهي إلا أحلام وتأويلات ، ويعيرهم بأنهم شعب ضائع ليس له مكان في الوجود ، وأن ولادتهم ومجيئهم كان عن طريق (انجلترا وأمريكا):

يا آل إسرائيل ، أين الملك ؟ هل	مضت الرياح بملك إسرائيل ؟
أتحقت آمالكم في دولاً	تمتد عرضاً في البلاد وطولاً ؟
خدعتكم الأحلام في سنة الكرى	ما أكذب الأحلام والتأويل
هي بنية قامت بغير دعامة	هي دولة قد أنشئت لتزولا
قل للأولى نفخوا بها من روحهم :	هيهات قد ولد الجنين قتيلاً ! ^(٢)

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٧١ .

(٢) السابق ، ص ٣٧٢ .

وتزداد عاطفة الشاعر حرقة عندما يرثي المدن الفلسطينية كمدينة حيفا التي

نكبت ووقعت في براثن الاحتلال ، فانتهكت أراضيها وشرد أهله:

" حيفا " فديتك ! ما لجفئك ساهدا
وللحنك الشادي استحال عويلا
ما بال أهلك شردوا ، وشراك قد
أمسى بغير ليوثة مأهــــــــــــــــولا ؟
أعزز على أبناء يعرب أن يــــــــروا
علماً يرفُّ على حماك دخيلا ! ^(١)

ثم ينادي (فلسطين) الدولة المنكوبة ويشبهاها بـ (عمورية) التي اغتصبها الروم أيام
الدولة العباسية ، وعاثوا فيها وقتلوا وشردوا ، فصاحت إحدى نساؤها قائلة :
وامعتصماه!! فبلغ الخير الخليفة المعتصم الذي سارع في نجدها ففتحها وأنقذها ، وما
صرخة غنيم هنا إلا ليستنهض همم المسلمين ويشعل نار الغيرة في نفوسهم ، فيهبوا لتحرير
فلسطين ، ويذكرهم في الوقت نفسه ببطولاتهم الباسلة في الحروب والغزوات الماضية ،
ليثير نخوتهم وحميتهم :

يا أخت " عمورية " لبيك ! قد
ناديت " معتصماً "؟ فكان غيائــــــــه
ما كان بالألفاظ جرس جوابــــــــه
وأزير أسراب تصب شواظها
لن يغفر العرب الأباة لغــــــــادر
إننا لقوم ليس يحكي عارهم
إننا جعلنا أرضنا للمعتــــــــدي
وليشهد التاريخ " لليرموك " أو
وليعلم الثقلان : أننا لم نــــــــزل
دقت حماتك للحروب طــــــــولا
جيشاً شروباً للدماء ، أكــــــــولا
بل كان قعقةً وكان صليــــــــلا
فوق الحصون ، فتستحيل طلــــــــولا
هتك الحرائر والدم المطلــــــــولا
حتى يرى بدمائهم مغســــــــولا
قبراً ، وظلاً للتريل ظليــــــــلا
" ذي قار " في العصر الحديث مثيلا
نحمي ، كما حمت الجودود الغيلا ^(٢)

ويفتخر الشاعر بالأبطال والقادة العظام في تاريخنا الإسلامي أمثال (ركن الدين،
وصلاح الدين ، وخالد بن الوليد ، وطارق ، وأبي عبيدة) الذين حققوا الانتصارات في
غزواتهم الإسلامية ، ويثني على جنود النيل الذين هبوا لمساعدة إخوانهم في فلسطين :

(١) المصدر السابق ، ص ٣٧٢ .

(٢) السابق ، ص ٣٧٣ .

لما رأيت النيل عباً جيشه
وذكرت " ركن الدين " في حملاته
فلطالما دك القلاع بعزمه
جيش الصلاحيين سار ، كأنني
وكأنني " بابن الوليد " و " طارق "
قلبت طرقي في الجنود ، فلم أجد
يتسابقون إلى اللقاء ، كأنما

أتبعته التكبير والتهليل
إذ كان يحدو الجيش والأسطولا
ولطالما رد الجيوش فلولا
أبصرت بين صفوفه جبريلا
و " أبي عبيدة " يركبون خيولا
إلا فروغاً يتبعون أصولا
هو نزهة بين الرياض أصيلا^(١)

ولم يكتف الشاعر بإلقاء قصائده تجاه القضية وهو في مصر ، بل إنه سافر إلى
(غزة) وشاهد الموقف بنفسه وصور لنا معاناة الشعب على أرض الواقع وكأنه وسيلة
إعلامية متنقلة ، فنقل لنا مشهداً مؤلماً من مشاهد مآسي الشعب الفلسطيني وهو مشهد
(اللاجئين) الذين شردهم العدو الإسرائيلي الغادر فسكنوا الخيام والعري ، فبكى من
حالمهم وتحدث عن معاناتهم :

قم حيّ حيّ اللاجئين
حيّ به شبح الردى
قرّحت منا ، يا فلسـ
قد كنت مبكياً للهِـ
لهفي على الشّم الأبـ
سكنوا العراء ، ودورهم
قد أوشكت شرفاتهم
يرنو إليهم صخرهم

واذرف به الدمع السخيـن !
في كل زاوية كميـن
طين الحشا قبل الجفـون
د فصرت مبكى المسلمـين
ة عن الديار مشرديـن
منهم على مرأى العيـون
تومي إليهم باليمـين
فيذوب من فرط الحنيـن !^(٢)

ويسلط الشاعر غضبه وهو في (غزة) على اليهود المحتلين ويشهر بهم ويهجوهم
على المألأ بأنهم شعب مشرد ليس له وطن يأوي إليه ، فهم نكرة مجهولة على ظهر
البيسطة :

(١) المصدر السابق ، ص ٣٧٤ .

(٢) السابق ، ص ٣٨٤ .

ق دنسوا البلد الأمين	الهائمون بكل أف
جه الغريب ، ولا الغصون	لا الطير يعرف ذلك الو
والريح ، والغيث الهتون	الأرض تنكرهم بها
ساغوا بها العذب المعين ^(١)	لا جادهم غيث ، ولا

والواقع ومن خلال تتبعي لديوان الشاعر يتبين أنه لم يكد يترك أي مناسبة ثقافية أو اجتماعية سواء كان ذلك في بلده أم في البلدان العربية الأخرى إلا تحدث فيها عن النكبة الفلسطينية وما لحق بأهلها من أذى ومذلة . مستعرضاً من خلالها قضية اللاجئين التي شغلت العرب والمسلمين حتى اليوم ، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر قصيدته (تحية وقضية) التي ألقاها خلال زيارته لمكة المكرمة ، وقصائده (بغداد، وانتصار الجزائر، ومهرجان الجزائر) خير دليل على تلك القصائد التي عرض فيها للقضية الفلسطينية ، فعندما نزل ضيفاً في (بغداد) استثمر الموقف وتعرض للقضية ، وهاجم الإسرائيليين ووصفهم بالخزي والبغى، وتحدث عن مشكلة اللاجئين :

البغي أوجد إسرائيل من عدمٍ
فليعلم الغرب أن الشرق لافظهم
أبناء يعرب ، ذودوا عن محارمكم
اللاجئون جراح في جوانحننا
اللاجئون سقام في مفاصلنا
ألقوا بصهيون في عرض الفلاة فهم

ولن يدوم لإسرائيل إيجاد
وإن أتهم من الشيطان أمداد
إن الكريم عن الأعراض ذواد
تدمى ، فهل لجراح العرب ضماد ؟
ولا شفاء له إلا إذا عدادوا
من عهد فرعون أفاقون ، شُرّاد^(٢)

والحقيقة أن عرضه لتفاصيل القضية الفلسطينية ومشكلة اللاجئين في المهرجانات الأدبية والمنابر الثقافية ما هو إلا لبث الحياة في نفوس أبناء الأمة ، وتذكيرهم بقضيتهم ، ودفعهم من سباتهم وغفلتهم ، وما تذكيره أبناء أمته بماضيهم المجيد وبيطولاتهم السابقة إلا لإثارة همهم وبث الحماسة في نفوسهم .

(١) المصدر السابق ، ص ٣٨٥ .

(٢) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٦٧٥ .

وعلى هامش المعركة لم يكتف الشاعر بمهاجمة إسرائيل وحدها ، بل صعد هجاءه إلى الهيئات الدولية ، وهاجمهم بكل صراحة وصدق ، ومن تلك الهيئات الدولية (مجلس الأمن) الذي لم ينشأ إلا لحماية الدول الضعيفة وزرع الأمن والاستقرار في مناطق العالم ، إلا أن الشاعر لم يجد منه إلا التدليس والخداع فلا سلام لديه ولا استجابة ، والقصيدة في حد ذاتها تعبير عن خيبة العرب في مجلس الأمن والدول الكبرى الصديقة لإسرائيل :

يا مجلس الأمن ، جد أنت أم لعب ؟	وصورة حية ، أم هيكل خشب ؟
أسطورة أنت في العصر الحديث ، غداً	تروي أحاديثها السُّمار والكتب
ميناءك دار لحفظ الأمن ساهـرة	عليه ، أم متدى تلقى به الخطب ؟
في كل يوم تدين الغاصبين ؛ فلا	بالحكم دانوا ، ولا ردُّوا الذي اغتصبوا
ما بال خدك من لكم اليهود له	كأنما هو بالحِناء مختضب ؟ ^(١)

ثم يسخر باستهزاء من أحكام وقوانين ذلك المجلس وبمحكمته وقضاته المواليين لإسرائيل فما يصدرونه من أحكام وقرارات ما هو إلا فقاعات وحبر على ورق :

لمجلس الأمن أحكام تذوب ، كما	ذابت فقائِعُ كأس حَفَّها حَبَّـب
يا طول ما ضحكت بيضُ الصحائف	من أحكامه ، وشكت أقلامُ من كتبوا !
ما شاهد الناس قبل اليوم محكمةً	لم تمحُ إثماً من الآثام يُرتكـب
ولا قضاة يهابون الجناة؛ فهـم	يُغضُّون إن أزهقوا الأرواح أو فهـبوا ^(٢)

وقد لاحظت أن الشاعر لم يترك حادثة في هذه القضية تمر دون التعليق عليها أو الإشارة لها ، فعندما وجهت (إسرائيل) إلى (بريطانيا) إنذاراً تطلبها فيه: أن تُعدِّلَ قانونها بحيث لا يسمح للفلسطينيين أن يزاولوا فيها نشاطهم . اقتنص غنيماً هذا الإنذار ليسخر منهم في قصيدته (كلب بلفور) التي جعل فيها (إسرائيل) كلباً متمرداً على صاحبه الذي رباه وأعطاه وأكله، و(بلفور) هذا هو وزير خارجية بريطانيا الذي " أصدر وعده المشعوم

(١) المصدر السابق ، ص ٧٩٢ .

(٢) السابق ، ص ٧٩٢ وتاليتها .

سنة ١٩١٧م " (١) بالسماح بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين . انظر إليه وهو يلقي

اللائمة على بريطانيا بسخرية وتهكم :

يا جيرة "المنش" هذا كلب " بلفورا"

مازال يَسْمَنُ حتى بات مَسْعُورا

ولا رأت عينه - لولاكم - النورا

وليس عن عضٍّ من ربّاه مزجورا ؟

وكم سقته النَّمير العذب مقطورا (٢)

من سَمَّنَ الكلب أمسى منه معقورا

الذنب ذنبكمو ، والكلب كلبكمو

لولاكمو، لم يجد ناباً ولا ظُفُورا

وكيف يزجر هذا الكلب زاجرُهُ

عضُّ اليمين التي كم أطعمت فمه

هذا وإذا كانت (إسرائيل) قد أُنذرت بريطانيا وخذلتها وأساءت المعاملة معها فإنها

غداً سوف تغدر بأمريكا وتخذلها :

إن لم تُعِدُّوا له قيداً وساجورا

مادام يلقي له ناباً وأظفورا (٣)

وسوف يعقرُ أمريكا بفيه غداً

وسوف ينبح من لاقى ويجرحه

وما دام الشاعر قد وصف (إسرائيل) بالكلب المسعور الغادر ، فإن من المفارقات

العجيبة في نظره أن يتحول العبد إلى سيد يأمر وينهى، والسيد إلى عبدٍ مطيع وهذا هو

حال إسرائيل مع بريطانيا :

ينهى ، ومولاه منهيّاً ، ومأمورا

لكن تجنّوا عليه وادّعوا زورا (٤)

دار الزمان ، فصار العبد يأمر ، أو

ماكان في شرعكم أمتٌ ولا عوجُ

ومن محصلة ما سبق أخلص إلى التنويه بالدور الفاعل الذي قام به غنيم تجاه القضية

الفلسطينية التي مازالت انتفاضتها قائمة حتى اليوم ، فامتزج بأحداثها وتحدث عن كل ما

يتصل بها من موضوعات كقضية اللاجئين ، والتنديد بما اقترفه العدو الإسرائيلي من جرائم

، والتحقيق بمجلس الأمن ومحكمته والهيئات الدولية الأخرى ، والدول العظمى التي

(١) انظر : عبد الرحمن الكيالي : الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين ، الطبعة الأولى ، (سوريا : المؤسسة العربية

للدراسات والنشر ، د.ت) ، ص ٢٩ .

(٢) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٧٩٥ .

(٣) السابق ، ص ٧٩٥ .

(٤) السابق ، ص ٧٩٧ .

ساعدت إسرائيل وأقامتها ، كما وجدت لـه شعراً جميلاً في بكاء فلسطين ، ودفع العرب إلى مناصرتها ورفع راية الجهاد ، وقام أيضاً بإعلان هذه القضية في المحافل الدولية والمناسبات الثقافية في الأقطار العربية كمكة وبغداد والجزائر ، وقد أسهمت هذه القصائد في تعميق الشعور الديني والعربي بالخطر الصهيوني ، وتبصير العرب بما يحيق بهم من مخاطر ودمار ، كما أنها ساعدت على إحياء الشعور بالوحدة والتآلف بين المجتمعات العربية والإسلامية ، وهكذا كان " أكثر ما قيل في أحداث متسماً بروح الاستنفار والاستنهاض وبث الحمية والقوة في النفوس ، كما أن ذلك الشعر لم يكن من جهة أخرى يخاطب فلسطين وحدها أو شعباً آخر بعينه ، وإنما كان يتجه إلى الأمة العربية وشعوبها قاطبة " (١) .

وأستطيع القول بأن شعر غنيم في فلسطين يدخل ضمن ما يسمى بأدب الأرض المحتلة ذلك الأدب الذي يحمل " أغنيات الحاضر المناضل ، والغد المنفتح المنتصر ، يحملها في جناحيه نسر مارد ينطلق بها من وطننا الأسير ليزرع بها أنوار الحب والإيمان بالأرض والإنسان " (٢) .

٣ - انتصار الجزائر :

قُدِّرَ لغنيم أن يعيش في زمن الاستعمار وتأجج الثورات حتى إنه سُمِّيَ بشاعر (الثورة) فلم يكن يعيش بمعزل عن قضايا وطنه العربي الكبير ، فكما شارك في نصرة القضية الفلسطينية وعایشها ، نراه يشارك (الجزائر) فرحتها باستقلالها عام ١٩٦٢م ، فقد اندلعت ثورتها ضد الفرنسيين سنة ١٩٥٤م في " ليلة أول تشرين الثاني ، ليلة القدر الكبير كما سماها مفدي زكريا فكان لكل رجل وامرأة ولكل ولد حظه من الجهاد " (٣) حتى نالوا استقلالهم وطردهم عدوهم فكانت الثورة محرقة لعاطفة الشاعر

(١) الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث ، ص ٣٧٨ .

(٢) عبد الرحمن ياغي : في الأدب الفلسطيني الحديث ، قبل النكبة وبعدها ، الطبعة الأولى ، (الكويت : شركة

كاظمة للنشر والتوزيع والترجمة ، ١٩٨٣م) ، ص ١٠٩ .

(٣) محمد بن عمرو الطمار : تاريخ الأدب الجزائري ، د.ط ، (الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، د.ت)

فأثنى على أبناء الجزائر الأقوياء الذين ضربوا ببسالتهم وبطولتهم أروع المثل في التضحية والفداء :

قم ، ناد : حيَّ على الفلاح	الفجر - فجر السلم - لاح
ولكل غاشية مــــدى	ولكل داجية صــــاح
كفَّ المجاهد في الجــــزا	ئر عن مواصلة الكفــــاح
ألقي السلاح ، ولم تــــزل	يده تشد على الســــلاح
جند الصليبيــــين في	أوراس هادئهم صــــلاح
إن يصدقوا فالسلم ، أو	فالسيف إن كذبت سحاح ^(١)

وقد عاد هذا الحق إلى أهله وأصحابه بالقوة ورفع السلاح لا عن طيب نفس أو تدخلات من مجلس الأمن ، فما ذهب بالقوة لا يسترد إلا بالقوة :

حق إلى أربابــــه	ردته أطراف الرمــــاح
ما سلم العادي بــــه	عن طيب نفس أو سمــــاح
كفلت لهم عزماقــــم	لا مجلس الأمن النجــــاح
دقوا عليه بابــــه	وبوجهه عنهم أشاح ^(٢)

وإذا كان هذا النصر قد تحقق بسواعد الرجال الأوفياء من أبناء الجزائر فإن المرأة الجزائرية قد شاركتهم في تحقيق الاستقلال فاشتبكت مع الأعداء وجأهتهم ، بل وتحققهم في التزال واستقبلت الموت بوجه كريم أغر :

كم من غزال في الجــــزا	ئر علّم الكبش النطــــاح
بيض ، لها بالبيض والســــم	ر : انتطاق ، واثــــشاح
تستقبل الموت الــــزوا	م بأوجه غرّ صــــاح ^(٣)

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٦٧٧ .

(٢) السابق ، ص ٦٧٧ .

(٣) السابق ، ص ٦٧٨ .

ويضرب لنا مثلاً في كفاح المرأة الجزائرية ، ويشيد بالموقف البطولي الذي قامت به البطلة (جميلة بوحريد) تلك المرأة المسلمة التي قيدت وسيقت إلى السجون الاستعمارية بدون ذنب :

لـك ، يا جميلة ، سـيـرـة	مثل الزهور لها نفـسـاح
أنا لست أدري : من زئيـــــــــــــــــ	ر كان صوتك أم صـداح ؟
حَسْبُ الفرنسيــــــــــــــــين أن	يخشوا مساورة المــــــــــــــــلاح
قابلت حكمهمو عليــــــــــــــــ	ك بكل بشر وارتــــــــــــــــاح
ألْبستهم عارا ، وبعــــــــــــــــ	ض العار لا يمحوه مــــــــــــــــاح
السن تضحك ، والمحــــــــــــــــ	ا مشرق : والوجه ضــــــــــــــــاح
حتى إذا الجلاذ نــــــــــــــــ	ادى : يا جميلة ، لا بــــــــــــــــراح
أشعلتها ناراً عليــــــــــــــــ	ه ، فاسترحت ، وما استراح ! ^(١)

ويستنكر فعال تلك الدولة العظمى التي تدعو إلى العدالة وهي بعيدة عنها كل البعد ، ويتساءل كيف تأتي العدالة وتحقق من دولة فاسدة تنتهك الحقوق ولا تقيم العدل :

أين الذين على الــــــــــــــــعدا	لة يكثرون من النــــــــــــــــواح ؟
هل للألى نصحوا بتــــــــــــــــ	قيق المساواة انتــــــــــــــــصاح
ما بالهم لم يوح غيــــــــــــــــ	رهمو بالاستبــــــــــــــــداد واح ؟
فضحت معاملة الجــــــــــــــــزا	ئر دجلهم أي افتــــــــــــــــضاح
قالوا : العدالة بنت مــــــــــــــــا	ء السين ، قلنا : من سفــــــــــــــــاح
أئذا غزا النازي فرنــــــــــــــــ	سا لا تكف عن التــــــــــــــــباح ؟
لكن من يغزو الجــــــــــــــــزا	ئر ما عليه من جُنــــــــــــــــاح ^(٢)

(١) المصدر السابق ، ص ٦٧٨ وتاليتها .

(٢) السابق ، ص ٦٧٩ وتاليتها .

ثم يشير إلى أن ما تحقق من نصر للجزائر يعد نصراً للبلاد العربية قاطبة وليس للجزائر وحدها :

للعرب أجمع قد تحقّق —————
ق ذلك النصر المتاح —————
وطن العروبة ليس للـ —————
—راعين بالكلاء المباح^(١) —————

٤ - نكبة أجادير :

من الدلالات الأكيدة على حب الشاعر لوطنه العربي الكبير وقوفه إلى جانب إخوانه العرب في محنتهم ونكباتهم ، ومن ذلك وصفه للزلزال الشنيع الذي دمر مدينة (أجادير) المغربية سنة (١٩٥٩م) وقد هز ذلك الزلزال نفس شاعرنا فوقف يصف ما تعرضت له تلك المدينة من أبشع أنواع الدمار ، ويجسد تلك الفاجعة في صور موحية تشع بالمعاناة والإحساس المرير لما أصاب تلك المدينة الواقعة على الشاطئ الأندلسي :

ودون "أجادير" خطب يُصمُّ وَيَشْعَلُ طارقه بالهـ —————
"أجادير" هل حان يوم النشور وزلزلت الأرض زلزالها ؟
وهل بعث الله من في القبور وأخرجت الأرض أثقالها
عروسُ المدائن ماذا دهاها عليل فمزق أوصالها ؟
وأرقّ بالهم أسحارها وأجلّ بالغيم آصالها ؟^(٢)

ثم يصف هول المنظر الذي أحدثه الزلزال من موت وتشريد وتدمير :

تماوت منازلها معـولات فرددت البید إعـوالها —————
ولم يفلت الموت شبانها ولم يعتق الموت كهالها —————
ولم يرهـب الموت أسد الشرى فغال الأسود و أشبالها —————
ولم يرحم الموت ذات سوار قضت وهي تحضن أطفالها —————
تود لو أن رسول المنايا ترفق بالطفل واغتالها^(٣) —————

(١) المصدر السابق ، ص ٦٨٠ .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٥٩ وتاليتها .

(٣) السابق ، ص ٣٦٠ .

ويلجأ الشاعر إلى ربه ويعترف بأن ذلك مقدر في علم الغيب ، وأن له في ذلك

حكمة ربانية ، ويطلب من الله الرحمة والشفقة على عباده :

تباركت ربي ! برأت النفوس	وقدّرت في الغيب آجالها "
وكم لك في الكون من حكمة	عن العقل أحكمت أقفالها
حنانيك ربي ! تفشّى الدّمارُ	على الأرض واجتاح نُزّالها !
تشقّقت الأرض عن جنّها	وساقت إلى الأُنس أغوالها ^(١)

ويستنجد الشاعر بإخوانه العرب لإغاثة "أجادير" وأن يقدموا لأهلها المساعدة

والعون من خلال تبرعهم بالأموال والإعمار والأطباء :

"أجادير" راع الوجود أساها	ونال العروبة ما نالها !
ألا في سبيل العروبة بـان	يقوم بالفن ميّالها !
وكف طيب تكف دماء	بنيها ، وتحقن سيالها !
ومال يجود به أريحى	على أسرة فقدت مالها !
فأل "أجادير" إخواننا	بأرواحنا نفتدي آلها ^(٢)

والحقيقة أن تلك القصيدة ما هي إلا صورة لنفسية شاعرنا الحزينة ، وقد ساعدتنا

كثيراً على كشف هويته القومية العربية في ظل هذا التوتر النفسي والشعور الانفعالي لما

حل بإخوانه العرب في مدينة أجادير .

(١) المصدر السابق ، ص ٣٦٠ .

(٢) السابق ، ص ٣٦٠ .

المناسبات الاجتماعية

أولاً : الشاعرُ والعلاقات الإنسانية :

أ - المدح :

يُعَدُّ المدح من العلاقات الإنسانية والاجتماعية التي تربط الشاعر بطبقات مجتمعه على كافة المستويات ، إذ يرمزُ إلى المحبة والاحترام من قبل ذلك الشاعر . والمديح عند النقاد من أهم الأغراض الشعرية وأبرزها شيوعاً وانتشاراً في أدبنا العربي ووجد له قبولاً وصدىً عند الشعراء الأقدمين والمحدثين . وقد عدّه بعض النقاد القدامى من أركان الشعر الأربعة وهي " المدح " ، والهجاء ، والنسيب ، والرثاء ^(١) . وباعث المدح عندهم (الرغبة) " فمع الرغبة يكون المدح والشكر " ^(٢) وللمدح أقسامٌ " بحسب الممدوحين من أصناف الناس في الارتفاع والاتضاع ، وضروب الصناعات ، والتبدي والتحضّر " ^(٣) .

وإذا تصفحنا ديوان غنيم وجدناه قد مدح الممدوح حسب طبقته الاجتماعية ووظيفته في الحياة . فنراه يمدح الطبقة الحاكمة في مصر ، أو ما يطلق عليهم اليوم بـ (صُنّاع القرار) ويمدح الوزراء والرّجال العظماء ، كما أنه مدح الأدباء من شعراء وكُتّاب ، وأخيراً نجده يمدح الأصدقاء والزملاء كلاً بحسب وظيفته ومزلته ومكانته الاجتماعية فأثنى عليهم وعدّد مناقبهم وآثارهم العظيمة ، وأبرز جهودهم وأعمالهم للمجتمع .

ومدح غنيم عامة قد يكون نابغاً من محبة صادقة لذلك الممدوح ، وقد يكون من طرف اللسان رغبة منه في تحقيق مصلحة خاصة أو منفعة عامة لصالح مجتمعه .

وغنيم قد تناول في مدحه سائر الطبقات فها هو يمدح الطبقة الحاكمة وأقصدُ بها مدح من كان على رأس السلطة المصرية وقتئذ ، وأبرز الشخصيات التي مدحها غنيم شخصية الملك (فاروق) الذي حظي بنصيب وافرٍ من مدائحه . فقد هنّأه بالحكم في قصيدته (مبايعة الملك فاروق) التي يبلغ عدد أبياتها واحداً وستين بيتاً ، وقد مرّت معنا

(١) ابن رشيق : العمدة . ١/١٢٠ .

(٢) السابق ، ١/١٢٠ .

(٣) ابن جعفر ، قدامة : نقد الشعر ، الطبعة الثالثة ، تحقيق : كمال مصطفى ، (القاهرة : مكتبة الخانجي ، د.ت)

مسبقاً في المناسبات الوطنية . أمّا المناسبة الأخرى التي هنأه فيها فقد كانت في يوم عيد (ميلاده) ويبلغ عدد أبياتها اثنين وستين بيتاً . انظر إليه وهو يصف يوم ولادته : فهو يومٌ أغرّ ساطعٌ قد أعار الشمس بعض سطوعه وضيائه ، يومٌ قد انفرد عن غيره من الأيام بالمجد والسلام والصدارة :

يومٌ أعار الشمسَ بعضَ آياتِهِ	روت النجومُ الزهرُ عن آياتِهِ
أجنى له التاريخَ مفرقَ رأسِهِ	وأحلّه في الصّدر من صفحاتِهِ
يومٌ تفرّد في الزمان بمجده	كتفرد الفاروق بين لداتِهِ
يا يوم مولده ، تعال مبشراً	ضلّ السلام من الآنام ، فهاتِهِ
يا يوم مولده طلعت بكوكب	ما انشقت الأبراج عن هالاتِهِ
وجلوت للدنيا محيياً ناضراً	تتميّز الأحداق في قسماَتِهِ (١)

ثم يتحدث عن صلاح الملك فاروق ويجعله (حامياً للإسلام) ويسبغ عليه صفات التقوى والصلاح ، والمحافظة على الصلاة ، ويشير إلى قدسية موكبهِ وخشوعه وهو غاد للصلاة ، وكأنه موكبُ عمر بن الخطاب (الفاروق) :

ملكٌ إذا الإسلام عدّ حُماتِهِ	كان الطليعة في صفوف حماتِهِ
نورُ الصّلاح يشيع في قسماَتِهِ	والشعبُ يُسعده صلاحُ ولاتِهِ
إنّ القساوِرَ في المغاور تتقَي	من يتقي الرحمنَ حقَّ تقاَتِهِ
من يرَضُ ربُّ العرش في ملكوته	عنه ، تفانى الناس في مرضاتِهِ
الله أكبر ! هل بصُرت بركبِهِ	يمشي الهوينى غادياً لصلاَتِهِ ؟
والشعب يدعو الله خلفَ ركابِهِ	حتى يهزّ العرش من دعواتِهِ
فكأنه فاروقُ يثربَ نفسُهُ	يسعى بموكبه إلى جُمعاتِهِ (٢)

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٢٠٧ .

(٢) السابق ، ص ٢٠٩ .

وفي نهاية القصيدة يترجم الشاعر مشاعر الحب والولاء والود للملك فاروق ،
ويزيد في مدحه حتى يجعله حامي النيل وراعيه وملاذه وقت الشدائد :

فاروق ، لو فتشت بين قلوبنا	لم تلق قلباً لست في طياتـــــــــــــــــه
لا قلب إلا أحرف اسمك لحنـــــــــــــــــه	إن دق ، رتلهن في دقاتـــــــــــــــــه
إن كان وادي النيل ينبت عسجداً	فلأنت يا فاروق ، خير نباتـــــــــــــــــه
مازلت ترعاه بمقلة ساهـــــــــــــــــر	يقظ ، ويغرق في لذيد سباتـــــــــــــــــه
فإذا شكا واديك ، كنت ملاذه	وإذا بكى ، كفكفت من عبراته (١)

وعندما تزوج الملك (فاروق) وزفت إليه عرسه ، كان الشاعر أول المهنيين له ،
فراح يصف فرحة مصر بذلك اليوم وكأنه يوم قد جمعت فيه أعياد مصر كلها كعيد
الفطر والأضحى والنيروز والميلاد . انظر إليه وهو يرسم هذه الفرحة التي عمّت الأرجاء :

طربت لعرسك مصر ، يا ابن فؤاد	فكأن عرسك ملتقى الأعيـــــــــــــــــاد
بالفطر ، والأضحى الكنانة تحتفي	فيه ، وبالنيروز ، والميـــــــــــــــــلاد
في كل قلب مهرجان قائــــــــــــــــم	وبكل أذن قام يهتف شــــــــــــــــاد
ملك قد اقترن السرور بعهدـــــــــــــــــه	فكأنما كانا على ميعــــــــــــــــاد (٢)

ثم يصف ليل زواجه وقد اكتست الظلمة نوراً متوهجاً مستمداً من أضواء الزينات
وتوهج المصابيح :

أو ما ترى قلب الدجى متوهجاً	يحكي فواد الصب يوم بعــــــــــــــــاد ؟
نقشت حواشي الليل نقشٌ صحيفــــــــــــــــة	بالنور ، لا بيراعة ومــــــــــــــــداد
لم تبد أنجمه لترسل ضوءهـــــــــــــــــا	لكن لتشهده من الشــــــــــــــــهاد (٣)

ويسترسل في مدح الملك ويطلق عليه لقب (ثالث العُمرين) ويعني أبا بكر وعُمر
على سبيل التغليب ، ويصفه بـ (الزهد) ، ويأمل منه أن يكون القدوة المثلى للذين

(١) المصدر السابق ، ص ٢١٠ .

(٢) السابق ، ص ٢١١ .

(٣) السابق ، ص ٢١١ .

حرصوا على الدنيا وملذاتها ، فيهتدي بهديه مَنْ ضلَّ وانحرف من الناس :

يا ثالث العُمَريْن ، أنت أريتُنَا	بالعين ما يُروى عن الزُّهَّاد
قد جئت في جيلٍ يُصَلِّي جَاهِدًا	ويصومُ ، لا لله ، بل للزَّاد
حرصوا على الدنيا . وكلُّ جديدةٍ	تبلى ، وكلُّ ذخيرةٍ لنفسِـه
فلعل أنفُسهم بهديك تَهْتَدِي	فتروحَ سوقُ الروح بعد كساد ^(١)

ويسبغ عليه مرّةً أخرى الصفات الدينية الجليلة فهو (عمادُ الدين) الذي يقوم عليه وينهض به ويرى فيه مرةً أخرى (خليفة المسلمين) الذي سيعيد الخلافة الإسلامية إلى ما كانت عليه في عهد بني أمية وبني العباس :

وهي الحنيفَةُ : دين كل حضارة	وعدالة ، وهداية ، ورشاد
شاء المهيمُن أن تكون عمادهَا	ما كان يتركها بغير عماد
اختلت في بُرد الزَّفاف ، وفي غَدٍ	تحتال في بُرد النبي الهادي
إنَّ الخلافة كلما ذكر اسمها	شخصت إليك حواضرُ ، وبواد
من ذا سواك يعيدُ عهد أُمِيَّةٍ	بدمشقَ والعباسَ في بغداد ^(٢)

ومن الأمور الغريبة في مدح غنيمٍ ما يسمى بـ (المفارقات) في مدحه فنجدّه خلال حكم الملك (فاروق) متعلقاً به يرى فيه الخليفة المصلح والقائد العظيم ، ويمدحه بأجلّ الصفات وأعظمها ، وما أن تقوم الثورة ويُخلع الملك فاروق حتى نراه ينقم عليه ويصف عهده بالظلم ، ويصفه بالملك المستبد الطاغية . الذي كان يتستر وراء الصلاح والتقوى . انظر إليه وهو يطلق عليه صفات التقوى والصلاح والزهد :

ملك يتوج مفرقيه بالتقوى	نورُ الصلاح عليه أبلجُ ، بـ
عجبي له يخشى الزمانُ نَزَالَه	وعليه تبدو خشيةُ العباد ^(٣)

ثم ينقم عليه بعد الثورة ويعترف بملاءمته قائلاً : إن مدحه لم يكن في مكانه فكم

(١) المصدر السابق ، ص ٢١٣ .

(٢) السابق ، ص ٢١٣ .

(٣) السابق ، ص ٢١٤ .

ألبسه من الصفات مالا يستحق ، ويعلّل بأن ذلك المدح إنما كان لأجل الإصلاح والنصح والإرشاد والتوجيه :

الكلُّ يثني على آلائه كذباً ويُنشئ المدح فيه غير مُعتدٍ
كم كنت أضحك من نفسي وأضحكها إذ ألبسُ البومَ ريش الطائر الغردِ
كم قلتُ لليل : أنت الصبحُ مؤتلقاً وقلتُ للدُّب : أنت الليثُ ذو اللبدِ
استغفر الله ! ليس المينُ من شيمي وليس شعري سوى مادار في خلدي
لكن من المدح نصح خف مسمعه على الطُّغاة وتوجيه إلى الرشِدِ
كم من شحيحٍ تساخت أو سخت يدهُ إن أنست شبهته بالبحر ذي الزبدِ^(١)
وربما كان لتأثير المتنبّي وأحمد شوقي دورٌ كبير في نفس الشاعر وإبداعه والسير على منهجهما في غرض المدح .

وإذا كان غنيّم مدح الملك (فاروق) وأثنى عليه ، فإنه قد أُعجب بشخصية رئاسية أخرى في الدولة عقب قيام الثورة ألا وهي شخصية الرئيس المصري (جمال عبد الناصر) الذي تولى رئاسة مصر عقب الإطاحة بفاروق وإعلان الجمهورية . ولم يترك الشاعر حدثاً سياسياً ولا وطنياً في عهد جمال إلا وذكره وأثنى فيه على الرئيس . فعندما تحقق (الجلاء) والاستقلال لمصر ، نجده يقتنص مناسبة الحدث ويمدح الرئيس الذي سعى لتحقيق الاستقلال ويشبهه بـ (عيسى) المسيح الذي يتزل في آخر الزمان ويقضي على المسيح الدجال ، ويصفه بـ (بطل الجلاء) :

بطلَ الجلاء ، لأنت في هذا الحمى عيسى الذي يقضي على دجّاله
علّمنا أن الثبات تميّة في الردع تنجي المرء من أغواله
ما كان راميك الأثيم بطائشٍ لكن ثباتك كان سرّ خباله
ما أنت في الوادي ؟ أبعضُ رجاله أم أنت بعض تلاله وجباله ؟^(٢)

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٢٩ .

(٢) السابق ، ص ٣٢٥ .

وعندما أعلنت الجمهورية يتوجه بخطابه لـ (جمال) ينشده العدل والرشاد ، ويأمل
منه أن يستلّ السخائم من القلوب كالحقد والحسد الدفين ، وأن يرفق بالجيل الصّاعد ،
ويوفر لهم العيش الناعم والحياة الهادئة ، وأن يوحد الرأي بين أبناء الوطن الواحد ،
ويدعوه أن يتسلح بسلاح الخلق والدين والعلم ، حتى يسود العدل ويزول الاستبداد :

جمالُ ، أدمى الطريقُ الحزنُ أرجلنا فسر بنا في الطريق اللّاحب الجددِ
سُلّ السخائم ، من بعض النفوس ، فلا أضرّ من خصلتين : الحقد ، والحسد
وارفُق بجيل قضى أيامه شظفًا فبات يحلم بعد الضيق بالرّغدِ
ووحّد الرأي ، كم أزرى الخلاف بنا لا يدرك المجد شعبٌ غير متحد !
ودرّع الشعب إن خطبُ ألمّ به درعاً من الخلق ، لا درعاً من الزّرد
الدينُ أقوم ما سُست الأمور به والعلمُ أفضل ما أعددت من عُدد^(١)

وقد تغنّى الشاعرُ بشخصية جمال وأشاد بها واستوحاها في كثير من أشعاره . انظر
إليه وهو يمدح جمالاً بهذه القصيدة التي كتبها على إحدى صور الرئيس المعلقة معبراً فيها
عن روحه الوطنية الصادقة مستشعراً فيها شخصية الزعيم العربي الذي يمثل العروبة ويحمي
حماها :

جمالُ ، رُسمك في لوحٍ نقشناه لكنّ صاحبه في الصّدر مأواه
للحقّ نورٌ تجلّى حول جبهته وللذكاءِ شعاعٌ في مُحيّاه
إن لاح للنيل ، حيّته الشواطىءُ ، أو للصخر من جانب الأهرام ، حيّاه
إنّ العروبة تدري أنّ صاحبه يرعى حماها وعينُ الله ترعاه
رسمٌ ترى الشرق طرّاً في ملامحه الشرقُ لفظٌ ، وهذا الرّسم معناه^(٢)

ولا أريد أن أطيل في مقام مدح الرئيس جمال لأنّ ما كتب عن الثورة وأحداثها في
المناسبات الوطنية كان يخص شخصية جمال ، فالشاعرُ لا يذكر حدثاً وطنياً إلا ويستوحي
فيه شخصية ذلك الرئيس العربي الشجاع .

(١) المصدر السابق ، ص ٣٣١ .

(٢) السابق ، ص ٣٤١ .

وإذا كان الشاعرُ قد مدح أصحاب الكلمة من طبقة الحكام في مصر وأثنى عليهم ، فإنه قد مدح عددًا من الوزراء المعنيين في الدولة إما من أجل التقرب منهم والتودد إليهم ، أو لعرض قضية عامة لديهم عن طريق تهنئة شعرية تقام في مناسبة خاصة . ، وأكثر الوزراء الذين مدحهم كانوا ممن تولوا وزارة المعارف (التربية والتعليم) بحكم قربهم منهم لكونه معلمًا للغة العربية في بداية الأمر ، ثم مفتشًا لها في الوزارة .

فمن الوزراء المصريين الذين مدحهم والتصق بهم ، الوزير الأديب (إبراهيم دسوقي أباطة) الذي ينتسب إلى الأسرة (الأباطية) التي تغنى الشاعر بها ومدح أعيانها والتصق بهم في كثير من المناسبات . ففي قصيدته (تهنئة بوسام) يهنئ الشاعر الوزير قبل الثورة وقبل إلغاء الرتب والألقاب بحصوله على (الباشوية) التي ترمز إلى المجد والعلا والرفعة والتي لا ينالها إلا السادة الأُمَاجِد :

خَطَرَتْ بَعْضُن قَوامِها المِياَد تَحْتالُ في وشيٍّ من الأبراد
حَسَناءُ من رُتَبِ العلا والمجد ، لا تُهدى لغير السادة الأُمَاجِد ^(١)

ثم يشير إلى أن هذه الرتبة (الباشوية) لم يسع إليها جاهدًا وإنما أتت إليه منقادًا طائعة :

شَقَّتْ صفوفُ المعجيين بحسنها وسعت إليك بخطوها المتهادي
ما كنت من خُطابِها ، لكنها كانت لإبراهيم بالمرصاد ^(٢)

وهذا اللقب الرفيعُ الذي التصق باسم الوزير الأباطي ليس بغريب عليه فهو ملازم له كملازمة الغناء لرنة الأعواد ، بل إن الألقاب الرفيعة تزهو حوله وتباهى بمقارنته ، وهي رتبةٌ يستحقها الوزير نظرًا لجهوده وعطاءه ، فالرتب العالية لا تعطى للخامل الكسول ، وإنما تكون وسامًا تقديرًا لأصحاب النباهة والعطاء :

لَقَبٌ رَفِيعٌ ، قارن اسمك مثلما قُرن الغناء برنة الأعواد
بمقامك الألقاب تزهو ، مثلما تزهو العقود بنضرة الأجياد

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٢٢٠ .

(٢) السابق ، ص ٢٢٠ .

ما أجمَل الرتبَ الرفيعةَ موقعًا في النفس إذ تُهدى إلى الأنداد !
لا ترفعُ الرتبُ الرفيعةَ خاملاً كم من وسامٍ فوق صدر جماد !^(١)

ثم يمدح ممدوحه بطيب الخلق ، وصفاء النفس ، وهمة الأبطال ، وعدم اغتراره
بعراقه بيته ، وحسب أسرته الأصيلة ، وأن ما حققه من مجد وسيادة يرجع إلى همته
وعصاميته ، فبأخلاقه أحبه الناس ، وبتواضعه وعفويته أتى إليه طالبوه ، دوغما استئذان من
حُجَّاب أو أجناد :

أقسمتُ ، مازانَ الوسام كوجهه وكصدره الخالي من الأحقاد
خُلِقَ أرقُّ من النسيم ، وهمةٌ عند النضال كهمة الآساد
لم تُزهِهِ يوماً عِراقُ بيته ولو أنه أرسى من الأطواد
ما ساد بالحسب العريق ، وإنما نزع السيادة بعد طول جهاد
هذا العصاميُّ العظاميُّ الذي أكبرت فيه تقابل الأضداد
نجْمٌ يقربه تواضع نفسه فتخاله فرداً من الأفراد
من راح يقرعُ بابه ، لم يثنه جيشٌ من الحُجَّاب والأجناد^(٢)

وفي ختام القصيدة يثني الشاعر على الأسرة (الأباضية) ويشير إلى ما تميزت به من
رفعة عالية ، ومكانة مرموقة في اللغة والأدب وذلك بفضل من أنجبتهم من الشعراء
والفحول والكتّاب المرموقين ، الذين جعلوا من بيوتهم صوالين ثقافية ، وأندية أدبية يلجها
الشعراء والكتّاب والمثقفون :

يا آل إبراهيم ، إن المجد في أبياتكم كالماء ، أو كالزاد
إني أرى الأدبَ الرفيعَ شعاركم أنتم ، لعمر الله ، فخرُ الضاد
كم شاعرٍ فيكم كشاعر كندةٍ ما غاب عن (خلف) ، وعن حماد^(٣)

(١) المصدر السابق ، ص ٢٢٠ .

(٢) السابق ، ص ٢٢١ .

(٣) السابق ، ص ٢٢١ .

وله في الوزير قصائد أخرى جميلة تمشي على هذا النسق من المدح كقصيدة (ظل الحكم) وقصيدة (بحر ، بحر) التي تتضح فيها علاقة الشاعر بالدسوقي الوزير الأديب الذي كان يحتفي بالأدباء ويكرمهم حتى لقب بـ (أبي الأدباء) وكان " صاحب المدرسة الأدبية الحديثة التي تسمى [جماعة أدباء العروبة] " ^(١)

ومن الوزراء الأدباء الذين مدحهم شاعرنا عميد الأدب العربي الدكتور : طه حسين ، الذي كان وزيراً للمعارف المصرية سنة (١٩٥٠ م) . وذلك في حفل أقامه المعلمون بناديبهم تكريماً له . فيتمنى في بداية قصيدته (تحية العميد) أن يعود المتنبي مرة أخرى فيصوغ قصائده في ابن العميد ، لأنه كان يرى الموقف صعباً بالنسبة له ، ولكنه مع ذلك شاعر يمدح كاتباً والمتنبي شاعر يمدح كاتباً فالأمر سواء . ولكن لا موازنة بين ممدوحين فعميدُ الأدب أجل قدراً وأدباً من ابن العميد الكاتب :

أعد ، يا شعرُ أحمد ، من جديد يصوغُ ثناءهُ في ابن العميد
وأقسم ، ما رفعتُ بذاك طه فأين ابنُ العميد من العميد ؟ ^(٢)

ثم يتوجه إلى ممدوحه فيضيف عليه لقبَ (وزير الدولتين) العلم والأدب ، ويعتذر الشاعرُ عن تقصيره في شعره وأدبه لأنه يُحلق في مملكة العلم والأدب التي يتزعمها طه حسين فهو أمير للقول ، عاهلٌ للفصحى ، فكيف يتأتى لغنيم أن يطير في رياضها ولكن يكفيه أن يكون جندياً من بعض جنوده في اللغة والأدب :

وزير الدولتين ، إليك أزجي نشيدي ، ماعسى يُجدي نشيدي ؟
أميرُ القول أنت ، فكيف أسعى إلى اللالِ بالدرِّ الفريد
وما أنأى سماءك عن جناحي وما أغنى رياضك عن ورودي
لئن تك عاهلُ الفصحى المفدى فحسبي : أنني بعضُ الجنود ^(٣)

(١) محمود غنيم وشعره ، ص ١٩١ .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٥٣٧ .

(٣) السابق ، ص ٥٣٧ .

ثم يعدد بعضاً من مناقب الوزير الفاضلة كدعوته إلى مجانية التعليم وإلغاء الرسوم الدراسية التي كانت عبئاً على الفقراء والمحتاجين :

ومثلك من محاسن الطبقات محواً
نشيد بذكر أقوام فيعلو
ومن ساوى المسود بالمسود
وتعالى أنت من قدر المشيد^(١)
ويصف فرحة المعلمين في ذلك اليوم الذي أعلن فيه تولي طه حسين زمام الوزارة
فكم من عين بكت من السرور ابتهاجا وفرحا بذلك اليوم الأغر الذي صار يوم عيد
للوزارة ، وذلك لما لطفه من خبرة واسعة في قضايا التعليم ، وفي إيجاد الحلول للمشكلات
التي تقف عقبة في وجه المعلمين :

ولما أن وليت الأمر ، قررت
وهنا بعضنا بعضاً ، كأننا
وقلنا : جاء حلال القضايا
ومن أمسى له طه ظهيراً
عيون لم تذق طعم الهجود
تبادلنا التهاني يوم عيد
ومقتحم الحواجز والسودود
فقد آوى إلى ركن شديد^(٢)

ثم يعدد بعض الصفات الكريمة التي يتحلى بها ذلك الوزير ومنها (الإباء ، الكرامة ، عزّة النفس ، حب الرفعة ، الشموخ) وهي من الصفات التقليدية في غرض المدح العربي :

طُبعَت على الإباء ، فكن ولياً
تلقينا الكرامة عنك درساً
لقد عرفتكَ مصرُ أعزَّ نفساً
وأرفعَ أهلها هاماً إذا ما
على شم أباة الضيم صيد
وما أقساه من درس مفيد
إذا هان الورى هون العبيد
تقوّست الظهورُ من السجود
تمرّغت الأنوفُ على الصعيد^(٣)
وأشمخ أهلها أنفاً إذا ما

(١) المصدر السابق ، ص ٥٣٧ .

(٢) السابق ، ص ٥٣٩ .

(٣) السابق ، ص ٥٣٩ .

ولا ينسى الشاعر أن يصف قلم ذلك الوزير بأسلوبه في كتاباته الذي كأنه وحي
جديد يهبط من السماء فيضيء من خلاله أرجاء الفكر وقت المحن فهو قوي لاذع كأنه
سيفٌ قاطعٌ :

للك القلم الذي إن مسّ طرساً	حسبنا الوحي يهبط من جديد
إذا ليل الخطوب دجا دجاءه	أضاء بأحرف كالليل سود
قصيرٌ حين تشبّره ، ويرمي	فيدركُ غايصة الشّأو البعيد
إذا هو ثار فوق الطرس يوماً	فقل : يا أرض - ويحك - لا تميدي
له من غير فحش قارصات	كأطراف الأسنة في الجلود
أحدٌ من الظبا وقعاً ، وأندى	على الأكباد من ماءٍ برود (١)

وفي قصيدته الأخرى (أسماؤهم رتب) التي بعث بها إلى طه حسين حينما أخطأته
رتبة (الباشوية) في العصر الماضي ، يذكر الشاعر أن أدبه وفضله وألقابه تغنيه عن ذلك
اللقب وتفوقه ؛ بل وتطغى عليه . انظر إليه وهو يعبر عن ذلك المعنى متخذاً من اسم
(طه) أغنية ورمزاً لمعاني المجد والشرف :

طه . ولا سمك من حرفيه أغنية	تُوحى بكلّ معاني المجد والحسب
من كان مثلك ، لم ينهض به لقب	لكنّ محض اسمه يطغى على اللقب
حرفان خفّا على الأسماع وانطبعوا	على القلوب ، وهزّ الشرق من طرب (٢)

ثم يبالغ في مدح ذلك الوزير ويرى أن الغايات والمقاصد والحاجات تسعى إليه وتأتيه
طائعة إذا سعى إليها غيره ، ومادام الأمر كذلك فإن هذا اللقب سوف يأتي إليه منقاداً :

من كان يسعى إلى الغايات يطلبها فقد سعت خلفك الغايات في الطلب (٣)

ومع أن غنيماً كان يعيب على طه حسين هجومه على القلم حينما كان طالباً ،
إلا أننا نراه هنا يشيد بأدبه حين أصبح في يوم من الأيام معلماً ضمن معلمي وزارته فيعلي
من شأنه ويجعله ناهضاً بالأدب باعثاً له في زمن كسد فيه الشعر واغترب فيه الشعراء ، ثم

(١) المصدر السابق ، ص ٥٤٠ .

(٢) السابق ، ص ٥٤٢ .

(٣) السابق ، ص ٥٤٢ .

يعلنها بصراحة وثقة زائدة أن الأدباء راضون بالوضع الراهن للأدب على ما فيه من مشاق ومتاعب بفضل جهوده وتفانيه :

يا مُنهض الأدب المهضوم في زمنٍ
وباعث الروح في أجساد صائبة
اليوم كل أديب عن صناعته
الضادُ تعتر - ياطه - إذا ذكرت
إن الشعوب إذا أدلت بحجتها
فأبلغت ، كان طه حُجَّةَ العرب (١)

والحقيقة أنني من خلال قراءتي للقصيدة السابقة تبين أن العميد كان أغنية جميلة ومادة غنية أمدت غنيماً بالمعاني والأفكار ، فهو شخصية أدبية تستحق الإعجاب والتقدير نظراً لما بذله من جهود مضيئة في الأدب والفكر والتربية والتعليم ، ولولا جهوده الجبارة مألَقَبَ بـ (عميد الأدب العربي) .

ولم تقتصر مدائحه وقنانيه على وزراء مصر فقط ، بل امتدت أيادي المدح إلى بعض وزراء الدول العربية الشقيقة إما قننة في حفل تكريم مثلاً ، وإما كلمة شكر تقديرًا لمعروف أسداه الممدوح للشاعر . فهذا وزير خارجية (ليبيا) الأستاذ : صالح مسعود الذي أسدى للشاعر خدمة جليلة وهي دعوته للحج عام (١٩٦٨م) خاصة وأن ظروف الحج كانت صعبة في ذلك الوقت فلم يكن يقوم به إلا الغني المقتدر . فنراه يبدأ قصيدته بالدعوة لذلك الوزير بأن يحفظه الله ، ويرعاه ، ويديمه على شهامته ومعروفه :

حفظ الله صالحاً وأدامه ماعدته - ولا عداها - الشهامه (٢)

ثم يبدأ في إضفاء الصفات الحميدة على ذلك الوزير الصالح فهو عربي من الطراز الأول القديم الذين تتباهى بهم قبائل نجدٍ وقهامة ، بل هو مفخرة لليبيا وللشرق أجمع ، لعلو همته ، وحسن طبعه ، وأريحية نفسه ، وإتباعه القول بالفعل :

عربيٌّ على مُحَيَّاهُ تبدو من سمات العرب الأوالي علامه
ليس من نجدٍ ، أو قهامة ، لكن تتباهى بنجد به ، وقهامة

(١) المصدر السابق ، ص ٥٤٢ .

(٢) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٨٢٠ .

بل بأمثال صالح يتحدى
إنما صالح بقية قوم
يصنعون الجميل طبعاً ، وإن هم
أريحى ؛ يكاد يمنح أربا
يتبع القول بالفعال ، وكم من
شعب ليليا ، ويرفع الشرق هامه
بالمعالي نفوسهم مستهامه
لم يُثابوا عليه يوم القيامة
ب الخطايا صلاته ، وصيامه
قاتل تنقص الفعال كلامه (١)

ولا يتوقف شاعرنا عند هذا الحد في تمجيد الوزير وإطرائه ، بل يجعله يتفوق على
(حاتم الطائي ، وكعب بن آمة) اللذين يضرب بهما المثل في السماحة والجود ، وذلك لما
قام به من إحسان عظيم يتمثل في دعوة الشاعر إلى الحج الأكبر والوقوف بعرفة وزيارة
المصطفى ، وفي آخر الختام يدعو الشاعر لذلك الوزير الصالح بالسلامة والعافية ، وأن
يكتب الله له الأجر والثوبة :

يا ابن مسعود ، قد أتيت بما لم
أنت قد طرت بي إلى عرفات
لك ، يا صاح ، نصف أجر طوافي
أسأل الله ذا الجلال والسلامة
يرو عن حاتم ، وكعب بن آمة
وإلى المصطفى ؛ فزرت مقامه
ووقوفي ، وإن أبيت اقتسامه
لك في كل رحلة وإقامه (٢)

والواقع أن غنيماً لم يمدح الوزراء وحدهم ، بل مدح المديرين والرؤساء الذين
تعاقبوا على رئاسة جماعة دار العلوم ، تلك الدار التي طالما تغنى بها وذكرها في شعره
اعترافاً ووفاءً لدورها الكبير في توجيهه وتعليمه وتنقيفه . فعندما حل الأستاذ : سعد
اللبان محل الأستاذ : نجيب حتاتة في رئاسة جماعة دار العلوم ، أقيم حفل لتكريمهما يُودع
فيه الأول ويستقبل فيه الثاني . وكلاهما جديران بذلك المنصب . يقول الشاعر في هذا
المعنى بعد أن فنّد مقال الحساد الذين رأوا أن الدار بعد حتاتة فقيرة بالرجال ، وطلب
منهم ألا يشغلوا جذوة الخلاف :

قلت : ياقوم ، ويحكم ، إن فينا
واستعضنا عن شبل غاب بشبل
من حُماة الشرى عداد الرمال
ليرى الناس كثرة الأشبال

(١) المصدر السابق ، ص ٨٢٠ .

(٢) السابق ، ص ٨٢٠ .

صدق الظن في نجيب ، وسعد
قد أخذنا عن الرئيسين درساً
أخذوا جذوة الخلاف بخُلُقٍ
والمواضي تبين عند الصّقال
في سُمُو الأخلاق عند النّضال
يُطفئ النار كالنمير الزّلال^(١)

فهما رئيسان جليلان ، فالرئيس السابق كان موضع الإجلال والتقدير والوقار
تشهد له بذلك جهوده المضنية في خدمة دار العلوم وطلابها ، فقد أسهم وشارك ، ووجه
وعلم ، وبذل الغالي والرخيص في تعميرها وبنائها فكم أحبها وعشقها منذ أن كان طالباً
إلى أن صار رئيساً فيها :

قُلْ لِمَن كَرَّمُوا نَجِيباً : نَجِيبٌ
رجلٌ أنفه يزيد ارتفاعاً
جدّ في خدمة الجماعة حتى
سأهراً في سبيلها ، مستعيناً
إن جحدنا جهوده ، شهدت بضـ
إن هذا البناء - وهو جماد -
فنجيب أطلّ منه هلالاً
- قد عرفناه - موضع الإجلال
إذا تشمّ الثرى أنوف الرجال
شغلته عن نفسه والآل
بالنفسين : وقته ، والمال
ع وعشر من السنين الخوالي
شارك الناطقين في الاحتفال
ثم آوى إليه بعد الكمال^(٢)

أما الرئيس الجديد لجماعة دار العلوم الأستاذ : (سعد اللّبان) فليس بأقل شأناً
وقدرًا من خلفه، فقد اختير بالإجماع والتأييد من رجال ثقة يزنون الكلام بالثقال وهذا
يوجب الاختصار في مدحه ، لأن أعماله في الدار هي التي ستمدحه وتركه ، وأن الثقة
فيه معقودة وكبيرة وكما أن مهر الحرائر الغيد غالٍ فكذلك مهر الدار غال :

إيه ، ياسعد ، أحرف اسمك فيهن
أنت ، ياسعد ، نلت تأييد قوم
فاقبل العذر حين اختصر القو
لدار العلوم أطيّب فال
يزنزن الكلام بالمشقال
ل ، ودعني أحكم على الأعمال

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٥٥٧ .

(٢) السابق ، ص ٥٥٨ .

ثقة الدار فيك تطلب مهراً إنَّ مهر الحرائر الغيد غال ^(١)

وإذا كان شاعرنا قد مدح الرؤساء والوزراء والمديرين فإنه لم ينس طبقة الأدباء والشعراء ومن أبرزهم (طه حسين ، وقد مرَّ معنا ضمن طبقة الوزراء ، وتوفيق الحكيم ، و إبراهيم ناجي ، ومحمد عبد المنعم خفاجي ، ومحمد سعيد العريان، وكامل كيلاني ، والشاعر أحمد السقاف ، ومحمد عمر الطوانسي) وهو مدح يقوم على المحبة والاحترام .

ومن النماذج الشعرية على ذلك مقاله في مدح (توفيق الحكيم) وذلك عندما منح الرئيس جمال عبد الناصر ، توفيق الحكيم وساماً تقديرًا لأدبه وتشجيعاً له على ما قدمه من جهود أدبية . فاستغل الشاعر هذه المناسبة ومدح فيها (توفيقاً) بعد أن أثنى على صنيع الرئيس جمال الذي يُقدر الأدباء والمفكرين ، ويرد على من هاجم (توفيقاً) في بعض الصحف الرسمية مما أدى إلى تقديم استقالته فكان هذا التكريم والتقدير وساماً للاعتذار له ورداً لاعتباره ، كما ألقى الشاعر اللائمة على من يعيب الأدب والشعر وعدَّ ذلك من قبيح القول وقلة الجهل ، يقول في مدحه ، وتكريم أدبه :

تكن قضيت حقوق الفن محتسبا	"توفيق" يهنيك تقديرُ الرئيس ، وإن
ولم تتاجر به في السوق مكتسبا	أتقنت فنك لم تطلب به عرضا
ولم تكن أنت للتقدير مرتقيا	حتى سعى نحوك التقدير متثدا
في قُـمـمٍ لرأينا ريجها غلبا	إن المواهب مثل الطيب لو حبست
في معجم المجد يحكي ذلك اللقبا ^(٢)	أنت الأديبُ ولم أعثر على لقبٍ

وللشاعر قصيدة بعنوان (ليالي القاهرة) أنشدها في حفل تكريم الشاعر إبراهيم ناجي بمناسبة ظهور ديوانه " ليالي القاهرة" فاستوحى الشاعر عنوان قصيدته من الديوان نفسه ، فهي قصائدٌ تشبه الليالي المضيئة بالأنوار الساطعة إلا أن ليالي الديوان خالدةٌ والأخرى فانية . وهي ليالٍ قد راقت للقراء وخاصة الشعراء :

يَاللَّـيَالِي الْوُضَاءَ	ذَاتِ السَّـنَا وَالرُّوَاءَ
تَبْقَى وَمَاللَّـيَالِي	وَأَهْلَهَا مِنْ بَقَاءَ

(١) المصدر السابق ، ص ٥٥٩ .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٥٤٥ .

من كل ليلة صفو ليست بذات مساء
 ناجي . لياليك راقت بحُسْنِها كل راء
 نالت رضائي . وطوبى لمن ينال رضائي^(١)

ويتابع غنيم تقديره لشعر ناجي فهو سمحٌ غير متكلفٍ ، متسمٌ بالجزالة والرصانة
 كشعر أبي تمام ، وسهلٌ سلس كشعر البهاء زهير ، فهو يمكن أن يسمى بالسهل الممتع ،
 ويعترف كذلك بإعجابه بشعر ناجي حتى ذلك الشعر الذي قاله في هجائه ومداعبته :

ناجي ، قريضُك سمحٌ فيه جمال الأداء
 جزلٌ كشعر حبيبٍ سهلٌ كشعر البهاء
 وكلُّ لفظٍ ومعنى فيه كنميرٍ وماءٍ^(٢)

وقصائدُ ناجي حورٌ أصيلةٌ كالحرائر من النساء ، وقوافيه كذلك حرةٌ تنأى عن أن
 تهان وتسام في سوق الإمام :

بناتُ فـكـركِ حُورٌ حرائرٌ في النساء
 ليست بسوق القوافي تُسامُ سـومَ الإمام^(٣)

ثم يمازحه ويداعبه ويجعل شعر ناجي كشعره في الرقة والصفاء ، ويزيد في مداعبته
 أكثر عندما يجعله خليفةً له في دولة الشعر ، ويأمره بأن ينهج نهجه ويسير على منواله في
 نظم القصائد ، حتى يكون جديرًا بحمل اللواء :

لم ألقَ غيركَ طـيـراً مُحلّقاً في سماءي
 كأن شعرك شعري في رقّة وصفاء
 أنت الخليفة بعدي في دولة الشعراء
 فلتحدّ في الشعر حنوي ولتغترف من إنائي
 حتى تكون جديراً غداً بحمل اللواء^(٤)

(١) المصدر السابق ، ص ٥٤٦ .

(٢) السابق ، ص ٥٤٧ .

(٣) السابق ، ص ٥٤٧ .

(٤) السابق، ص ٥٤٧ .

والحق أن هذه القصيدة ليست مدحاً للمثالية الخلقية للممدوح وإنما هي مدح وإطراء وتكريم لشعره وشاعريته المبدعة التي استطاعت أن تخلق في سماء الشعر ودولته . ولأن غنيما يتمتع بهذه الروح الطيبة والحسنة بالنسبة لجميع الفئات والطبقات فإنه لم يخل على أصدقائه بالمدح والثناء فمرة يشكر هذا وتارة يهنئ ذاك . وهذه كلمة تقدير وإعجاب يبعث بها إلى صديقه القاضي (محمود عيسى) الذي يعمل محامياً في ساحة العدل والقضاء ، فهو محامٍ يعمل دائماً لإظهار الحق والعدل ، مؤيداً مرافعاته بحجج قوية وبيان عذب :

أنت للحق أنت ، خير طريق	يا ابن عيسى ، وأنت عون الفريق
قد عهدناك في جميع قضايا	ك حليف النجاح والتوفيق
لك في ساحة العدالة ، يا محمـ	— مودٌ جولات ومِدره منطيق
يشفع الحق بالدليل مصوغاً	في بيان كأنه من رحيق ^(١)

ونظراً لما كان الشاعر يتمتع به من وفاء وإخلاص لأصدقائه فإننا نجده بعد مماثم يلتزم ذلك أيضاً مع أبنائهم من بعدهم ، وهذه هي قمة الوفاء والالتزام . ومن ذلك ماكتبه في ابن صديقه الدكتور : (أسامة حسن علوان) أحد أطباء الأعصاب والذي وصفه بأنه حاكمٌ على هذه النوعية من الأمراض ؛ بل هو بابتسامته وحنانه يشفي المرضى ويعالج الأسقام ، وقد نذر نفسه لخدمتهم ومعالجتهم وكأنه في شفائه لهم عيسى عليه السلام الذي يشفي الأسقام :

يكتبُ الله للمريض السَّلامه	حين تأسو المريض كف أسامة
ملك حاكم على دولة الأعـ	صاب ، يُمضي في ملكها أحكامه
دائم البشر إذ يعالج مرضا	ه ، وقد تُرىء المريض ابتسامه
ليس ملكاً لنفسه هو ، لكن	هو ملك كل شاكٍ سقامه
لكأن المسيح أوصى أسامه	بشفاء المرضى ، فقام مقامه ! ^(٢)

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٨٤٩ .

(٢) السابق ، ص ٨٤٨ .

ب - الرثاء :

إذا كان المدح من أهم ما يربط الشاعر بطبقات مجتمعه ، فإن الرثاء أعظم قدرًا ومكانًا ، لأنه يقوم على مدح الإنسان بعد وفاته فيكون أبلغ في الصدق وأدق . والرثاء كما هو معروف لون قديم من ألوان الشعر العربي وهو " فن يصور به الشاعر الموت ومدى الفجعة به بلغة يغلب عليها الحزن " (١).

وفي اعتقادي أن الرثاء والمدح يصبان في معين واحد هو الثناء " فليس بين المراثية والمدحة فصل إلا أن يذكر في اللفظ ما يدل على أنه لهالك ، مثل : " كان " و " تولى " و " قضى نحبه " وما أشبه ذلك ، وهذا ليس يزيد في المعنى ولا ينقص منه لأن تأيين الميت إنما هو بمثل ما كان يمدح به في حياته " (٢).

ورثاء غنيم عامة محرك للعواطف الإنسانية المتأججة خاصة عندما يذكر فضائل المرثي ويبرز صفاته وآثاره ومكارمه وأخلاقه ، وهو رثاء يمتزج بذكر فلسفة الموت والحياة وأن الموت نهاية حتمية لكل مخلوق على وجه البسيطة . وقد تنوعت شخصيات غنيم في رثائه كما تنوعت في مدائحه فنراه يرثي الحكام ، ويعني الزعماء الأبطال ، ويكيي الوزراء النبلاء ، والعلماء الفضلاء ، والرفاق الأوفياء من أدباء وشعراء وزملاء وأصدقاء. كما وجدنا عنده رثاء للفنانين والطياريين والعلمين . كل ذلك نجده في قصائد مكتوبة بالدموع والزفرات الباكية .

فمن مراثيه للقادة الحكام من أبناء وطنه المصري مرثيته الباكية في الرئيس (جمال عبد الناصر) التي تزيد على التسعين بيتًا . وقد كان غنيم من أولئك الشعراء الذين أعجبوا بعبد الناصر وتغنوا به وبأفعاله في أشعارهم . فكان موته فجعة مؤلمة ليس لمصر وحدها بل للعالم العربي أجمع .

وقصيدته (رويدك يا جمال) تبين مدى إعجاب الشاعر بالحاكم ومدى ما يوليه له في قلبه من حب وتقدير وانتماء وولاء . وهي قصيدة تحمل بُعدًا فلسفيًا رائعًا إذ

(١) أحمد الشايب ، الأسلوب ، الطبعة التاسعة ، (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٩٥ م) ، ص ٨٥ .

(٢) نقد الشعر ، ص ١٠٠ .

يصف فيها عزيمة جمال التي استطاعت أن تحمل من الأعباء والخطوب ما تعجز الجبال عن حمله مع ما يعانيه من شدة المرض وقلة التحمل . وكيف لقلبه النابض أن يشكو وقد توزعته هموم المحزونين والمكروبين من أبناء شعبه وأبناء وطنه العربي ، وكيف لقلبه الكبير أن يهدأ ويسكت وقلوب الشعب لا يهدأ وجيبها ولا ينقطع صراخها :

فكيف يطول عمرُك يا جمال ؟	نفضت بما تنوء به الجبالُ
وللجسد الذي يشكو احتمال	رويدك ، يا جمال ، فأنت تشكو
غزاه، كأن غزوته احتلال	فتي لم يستكن للداء لماً
وقلبك لا يحيط به خيال ؟	أيشكو قلبك الخفاق ضيقاً
وفيه لكل مكروب بجال ؟	وفيه لكل محزون مكانُ
ويبس ، والرياض لها اخضلال ؟	أيسكت ، والقلوب لها وجيبُ
جرت فيها دماء لا تكال ؟ ^(١)	أيعوزُهُ دمٌ ، ولنا عروقُ

ثم يزداد أنين الشاعر وبكاؤه لجمال الذي شد الرحال والرحيل لم يحن وقته ، ورسالته في الحياة لم تنته بعد ؟ فلکم علمهم الصبر الجميل ، ولكن أين الصبر بعد فراقه ؟ فالمصاب جلل لا تمسحه دموع ، والمجد والعز لا يمكن للأشعار أن توفيهما حقها :

رويدك ! لم يحن لك الارتحال	علام تشدُّ رحلك يا جمال ؟
حياتك ، ما أتيح لها الكمال	رسالتك التي أنفقت فيها
وأين الصبرُ بعدك والجمال ؟	لکم علمتنا صبراً جميلاً
ومجدك لا يصوره مقال ^(٢)	مصابك لا تحففُهُ دموعُ

ويمزج غنيم مظاهر الطبيعة برثائه ، فالتراب الذي يعلو قبره قد راح يبكي ويصرخ ، وماء النيل قد سال وجرى حزينا على فراقه . نظراً لما قدمه من أعمال جليلة ومنجزات حضارية باهرة كبناء السد ، وتأميم القناة :

ويصرخ فوق قبرك إذ يهال	كأني بالتراب عليك يبكي
------------------------	------------------------

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٨٠١ .

(٢) السابق ، ص ٨٠١ .

جـرى النـيل الحـزين عـليك دـمـعاً
صـخور السـدِّ بـعدك ناطـقات :
بـحـيرة ناصـرٍ مـاذا دهاها ؟
وـجـمال لـيس رـجلاً سـياسياً أو حاكماً وطنياً فحسب ؛ بل هو خطيب مَفَّوه لا يشق له غبار . يرتجل خطبه ارتجالاً فيُسمع دويها في كل الأنحاء :

صَمَتَ ، وكم خطابٍ منك دَوَّى
إذا أطلقته أصغى جَنُوب
بأسماع الورى وهو ارتجال !
إليه ، وأرهف الأذن الشمال
وشرُّ الصمت صمتٌ من بليغ
له في المحفل الخطب الطوال
حديث لا تكلف فيه ، باد
ولا باد .. عليه الافتعال
إذا ألقىته وسط احتفال
تكهرب أو تمغطس الاحتفال (١)

ثم يصف الشاعر الجموع التي احتشدت لتشيع جنازته وقد حفتهم المهابة والإجلال ، وأذاهم الحزن حتى غدوا سيلاً عارماً . ولغزارة تلك الدموع لم يروا الموقف على حقيقته فقد غطى على أبصارهم ، فكانوا بين مصدق ومكذب لموته ، ولكن شكهم كان في غير محله ، فقد تيقنوا أنه الموت لا محالة ففوضوا أمرهم إلى مولاهم . ويتابع وصف ذلك المنظر عند جنازته فعندما مالوا بالرئيس في قبره ومثواه مال معهم جبل المقطم من شدة الموقف وهول المصيبة :

وشُيِّع نعشُه في مهرجانٍ
وماج الناس حول النعش موجاً
تحف به المهابةُ والإجلال
كأن الحزن ذوبهم ، فسالوا
مشينا ، لا نصدق ما نراه
نكذبُ موته ، ونشك فيه
فلما طاشت الآمال قلنا
ومالوا بالرئيس ليدفنوه
وكيف نرى وللدَّمع انهمال ؟
ولاشك ، هناك ولا احتمال
- على مضض - : إلى الله المال
فهل مال المقطم حين مالوا ؟ (٢)

(١) المصدر السابق ، ص ٨٠٢ .

(٢) السابق ، ص ٨٠٢ .

(٣) السابق ، ص ٨٠٣ .

ونظراً لما يتصف به من مكانة عالية ومترلة رفيعة فقد نعاه الناسُ شرقاً وغرباً ، لأنه لم يرث السيادة عن أحدٍ من الأجداد ، وإنما نالها بالكفاح والعزم والعصامية :

نعاه الناس في شرقٍ وغربٍ كأنهم ————— له صُحْبٌ وآلُ
وما ورث السيادة عن جدودٍ ولا شهر اسمه عمٌ وخالُ
إذا فخر العصاميون يوماً ————— بأنفسهم ، فأنت لهم مثالُ ^(١)

وأخيراً يفلسف غنيم نظريته حول حتمية الموت ، ويؤكد أنه حق لا مهرب منه وأن الإنسان لا ينفعه طبٌّ ولا داءٌ إذا حان أجله واقترب ، فكم من إنسان لبس القطن والصوف لدفع البرد ، ولكن البرد ما برح أن أصابه ودب في أوصاله :

تعالى الله ! إن الموت حق وما للطب في الموت احتيال !
وكم متدثر صُوفاً وقطناً حذار البرد أدركه السُّلال ! ^(٢)

وللرجال العظماء نصيب في ديوانه فقد ذكرهم بعد وفاتهم تخليداً لذكراهم العطرة ، وتذكيراً بأفعالهم العظيمة ، وآثارهم الجليلة ، ليحرك المشاعر ويؤجج العواطف الإنسانية في نفوس أبناء أمته ليقتدوا بأولئك العظماء في أفعالهم وليحققوا ما حققوه من أمجاد وتضحيات في سبيل رفعة الأمة وعلو شأنها .

ومن أبرزهم ذكراً عبد الرحمن الكواكبي رائد العروبة ، وبطل الرِّيف الأمير المجاهد عبد الكريم ، وشهيد الثورة الأول الطالب : مصطفى ماهر ، وأحمد ماهر باشا ، والزعيمان الوطنيان محمد فريد ومصطفى كامل . وسأقتصر في حديثي هذا على نموذج واحد من ذكر الرجال العظماء حتى لا يطول بنا المقام . ففي بداية حياته الشعرية نجده ينظم شعراً وطنياً وهو طالب بالمعهد الأحدي بطنطا في رثاء الزعيم الوطني (محمد فريد) سنة (١٩١٩م) وهي قصيدة لم نحصل عليها في الديوان ولا نعلم السبب في ذلك ، فنراه يبدأها بالحكمة والدعوة إلى الصبر والتجلد لفقد هذا الزعيم الوطني :

قضى نحبه منها فريد وودعا فيا مصر أجرى نيلك اليوم مدمعا

(١) المصدر السابق ، ص ٨٠٣ وتاليتها .

(٢) السابق ، ص ٨٠٤ .

قضى وقضاء الله لا شك واقع
أرى العيش مهما طال ظل سحابة
وما المرؤ إلا أن يعيش فيصرعا
إذا أومضت لا بد أن تتقشعا^(١)

ويقيمُ (الحزب الوطني) سنة (١٩٤٧م) حفلاً لذكرى الزعيم الوطني (مصطفى كامل) فينشئ الشاعر قصيدته (على الأعراف) فبعد أن تحدث فيها عن أوضاع وطنه وعن الاستعمار وآثاره المدمرة والمعاهدات والمواثيق الزائفة وموقف مجلس الأمن المتعسف من مصر حيث التجأت إليه ولم ينصفها حقها . شرع في ذكر ذلك الزعيم الوطني مسبغاً عليه لقب (بطل الجلاء) داعياً لقبره بالسقيا والغيث العظيم :

بطل الجلاء ، سقت ضريحك ديمة
تسقي الرياض بمائل وكاف !^(٢)
وعلى الرغم من مرور أربعين عاماً مضت على وفاته إلا أن ذكره وحبه مازال عالقاً بشغاف القلوب ، فسيرته العظيمة أصبحت وكأنها قرآنٌ يتلى بين صفوف الشباب يستمدون منها قوتهم ، فتشتعل منها دماؤهم المتأججة :

درجت عليك الأربعون ، ولم تنزل
من كل قلب عالقا بشغاف
لك سيرة يتلو الشباب فصولها
كالآي من " ياسين " و " الأحقاف "
سور ترتلها فتشعل في الدما
ما تشعل النيران في الألياف^(٣)
ثم يناديه ويخبره أن غرسه قد أثمر ومازال يُسقى بدماء الأحرار ، وأن ماخلفه من مبادئ وطنية قد توارثها رجال الحزب الوطني الأجداد الذين استطاعوا أن يتلافوا ما حدث من انشقاق بينهم ، انظر إليه وهو يلقيه بـ (سيد الشهداء) من باب المبالغة والتكريم :

يا سيد الشهداء ، غرسك لم نزل
نسقيه من دمننا ليوم قطاف
وتراثك الوطني في يد معشر
لا واهن عزماً ، ولا وقاف
نفر من الأشراف إن جدَّ الحمى
في البحث عن نفر من الأشراف

(١) من تاريخنا المعاصر ، ص ١٨١ .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٢٨ .

(٣) السابق ، ص ٤٢٩ .

رجعوا إلى أعراقهم ، فتجمعوا بعد الخلاف تجمع الألاف^(١)

هذا هو (مصطفى كامل) الزعيم الوطني الذي ناضل لأمتة وشعبه في سبيل تحقيق الحرية والعدل والاستقرار . أفلا يستحق بعد كل هذا الصنيع أن يتذكره الأبناء ويطريه الشعراء على ما قدم من إنجاز ؟ !

ونواصل قراءتنا في ديوان غنيم الذي يضم مجموعة كبيرة من قصائد الرثاء وبالتحديد فيما يخص رثاء الوزراء ، ولبيت الأباظي مع غنيم الحظ الأوفر من ذلك سواء كان في باب المدح أم في باب الرثاء . فهذا هو كاتب مقدمة ديوانه (صرخة في واد) ورئيس البيت الأباظي معالي الوزير الأديب (إبراهيم دسوقي أباظة) يطويه الموت وينتقل إلى الرفيق الأعلى فيحرك موته مشاعر الشاعر فيأتي بقصيدة رثائية رائعة يمزج فيها مظاهر الطبيعة برثاء الممدوح . فالروض قد جفت أزهاره ، ونفرت طيوره ، وانتهت ألحانه ، والبحر قد نضب ماؤه ، وسكن عبابه ، والطود خر أساسه ، والغيث قد أخلف ماطره ، فرحل برحيله كل قاصد إليه ، وانفض من مجلسه كل سامر لديه :

ألا ، ما لهذا الروض صوّح زاهره	وذابت أغانيه وأجفل طائرته ؟
ألا ، ما لهذا البحر غيض عبابه	وُعطّل مرساه وأسكت هادره ؟
ألا ، ما لهذا الطود خرّ أساسه ؟	ألا ، ما لهذا الغيث أخلف ما طره ؟
ألا أيها الوفاؤ ، حُلّوا رحالكم	طوى الموت إبراهيم وانفضّ سامره ^(٢)

ثم يتوجه غنيم إلى قصر ذلك الوزير ليصف ما حل به من خراب وتغيير بعد موت صاحبه فقد ظهرت عليه الكآبة وغشيتة السامة ، وقطعت ستائره ، وتجهم وجهه ، وأوحشت غرفه ، وفزع أهله وأصحابه ، ورحل زواره ومرتادوه فكأنه مسجد قديم لا تقام به الشعائر والصلوات :

سلوا القصر : ما للقصر غشّى سماءه قَتامٌ ، وقُدّت من حداد ستائره ؟

(١) المصدر السابق ، ص ٤٢٩ .

(٢) السابق ، ص ٤٨٧ .

وماذا به من وحشة وتجهّم
سلام على القصر الذي ريع أهله
وكان به فيض من البشر غامره ؟
فريعت له من كل قصر حرائره
مُصلّى عتيق لا تقام شعائره ^(١)
أطوف به في صمته ، وكأنه

ثم يتناول الشاعر بعض مآثر الفقيد - بعد أن دعا له بالسلام - ومنها الكرم
والسماحة والنبيل والوفاء ، ويؤكد على أنه كان عوناً له على النوائب ومساعداً له في محنة
، ويذكر لذلك قصة أحد أبنائه عندما اعتقلته الشرطة ظلماً في العهد البائد بسبب تدينه .

فما كان من الفقيد إلا أن يقف مع الشاعر في كربته ويرد ابنه إليه مكرماً معززاً :

سلام على وجه أغرّ ، كأنه
سلام على ثاو ثوت معه العلا
سراج وضئ ، ساطع الضوء ، باهره
وضمت عتاق المكرمات مقابره
وأقفر من ربع المروءة عامره
على الدهر إن دارت علي دوائره
إذا أحصيت يوم الحساب كبائره
وكل صبي ناعمات أظافره
غريّر الصّبا ، لم يتق الله أسرّه
سوى أنه بالدين شدّت أواصره
وصدري بالآلام يزخر زاخره
تيقن أن الذئب في الغاب عاقره ^(٢)
فرد على يعقوب يوسف بعدما

فوقوف الدسوقي الوزير مع الشاعر في محنته هذه رفع أسهم الحب والتقدير في نفس
الشاعر مما جعل ذلك الوزير مصدرًا قويًا للمدح والثناء . ويصف الشاعر لحظة تلقيه نبأ
وفاة الوزير ، حيث غيمت السماء بالحزن ، وانفطر القلب بالأسى وامتلاً بالجراح :

ولما نعى الناعي الدسوقي ، أمسكت
وقالت لقلبي : جل خطبك ، فانفطر
سماء الحمى حزناً ، وسالت محاجره
فهذا الذي -ياقلب- كنت تحاذره ؟

(١) المصدر السابق ، ص ٤٨٧ .

(٢) السابق ، ص ٤٨٧ وتالياتها .

بقلبي جراح غائرات ، ومثلها
وكيف يعزي في خسائره الحمى
بقلب الحمى ، والجرح أرداه غائره
إذا هو كانت في الرجال خسائره ؟^(١)
ثم يزداد بكاء الشاعر وأسفه على الفقيد فقد ضاع بعده الأدب والفكر . فمن
يحاضر بعد مماته ؟ ومن يكرم الشعراء بعد رحيله ؟ إنه لخسارة فادحة على أهل الشعر
والأدب :

وهل بعد إبراهيم من متكلم
لقد كان حصناً للأديب ، فإن يمت
يحاضرنا ، أو من سميع نحاضره ؟
فكل أديب تاعس الجد عاثره
مضى ناظم الشعر الرصين قلائداً
وناقده نقد البصير ، وناشره !^(٢)
ولعلماء الدين في رثائه نصيب كبير فعلى سواعدهم يقوم أمر الدين وينتشر
الإسلام . ومن ذلك قصيدته (فقيد الإسلام) التي ألقاها في حفل تأبين المرحوم الشيخ
(مصطفى عبد الرزاق) شيخ الجامع الأزهر ، فبموته طويت المروءة والندى ، وبكى لأجله
محبوه وأعداؤه ، وتعطل منبره الذي كان منبعاً للفصحى ، وقوض موته صرحاً عالياً
للإسلام :

طوى موتك اثنين : المروءة ، والندى
وأبكى فريقين : الأجرة والعدا !!
وعطل للفصحى يراعاً ، ومنيراً
وقوض للإسلام صرحاً ممرداً^(٣)
ثم يشير إلى أن خبر نعيه عندما سرى ليلاً كان كجمرة أوشكت أن تحوّل الليل إلى
نار ملتهبة ، وقد هزّ خبر وفاته ربوع الشرق فمن هوله تذكر الناس موت الإمام المصلح
محمد عبده :

سرى في حواشي الليل نعيك جمرة
تساقط همساً من شفاة رواته
فأوشك فحم الليل أن يتوقدا
فأبرق ما بين الضلوع وأرعدا
وهزّ ربوع الشرق ، حتى تساءلت
من الهول : هل يوم الإمام تجددنا^(٤)

(١) المصدر السابق ، ص ٤٩٠ .

(٢) السابق ، ص ٤٩١ .

(٣) السابق ، ص ٥١٩ .

(٤) السابق ، ص ٥١٩ .

ثم يعزي الأزهر الذي فقد سيفاً من سيوفه البتارة ، ويشير إلى بعض مواقف رجاله الذين اهتموه بالتقصير في الإدارة ، ويوضح أن ما وقع من خلل وقصور أثناء توليه الرئاسة يرجع إلى قصر المدة الزمنية التي قضاها فيه ، فهو رجل يحب الإصلاح ويسعى دائماً لإسعاد الأزهر وتقدمه ، ومع ذلك فإن من الصعوبة بمكان أن يُسدَّ فراغه في الأزهر فلا بديل له ولا مثيل :

هل الأزهر المعمور يعرف من نعى	وأَيَّ سيوف الله في الترب أغمدا ؟
لقد كنت سيفاً لا يفلى بكفه	وقد تظلم الكف الحسام المهندا
وكنت حرياً أن تشقَّ لأهله	سبيل العلا ، لو كان أمهلك الردى
أتيت طبيباً آسياً لجراحه	فوالله ، ماقصرت ، بل قصر المدى
توليته حيناً ، فلم تجن مغنما	- معاذا العلا - بل كنت تشقى ليسعدا
تركت مكاناً لا يُسدُّ فراغه	وخلفت من يسعى وراءك مجهدا ^(١)

ويسترسل الشاعر في ذكر صفات ذلك الشيخ الأزهري فهو مثال للطهر والزهد ، والعلم والوقار ، والنبل والعطاء :

طَهَّرْتَ فَأَعْرَى طَهْرَكَ الْحُضْ مَعْشَرًا	وولدت في بعض النفوس التمرُّدا
وكنت مثال الزهد لا عن خصاصة	إذا خَرَّ بعضُ الناس للمال سجدا
رفعت لواء الشرق في الغرب، واكتسى	بك المظهر الشرقي عزاً وسؤدا ^(٢)

وإذا كانت تلك الصفات المعنوية قد زادت زانة وتقوى فإن مظهره الخارجي قد ازدان وابتهج بالزِّيِّ الأزهري المتعارف عليه والمتمثل في لبس الجبة والعمامة اللتين شَمَتَ منهما فئة من الناس وقتئذ :

وزانك ثوب زانه النبل ، والتُّقَى	فلحمته هذا ، وذاك له سدى
لقد غَضَّ من شأن العمامة معشر	فسدت لها بين السماكين مقعدا ^(٣)

(١) المصدر السابق ، ص ٥١٩ وتاليتها .

(٢) السابق ، ص ٥٢٠ .

(٣) السابق ، ص ٥٢٠ ، وتاليتها .

ثم يسهب الشاعر في مدحه بالصفات الحسنة ، فهو لم يتخذ من منصبه تجارة وقوتاً يتكسب من ورائها ؛ بل كان أعف الناس نفساً ، وأنزههم يداً ، كالجبل الثقيل في رزائته وعقله ، يتخذ من الصمت المحكم حكمة وبلاغة ، فإذا ما تكلم نطق عدلاً وقال صدقاً ، محياه طلق وبشاشته دائمة حتى وإن تجهمت الأمور من حوله وتكدرت :

إذا اتخذ الناس المناصب متجراً	فما اقتات منها قوت يوم ولا ارتدى
سلوا ساسة الوادي: أما كان مصطفى	أعفهمو نفساً ، وأنزههم يدا ؟
هو الجبل الراسي ، حجا ، ورزانة	إذا الحادث الطاغي أقام وأقعدا
صموت ، إذا ما الصمت كان بلاغة	فإن قال ، راش القول سهماً مسددا ^(١)

وعند رثاء الأدباء من الشعراء والكتاب نراه ييكي لفقرهم وفراقهم ، لأنهم يقومون بأمر اللغة والشعر والفكر والأدب ، فبموتهم يضمحل الأدب وتتعطل الفصحى ومن أبرز الأدباء الذين رثاهم (العقاد ، وناجي ، والجارم) .

فعندما توفي العقاد رثاه بقصيدة باكية جعل عنوانها (فيلسوف الشرق) يشير فيها إلى أن الشرق قد جزع لفراقه ، وبكى لموته ، وأسأل الدمع لرحيله ، ويلقبه — (فيلسوف الشرق) لمكانته الفكرية والأدبية وما طرحه من آراء فلسفية ، فلا أحد حينئذ يلوم من ييكي على فراقه :

جزع الشرق ، وأجرى أدمعه !	ليت شعري : أي خطب روعه ؟
لا تلوموه على تذرافها	فيلسوف الشرق خلى موضعه ^(٢)

ثم يزداد حزن الشاعر لفراقه ورحيله ويطلب من ذويه أن يكفنوه مع كتبه وأوراقه وأقلامه ، ويختار الشاعر في وصفه له بم يصفه ويلقبه ؟ وأين القبر الذي سيسعه ؟

كفـنوا العقاد في أسفاره	وادفنوا المرقم والطرس معه
لست أدري : أشهاباً كان أم	عيلما ، أم راهباً في صومعه ؟
عالم ، بل عالم في رجل	ليت شعري ، أي قبر وسعه ؟ ^(٣)

(١) المصدر السابق ، ص ٥٢٠ .

(٢) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٨٠٧ .

(٣) السابق ، ص ٨٠٧ .

وإذا كان عُمرُ الناس يقاس بالسنين فإن عمر العقاد يقاس بما قدمه في مجال العلم والفكر والأدب والنقد:

سائلوا العلة : هل أودت به رغم سبعين وخمس مسرعه ؟
لا تقيسوا بالليالي عمره بل سلوا : في أي شيء قطعه ؟ ^(١)

ويتحدث غنيم عن بعض ما تميز به أستاذه العقاد الذي تتلمذ على يديه وحضر مجالسه فكان يتميز بالإقناع ، أي إقناع السائل بالإجابة عما يشكل عليه من أسئلة :

لم يسله سائل عن معضل حير الأفهام إلا أقنعه ^(٢)

وذلك لما يمتلكه من قلم مرهف ، وحجج بينة ، ومقدرة كاملة على استدعاء الألفاظ التي تأتي طوعاً لمعانيه وأفكاره فهو (ملك في دولة الألفاظ) :

وسلاحاه : يراع مرهف ودليل بين ، ما أنصعه !
ذو يراع حين يأسو علة يزدري كل طيب مبضعه
دولة الألفاظ في خدمته إن دعا اللفظة ، جاءت طيعة ^(٣)

وللعقاد قلم ناقد فهو في يده كالسيف الباتر ، وهو عصامي عيوف النفس ذو كرامة ورهبة وقوة ومنعة :

قلم العقاد سيف باتر لم يجرده ابتغاء المنفعة
لم يجرعه كئوس الشهد ، بل كم كئوس من زعاف جرعه
العصامي الذي يأبي سوى كفّه نحو العلا أن تدفعه
العيوف النفس ؛ لو ألبسه غيره ثوب خلود خلعه
يابس ، بل شامس ، لم تستطع رغبة أو رهبة أن تخضعه ^(٤)

(١) المصدر السابق ، ص ٨٠٧ .

(٢) السابق ، ص ٨٠٧ .

(٣) السابق ، ص ٨٠٧ .

(٤) السابق ، ص ٨٠٨ .

والعقاد كاتب مبدع تلمحه في أسلوبه وإذا كان الأمر كما يقول
النقاد : " الأسلوب هو الرجل " فإن العقاد كان كذلك ، وعن ملامح أسلوبه وخصائصه
يقول غنيم :

كاتب تلمح في أسلوبه : وجهه ، بل يده ، بل أصبعه
ذو بيان لم يقلده الحلى من رأى الأسلوب فلا ؛ شجعه
لم يوشّع بجمان قوله بل بفكر فيه عمق وشّعه ^(١)
والعقاد عبقرى من العباقرة المعدادين ، لذلك فقد بكت عليه (العبقرىات)
وحزنت لفراقه لأنها منتزعة من أوصافه وصفاته :

عبقرى العبقرىات قضى فهي من حزن عليه جزعه
إن بكته العبقرىات دمًا فهي من أوصافه منتزعه ^(٢)
والعقاد قد طلق الدنيا فلم يتزوج أو يعقد ، وإنما تزوج العلم وأنار الفكر ،
واصطفى الموسوعات والكتب ، وعاش في الحياة كالنحلة يطلب العلم كما تطلب النحلة
العسل :

طلق الدنيا ثلاثًا ، واصطفى من بنات الفكر حورًا أربعة
ما بنى إلا بموسوعاتهما وتبناها ، فكانت منعه ^(٣)
ولئن مات عباس فإن آثاره باقية من بعده تُطلب وتجنّى فله من الله الأجر والثواب
نظير ما قدم :

مات عباس ! وتبقى أمم تجتنى من بعده ما زرعه
مات عباس ! جزاه ربه رحمة عن كل معنى أبدعه ^(٤)

وفي ذكرى الأربعين لوفاة الطبيب الدكتور (إبراهيم ناجي) نراه يندب فقده وفقد
بعض أصدقائه الذين فجع بموتهم ، ويؤكد أن الموت حق وأنه سوف يلحق بهم راضيًا

(١) المصدر السابق ، ص ٨٠٩ .

(٢) السابق ، ص ٨١٠ .

(٣) السابق ، ص ٨١٠ .

(٤) السابق ، ص ٨١٠ .

كان أم كارهاً ، ونراه يتبرم لفقدهم . فلقد خلفوه وحيداً بعد أن سلب الموت منه البهجة والإشراق والأمل ، وأصبح نهاره مسوداً كثيباً :

فيم البقاء وهؤلاء رفاقي يتساقطون تساقط الأوراق ؟
سبق الرفاق ، وسوف ألحق راضياً أوكارها . مرحى بيوم لحاقي !
سبق الرفاق وخلفوني ، بعدما سلبوا صباحي بهجة الإشراق
سلبوا سواد العين ، ثم طلبوا به وجه النهار ، فصار ليل محاق ^(١)

ثم يتوجه إلى خطاب صديقه الشاعر (ناجي) ويطلب منه أن يناجي أحبته وأصدقاءه في باطن الأرض وأن ينقل إليهم أشواقه الحارة ، ويصف لهم ما حل له بعد فراقهم من حزن ويأس ، ويذكرهم أنه لازال على عهده وميثاقه معهم :

ناجي ، ببطن الأرض ناج أحبتي وانقل إليهم - في الثرى - أشواقني
صف للأحبة ما لقينا بعدهم واذكر لهم أنا على الميثاق ^(٢)

ثم يبين لنا حالته بعد فقد (ناجي) الذي بكاه طويلاً وفقد مدامعه بفقده ، وأنفقها في وداع أحبته ، وما أصعب جفاف العين من الدمع على المحزون ، لكن الشاعر لم يستسلم حينما أمر أحداقه أن تبكيه حتى تذوب حبوها :

ولقد فقدتك ، فافتقدت مدامعي فوجدتها نزحت من الآفاق
أنفقت دمعني في وداع أحبتي يفنى كثير المال بالإنفاق
فلتبك أحداقي بذوب حبوها إن لم تجد بدموعها أحداقي ^(٣)

ويتحدث عن دور إبراهيم بوصفه طبيب ماهر استطاع أن يشفي المرضى بابتسامته

ولطفه ومهارته الفائقة في الطب ، فيقول :

مات الذي يأسو الجراح بطبه ويشهره . والبشر طب واق
يستقبل المرضى بوجه باسم صاف صفاء مدامع العشاق
ودعابة تقضي على الأشجان ، ما جرحت ، ولا ندت عن الأذواق

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٩٤ .

(٢) السابق ، ص ٤٩٤ .

(٣) السابق ، ص ٤٩٤ .

رفاء أجسام يرم قديمها بأنامل مثل الخيوط رقاق^(١)

هذا هو إبراهيم الإنسان الطيب . ولكن أين إبراهيم الشاعر؟ وكيف تميز شعره؟ وهل شعره كطبه؟ وأين مكانه بين الشعراء؟ عن هذا ما يجيبك غنيم بقوله :

قالوا : شفى الأبدان . قلت : وشعره
ياكاسي الأدب الرفيع مطارفاً
ومقلد الشعر الحديث قوافياً
خفت ، وخف على المسامع وقعها
أبقى من الهرمين ، إلا أنها
طب النفوس ، وصحة الأخلاق
يلى الزمان بلى ، وهنّ بواق
تسري من الأعماق للأعماق
فشدا شاميّ بها ، وعراقي
منحوتة من سائل رقراق^(٢)

ثم يبلور فلسفته تجاه الموت ويرى أنه راحة من العناء والإرهاق ، وأنه موعد للتلاقي بين الأحباب والأصدقاء :

نم آمنا ! يكفيك ما عانيت في
لا تحسبن الموت بينا ، إنه
دنياك من عنت ومن إرهاق !
بين الأحبة موعد وتلاقي^(٣)

وله في الحياة فلسفته الخاصة ، وينصح غيره بالأخذ بها والتعامل معها ، فلا أسف على الحياة لأنها دار النفاق والشقاق والتفاخر . دار حاربت الفضيلة ، وقيدت الإنسان بسلاسلها فهي أشبه بالقفص الذي لا ينجو منه المسجون إلا بالفرار . فكذلك الحياة لا يستطيع الإنسان أن يفر منها بالموت . وعلى هذه الشاكلة إبراهيم ما هو إلا طير قد فر من قفص الحياة :

لا تأسفن على الحياة ، فإنها
بين الحياة وبين كل فضيلة
يهنيك أنت حللت دار مثوبة
إن الحياة - كما علمت - سلاسل
حلّق بروحك في سماء حرة
كانت - وما زالت - مجال نفاق
حرب على قدم تقوم وساق
وحللت دار تناهر وشقاق
من فضة دارت على الأعناق
لم تخلق الأطيّار للأطواق

(١) المصدر السابق ، ص ٤٩٥ .

(٢) السابق ، ص ٤٩٦ .

(٣) السابق ، ص ٤٩٦ .

ما أنت إلا صادقٌ قد فرَّ من قفص الحياة ، وفاز بالإطلاق ^(١)

وهناك فئة هامة من فئات المثقفين في الشعب لم يغفلها غنيم في مراثيه ، تلك هي فئة الصحفيين . فقد كان للصحافة دور كبير في الحركة الأدبية المصرية في ذلك الوقت ، ومن ثمَّ كان غنيم يتصل بها وينشر من خلالها أشعاره وآراءه النقدية والأدبية . مما حدا به إلى التعرف على أعلام الصحافة في عصره فنشأت بينهم صداقات وعلاقات أدبية ، ومن بين أولئك الصحفيين الذين رثاهم عند موته الأستاذ (جبرائيل تكلا) رئيس تحرير (الأهرام) في مقطوعة قصيرة يبين فيها مآثر الفقيه ودوره البارز في تطوير الصحافة المصرية وخاصة جريدة الأهرام ، فهو أمير للصحافة ودعامة من دعائمها الرصينة وبان من البناء الأقدمين لها شأنه في ذلك شأن (خوفو) باني الأهرامات :

يا صاحب الأهرام ، ذكرك خالد	كخلود ذكر مشيد الأهرام
خوفو ، وجبرائيل بينهما - وإن	بعد المدى - رحم من الأرحام
ملك الصحافة أين غاب أميره ؟	أرماءه عن دست الإمارة رام ؟
قد كنت ، يا تكلا ، دعامة ملكها	فتركته ملكاً بغير دعام
طوت المنون بمصر ناشر صحفها	بيضاء مبرأة من الآثام
لو أدرجوه بصحفه أغنتهمو	ببياضها عن خضرة الأعلام ^(٢)

وتتعدد جوانب مراثي غنيم ويتسع مداها حتى تشمل فئة أخرى لعبت دوراً مهماً في تغذية أحاسيس الشعب ومشاعره ، ألا وهي فئة الفنانين . فقد كان غنيم يتمتع بعلاقات حسنة مع جميع فئات مجتمعه المصري فلم تكن علاقاته قاصرة على الوزراء والرؤساء والأدباء والعلماء فقط ، بل تعدتها إلى طبقات الشعب المختلفة ومن بينها تلك الطبقة . ففي الاحتفال بذكرى المرحوم داود حسني (الموسيقار) شارك شاعرنا بقصيدة رثائية يبين فيها مآثر ذلك الفقيه تجاه الفن الذي ييكي عليه الآن ، فداود قد أحيا هذا

(١) المصدر السابق ، ص ٤٩٧ .

(٢) السابق ، ص ٥٢٦ .

الفن وأصبح أستاذه، ويطلب غنيم من محبيه أن يغنوا له في يوم ذكراه بفن أصيل لا قبح فيه ولا تقريع للآذان :

داود ييكيك فن كنت تبكيه كأثما دمعته دين يؤديه
لم ألق في مصر فنًا يزاوله إلا تلقى على "حسني" مباديه
غنوا على قبره يوم احتفالكمو بذكره ، ذاك بعد الموت يشجيه
وجنبوا سمع "داود" النشار ، فما زال "النشار" بجوف القبر يؤذيه !^(١)
ولكون غنيم شاعرًا يطرب للشيء الجميل ويمتلك أذنًا موسيقية وحسًا مرهفًا ؛
فإنه يعشق الفن والطرب والغناء الأصيل ، حيث يقول :

إن الحياة بلا لهو ولا طرب داء نقاسيه ، بل موت نعانیه
الطير يسجع إن هاجت بلابله والركب يحدوه في البيداء حاديه
والوحش يأنس بالأنعام نافره والخلل إن صد بالألحان تصبيه^(٢)
وإذا كان شاعرنا قد رثا الرؤساء والوزراء والعلماء والأدباء والصحفيين والفنانين
فإنه قد رثا الزملاء والأصدقاء ، تعظيمًا لشأنهم ووفاءً لصداقتهم وحبًا لهم ، وما أكثر
أصدقاءه الذين رثاهم وبكاهم ، ولكنني سوف اكتفي بنموذجين اثنين فقط . الأول :
مراثيه في صديقه أيام الدراسة والطفولة (عبد اللطيف عبد الخالق) ، والآخر : مرثية في
زميله وصديقه (محمود الخفيف) .

فبعنوان (رفيق الصبا) التي أنشأها أيام الدراسة في رثاء زميله الشاعر الطالب
(عبد اللطيف عبد الخالق) الذي توفي قتيلاً بيد مجرم يجاوره في السكن نراه يبين فيها عظم
المصيبة وكبر الفادحة التي مني بها بفقد زميله ، ويوضح أثرها في النفوس ، ويشبه صديقه
بالنجم في التألّق والسيف في العزيمة والإمضاء إضافة إلى كونه كان حرًا كريمًا أبيًا عاش
غريبًا في دنياه :

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ١٨٩ .

(٢) السابق ، ص ١٨٩ .

الله في هـول المصـاب
نجـم تـألق بـرهة
ومهندٌ، قد كان فيـه
ما كـاد يشـحذ غـربه
حرٌ ، كريمٌ ، عاش في الد
ثم يتعجب من ذلك الجسم الذي سوف يسكن التراب وهو من معدن كريم الأصل:
سكن التراب ، وإنه
وكأن غنيماً في شدة حزنه على صديقه يعترض على القدر الذي وافى ذلك الشاب
الصغير وهو لا يزال في مقتبل العمر ، لكنه يتراجع ويقول : إن الله هو مقسم الأعمار فلا
عتاب ولا اعتراض :

ربـاه معـذرة ، ألا
أكـذا يودعـنا ، ولم
لكـنه سـبـحـانه
ما للمنون وللشباب ؟
يبلغ من العمر النصاب ؟
(قسم الحظوظ فلا عتاب) ! (١)
ونظرة غنيم من الحياة هي نظرة المشتكي الصاحب على الدنيا وتقلبها وتغير
أحوالها :

عبد اللطيف ، رحلت عن
وتركت داراً ، حلوها
سيان : من سكن اليبا
الكل منها في عذا
والناس في الدنيا كرك
إن تنج من غرق بهم
جو تشبع بالضباب
مر ، وصيها سراب
ب بها ، ومن سكن القباب
ب ، والمنية منه قاب
ب ، سفينة وسط العباب
لم يسلموا من الاضطراب (٢)

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٥٢٧ .

(٢) السابق ، ص ٥٢٧ .

(٣) السابق ، ص ٥٢٨ .

ثم يصف لنا حالة صديقه عند موته وهو ملطخ بالدماء من جراء الاعتداء عليه
بسكين جار له أرداه قتيلاً بسبب خلاف وقع بينهما على المسكن :

لهفي عليه شاخص العي	ــــنين مُصْفَرَّ الإهاب !
متخضباً بدم الشبا	ب يروع من أثر الخضاب
في حجرة مشئومة	سكنٌ يجرُّ إلى خراب ^(١)

وكان خير قتله صبيحة الامتحان فجيرة للشاعر أفقده صوابه ، وظل يكتب
والدموع تنسكب مع المداد ويداه ترتجفان على الورق من هول المصيبة ، وكان يتمثل
شبح الجريمة مع كل سؤال في الامتحان وجوابه :

خير صبيحة الامتحا	ن أتى ، فأفقدني الصواب !
فظللت أكتب ، والدمو	ع مع المداد لها انسكاب
ويداي ترتجفان في القر	طاس من هول المصاب
وكأنما شبح الجر	يمة في السؤال وفي الجواب ^(٢)

ثم يهاجم الجاني ويستنكر عليه فعلته الدنية ويحتقرها فهو لم يرع حق الله في هذا
الطالب الضعيف المسالم الذي لا يملك في الدفاع عن نفسه سوى أدواته المدرسية من
كتب وأقلام :

يا أيها الجاني ، متى	صالت على الأسد الكلاب ؟
هـلا رعيـت الله في	تلك الأفنانين الرطاب ؟
الله في هذا المسـا	لم ! ليت كفك في تباب !
أيذود مديتك الصقيـ	لة باليراع أم الكتاب ^(٣)

ويتحسر الشاعر على تلك الصحبة القديمة مع الفقيد أيام مدرسة (دار القضاء
الشرعي) ، ويخاطب ذلك المجرم بأن فعلته تلك أنهت حياة شاب يافع غض العود لم

(١) المصدر السابق ، ص ٥٢٨ .

(٢) السابق ، ص ٥٢٨ وتاليتها .

(٣) السابق ، ص ٥٣٠ .

تعركه الحياة ، وأنهت صداقة حميمة كانت تربطه بالفقيد أيام الصبا :

أذويت غصناً ناضراً	وسلبت كثرًا من رغب
وفجعتني ، والدهر لا	ينفك ذا ظفر وناب
في صاحب كم رق لي	عيش بجانبه وطاب
أيام تجمعني به	دار مباركة الرحاب
(دار القضاء) وأين من	ك الدار أم أين الصحاب ؟ ^(١)

أما زميله وصديقه (محمود الخفيف) فقد رثاه بقصيدة بعنوان

(دمة على الخفيف) تفيض أسى وحرقة على فراقه وموته ، يقول فيها :

من كنت بالأمس في شعري أداعبه	ما باله اليوم قد أصبحت أرثيه ؟
يأبى علي قريضي أن يصدقني	إن قلت : أصبح بطن الأرض يوريه !
أرثي الخفيف بشعري أم أفأكهه	لا ، بل أسوق له إحدى الأفاكهه
تشابه الحزن عندي والسرور؛ فما	أدري فكاهات دهري من مآسيه
محمود ، شعرك حسبي إذ تفارقني	فأنت في كل بيت حين أرويه
رنات صوتك تسري من مطالعه	وحسن سمك يبدو من قوافيه
محمود ، ساعك الرحمن! كنت ندى	على فؤادي ، فكيف اليوم تصميه ؟! ^(٢)

فالأبيات السابقة كما هو واضح ندب لصاحبه الذي كان يداعبه في أشعاره
ومسامراته ، لكنه فجأة أصبح يرثيه بعد أن كان يداعبه ويسليه . وصديقه الخفيف إن
فارقه وابتعد عنه إلا أن أشعاره باقية خالدة لم تفارقه ، ويتضح من النص أن أجواء الحزن
والأسى سيطرت عليه من بدايته إلى نهايته .

(١) المصدر السابق ، ص ٥٣٠ .

(٢) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٨١١ .

مراث إنسانية :

❖ رثاء (طيارين) :

شارك غنيم بشعره في شتى مجالات الحياة الاجتماعية المختلفة ، ويعد الرثاء من الروابط الإنسانية التي ربطت الشاعر بمجتمعه وبيئته ، ومن هذه الناحية لم يكن غنيم يترك حدثاً في المجتمع إلا صورته وجسده لنا في صور شعرية جميلة ، حتى لو لم يكن هناك سابق معرفة له بمن يرثيه .

فعندما سقطت طائرة مصرية في بداية عهد مصر للطيران وأسفر ذلك عن مصرع طيارها أنشأ غنيم هذه القصيدة معبراً فيها عن حزنه العميق جراء الحادث الأليم ، راثياً فيها طيارها البطلين ، ومواسياً فيها مصر ومعزياً لها في فقدتهما :

يا مصر ، قد عز العزاء	نفنى ، وأنت لك البقاء
نسران ليسا كالنسوة	ر ، رماهما سهم القضاء
سقطا ، فأجفلت الريا	ح ، وضجّ سكان السماء
وبكاهما المزن الهتو	ن ، وحق للجار البكاء !
وتلفتت قمم الجبا	ل بعين من فقد الرجاء ^(١)

فالتحسر على سقوطهما واضح في الأبيات السابقة ، حيث جفلت من هوله الرياح ، وبكت عليهما السماء ، وحزنت لفراقهما السحب الممطرة فهما نسران أرخصا روحيهما للشهادة والفداء .

❖ رثاء (مُعلّمين) :

لم يكن شاعرنا بعيداً عن أعين الشعب المصري سواء من كان يعيش في داخل مصر أم يعيش في خارج رقعتها بحثاً عن لقمة العيش أو تمثيلاً لها للعمل في الدول الأخرى المجاورة ، وهنا يقودنا الحديث إلى قصيدته (سبق القضاء) التي قالها في رثاء الدكتورين (سيف ، وعزمي) المصريين المدرسين في العراق عندما اعتدى عليهما طالب عراقي ؛ لرسوبه في الامتحان على يديهما ، فتوفي الأول وجرح الثاني ، ثم انتحر الطالب. وهذه

(١) الأعمال الكاملة ، ضرخة في واد ، ص ١٩١ .

القصيدة الرائعة تشير إلى قوة ارتباط الشاعر بشعبه ، وتدل على نزعة الوطنية تجاه وطنه العربي الكبير . انظر إليه وهو يندد ببعض الصحف التي هولت في طريقة تناولها للحدث وبالغت في التنكيل والنيل من الشعب العراقي ، مبيِّناً لهم أن ذلك قضاء وقدر :

أمرٌ به سبق القضاء الجاري	ما حيلة الإنسان في الأقدار ؟
لا تأخذوا بالذنب غير جناته	إن الصواب تلمُّسُ الأعذار
الرزء يذهب بالعقول جلاله	فحذار من شطط المقال ، حذار !
إن تسرفوا في الاتهام ، جنيتمو	أنتم على القطر الشقيق الجار
هي أمة ، وزرَّ امرؤ من أهلها	أفتثقلون الكل بالأوزار ؟
الله يعلم ، أنهم ما أضَمروا	للنيل غير الحب والإكبار
قالوا : العراق ، ومصر ، قلنا : بل هما	مصران ، بل مصر من الأمصار ^(١)

فمن خلال الأبيات يتضح لنا تعقل الشاعر وتفهمه للموقف ومحاولته تهدية الأمور وتلطيف الأجواء الأخوية بين البلدين فهما شقيقان متحدان لا يزعزع كيانهما زلة جاهل مهما عظم شأنها .

ثم يشير إلى الفقيد الذي بطشت به يد ذلك السفیه ، ويصفه بـ (شهيد العلم) ويعده من شهداء مصر الأبرار الذين ماتوا لأجل العلم والتعليم :

هذا شهيد العلم ، عزَّزنا به	من راح من شهدائنا الأبرار
خُلِقَ الجهاد لنا ، سواء عندنا	من بالحديد يموت ، أو بالنار
والعلم مختلف الضحايا ، كم طوى	من سابح ، وقضى على طيار
يارُبِّ مخترع يروح ضحيةً	للكشف عن سر من الأسرار
ومعلم قد راح يبذل نفسه	بذل الكرام لناشئين صغار ^(٢)

وفي آخر المطاف أقول : إنَّ غنيماً قد رثى العديد من جميع فئات مجتمعه من زعماء ووزراء ومصلحين وعلماء وأدباء وفنانين وصحفيين ، وبكاهم في قصائد حزينة

(١) المصدر السابق ، ص ١٩٣ .

(٢) السابق ، ص ١٩٤ .

باكية تنم عن مدى وفائه للمرثي لا من أجل غرض دنيوي يبتغيه من أهل ذلك المرثي وأسرته ، يقول في ذلك :

أشيع من حانت منيته قبلي وفاء له لا للأقارب والأهل^(١)

والطريف في رثاء غنيم أنني وجدت عنده ما يسمى بـ(رثاء النفس) قبل الموت ، وهذا لا يأتي إلا من إحساس بقرب الأجل وكثرة الموتى من الأصدقاء والزملاء ، والافتناع التام بقضية الموت يقول :

سيعلم أهلي - بعد فقدي - مكاني فتبكي دمًا عرسي ، ويبكي دمًا نجلي!
إذا ولدي ناءوا بأعباء نسلهم درى ولدي كم حملوني من ثقلي^(٢)

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٧٥٠ .

(٢) السابق ، ص ٧٥٠ .

ج - الدعابة والفكاهة :

عرفت المجتمعات البشرية عامة والعربية خاصة الفكاهة والدعابة والطرفة . كما اشتهرت مجموعة من الناس بالطرائف والنوادر " فيعجب بهم الناس حكماً ومحكومين ، ويتوقون إلى سماع نوادرهم ، بل قد ينال بعضهم مركزاً مهماً فيلحق بحاشية الحاكم ، ويصير من ندمائه " (١) .

والفكاهة بصفة عامة ظاهرة اجتماعية أحبها الناس وتداولوها ويقصد بها " كل باعث على الضحك من فنون القول ، وإن اختلف الاسم " (٢) فلفظة (الفكاهة) تعني إذن " لفظ المضحك دون تمييز بين أنواعه من تهريج ودعابة وتهكم وغيره ، لأن جميع هذه الأنواع مهما اختلف أسبابها وبواعثها ودلالاتها ، ترجع إلى أصل واحد في تعريف المضحك " (٣) فالضحك والدعابة والابتسام ما هي إلا " ظواهر نفسية من فصيلة واحدة ، وكلها تصدر عن تلك الطبيعة البشرية المتناقضة ، التي سرعان ما تمل حياة الجد والصرامة والعبوس ، فتلمس في اللهو ترويحاً ، وتسعى عن طريق النكتة نحو التهرب من الواقع الذي كثيراً ما يثقل كاهلها " (٤) .

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا الجانب هو ما علاقة الفكاهة والضحك بالإنسان والمجتمع ؟

وللإجابة على هذا السؤال فإنني سوف أورد ما قاله الحوفي في هذا الجانب . فأما أثر الضحك في الفرد فإنه " يتناول نفسيته وأعضائه ، فقد اعتبره الفلاسفة مظهراً من مظاهر السرور والانشراح ، أو وسيلة لترويح النفس من متاعب العقل ، أو تنفيساً عن

(١) رياض قزيجة : الفكاهة في الأدب الأندلسي ، الطبعة الأولى ، (صيدا - بيروت : المكتبة العصرية ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م) ص ٧٨ .

(٢) أحمد محمد الحوفي ، الفكاهة في الأدب أصولها وأنواعها ، د.ط ، (القاهرة : نهضة مصر للطباعة والنشر ، ٢٠٠١ م) ص ٧ .

(٣) الفكاهة في الأدب الأندلسي ، ص ٧٢ .

(٤) السابق ، ص ٧٢ .

الطاقة الحيوية الزائدة على الحاجة ، أو سلسلة أعمال عكسية تساعد على تشنج الحاجز وتقوية الجهاز الصوتي والتنفسي " (١) .

هذا مختصر الحديث عن أثر الضحك والفكاهة في حياة الإنسان الممتلئة بهم والنصب . أما عن أثرها في المجتمع فهي قائمة على " أن الناس مترابطون في سرائهم وفي ضرائهم ترابطاً اجتماعياً وثيقاً بطريق المشاركة الوجدانية ، وهذه المشاركة ذات حدين ، لأنها الدعامة التي لا يتم تكوين المجتمع الإنساني بغيرها ، ولكنها مع ذلك تحملنا على التألم لألم جيراننا وإخواننا والإشفاق عليهم ، والثناء لحالهم " (٢) .

ومما تقدم يتبين لنا في جلاء أثر الضحكة والفكاهة على الفرد والمجتمع . فهي مزيلة لهم والكدر عند كل الفئات ، فالفقير يحتاج إلى النكتة والدعابة نظراً لما يعترضه من آفات ومضايقات في سبيل الحياة ، والغني محتاج إليها أيضاً لأن فيها تسلية ومرح لإزالة ما ينغص حياته ، وليشغل بها أوقات الفراغ التي ابتلى بها الكثير من الأغنياء . فالفكاهة وسيلة لأن ينفس الإنسان عن نفسه بعض ما يحمل من أثقال المجتمع من هموم وأكدار ، بل إنها علاج ممارس لأن يسترد الإنسان نشاطه وحيويته .

وأدبنا العربي زاخر بالفكاهة على مر عصوره الأدبية في مختلف بيئاته المتناثرة . وشاعرنا غنيم ضمن أولئك الشعراء المصريين الذين تميزوا بالروح الفكاهية الدعوبة وجبلوا على حب المرح والفكاهة . وقد ذكر الخوفي في كتابه عدة عوامل صبغت طبع المصريين بالمرح والفكاهة منذ القدم وأهم هذه العوامل في نظره البيئة الطبيعية التي عاش فيها المصريون ، والتدين الذي كان له أثره العظيم في الرضا والسماحة واجتلاب المسرة والفكاهة ، والمحافظة على العادات والتقاليد الاجتماعية المصرية (٣) . وغنيم كان واحداً من أولئك الشعراء المصريين الذين عرفوا بالفكاهة والدعابة وبساطة الروح ، لأنه كان " ضيق الحال ، كثير العيال ، دائم الشكوى والأنين من المرتب القليل المحدود ووطأة الغلاء

(١) الفكاهة في الأدب أصولها وأنواعها ، ص ١١ .

(٢) السابق ، ص ١٢ .

(٣) انظر : الفكاهة في الأدب أصولها وأنواعها ، ص ٢٥٦ .

والأسعار ، وسخف الأصدقاء ، وحقد الزملاء " (١) . لذلك يرى المتصفح لديوانه ذلك الكم الهائل من الفكاهة والدعابة التي تعد لوناً من ألوان شعره الاجتماعي ، ومصدراً مهماً من المصادر التي ساعدته على إبداعه وتميزه ، وتفوقه بين أقرانه وكان ذلك " نتاج سمرولهو وعبت حلوه بينه وبين أصدقائه " (٢) فكانت تلك المداعبات مع زملائه وأصدقائه الشعراء رصيذاً شعرياً رائعاً أضيف إلى الشعر العربي فيما عرف بالأدب الفكاهي .

وسأعرض هنا نماذج من شعره الفكاهي ، تؤيد في جلاء أن غنيماً كان ذا نفس فكاهية مرحة كما أن ريشته استطاعت أن تلعب باللفظ وبالمعنى في قدرة فائقة وتصوير دقيق .

فعلى الرغم من أن ديوانه (صرخة في واد) يمثل " ثورة شاعر على الملكية وفسادها في مصر قبل الثورة " (٣) إلا أنه مليء بالفكاهة والنقد الاجتماعي اللاذع المصبوغ بطابع الدعابة والمرح . فمن ذلك مثلاً قصيدته (راتبي) التي يمزج فيها الفكاهة بشكواه وسخطه من قلة الراتب وسوء حاله وهي صورة ناطقة بفساد الملكية ، واستبداد الحكام قبل الثورة:

ولي راتب كالماء ، تحويه راحتي	فيفلت من بين الأصابع هارباً
إذا استأذن الشهر ، التفت فلم أجد	إلى جانبي إلا غريباً مطالباً
فأمسيت ، أرجو نعيه يوم وضعه	وليس الذي يمضي من العمر آثماً (٤)

ثم انظر إلى قصيدته (بيوت الشعراء!) التي يكشف فيها ما آل إليه وضع الشعراء من آفة وإهمال وقلة حيلة ، لأن مواردهم ضيقة ، ولأن الحكام والأغنياء قد استبدوا بالمادة وبالعيش الرغيد :

كسوت الناس خزاً من ثنائي	وبت من البلى أرفو كسائي
أنشئ كل يوم ألف بيت	وأسكن بعد ذلك بالكراء ؟
فلوطاب المقام ببيت شعر	إذا لأقمت في أعلى بناء

(١) محمود غنيم وشعره ، ص ٢٤٤ .

(٢) دموع على الشاعر محمود غنيم ، ص ١٢ .

(٣) دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه ، ١/٢٥١ .

(٤) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٢٤١ .

إذا ملأت شط النيل ورداً
إذا ملكت أحياء بمصر
ألا ، من يشتري أبيات شعري
فليس الطين أكرم من فؤداي
فلم ترى فيه شيراً من فضاء
تناطح دورها هام السماء
بكوخ شيد من طين وماء ؟
وليس الماء أغلى من دمائي ^(١)
فمن خلال تلك الأبيات السابقة التي تحمل روح الفكاهة تتبين لنا الحالة البائسة
التي يمر بها الشعراء والتي يمثلها غنيم في شخصه .

والفكاهة قد تتناول موضوع البخل الذي كان شائعاً في الأوساط الاجتماعية
والذي كان صورة لأخلاق بعض الناس . ولكن الشاعر قد وظفه في شعره الفكاهي
ليمازح به صديقه الشاعر (محمد الأسمر) وذلك لإزالة مايعتري حياتهما من منغصات
ومشكلات ، يقول :

صم إذا ما الضيف جاءك	وامنح الضيف عشائك
واجعل الصوف غطاء الضيف	يف ، والسقف غطاءك
لا تصن زادك في الشـعـ	ري ، وفي المريخ ماءك
لا تكن كزاحيحاً	يكـره الله لقـاءك
يا صديقي قد فحصنا	ك ، فكان البخل داءك
خذ نقيع الجود ، واشـر	به تجد فيه دواءك
أنت بالبخل مريض	نسأل الله شـفاءك
كنت بالأمس سخياً	رحم الله سـخاءك ^(٢)

وعندما قرأ (الأسمر) تلك الأبيات ، رد عليه في جريدة الأهرام بأبيات منها :

يا صديقي أنت في شعـ	عـرك لم تلبس رداءك
يا كريم العصر ، ما أجمـ	مل في الجود ادعاءك
شدّ ما اتعبت شيطا	ن قوافيك وراءك ! ^(٣)

(١) المصدر السابق ، ص ٢٥٤ .

(٢) السابق ، ص ٢٦٠ .

(٣) السابق ، ص ٢٦٢ .

فلما قرأها غنيم أجاب صديقه الأسمر بهذه الأبيات :

أيهـا المنـكر جـودي	رحم الله حــــياءك
أنا ، لولا أن يقولوا:	مَنْ ، أظهرتُ افترائك
هل تناسيت سـخائي	وتناسيت ثــــناءك
كم نظمت الشعر في مد	حي ، فأجزلت عطائك
وعلى جودي - بعد اللـ	هـ - علقت رجاءك ^(١)

وعندما نطوي صفحات ديوانه (صرخة في واد) ونخلق في فضاء ديوانه الثاني (في ظلال الثورة) نجد الفكاهة إحدى ملامحه الفنية فهو " ذو نزعة مرحة ساخرة ، تماثل تمامًا تلك النزعة التي عرف بها الشعراء المصريون قديمًا ، إنه يداعب إخوانه في أسلوب رصين ، ويرسم لهم صوراً هزلية ضاحكة ، قلَّ أن يأتي بمثلها كثير من الشعراء " ^(٢). انظر إليه وهو يداعب الوزير الأباظي حينما ألقى قصيدة على إثر مأدبة من مآدب (العدس) التي اشتهر بها ذلك الوزير :

عدس الوزير ألدُّ عند المأكـل	من ألف ديك بالبهار متبل
لا يذكر الرومي وهو محمر	بحواره ، أين ابنُ هند من علي ؟
عدس تحده الكباب ، فبذّه	ورمى الحمام ، فصابه في المقتل
حبُّ كحب الكهرمان مفصّل	صاغ الغواني من فرائده الحلي
وضعوه في طبق ، فقلت لصاحبي:	ماضر لو جاءوا به في رجل ؟
قالوا لنا : عدس ، فافزعني اسمه	لم لا ، ومنه قد تكوّن هيكلي ؟
حتى ظفرتُ لدى الوزير بأكله	فلعقت من بعد الملاعق أنملي ^(٣)

(١) المصدر السابق ، ص ٢٦٢ .

(٢) الأعمال الكاملة ، مقدمة ديوان في ظلال الثورة ، ص ٢٩٨ .

(٣) السابق ، ص ٥٧٦ .

ومن الفكاهة والدعابة التي تحمل في طياتها هجاء ساخرًا بالإنسان والذي يعرف
بالرسم (الكاريكتوري) أي التهكم والسخرية من خلقة الإنسان أو ما يسمى بـ(العيوب
الجسدية) قوله في رجل كبير الأنف :

لي صاحب ظلّ له خفيف لأنفّه دانّت الأنوف
أنف له قُمّةٌ ، وسفحٌ فيه المغارات ، والكهوف
إن قامت الحروب غاب فيه من خوف غارتها ألوف
سألته : أهو صنع ربي ؟ فقال : لا : بل بناه خوfo^(١)

ومداعبات غنيم مع أصدقائه مستمرة وقائمة ويعد صديقه (العوضي الوكيل) من
أبرز من كان يداعبهم ويمازحهم ، فحين صدر قرار حظر تحريم ذبح الماشية بضعة أيام
شكا صديقه (العوضي) ذلك فداعبه غنيم بأبيات يقول فيها :

قرار الذبائح لما صدر بكى ابن الوكيل بدمع المطر
وأقسم ، ماشمّ ريح اللحوم ولا ذاقها مرة في العمر
وهل يأكل الكبش لحم الشياه ؟ وهل يأكل الثور لحم البقر ؟
وما أنت واللحم ، يا ابن الوكيل بحسبك أكل لحوم البشر^(٢)

فهذه الأبيات تدل دلالة واضحة على أن مداعبات غنيم مع أصدقائه تحمل معنى
للهجاء الساخر المفعم بالتهكم والتنكيل .

وعندما نقل صفحات ديوانه الأخير (رجع الصدى) نجد عددًا لا بأس به من
القصائد والمقطوعات التي تحمل روح الفكاهة والدعابة : " فجانب الفكاهة واضح في هذا
الديوان ، كما كان واضحًا في ديوانيه السابقين ، وربما انفرد هذا الديوان بفكاهة ملحمية
طويلة كما تصوره فكاهة " بط الماحي " ، وهي تدل على نفس طويل وإلحاح على
الفكاهة " ^(٣) . فالقصيدة التي أنشأها في " بط الماحي " تشبه القصة أو الملحمة عن هذا البط
، وتبدأ هذه المساجلة الشعرية الفكاهية عندما وقف الشاعر الظريف : (عبد السلام

(١) المصدر السابق ، ص ٥٨١ .

(٢) السابق ، ص ٥٨٥ .

(٣) الأعمال الكاملة ، مقدمة ديوان رجع الصدى ، ص ٦٥٢ .

شهاب) في إحدى الندوات التي نوقش فيها ديوان الماحي ، بإلقاء زجلٍ فكاهي بدأه بقوله :

ديوان الماحي الدمياطي سبحانه الوهاب العاطي !
ولبيت الماحي صيت في تربية البط الزغاط ^(١)
فلما سمع غنيم تلك الأبيات تحرك شهوته إلى أكل البط ، فأرسل إلى صديقه الماحي قائلاً :

قد سمعنا عن بطكم ما سمعنا فأكلنا بالأذن حتى شبعنا
غير أن الأفواه تنطق همًّا : ما عرفنا لذلك البط معنى
ياأبا مصطفى ، عليك سلام أفيرضيك أن شبعنا وجعنا ؟
جد علينا ولو بطيف جناح لا تدعنا نشكو الطوى ، لا تدعنا
نحن في عهد أزمنة وغلاء قد رهنا فيه المتاع وبعنا
نحن قوم لنا العفاف شعار إن سقينا حساء بط قنعنا
وإذا نالنا كريم بإحسا ن شكرنا صنيعة وأدعنا
ونذيق البخيل هجواً وبيلا مثل عبد السلام ضرباً وطعنا ^(٢)
فذكر البط قد أثار شهوة الطعام لديه فتخيل أنه قد أكل عن طريق السماع لا عن طريق الحقيقة والواقع .

ولكن الماحي رد على غنيم مباشرة يستنكر ما قاله (عبد السلام) ويؤكد أن ما قاله ليس إلا مبالغة وادعاء :

يا أخي ، ياغنيم ، رفقا بحالي إن عبد السلام بات يغالي
لا تصدق ماقاله ، يا صديقي إنه شاعر رحيب الخيال
لم يزرني ولم أزره ، ولكن هاجه الشوق للطعام الغالي ^(٣)

(١) المصدر السابق ، ص ٨٧١ .

(٢) السابق ، ص ٨٧١ .

(٣) السابق ، ص ٨٧٢ .

ويسين أن الحصول على (البط) في تلك الفترة بات من المحال لارتفاع الأسعار وعسر الحال :

فغداء البط والدجاج - كما تع - لم - ضربين من ضروب المحال ^(١) ولكنه مع ذلك سوف يستجيب لصديقه ويدعوه على مأدبة من (البط) في أقرب الأوقات :

لك عندي وللصديق شهاب أسمن البط في قريب الليالي ^(٢)
لكن تلك الدعوة إلى تلك المائدة الشهية دعوة متهافئة غير مؤكدة وصريحة ،
فبعث غنيم إلى الماحي بأبيات يطلب منه أن يؤكد الدعوة ويوثقها رسمياً حتى يتم المراد :
أيها الشاعر الرقيق الحال أنت قد بت تدعي الفقير حتى
أنا لم أدر أن جيبك خالي كدت أهدي إليك قوت عيالي
من ، وفحلين من فحول الجمال إلى الله نشتكي من هزال
فعلام الأسى ، وطول التشاكي لست ممن يدعو الضيوف بقلب
بل طلبنا جناح أنثى من البط والكريم الكريم يدعو بقلب
والتباكي على الزمان الخالي ؟ ثابت ثابت ثبات الجبال ^(٣)

ويقرأ (الماحي) هذه الأبيات لكنها لم تؤثر فيه ، حيث أجابه بأبيات لا تؤكد الدعوة إلى تلك المائدة المنتظرة ، بل إنها مثل سابقتها تماماً فقال :

يا صديقي ، لقد عهدتك عدلاً منصفاً في المقال والأفعال
أنا لا أشتكي - كما قلت - فقراً لا ، ولا البخل خصلة من خصالي
هل أجاريك في دعابتك الحرّى ، وأنت المداعب المتغالي
لا ، وحسبي أن أعود إلى دعـ وتك اليوم ، صادقاً في سؤالي
مع ، من شئت^١ من محبيك ، أنني لا أماري ، ولست بالبخال

(١) المصدر السابق ، ص ٨٧٢ .

(٢) السابق ، ص ٨٧٢ .

(٣) السابق ، ص ٨٧٢ .

فاقترح يا أخي - فديتك - يوماً واختبر-إن شككت-صدق مقالي ^(١)

ويرد غنيم على هذه الأبيات بمقطوعات قصيرة يؤكد فيها استمراره في تنفيذ

ماهدد به:

بالله ، يا ذات المحيّا الضاحي
قالت : أتطمع في الوصال ودونه
وقوله :

ويلاه ! ليلي بالعراق مريضة
كيف السبيل إلى الدواء ، وإنما
قد أصبحت في عالم الأرواح !
قبل النجوم وأكل بط الماحي ^(٢)

وأخيراً يستجيب (الماحي) لمحمود غنيم ويذبح بظه بعد تلك الملحمة الشعرية التي
نشبت بينهما ، فيأكل غنيم من ذلك البط ، ويشكر صديقه الماحي على تلك المأدبة :

يقولون : ما للشعر غاض معينه
فقلت لهم : قد كان جوعي ملهمي
فلا شكر للماحي إذا لم يُثَنِّها
وإلا فإنا قائلون لبطه :
وأهون من هذا لديّ : لو انني
له الله بطاً صدته بقصائد
وكنت تقول الشعر في البط محكما ؟
فلما أكلت البط ، لم ألق ملهما
فإن هو ثنيّ كان أسخى وأكرما
" إلى حيث ألفت رحلها أم قشعما"
حفرت بظفري في الجنادل منجما
تكاد تصيد النجم من كبدا السما ^(٣)

(١) المصدر السابق ، ص ٨٧٣ .

(٢) السابق ، ص ٨٧٤ .

(٣) السابق ، ص ٨٧٤ .

(٤) السابق ، ص ٨٧٦ .

د - المهادة :

كانت (الهدية) وما زالت رمزاً من رموز المودة والإخاء ، ودلالة أكيدة على المحبة والوفاء بين أفراد المجتمع ، وهي من أجل الروابط الإنسانية في كل المجتمعات ، وقد كان لوقع الهدية في نفس شاعرنا أثره الفعال فمن خلالها تتأجج العواطف وتثار المشاعر . والهدايا في ديوانه تأخذ وجهين أولهما : إهداء للشاعر من قبل أصدقائه كتاب وأدباء ، وثانيهما : إهداء من الشاعر نفسه لمن يعز عليه من الأصدقاء والزملاء . وعادة ما تكون تلك الهدايا مقرونة بقصائد ومقطوعات شعرية يعبر فيها الشاعر عن عظيم امتنانه وبالغ شكره لذلك الشخص . فعندما أهدى الدكتور : عبد الوهاب عزام نسخة من كتابه (رحلات عزام) إلى الشاعر كتب إليه غنيم قصيدة رائعة يمدح فيها عزاماً ، وينوه بكتابه الذي يشتمل على تجارب عزام في رحلاته بين البلدان ، يقول في وصف الكتاب :

نظمت البلاد ، فكانت كتابا	فسافر من لايحث الركابا
تجوب البسطة ركناً ، فركنا	إذا ماتلونهاه باباً ، فبابا
كأنني غداة أطالع فيه	أشق الوهاد ، وأعلو الهضابا
وأمسح ماء الجبين ، وأنفـ	ض من فضلات الغبار الثيابا
ربوع تلوح وراء حروف	تريك مآذنها والقبابا
تكاد تظن الحروف رسوما	وتحسب حسن البيان خضابا ^(١)

ويقول في مدح (عزام) :

لك الله من " سندباد " حديث	يسوق إلينا الحديث العجابا
أرى السندباد بوادي الخيال	يهيم ، وتنقل أنت الصوابا
تسوق الحقيقة في روعة	وترمي القشور ، وتروي اللبابا ^(٢)

وهذا الأديب الكبير الشاعر عزيز أباظة يهدي الشاعر نسخة من رواية (قيس وليلى) فيرد عليه الشاعر بمقطوعة شعرية يعبر فيها عن عميق شكره وامتنانه لهذه الهدية القيمة .

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٢٧٤ .

(٢) السابق ، ص ٢٧٤ .

وَيَصِفُ فِيهَا الْقِيَمَةَ الْأَدَبِيَّةَ لِهَذِهِ الرِّوَايَةِ مِنْ حَيْثُ بَرَاعَةُ أَسْلُوبِهَا وَحَسَنُ مَعَانِيهَا وَتَنَاقُصُ أَلْفَاظِهَا وَقُوَّةُ تَرَاكُيبِهَا وَطَرِيقَةُ عَرْضِهَا :

خريدة من بنات الأعصر الأول	جلوت للضاد في زاه من الحلل
أرض الجزيرة بين الشاء والإبل	بعثت قيساً ولبنى ، يخطران على
فأصبحت فتنة الأسماع والمقل	كانا أحاديث للأسماع فاتنة
بل أظهرتك لنا في صورة البطل	رواية لم ينل قيس بطولتها
فرقت بينكم في رقة الغزل	لو لم تنص على المأثور عنه ، لما
في منطق كقوام الغيد معتدل	عبارة كرضاب الغيد سائغة
صورته أنت في " مستعلن " فعل ^(١)	مالا تصوره الألوان زاهية

وللدواوين الشعرية منزلتها عند الشاعر فهذا الشاعر (علي محمود طه) يهدي الشاعر نسختين من ديوانه " الملاح التائه " ، واحدة بعد الأخرى إلا أنها قد ضاعت كلتاهما بالبريد ، فكتب غنيم لمحمود طه هذه الأبيات يبين فيهما ما حدث من ضياع للهديتين اللتين كان شغوفاً بوصولهما ولكن حدث ما حدث ، ثم يشير إلى ما يتميز به شعر (علي محمود طه) من عمق في الفكرة ووضوح في الأسلوب ، فيقول :

وطوّقت جيدي بإهدائه	بعثت بملاحك التائه
محيط ، وضلّ بأحشائه	ولكنه تاه في ظلمات الـ
وشعرك أعمق من مائه ؟	ألا ما لشعرك في البحر تاه
فلأ لاؤها مثل لألائه	كأنني به ضلّ بين الآلي
وأخطأ أشوق قرائه ؟	له الله ! كيف اهتدى للجميع
فأعرض خشية إطرائه ؟ ^(٢)	تُرى : هل ألح عليه الحياءُ

أما النوع الآخر من الإهداء فيتمثل في إهداء الشاعر لغيره من الأقران والأصحاب دواوينه الشعرية باعثاً معها بمقطوعات وقصائد تعبر في جلاء عن صدق محبته ووفائه والتزامه بعري الصداقة . فعندما قدّم غنيم ديوانه هدية لمعالي الشيخ : (عبدالله الجابر

(١) المصدر السابق ، ص ٢٧٥ .

(٢) السابق ، ص ٢٧٦ .

الصباح) أنشأ قصيدة يعبر فيها عن شكره لذلك الشيخ الذي غمره بجمائله وأفضاله ،
ويصور فيها مدى ما يكتنه له من محبة وتقدير ، ويشير إلى أن أفضل هدية يمكن أن تقدم له
هي ما فاض به خاطره من شعر مكنون يتمثل في ذلك الديوان العزيز إلى نفسه :

لما رأيت جميل عطفك غامري	ورأيت فضلك فوق شكر الشاكر
عبرت عن شكري بذوب حشاشتي	وعميق إحساسي ، وفيض خواطري
أهدي إليك - ولا أمن - أعز ما	ملكته يدي ، والشعر كثر الشاعر
قدمت ديواني إليك ، وحسبه	شرف القبول من الأمير الجابر
فإذا قبلت ، فتلك عندي منّة	أخرى ، وشكرٌ ماله من آخر ^(١)

ولا يزال التواصل والإهداء مستمرًا بين الشاعر وغيره من الأصحاب والأحباب
فراه يهدي ديوانه كذلك للأمير القاسمي ، ويعطره بباقة من الأبيات في مدح ذلك الأمير
ويعقبها بالتنويه عن قيمة هذه الهدية :

إلى الأمير القاسم	ذي الفضل والمكارم
رب القريض النابغي	والسقاء الحياتي
صقر قرش كلها	أمنية ، وهاشم
إلى الذي عزت به	أرض المعز الفاطمي
أبعث شعري واجمأ	مطأطأ الجماجم
ماقيمة الأصداف عن	صد صائد القوائم ؟
فاعجب لها هدية	لشاعر من ناظم ! ^(٢)

والواقع أن هذه الهدايا كانت مثيرة لإبداع الشاعر ودلالة أكيدة على علاقاته
القوية مع أصدقائه وأصحابه سواء كانوا من داخل مصر أم من خارجها كما مر مع
الشيخ الأمير الصباح ، والأمير القاسمي اللذين يعدان من أمراء الخليج العربي .

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٨٣٨ .

(٢) السابق ، ص ٨٣٩ .

ثانياً : متفرقات اجتماعية:

استطاع غنيم بفضل ما أوتي من موهبة شعرية غزيرة أن يضمن شعره واقع ما يدور حوله من أمور الحياة ، وأن يعبر بصدق عن قضايا أمته أجمل تعبير . وحاول أن يدلي بآرائه في حل مشكلاتها وما يحل بها من أفراح وأتراح ولذا " فقد تناول الشاعر في شعره جميع الأغراض ، وطرق كل الموضوعات وما يتصل منها بالتعبير عن ذاته ، وما يتعلق بالجوانب الاجتماعية والدينية والقومية ، والوقوف عند مظاهر الوجود ، ومناجاة الطبيعة ، واستلهاها وعبر عن الآمه وأحلامه كما عبر عن آلام أمته وأمالها في شعر عذب يغزو القلوب ويستحوذ على النفوس " (١) .

ومن أهم الموضوعات الاجتماعية التي طرقتها وناقشها وحاول أن يضع لها حلولاً ناجحة مشكلات الشباب وما يواجهه من أخطار وتحديات يمكن أن تعصف به وتقضي عليه ولكون غنيم معلماً ثم موجهاً فقد استطاع أن يقترب من الشباب ويعرف ما يدور حوله من مغريات يمكن أن تقتله وتحتته فكان بمثابة الموجه لهم ينصحهم ويرشدهم إلى الطريق السليم ، وينبههم إلى ما يدور حولهم من أحداث وتحديات . انظر إليه وهو ينتقد بعض الظواهر الاجتماعية الفاسدة التي أصيب بها بعض الشباب وهي مغالاتهم وتماديهم في التألق والنعومة التي تصل إلى حد التشبه بالنساء وما ظهر من (موضات) وتسريحات غريبة ابتلى بها بعض الشباب :

ويا أشبال آساد غضاب
وقد تصفو المودة بالعتاب
يحكُّ بأنفه ، ظهر السحاب
وخالفهٗن في وضع النقاب
وميض البرق ، أو لمع الشهاب
كما هبَّ النسيم على العباب
بأزرار من الذهب اللباب

شباب النيل ، يازين الشباب
معي : عتب أوجهه إليكم
أرى منكم فريقاً حين يمشي
تفنن في محاكاة العذارى
وأرسل شعره المضغوط ، يحكي
تداعبه الصبا فيموج موجاً
له حُلُّ تحاكي الطيف لونا

(١) دموع على الشاعر محمود غنيم ، كلمة د. كامل السوافيري ، ص ٣٠ .

وفيهما جسمه انصبَّ انصباباً فما تدري الثياب من الإهاب ^(١)
والقصيدة كلها تهكمٌ وسخريةٌ بالشباب المتأنق المتنعم الذي لا يعرف من الأعمال
إلا (ربطة العنق) ولا من الخوف إلا خوفه مما يمكن أن يثور على ثيابه من غبار ، وعند
مخاطبته بحديث فيه قسوة يتأوه ويتنهد في الكلام :
وليس بمحكم عملاً شريفاً ويحكم وضع أربطة الرقاب
ولا يخشى على شيء ، ويخشى إذا ثار الغبار على الثياب
إذا خاطبته في غير لين تأوّه ، أو تنهّد في الخطاب ^(٢)
والشباب في نظر غنيم مستقبل الأمة وعمادها وصوتها الذي تصدح به ، وساعدها
الذي عليه تقوم ، وكفهاً الذي به تشفى وتطيب :

نشء الكنانة ، أنت نعم الداعي فاقرع بصوتك كلّ سمع واع
اجهر بصوت الحق . ضل الحق في هذا الزمان منافذ الأسماع
صوت الشباب مبرأ كضميره من كل شائبة وكل خداع
نشء الكنانة ، أنت أنت ذراعها لا خير في جسد بغير ذراع
وعلى يديك إذا شكا شاكي الحمى براء السقيم به من الأوجاع ^(٣)
ولكن ما هو الشباب المثالي عند غنيم ؟ وما توجهاته ؟ وما عدته لتحقيق تلك
التوجهات ؟ هذا ما يجيبك عنه غنيم بقوله :

إن الشباب تحضُّرٌ وتوثُّب إن ليس الشباب بلذّة ومتاع
إن لم يُعدّ المرءُ فيه نفسه لغد ، أضاع العمر أيّ ضياع
لا يخذعنكم الشباب ، فإنه ليمر مثل البرق في الإسراع
أنتم جنود للحمى فتشجعوا فالتصر لم يكتب لغير شجاع
أقسمت ، ما اعتدّ الشباب بعدة كصحيفة في كفه ويراع ^(٤)

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٩٠ .

(٢) السابق ، ص ٩٠ .

(٣) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٤٥ .

(٤) السابق ، ص ٤٤٥ .

وفي قصيدته (أيها النشء) الموجهة إلى الشباب الناشئ نراه يحثهم على طلب العلم في مستقبل العمر وبدايته ، وأن يأخذوا العلم من الكتب المفيدة ، فالتحصيل والتعليم في الصغر كالنقش على الحجر ، وبالعلم ينتصر الشعب وبالعلم يسان الوطن :

تعلموا في ربيع العمر واقتنصوا من كل سفر مفيد خير مافيه
وحصّلوا ، إنما التحصيل في صغر نقش على الصخر لا يمحوه ماحيه
الشعب إن ينتصر بالعلم ينصره والشعب إن يدّرع بالعلم يحميه ^(١)

ولم ينس غنيم في صدد حديثه عن الشباب أن يتحدث عن (الفتاة) ويجعلها الأساس الأول في دعم الرجل وتربيته فوراء كل رجل عظيم امرأة عظيمة حسب الحكمة المشهورة ، لكننا نجد غنيماً على الرغم من محافظته وتدينه يدعو (الفتاة) للخروج إلى ميادين العلم والمعرفة ، لأنها أصبحت في زمن يجب عليها أن تنزع الستار وترفع الخدر وتسير إلى جانب الفتى في معترك الحياة وتنافس في كل المجالات العلمية والمهنية:

قل للفتاة : لقد أصبحت في زمن للستر والخدر لم تخلق غوانييه
سيري جوار الفتى في كل معترك وفي مجال العلا والعلم باريه
إن الحمى بفتاه والفتاة معاً كل عليه له دين يؤديه
الطفل يرضع من أخلاق مرضعه قبل اللبّان التي تنصب في فيه
ما أنتجت أمة من أهلها طفلاً إلا ومن خلفه أنشئ تربيته ^(٢)

ولشدة حبه للشباب وتعلقه بهم وحرصه عليهم ، نراه ينظم لهم أناشيد حماسية ، فهناك نشيد للرياضة ، ونشيد للجامعة ، ونشيد للصحة ، وهذه الأناشيد تقال إما برغبة منه أو بطلب من الجهات المعنية كالجامعات والمدارس .

فيقول في النشيد الرياضي الذي يدعو إلى الاهتمام بالرياضة وممارستها ، لأنها تغرس النظام ، وتقوي الأجسام ، وتنمي المواهب والأفكار كما تواتر في نصائح السابقين (العقل السليم في الجسم السليم) :

إلى الأمام سر ، إلى الأمام أسود بالتدريب ، والنظام

(١) المصدر السابق ، ص ٦١٠ .

(٢) السابق ، ص ٦١٠ .

لي عزيمة قدّت من الأهرام سرُّ الحياة صحة الأجسام

إلى الأمام سر إلى الأمام

سلاحنا رياضة الأبدان أخلاقنا متينة البنیان

دروعنا من قوة الإيمان باهي بنا ، يأمة العربان

فنحن جند الحرب والسلام

إلى الأمام سر إلى الأمام ... الخ ^(١)

ويقول في النشيد (الجامعي) الذي يحفز فيه همم الشباب ، ويدعوهم إلى التمسك
بمآثر الأباء ومكارمهم التي ورثوها عن أسلافهم وينصحهم بالأخذ بأساليب العلم والتحلي
بالأخلاق الفاضلة :

هلمو ، يا شباب الجامعات نشق طريق يعرب في الحياة

نُحيِّي مجد آباء أباة لنا سنوا طريق المكرمات

هلموا ، يا شباب الجامعات

لنا كرم الشمائل من قديم ورثناه كريماً عن كريم

نصون العلم بالخلق القويم ونسمو بالخلال الصالحات

هلموا ، يا شباب الجامعات ^(٢)

وفي النشيد (الصحي) الذي يدعو إلى الاهتمام بالصحة والعمل على نشرها وأن
تكون شعاراً للجميع يقول :

يا شباب العلم في الوادي الآمين أشرق الصبح ، فهزوا النائمين

إن هذا العهد عهد الفائزين ليس فيه مقعد للعاجزين

إنما الصحة عنوان الحياة فانشروها نضرة فوق الحياه * * *

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٨٦٣ وتاليتها .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٥٣ وتاليتها .

وارسموها بسمه فوق الشفاه وابعثوها رحمة للعالمين^(١)

ومن الظواهر الاجتماعية التي نقدتها غنيم وتحدث عنها في شعره (الحضارة الزائفة) فثار عليها وهاجمها ؛ لأن الناس فهموها فهما زائفا وقلدوا فيها الغرب طواعية دون تفكير ، وانطلقوا وراءهم يقلدونها في كل شيء حتى في أساليب المعيشة التي أصبحت مشكلة معقدة بسبب ما يسمى بـ (الاتيكت) المتبع في الآداب الرسمية وما إليها ، يقول في ذلك الجانب :

إني أرى الناس ما زادوا رفاهية في العيش ، زادوه تعقيداً وإشكالا

كم هان أمر فقلدناه طائفة من الحواشي وحملناه أثقالا^(٢)

ويتعجب الشاعر من تلك الحضارة التي طغت على عقول الناس وسيطرت على عاداتهم وتقاليدهم فحرمتهم من هدوء البال الذي كان ينعم به أسلافهم:

يا طالما حدثني النفس قائلة : أنحن أنعم أم أجدادنا بالاً ؟

كانت حياتهم تضيء بساطتها عليهمو من هدوء البال سربالا^(٣)

ويدلل على هذا ببعض المفارقات العجيبة بين أسلوب القضاء في عهد أجداده وأسلوبه اليوم ، مشيراً إلى ما فرضه (تحديث القضاء) من (روتين) ممل يتسبب في تأجيل الأحكام والتراخي في إصدارها مما ينتج عنه تأخير الحقوق وإنهاك المظلوم :

كم للمحاكم أحكام يقوم بها في البدو فيصله ، والقول ما قالاً

لا الحق ضاع إذا ماعي مدرهه ولا ترقبُ يوم الفيصل قد طالا

قدّرتم الوقت تقدير الشحيح به فكدمو تملأون الليل أعمالا

أثخنتم الوقت بالأعمال ، ويحكمو هلا أضفتم إلى الآجال آجالاً !^(٤)

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٧٣.

(٢) السابق ، ص ٧٤.

(٣) السابق ، ص ٧٤.

(٤) السابق ، ص ٧٤.

ثم يندد بالوسائل الحربية الحديثة التي أثقلت كاهل كوكب الأرض فامتلاً منها
البحر والجو والبر ، وكثر عن طريقها القتل وتعددت أشكاله ، وتنوعت الجرائم ونفذت
بجميع أشكالها تحت سمع العلم الحديث وبصره ، بل بدعمٍ وتأيدٍ منه :

يارُبَّ حربٍ بغير العلم ما اتقَدَت ورُبَّ جيشٍ بغير العلم ما صالا
في الماء والجو آلات مسخرة تصوّر الموت ألواناً وأشكالاً
لنا جرائم لم يسبق بها زمن باتت تُزلزل ركن الأمن زلزلاً
كم وضَّحَ العلم منهاجاً لمختلِسٍ وبات يحمي من القانون مغتالاً^(١)

ويبدو أن غنيماً قد سُم تلك الحضارة الزائفة والمدنية المعقدة التي أثقلت على
الناس حياتهم فبدل أن يطوعوها في خدمتهم أصبحوا لها عبيداً ، فالحضارة في نظره وحش
كاسر ، ليس لها من اسمها إلا بريق زائف وسراب خادع ، لذلك نراه يدعو الناس إلى
اللاجوء إلى الطبيعة الفاتنة والعودة إلى حجرها الدافئ حتى يعيشوا في رغد من العيش
وتعود إلى محياهم الابتسامة وإلى نفوسهم السعادة والصفاء والود :

هي الطبيعة ، مابِرَّ الأنامُ بها أمّا ، وبرّت بهم من قبل أنجالاً
هل تشهرون عليها الحرب-ويحكمو- وكم طوت قبل هذا الجيل أجيالاً ؟
عودوا إلى حجرها إن شئتمو رغداً كما نشأتم بهذا الحجر أطفالاً
صوتُ الهزار وصوت العود أيهما أشجأهما أثراً في النفس فعّالاً ؟
أقسمتُ ، مانظرت عيني بحاضرة كالرمل أصفر ، أو كالماء سلسالاً^(٢)

فالحضارة إذاً " ليست كلها نعماً ومباهج ، فكما تكون سبيلاً للرقى والهناء تكون
أيضاً سبيلاً للتقهقر والشقاء ، ومن أسباب التقهقر والشقاء ماجرته الحضارة معها من
ألوان الترف والرخاء والخلاعة " ^(٣) .

والواقع أن الحضارة قد جرت معها الاهتمام بـ (المادة) التي اندفع الكثير من
الناس إلى حبها وجمعها واعتبارها أساس الحياة والأخلاق ، فتبدلت القيم من جرائها

(١) المصدر السابق ، ص ٧٤ وتاليتها .

(٢) السابق ، ص ٧٥ .

(٣) الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ، ص ٢١٦ .

وأصبحت الحاكم الذي يحتكم إليه . يقول غنيم معبراً عن موقفه من (المادة) التي سيطرت على قلوب الناس :

فَقَشْتُ بَيْنَ النَّاسِ عَنْ زَاهِدٍ	فَلَمْ تَقْعَ عَيْنِي عَلَى وَاحِدٍ
مَا أَزْهَدَ الْمَرْءَ إِذَا لَمْ يَجِدْ	وَأَبْعَدَ الزَّهْدَ عَنِ الْوَاجِدِ !
الْمَجْدَ : إِمَّا سَطْوَةً ، أَوْ غِنًى	مَا الْعَاجِزُ الْمَعْدَمُ بِالْمَاجِدِ
فَقِيْمَةُ الشَّعْبِ - إِذَا قَسَمْتُهَا	بَقِيْمَةُ الصَّادِرِ وَالْوَارِدِ
وَقِيْمَةُ الْفَرْدِ بِمَا يَمْلِكُ الْـ	فَرْدٌ مِنَ الطَّارِفِ وَالتَّالِدِ ^(١)

ومن الآثار الخطيرة التي تولدت عن حب (المادة) ضياع الأطفال الفقراء الذين حولهم الجوع إلى مردة مرعبين ، وتفوق الجانب المادي على الجانب المعنوي عند الناس فأصبحت أخلاقهم تقاس بالمادة وكثرها :

كَمْ طِفْلَةٌ أَوْدَعَتْ مِنْ هَرَّةٍ	حَوَّلَهَا الْجُوعُ إِلَى مَارِدٍ !
قَدْ يُحْسَدُ الْمَرْءُ عَلَى رِزْقِهِ	وَلَا أَرَى لِلْخُلُقِ مِنْ حَاسِدٍ ^(٢)

وفي قصيدته (قومي بين الشرق والغرب) نجده يثور على الحضارة الغربية التي افتتن بها كثير من الشرقيين . انظر إليه وهو يحذر العرب من تلك الحضارات المزيفة :

قومي ، لأنتم عبرة الأقسام	هل تنسبون ليافت أو سام
أبناء عمي من نزار ويعرب	ليسوا بأعراب ولا أعجام
يترسمون الغرب حتى يوشكوا	أن يعبدوه عبادة الأصنام
ماقلدوهم مبصرين ، وإنما	تبعوا نظامهمو بغير نظام
للغرب عادات مسممة ، سرت	في الشرق مسرى الداء في الأجسام
إني رأيت جيوشه لم تغزنا	في الحرب ، بل في مشرب وطعام
لاتأمنوا المستعمرين ؛ فكم لهم	حرب تقنع وجهها بسلام
حرب على لغة البلاد وعادها	ليست تشن بمدفع وحسام

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٧٧ .

(٢) السابق ، ص ٧٧ .

والشعب إن سلمت له أخلاقه ولسانه ، لم يخش قطع الهام ^(١)
وتفاديا للارتقاء في أحضان الغرب يدعو الشاعر قومه للاستمسك بدينهم الرباني ،
والحفاظة على لغتهم العربية ، وأن يوحدا صفوفهم وكلمتهم ويرجعوا بأمورهم إلى
الإسلام وتعاليمه السمحة :

أبني نزار ويعرب ، أوصيكمو بذخيرتين ، الضاد ، والإسلام
المسلمون - على شتات ديارهم فرض الإله خضوعهم لإمام
الله بالجمعات وحَّد بينهم وبحج بيت في الحجاز حرام
دين ابن عبد الله دين باسمه قبض الرشيد على الوري بزمام
هو دولة كبرى ، وملك شامخ لا محض تكبير ، ومحض صيام ^(٢)

ولم يقف غنيم بعيداً عن شعبه بل عايشهم وتداخل معهم وتعرف على مستوياتهم
المعيشية وكافح المفاصد الاجتماعية الخطيرة التي ظهرت وانتشرت في عصره وخاصة
(الجهل ، والفقر ، والمرض) وسماها بالأعداء الثلاثة ونادى بمحاربتها ومقاتلتها وبيّن أن
الحرب معها لا تقل أهمية عن الحروب التي تستعمل فيها كافة الأسلحة :

ليست الحرب في امتشاق السلاح بين سمر القنا وبيض الصفاح
إنما الحرب : حرب جهل ، وفقر وسقام هذا مجال الكفاح ^(٣)

فغنيم ينشد الإصلاح الاجتماعي حتى يعيش الناس في رخاء ، فدعا إلى محاربة
الجهل ومكافحته بالعلم ، لأن الجهل عدو النجاح والتقدم ، وأن يحمل الناس مشعل
الثقافة في الأرياف والقرى لأنها بأمس الحاجة إليها لكثرة الجهل فيها بين الناس ويمكن أن
يعد ذلك دعوة مبكرة إلى (محو الأمية) و(محاربة الجهل) :

ياجنود الحمى ، لقد أزف الوق ت ، فهياً بنا إلى الإصلاح
كافحوا الجهل في ثبات وعزم قهر هذا العدوان نصف النجاح
واحملوا مشعل الثقافة حتى يشعر الريف بابتلاج الصباح

(١) المصدر السابق ، ص ٩٥ .

(٢) السابق ، ص ٩٧ .

(٣) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٤٦ .

إن أمضى السلاح في ساحة الحر ب سلاح الأقلام والألواح ^(١)

ثم يدعوهم إلى مكافحة العدو الثاني والمتمثل في (الفقر) الذي يعتصر الناس وخاصة في الأرياف متمثلاً فيما يمر به الفلاح من ضيق العيش ، ومرارة الحياة فيناشد أهل السماحة والكرم بالوقوف إلى جانبهم :

يارجال البلاد ، مصر تنادي: أين أهل الندى وأهل السماح ؟

كافحوا الفقر في الكنانة ، حتى تطردوه من منزل الفلاح ^(٢)

ثم يدعوهم إلى محاربة العدو الثالث ومكافحته بشتى الوسائل الممكنة والمتمثل في (المرض) الذي انتشر في كل البلاد وخالط الأصحاء ، وحلّ في الأكل والشراب ، يقول :

كافحوا الداء ، فهو ضيف ثقيل حلّ بالزاد والنمير القراح

وامنحوا الشعب صحة الجسم حتى يظفر الشعب بالعقول الصراح ^(٣)

وفي آخر القصيدة يكرر غنيم معاداته لتلك الآفات الاجتماعية المدمرة ويؤكد على شن حملات قوية لمحاربتها وإبادة في المدن والقرى والهجر :

تلك أعداؤنا الثلاثة - ولا كما نت- غزت مصر من جميع النواحي

فخذوا حذركم ، وشنوا عليها الحرب، في المدن، في القرى، في الضواحي

فإذا ماجلت ، فقولوا : انتصرنا وأقيموا معالم الأفراح ^(٤)

وقد وقف غنيم محارباً لـ (الرذيلة) بجميع أنواعها وألوانها وهذه الرذيلة النكراء قد انتشرت بسبب الحرب والجهل المدقع الذي حل بالبشرية في تلك الفترة ، ونادى غنيم بالتمسك بالأخلاق الفاضلة الحميدة التي تحقق للإنسان إنسانيته وكرامته ووجهه للسلم والسلام ، انظر إليه وهو يستنكر على الناس تحبطهم العشوائي في الحروب والبعد عن الأخلاق :

(١) المصدر السابق ، ص ٤٤٦ وتاليتها .

(٢) السابق ، ص ٤٤٧ .

(٣) السابق ، ص ٤٤٧ .

(٤) السابق ، ص ٤٤٧ .

ما بال عصر النور أمسى أهله
لو سادت الأخلاق ما انقلب الوري
أو غررت بالعالمين مبادئ
ثم يبين رأيه في (الملك) ويرى أن أساس الملك وقوامه الأخلاق لا الحروب المدمرة
والمجازر الوحشية :

الملك بالأخلاق يبني أسسه
لا بالمجازر والدم السفاح^(٢)
ثم يبين رأيه في (الرديلة بقوله) :
قل للطبيب : دع الجسم إذا شكت
إن الرديلة شر مانعياً به
من للنفوس ودائها الملحاح
وأشده خطراً على الأرواح^(٣)

ومن المخاطر الاجتماعية التي ناقشها غنيم ووقف منها موقفاً حازماً ما يسمى بـ
(التبشير) وخطره الذي استشرى في مصر ، حتى كاد يؤدي إلى فتنة عمياء :

خطر تغلغل في الحمى
إني أعيد عرا المود
من عتق مصر ، يعق أحمر
أكبرت عيسى أن يكو
فلطالما نشر السلا
باسم المسيح ومريما
ة بيننا أن تفصما
مد والمسيح كليهما
ن إلى المطامع سلما
م ، وباسمه جرت الدما^(٤)

وقد ندد غنيم ببعض البدع والخرافات التي تصاحب الموالد ومن ذلك قصيدته
(حفل المولد) التي أنشأها في مولد السيد (البدوي) وهي من النقد الاجتماعي اللاذع
الذي يحمل في طياته السخرية والتهكم على مايقع في الموالد من بدع وخرعبلات :

(١) المصدر السابق ، ص ٤٤٣ .

(٢) السابق ، ص ٤٤٣ .

(٣) السابق ، ص ٤٤٣ .

(٤) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٩٢ .

لَهْفِي عَلَى بِلْد بَعَا	دَات الْجُدُود مَقِيد !
بِاسْم الصَّلَاح يَشُوهُو	ن جَمَال دِين مُحَمَّد
مَآكِل سَيَّال اللَّعَا	ب مِّن الثَّقَاة الزَّهْد
هَم قَدَسُوا الْبُدُوي تَقْـ	سَدِيس المَسِيح وَأَحْمَد
كَمْ لَائِذْ عِنْد الْخَطُو	ب بِهِ ، وَكَمْ مَسْتَنَجِد !
هَب أَحْمَدًا قُطْبًا يَغُو	ص بـ رَجُلُهُ فِي الْجـ لَمَد
أَوْ آيَّة فِي عـ لَمَه	وَذَكَائِهِ الْمـ تَوَقَد
أَتَكْرَم الْأَبْطَال بِـالـ	تَهْرِيج حَوْل المَسْجِد ؟
إِن المَوَالِيد مـ رَتَع	خَصَب لِكُل مَعْرِبَد ^(١)

وعندما اشتد الخلاف بين الأحزاب ، وتفاقت المهارات الصحفية ، عبر غنيم عن ذلك بكل جرأة وصدق وذلك في قصيدته (معترك السباب) التي سخر فيها بأبناء قومه الذين دبَّ فيما بينهم الجدل والتنازع والتناحر ، ولكنهم ظلّوا واقفين جبناء في أوقات الحروب عندما كانت البلاد محتاجة لهم فتتج عن تلك المهارات التخاذل والانقسام والضعف بين أبناء الوطن فهم كالنعام في الحروب وكالأسود المتوحشة في التعاير والتنازع :

قَوْمِي نَعَام فِي الْحُرُ	ب، وَفِي التَّنَازِيرُ أُسْدُ غَاب
يَتَرَاشِقُونَ بِكُل مَنـ	دِيَّة كَمَسْمُوم الْحَرَاب
الشَّمْل مَحْلُول الْعَرَا	وَالصَّحْف حَاسِرَةُ النِّقَاب
وَالشَّعْب يَنْدَب- قَائِلًا-	هَذَا النُّضَال عَلَى حَسَابِي !! ^(٢)

ثم يشير إلى عفن تلك التهم المتبادلة بين تلك الأحزاب وإلى انتشار رائحتها الكريهة في أوساط الشعب ، فدعاهم إلى ضبط النفس ، والكف عن تلك المهارات التي انتشرت بكل مافيها من صدق أو كذب ، وأن يعضوا من أصواتهم ، ولا يعلنوا فضائحهم على الملأ وخاصة على النشء الذي يعيش في تخبط واضح من جراء تلك الاختلافات ، ثم يبين أن المنتصر في تلك الحلبة من يجعل السكوت له منبراً وسلماً :

(١) المصدر السابق ، ص ٢٧٩ .

(٢) السابق ، ص ٨٣ .

غِيْثٌ تَدْفُقُ مِنْ سَحَابٍ

الزهرر أو ريح المـلاب

ب ، لعُكِّرَتْ صَفْوُ الْعِبَابِ

يـاقوت في أرض يـباب

جیرانکم من کل باب

طاهر غرض الإهاب

رسها العيي^١ عن الجواب

أحزاب هوجاء طائشة ، زرعت الفرقة بين الأصحاب وسقت البلاد كؤوس الذل

إني أرى حزباً _____ هوجاء طائشة الصواب

ت ، و فرقت بین الصحاب

كأسين : من سُمِّ ، وصاب

أَسْ مِنْ الشَّهَوَاتِ نَابَ

بين المروق والانتساب

ل مثل تبديل الثياب (٢)

المصري موجة اختلاف الأحزاب وما أحدثته من فرقة بين الأفراد الذين عانوا من هذا

الثائرة " تراشق القادة" التي أنشأها عندما كثرت الخلافات الحزبية في العهد البائد وفاضت

الثورة). وغنيم قد وصف ذلك المنظر الشنيع ، حيث ترمى القادة بالحجارة ، وتشجاروا

في وقت كانت البلاد تعج فيه بالنكبات والأحداث . والأرجوزة برمتها لا تختلف عن

(٢) السابق ، ص ٨٥ .

سابتها في معالجة القضية ونصح الأطراف المعنية بأخذ الحيطه والحذر وعدم إثارة القلاقل
والفتن :

تراشق القادة بالأحجار
وأمعنوا في الكيد والشجار
والفلك تحت رحمة الأقدار
بين الرياح الهوج والتيار
اطووا ثيابكم على الأقدار
لاتطلعوا الناس على الأسرار
بغسلها في وضح النهار
يا ساسة أشبه بالتجار
النيل صار كعبة الأنصار
يرمقه العالم باحتقار
لهامو هذا الحديث الساري
عن الوغى ووقعها المثار^(١)

والواقع أن غنيماً يمثل روح الشاعر الثائر لمجتمعه ولأمتة ولوطنه . وهنا لا أستطيع
الإلمام بكل الجوانب الاجتماعية في شعره خوف الإطالة وأكتفي بما قدمت لأن ذلك يفي
بغرض البحث .

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٤٠ .

المناسبات الثقافية

يرى المتأمل في شعر غنيم بكل وضوح ذلك البعد الثقافي الذي يصدر عنه الشاعر في أغلب أشعاره ، وهذا البعد الثقافي قد جعل غنيمًا يسهم ويشارك في أغلب المناسبات الثقافية والأدبية التي كانت تعقد في مجتمعه المصري الذي كان زاخرًا باللقاءات والندوات والمهرجانات الحافلة بالفكر والأدب آنذاك ، ولم تكن تلك الندوات والمهرجانات وحدها التي يشارك فيها ، بل له إسهاماته الثقافية البناءة في المجالات والصحف، كـ(الرسالة ، والأسبوعية ، والأهرام ، والسياسة) ، ومع أنه كان معلمًا ثم مفتشًا إلا أن تلك الوظيفة لم تمنعه من تلك المشاركات في الندوات واللقاءات ، فلم تقيد به بأغلاها وروتينها الملل ؛ بل كان يشارك بإنجازاته في الحقول الأدبية والثقافية .

والواقع أن تلك المناسبات الثقافية التي شارك فيها كانت مثيرة لعواطفه وإبداعه فأنجبت شعرًا جميلًا مليئًا بالصور والتعبيرات التي تستحق الوقوف عندها والتأمل فيها ، وتمثل المناسبات الثقافية عند محمود غنيم في :

أولاً : المهرجانات والندوات الأدبية :

كان للجلسات الأدبية التي يحضرها الشاعر وقع كبير في وجدانه ، وتأثير واضح في توجهاته وأفكاره ، فكان حريصاً على المشاركة والحضور ، ففي قصيدته (سمر الأدباء) التي أنشأها على إثر جلسة من الجلسات الأدبية ، التي كانت تعقد في جريدة الدستور تعبیر واضح عما يدور في تلك الجلسات الأدبية من الإثارات العلمية والنقاشات الأدبية التي يثيرها أعضاء تلك المجالس :

من هؤلاء المعشر السُّمَّار	بجديتهم تتعطر الأسحار ؟
رقد الورى ، وحمى عيونهم الكرى	جدلٌ تردّد بينهم وحوار
سُهدُ كسهد العاشقين ، وإنما	أصْبَتْهُمْ ببنائنا الأفكار ^(١)

ثم يشير إلى ما يتمتع به أولئك الأدباء في تلك الجلسة من الفصاحة والبيان ، وما يتطارحونه ويتداولونه من أقوال بليغة تشبه في حسنها كؤوس الخمر حين تدار :

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في وادٍ ، ص ١٢٦ .

كلفوا ، ولكن بالبيان وسحره
يتطارحون القول فيما بينهم
ومن البيان : عرائس أبكار
يحكي كئوس الرّاح حين تُدار ^(١)

ويرى أن تلك الكوكبة من الأدباء قد أحبوا شعر كبار الأدباء كالبحتري وبشار ،
وجابوا الأقطار وتدارسوا آداب الممالك والأمصار :

أحيوا لنا العظم الرميم : فتارةً
وتذاكروا أدب الممالك ، فانطوت
معنا الوليد ، وتارة بشار
في حجرة جمعتهم الأقطار
يتنقلون على ضفاف " السين " لم
ينقل ركابهمو إليه قطار
بيننا تراهم في " دمشق " ، إذا بهم
نحو العراق - بلا جناح - طاروا ^(٢)

وفي آخر القصيدة يوضح لنا مضامين تلك الأمسيات الأدبية التي كان يحييها
الأدباء في ذلك المجلس الأدبي ، ويخاطب النابغة بأن يقوم من منامه ليرى ذلك المجلس الذي
يشبه سوق عكاظ الذي كان يعج بالشعر والشعراء . ويرى غنيم أن الناس الذين يعتد بهم
ثلاث فئات فقط كاتب وشاعر وناقد وما عداهم لا شيء :

يا ربّ ليلٍ حالك يُحيونه
قم يا زياد ^(٣) ، عكاظ جُدّد عهدا
بروائع الآداب ، فهو نُهار
وتنوشدت في سوقها الأشعار
ما الناس إلا : كاتبٌ أو شاعرٌ
أو ناقدٌ ، وسواهمو أصفار ^(٤)

وبهذا أستطيع أن أقول إنّ الجلسات الأدبية التي كانت تعقد بين الفينة والأخرى
ميدان فسيح لإبداع الشاعر وتصويره .

وإذا ما انتقلت إلى (المهرجانات) الثقافية والأدبية اتضح لنا اهتمام الشاعر وتفاعله
معها ، وقد شارك الشاعر في تلك المهرجانات على المستوى المحلي والدولي على السواء ،
ففي دمشق يشارك الشاعر في مهرجان (البحتري) بقصيدة (دالية) تقديراً لذكرى رحيله

(١) المصدر السابق ، ص ١٢٦ .

(٢) السابق ، ص ١٢٧ .

(٣) " زياد " : يريد به النابغة الذبياني ؛ وقد كانت تنصب له في عكاظ قبة ، ويتولى الفصل والمفاصلة بين الشعراء .

(٤) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ١٢٧ .

وإعجاباً منه بشعر البحري الذي طالما قدّره ونهّج على منواله ، انظر إليه وهو يحيي ذلك
المهرجان بهذا الوصف الرائع للبحري ، وبما يمتلكه من أساليب رائعة :

حين غنّيت دمشقُ شعرَ الوليدِ	قالت الطيرُ : يا دمشق ، أعيدي
رددِي ، يا دمشق ، لحناً وعته	أذنُ الدهر منذ عهد عهيد
شاعر أعجز الفحول بشعر	سلس طيّع ، عصي ، عنيد
كان شيطانه مريبداً ، ولكن	يتراءى للعين غير مريد
شاعرٌ ، بل مصورٌ ، بل مغنٍ	ما قوافيه غير أوتار عود
فاعلٌ بالكلام ما فعل الصا	ئغ في حب لؤلؤ منضود ^(١)

ثم يأسى الشاعر على الشعر العربي الأصيل الذي خرج عنه دعاة التجديد من
الشعراء إلى ما يسمى بالشعر (الحر) الذي يقوم على التخلص من الوزن والقافية :

هل درى البحريُّ أن أناساً	بعده شوّهوا جمال القصيد ؟
قد جزيّنا على ارتكاب الخطايا	بأناس جاءوا بشعر جديد
زعموه حرّاً ، ورقّ الجوّاري	بعض أوصافه ، وذلّ العبيد
عصبة تحسب القوافي غلاً	وتعدّ الأوزان بعض القيود
لهم الله . كلُّ عيٍ لديهم	مظهرٌ من مظاهر التجديد
ما أراهم يلقون شعراً ، ولكن	يخصّبون الأسماع بالجلمود
قلّدوا كل ناعقٍ أجنيّ	ورموناً بوصمة التقلّيد
إن يكن طابع الأصالة في الشعـ	ر جموداً ، فمرحباً بالجمود ^(٢)

وفي مهرجان الشعر الذي أقيم ببغداد يشارك شاعرنا برائعة من شعره ، تشف عما
أوتي من قدرات شعرية ، لأن المكان الذي يلقي فيه كان موطناً من مواطن الشعر
والشعراء ، ومكماً من مكامن الفكر والأدب والثقافة ، يقول واصفاً بغداد جاعلاً منها
عاصمةً للكون :

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٦٢٩ .

(٢) السابق ، ص ٦٣٠ ، وتاليتها .

بغداد قرة عين الشرق ، بغداد
 الدهرُ يعرفها للكون عاصمةً
 فاض الفرات حضارات ، فكان له
 وسال دجلة قبل الماء معرفةً
 لحن تغنى به الإسلام والضاد
 تقوده كيفما شاءت ، فينقاد
 بها مع الماء إرغاء وإزباد
 منها ارتوت مُهَجُّ ظمأى وأكباد^(١)
 وإلى جانب تلك الحضارات العريقة كان الشعر ولا يزال مزدهراً في بغداد فهي
 أساسه ومنشأه :

ما كان للشعر في بدو وحاضرة
 الشعرُ ، أنت التي علّمت وازنّه
 دوّنت ما نظم الأسلاف من درر
 لولا رواتك ، يا بغدادُ ، إنشاد
 أن القوافي أسبابٌ وأوتاد
 لولاك بادت غواليها كما بادوا^(٢)
 ثم يشير إلى ما تميزت به بغداد من ازدهار حركة التأليف والترجمة ، والأخذ
 بأسباب المعرفة فهي موسوعة ثقافية وعلمية كبيرة ، بالإضافة إلى أخذها بأساليب الحضارة
 الجديدة :

كم من معارف قد أحييت دأثرها
 لولاك ما كان للفصحى مذاهبها
 العيش فيها كموج البحر مصطخب
 للهو فيها حوانيت وأنديّة
 وللثقافة تأليف وترجمة
 وكم لعلمٍ جديدٍ فيك ميلاد
 وللحديث روايات وإسناد
 فيه تلاقت من الألوان أضداد
 وللصلاة محاريب وعُبابد
 وللغناء مزاميرٌ وأعوادُ^(٣)

وبهذا أستطيع القول إن غنيماً قد شارك في عديد من المجالس الأدبية التي كانت
 تعقد آنذاك كما هو الحال في تلك الجلسات الأدبية التي كانت تعقد في جريدة (الدستور)
 وأسهم في المهرجانات الشعرية في مصر وخارج مصر كمهرجان (الوليد) الذي عقد في
 دمشق ، ومهرجان (الشعر) الذي عقد في بغداد ، أو مهرجان (إحياء ذكرى شوقي)

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ٦٧١ وتاليتها .

(٢) السابق ، ص ٦٧٢ .

(٣) السابق ، ص ٦٧٢ .

الذي عقد في القاهرة ، فكان لتلك المهرجانات الأدبية وقعها في قلب الشاعر ، حيث أخرج شعراً رائعاً يحمل بين طياته المعاني الرائعة ، والصور المبدعة .

والواقع أن تلك المهرجانات الثقافية لم تقتصر على الأدب ، بل إنها تعدته إلى مجال التربية والتعليم ذلك لأن غنيماً كان أحد رواد التربية والتعليم في مصر ، فلم يكن الشعر بمعزل عن عمله ورسالته ، بل كانا متلازمين ومتصاحبين كلٌّ ينهل من معين الآخر ولا ينبغي أن ننسى من بين تلك المهرجانات الثقافية الرائعة مهرجان عيد (العلم) الذي شارك فيه بقصيدته (البائية) التي يترجم فيها مشاعر الفرح والغبطة لكل من ينتسب إلى التعليم من مربين وطلاب :

عيدٌ تَأَلَّقَ لا شمسٌ ، ولا شهبُ	لكن كواكبُهُ : الأَقْلَامُ والكتبُ
والعلم روح من الرحمن مُقْتَبَسُ	ونوره من ضياء الله مكتسب
النشءُ في مهرجان العلم مبتهَج	كأنه طيرُ روض هَزَّه الطرب
همو طيور الحمى في يومهم ، وغداً	همو ليوث ، إذا ريع الحمى ، وثبوا
يا بارك الله في مصر جهابذةً	يعطون من دمهم للنشء ماطلبوا
تبني لمصر - بلا من - سواعدهم	جيلاً إلى الشرق والإسلام ينتسب
للعلم والوطن الغالي مواهبهم	تهدى ، ولو سئلوا أرواحهم ، وهبوا ^(١)

ثانياً : تحايا الوفود الثقافية :

كانت القاهرة موئلاً رائداً للفكر والمفكرين ، ومركزاً مهماً للثقافة العربية يأتيها أهل العلم والفكر والأدب من كل صوب لينهلوا من معينها الصافي ويشاهدوا حضاراتها المختلفة ، وكان يُطلبُ من غنيم في كثير من المناسبات الثقافية الترحيب بالوفود المشاركة في المهرجانات المختلفة نظراً لما يتمتع به من شاعرية قوية وثقافات متعددة يعرف من خلالها كيف يمدح تلك الوفود المشاركة ، ومن النماذج على ذلك قصيدته التي ألقاها في نادي دار العلوم في حفلٍ أقيم تكريماً لبعض الوفود السودانية يحيي فيها السودان وما يتمتع به أبنائه من اهتمامات علمية وأدبية :

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٦٠٧ .

يا جيرة النيل ، حيّا الله مقدمكم
لقد نزلتم برهطٍ من عشيرتكم
لما نزلتم على الفصحى بدارتها
لسنا نعدّكمو في مصرَ ضيفانا
وزرتمو بدلَ الأوطان أوطانا
كادت ترحب أساساً وجدرانا^(١)

وحيثما نزل وفد ثقافي من لبنان إلى مصر ، أقامت جماعة دار العلوم حفلة تكريم لهم وكلّفت شاعرنا أن يلقي قصيدة ترحيبية بمقدمهم فتحرّكت قريحته بقصيدة (نونية) يحيي فيها لبنان ويمجد تاريخه الذي استطاع على امتداده أن يحقق جهوداً فعالة في خدمة الثقافة والفكر والأدب :

يا جيرة الأرز ، لن ننسى أياديكم
إن الصحافة أنتم أسُّ نهضتها
لكم على النيل أهرام دعائمها
إن كان للضاد آداب تنيه بها
للضاد شاد اليسوعيون مكتبة
رسل الثقافة ، مرّحي ، نحن في زمن
إن وحدت بين أقوام ثقافتهم
وليس للفضل عند الحر نسيان
لولاكمو ، لم تقم للصحف عمدان
سحر البلاغة ، لا صخر وصوان
فإن فارسها السباق زيدان
لم تحوها زمن المأمون بغدان ؟
أمضى سلاح به : علم وعرفان
فلن تُفرّق ذات البين بُلدان^(٢)

وهذا وفد ثقافي آخر يهبط مصر ، فيكرمه المعلمون في ناديهم بالجزيرة ، ويلقي غنيم كعاداته قصيدة ترحيبية بذلك الوفد يكشف فيها عن صدق عاطفته وميله الجاد إلى الثقافة والفكر ، وذلك في قصيدته (رسل الثقافة) التي يبحث فيها عدة أمور مهمة كالدعوة إلى الوحدة العربية ، والوقوف في وجوه الأعداء ، والدعوة الجادة إلى الأخذ بأساليب العلوم الجديدة :

رُسلَ الثقافة،مرحباً بوفودكم
ما زال نهر النيل يحسب نفسه
حتى رأى علماءكم في شطّه
مصر تنيه بكم على الأمصار
فوق البسيطة عاهل الأنهار
فإذا به يجري أمام بحار

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٢٣٠ .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٧٥ ، وتالياتها .

مصرٌ تدين بدينها ولسانها
هي أمةٌ ترعى الجميل لأهله
دعّمتمو صرح الإخاء ، وليس ما
العلمُ لا تبني الممالك نفسها
العلمُ ألزمٌ للشعوب - إذا دعا
لكمو ، وما ترؤي من الأشعار
حفظُ الجميل سجيّةُ الأحرار
تبني يمين العلم بالمنهار
إلاّ به في عهد الاستقرار
داعي الحروب - من النмир الجاري ^(١)

ثالثاً : الإشادة بـ (المجلات الأدبية والدواوين الشعرية) :

كان لغنيم إسهاماته الجيدة في إبراز المجلات الأدبية والدواوين الشعرية في شعره ،
وذلك ناتج عن إعجابه بها وبما تحويه من آداب وأشعار وأفكار نيرة ، ومن النماذج
الشعرية على ذلك قصيدته (تحية الرسالة) التي أنشأها تحية لمجلة الرسالة الغراء بمناسبة
مرور بضع سنوات على إنشائها ، فهي مجلة شقّت الصفوف إلى الأمام وهتفت بالعروبة
والأدب كالطير في شدوه ، والليث في وثبه :

مشّت مثل "جان درك" بين العرب
تشقّ الصفوف بعزم ، وتهتـ
إذا هتفت ، قلت : طيرٌ شدا
تبشر بالضاد بين بنيها
وما وحّد الجمع مثل اللسان
إذا اتحد الفكر في معشر
تشدّ عراهم بأقوى سبب
ف باسم العروبة ، واسم الأدب
وإن وثبت ، قلت : ليث وثب
وأكرم بجرمة هذا النسب !
ولا اتحد الجمع إلا غلب
تجمّع من شمله ما انشعب ^(٢)

وهذه المجلة تعد سفارة بين البلاد فهي أجدر من غيرها بحمل هذا اللقب :
وقالوا : الرسالة ، قلت : وهل ثمّ
مشّت بالسفارة بين البلاد
فأقسم ، ما قصّرت في الأداء
متى يعرف الناس أن الفتى
أجدرٌ منها بهذا اللقب ؟
تخطّى الوهاد ، وترقى الهضب
وإن قصّر القوم عما وجب
- بلا أدب - دميةٌ من خشب ؟

(١) المصدر السابق ، ص ٣٨١ .

(٢) الأعمال الكاملة ، صرخةٌ في واد ، ص ٢١٨ .

فما هو شعر ونثر ، ولكن هو الروح للجسم ، وهو العصب
يُمِدُّ الشعوب بكل قواها وتذهب شوكتها إن ذهب ^(١)

وكان غنيماً بحكم عمله وحبه للاطلاع يتابع بكل اهتمام ما يصدر على الساحة
الأدبية من دواوين شعرية فيحرص على قراءتها واقتنائها ونقدها ، انظر إليه وهو يشارك في
تكريم الدكتور (إبراهيم ناجي) بمناسبة ظهور ديوانه (ليالي القاهرة) وقد مرت الأبيات
معنا مسبقاً في باب المدح ، ومنها :

يا للليالي الوضاء ذات السنا والرواء
تبقي وما للليالي وأهلها من بقاء ^(٢)

وكعاداته مع زملائه وأصدقائه نجده يطلع على دواوينهم ، ويشارك في مناسبات
ظهورها ، انظر إليه وهو يحيي ديوان صديق دراسته في مدرسة القضاء الشرعي الأستاذ
فرحات عبد الخالق :

لله شعرك إنـه لمن العروبة في الصميم
لا بالمهلhel نسله عند السماع ، ولا السقيم
لله درك راصفاً لبناً ودرك من حكيم
علمت بالشعر الشبا ب مبادئ الخلق الكريم
وطبعت أنفسهم به طبعاً على الذوق السليم ^(٣)

وكان للجوائز التي يحصل عليها نتيجة أعماله الأدبية التي يقدمها أثر في نفسه
فهاهو يلقي قصيدته (من يد الرئيس) بمناسبة الجائزة التي تسلمها عن ديوانه (في ظلال
الثورة) من يد الرئيس جمال عبد الناصر تشجيعاً للشعر والشعراء :

قل للرئيس : رفعت موضع شاعر
نيل الجوائز من يديك جوائز
يطريك من قلب ، بحبك عامر
أخرى تفوز بها يمين الظافر

(١) المصدر السابق ، ص ٢١٩ .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٥٤٦ .

(٣) السابق ، ص ٥٥٢ .

هذا جمالٌ صافحت يدهُ يدي والقلب يخفق عن جناحي طائر^(١)

ثم يثني على تلك الجائزة التي تسلمها من يد الرئيس قائلاً :

أغلى الجوائز من جمال : نظرةٌ منه ، تقرُّ بها عيونُ السناظر

أغلى الجوائز من جمال : قُبْلَةٌ طُبِعَتْ على هذا الجبين الطاهر^(٢)

وخلاصة القول في كل ماسبق أن تلك المناسبات و المهرجانات الأدبية والثقافية ،
وتلك المجالس الأدبية التي كان يحضرها غنيٌّ كانت مثيراً لإبداعه إضافة إلى ماسبق ذكره
من استقبال الوفود والمشاركات في المهرجانات الثقافية ، وما كان يظهر على الساحة من
دواوين شعرية ومجلات أدبية ، فإسهاماته ومشاركاته جعلته شاعراً للمهرجانات الثقافية
واستقبال الوفود الرسمية فقال في ذلك أشعاراً رائعة تدل على ثقافة قائلها وحسن اطلاعه
وما يتسم به من صدق العاطفة وعمق التجربة .

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٨١٩ .

(٢) السابق ، ص ٨١٩ .

الفصل الثالث

آليات التشكيل

✱ المبحث الأول : البناء الفني للقصيدة.

✱ المبحث الثاني : المعجم الشعري .

✱ المبحث الثالث : الأسلوب .

✱ المبحث الرابع : الموسيقى .

✱ المبحث الخامس : الصورة .

البناء الفني للقصة

احتذى محمود غنيم في شعره حذو شعراء النهج القديم في بناء القصيدة العربية من حيث شكلها وهيكلها الفني أما المضمون والمحتوى فكان جديداً ومتطوراً في معظم قصائده وستحاول الصفحات القادمة دراسة إطار القصيدة عنده ، فتناول مقدمات قصائده ، والطريقة التي كان يختمها بها ، ومدى تحقق الوحدة العضوية في شعره ،
أ - المطلع :

كانت مطالع القصائد من الأمور المهمة التي حظيت بعناية النقاد القدامى . فمن المعروف أن القصيدة الجاهلية كانت تبدأ في معظم أحوالها بالوقوف على الطلل البالي والبكاء على الديار الخوالي فكان من النتائج الحتمية لنظام مقدمات القصيدة العربية أن " وقرّ في أذهان العامة أن مطلع القصيدة العربية الجاهلية لابد أن تبدأ بالوقوف على الأطلال ؛ وبكاء الدمن والآثار ... " (١).

واستمر نظام القصيدة على هذه الحال حتى جاء العصر العباسي فبدأ المولدون من الشعراء أمثال بشار وأبي نواس في الدعوة إلى التجديد في شكل القصيدة ونبذ الوقوف على الأطلال واعتبار ذلك التقليد المتوارث سخيلاً ومستهجناً.

ولكي نعطي فكرة مضيئة عن أهمية المطالع لابد من الوقوف على أقوال بعض النقاد القدامى الذين أشاروا إليها في تراثهم النقدي . فأبو هلال العسكري يدعو الكتاب إلى الإحساس في الابتداءات ؛ لأنهم دلائل البيان في نظره (٢).

وينضم إليه ابن رشيق القيرواني ، الذي يؤكد على الشاعر أن " يجود ابتداء شعره ، فإنه أول ما يقرع السمع " (٣) وعليه أن يتوخى الصحة وأن تكون مقدماته خالية من العيوب اللغوية (٤).

(١) عباس بيومي عجلان : عناصر الإبداع الفني في شعر الأعشى ، ب.ط . (الإسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة للطباعة ، ١٩٨٥ م) ص ٣٥٩ .

(٢) انظر: العسكري ، أبو هلال : الصناعتين . تحقيق : علي محمد الجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم . الطبعة الأولى . (القاهرة : ١٩٥٢ م) ، ص ٤٣١١ .

(٣) العمدة ، ١/٢١٨ .

(٤) انظر حول أقوال النقاد القدامى في ذلك : يوسف بكار : بناء القصيدة في النقد العربي القديم . الطبعة الثانية . (بيروت : دار الأندلس للطباعة والنشر ، ١٩٨٢ م) ص ٢٠٧ و ٢١٠ .

وعند الوقوف المتأني على مطالع محمود غنيم يتبين لنا بوضوح تحليله عن المقدمات التقليدية ، وحرصه على أن تكون مطالعه متوافقة ومتجانسة مع الغرض الذي أنشئت من أجله القصيدة ومن أمثلة ذلك قوله مستهلاً إحدى قصائده :

أهلاً بمطالعك السعيد _____ يا غُرّة العام الجديد (١)

فالذي يقرأ هذا المطلع يدرك تماماً أن القصيدة في استقبال العام الهجري الجديد .

وقوله في مطلع قصيدة له:

فيم البقاء وهؤلاء رفاقي يتساقطون تساقطُ الأوراق؟^(٢)

فهذا المطلع يشير لقارئه أن القصيدة في غرض الرثاء وفقد الأصدقاء.

وقد اتسمت بعض مطالع الشاعر بسمات رائعة منها شيوع التزعة الدينية وتلوها

بها . ومن الأمثلة على ذلك قوله في مطلع قصيدة (أرض النبوة):

صوتٌ من العالم العلوي ناداني ليك لييك ! لا آن ، ولاواني^(٣)

وقوله في مطلع قصيدة (انتصار الجزائر):

قُمْ ، ناد : حي على الفـلاح

ففيديو لنا بجلاء تلون تلك المقدمات بالطابع الديني كما يتضح لنا التلاؤم القائم بين

مطلع القصيدة والموضوع.

وتعدُّ الجزالة سمة واضحةً في مطالع قصائده الوطنية كقوله في مطلع قصيدته

(لا نكسة) والتي يتحدث فيها عن هزيمة العرب ضد إسرائيل:

من قال :إن الليث وليّ مدبراً ؟ الأسد إن وثبت ، تعود القهقهة

إن الشجاع يفرُّ في ساح الوغى ليكر من بعد الفرار مُظفَّراً^(٥)

ويبدو التلازم واضحاً بين مطالعه وما يقصد إليه ، يتضح ذلك في قصيدته (ظلعٌ

وشيب) التي يشكو فيها همومه وما اعترضه من مضايقات في حياته :

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٥٢ .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٩٤ .

(٣) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٦٦١ .

(٤) السابق ، ص ٦٧٧ .

(٥) المصدر السابق ، ٧٦١ .

وأصيرُ في الحياة على هـــــــــــــــــوم
طريقي كله صخــــــــــــــــرٌ، وإني
تضيقُ ببعضها ذرْعُ الحليــــــــــــــــم
لأعثر بالحصاة علىــــــــــــــــى الأديم^(١)
وقد تأتي بعض المطالع عنده متضمنة دعاء ، كقوله في مدح (عبد الرحمن البيلي)
وزير المالية آنذاك:

حرسَ المالَ سيدُ الأمنــــــــــــــــاء
ورعاه . رعته عين السماء! ^(٢)
فهو يدعو لممدوحه في هذا المطلع بالرعاية والحفظ.

وقد يأتي بعضها في صورة دعاء ، ومن ذلك قوله في مطلع نشيد (الطيران):
اسلمي للشرق ، يا أم النســــــــــــــــور
أنت للعقبان - يامصرُ - وكــــــــــــــــور^(٣)
فهو يدعو لبلده مصر في هذا المطلع بالسلامة.

وإذا كان حازم القرطاجني قد عد أحسن المطالع ما أتى فيه البيت الثاني مناسباً
لأول: "فيتناصر بذلك حسن المبدأ " ^(٤) فإن غنيماً قد حقق ذلك المبدأ في كثير من
مطالعه. كقوله يصف (مضيغة الطائرة) ^(٥) حينما عاد من رحلة طويلة بطريق الجو:
سائلوا الركب ركب أخت العقاب
يقطعُ الجوَّ فوق متن السحــــــــــــــــاب
ماشعوري وقد أضاءت شعــــــــــــــــوري
بديب الهوى ، وطيش الشبــــــــــــــــاب؟
فالبيت الأول في المطلع هنا يشكل وحدة متكاملة إلا أنه مرتبطٌ مباشرةً بالبيت
الثاني .

وقد يكون ذلك الارتباط بواسطة التعلق أو العطف . فالتعلق كما في قوله:
مالي وللنجم يرعاني وأرعــــــــــــــــاه ؟
أمس كلانا يعافُ الغمض جفــــــــــــــــاه
لي فيك - ياليلُ - آهاتُ أرددها
أواهُ لو أجدت المحزونَ أواه ! ^(٦)

(١) السابق، ٧٤٢.

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٥٦٠ .

(٣) السابق ، ص ٤٥٦ .

(٤) القرطاجني ، حازم : منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق : محمد الحبيب بن خوجة ، الطبعة الثانية .

() بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٩٨١ م) ، ص ٣٠٧ .

(٥) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٧٧ .

(٦) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٧٩ .

ومن أمثلة العطف قوله :

سرى في الكنانة مسرى النغم فأصغت له لبناتُ الـهم
وهزَّ أبا الهول في خـدره فأرهفَ أذنيه، ثم ابتسـم^(١)

والملاحظ على مطالع غنيم أن المطالع الخيرية قد جاءت أكثر من المطالع الإنشائية .
وتتمثل تلك المطالع الإنشائية عنده في أسلوب الاستفهام الذي جاء في مقدمة الأساليب
الإنشائية . يليه أسلوب الأمر ثم النداء الذي احتل المرتبة الثالثة . كما أن هذه المطالع قد
جاءت مصرعةً في الأغلب الأعم في ديوانه بينما غير المصرع جاء بنسبة ضئيلة تماماً .

وإذا ما عاودنا النظر مرة أخرى في مطالع قصائده التي جاءت متناسبة مع موضوعها
نجد أن غنيماً قد حاول أن ينهج منهج الشعراء القدامى في الوقوف على الأطلال وهذا ما
بدا لنا واضحاً في قصيدته (أجادير) التي بكأها بعد أن أصابها زلزالٌ قوي دمرَّ المنازل
وشرد الأهالي . ولعل الوقوف على أطلال تلك المدينة المنكوبة ذكره بالوقوف على أطلال
الديار البالية يقول:

وقفتُ أسائلها : ما هـُـذا ؟ وأبكي على البعد أطـلـالها!
سألتُ الرسومَ ، كأن الرسومَ تجيبُ على البعد سؤـالها^(٢)

ولكن الناظر بعين البصيرة يدرك تماماً أن الشاعر لم يتخذ هذه المقدمة الطللية هدفاً
لذاتها، ولم يقصد بها التقليد وإنما جاءت موظفة تماماً لخدمة غرضه الشعري ومايرمي إليه.

ب - الخاتمة :

اهتم النقاد القدامى بخاتمة القصيدة وبينوا أهميتها وقيمتها ، وأنها لا تقل أهمية عن
المقدمة لأنها " أبقى في السمع ، وألصق بالنفس ، لقرب العهد بها ، فإن حسنت حسن ،
وإن قبحت قبح الكلام " ^(٣) وقد اشترط النقاد في الخاتمة أن تكون في كل غرض بما
يناسبه ، سارةً في المديح والتهاني ، وحزينةً في الرثاء والتعازي ^(٤) . كما رأوا " أن
تحديد القصيدة بيد الشاعر نفسه " ^(٥)

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ٣١٧ .

(٢) السابق ، ص ٣٥٩ .

(٣) العمدة ، ١/٢١٧ .

(٤) انظر : منهاج البلغاء ، ص ٣٠٦ .

(٥) بناء القصيدة في النقد العربي القديم . ص ٢١٣ .

ونرى أنَّ هذا التحديد قد يكون ظاهراً في المسرحية والمقالة ولكنه في الشعر عسير لأنه مرتبطٌ بانتهاء التجربة الشعرية المتدفقة.

وإذا ما انتقلنا إلى البحث عن طبيعة الخاتمة عند غنيم لنتبين مدى تحقق ما ذكره النقاد عن خاتمة القصيدة . فإننا لا نجد غنيماً يتقيد بنوع خاص من الختام؛ بل إنه حرص كل الحرص على أن تكون خاتمته متناسبة مع موضوع القصيدة .

فالقصائد الوطنية عنده غالباً ما تنتهي بالتصميم والمقاومة والاستبسال والدعوة إلى الوقوف في وجه العدو الغاشم ومن ذلك قصيدة (لا نكسة) التي يقول في ختامها :

شُنوا عليهم كل يوم غـارةً	في كل وادٍ ، في المدائن ، في القُـرى
وقفوا لهم في كل دربٍ ، واكمنوا	تحت السُفُوح ، وحلقوا فوق الـذُرا
لا تتركوهم ينعمون بروضـة	في القدس ، أو يجنّون كرمًا مـثمـراً
إن يطعموا ، وجدوا الطعام مسمماً	أويشربوا ، وجدوا الشراب مُكـدّراً
أو يرقدوا ، حلموا بضرٍ منكمـو	قد هـبَّ من تحت السرير مُشـمّـرا
وثقوا بأننا لا حقون بكم غـداً	ولسوف نُعلنه جهاداً أكـبـيراً ^(١)

وربما تكون الخاتمة حديثاً عن النفس الإنسانية . كقوله في ختام قصيدته (فلسفة

الأم) ، التي ثار فيها إثر أزمة نفسية لازمته :

أعددتُ للحادثات إن نزلت	صبراً كريماً ، بحملها قمـن
لا تذهب الحادثات فطنتـهُ	إن هي طاشت بفطنة الفـطـن
يسير وسط الرعود متـهدداً	كأنه سائرٌ بـلا أذن
تزينه عزة الملوك ، علـى	جفاف زاد ، وملبس خشـن
يشكو البلى ثوبه العتيق ، ولا	تشوبُ ذرّة من الدرن
ما أهون النفس و النفيس إذا	ما بقى العرض غير ممتـهن ! ^(٢)

وقد تنتهي الخاتمة عنده بسياق دعاء وتضرع إلى الله . كقوله في خاتمة قصيدة

(العيد والأزمة) :

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٧٦٥ .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٧٠ .

جيرة الكعبة، اضرعوا
 وأسألوا اللطف في الذي
 اسألوا الله: هل لما
 اسألوه ، لعلَّه
 إن وقفتم على الجبل
 قـدّر الله في الأزل
 حلّ بالعالمين حلّ
 مستجيبٌ لمن سأل^(١)

وربما تكون نهاية القصيدة جزءاً من القصيدة نفسها وليس هناك مايدل على أن
 هناك خاتمة . كقوله في نهاية قصيدة (الريف) :

في الريف فتیان تسيل جباههم
 لافتيّة مردّ بأيدٍ بضّـة
 عرقاً فيصبح لؤلؤاً مثقوباً
 في كل يوم يلبسون قشيباً
 ورضوا بما دون الكفاف نصيباً^(٢)
 بذلوا لمصر فوق ما في وسعهم

وقد تنتهي الخاتمة عنده بنصيحة مثمرة وحكمة رائعة . كقوله في خاتمة قصيدته

(في ربا الخلد) أثناء مخاطبة نفسه :

اهزلي ؛ فالحيّة ، يانفسُ ، هزل
 يسبحُ المرءُ في محيط الأماني
 إن من جدّ عاش غير سعيـد
 والمنايـا منه كحبل الوريد
 د ، ولا يكتفي بملك الرشيد
 غير وجه المهيمن المعبود^(٣)
 كلُّ وجه له التراب نقابٌ

وخلاصة القول في خواتم غنيم أنها قد جاءت مناسبة للقصيدة ومتوافقة مع غرضها

وموضوعها الذي قصده .

ج - الوحدة العضوية :

كانت قضية الوحدة العضوية من القضايا النقدية التي أشار إليها النقاد القدامى
 وتناولها النقاد المعاصرون فباتت من أبرز القضايا النقدية المعاصرة . ويقصد بها " وحدة
 الموضوع ، ووحدة المشاعر التي يثيرها الموضوع ، وما يستلزم ذلك في ترتيب الصور
 والأفكار ترتيباً به تتقدم القصيدة شيئاً فشيئاً حتى تنتهي إلى خاتمة يستلزمها ترتيب الأفكار
 والصور ، على أن تكون أجزاء القصيدة كالبنية الحية ، لكل جزء وظيفته فيها . ويؤدي

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٢٥٦ .

(٢) السابق ، ص ١٥١ .

(٣) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٥١٥ .

بعضها إلى بعض عن طريق التسلسل في التفكير والمشاعر " (١) .

فالقصيدة الشعرية من خلال هذا التحديد لمفهوم الوحدة لابد أن تقوم على وحدة عضوية تستلزم من الشاعر وحدة في الموضوع والمشاعر ، وترتيباً في الصور والأفكار . فتنتظم بذلك أجزاء القصيدة وتتسق أوصالها .

وقد أكد أغلب النقاد المعاصرين على وجوب توافر الوحدة في القصيدة ، فهذا عبد الرحمن شكري يُصرُّ على تحقيق (مظاهر الوحدة العضوية) ويرى " أن قيمة كل بيت من القصيدة يتحدد في الصلة التي بين معناه وموضوع القصيدة ، ومن أجل ذلك لا يصح أن نحكم على البيت بالنظرة الأولى ؛ بل بالنظرة التأملية الفنية . فينبغي أن ننظر إلى القصيدة من حيث هي شيء كامل ، لا من حيث هي أبيات مستقلة " (٢) .

وذهب العقاد مذهب شكري في أهمية الوحدة العضوية وضرورة تحقيقها في بناء القصيدة الشعرية وأشار إلى أن القصيدة كالإنسان في اتصال أجزائه بعضها ببعض وتماسكها تماسكاً قوياً . فلكل جزء دوره الفاعل ووظيفته الكاملة في بناء الجسم . والقصيدة في نظره "ينبغي أن تكون عملاً فنياً ، يكمل فيها تصوير خاطر أو خواطر متجانسة ، كما يكمل التمثال بأعضائه ، والصورة بأجزائها ، واللحن الموسيقي بأنغامه، بحيث إذا اختلف الوضع أو تغيرت النسبة أخل ذلك بوحدة الصنعة وأفسدها " (٣) .

وهذه الوحدة القائمة على تلاحم البناء وانسجام التشكيلات الفنية في القصيدة تستلزم ترتيباً منطقياً للأفكار . فتقتضي " استيفاء كل فكرة في النظم في موضعها المحدد لها من القصيدة ، قبل الانتقال إلى الفكرة التالية ؛ بحيث لا يصح الرجوع - بعد - إلى الفكرة الأولى في القصيدة ، وإلا بدأ الفكر مضطرباً ، واختلفت بنية القصيدة " (٤) .

(١) النقد الأدبي الحديث . ص ٣٧٣ .

(٢) إبراهيم الخاوي : حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي . الطبعة الأولى (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٤ - ١٩٨٤م) ص ٧٠ .

(٣) عباس محمود العقاد ، وإبراهيم المازني : الديوان في الأدب والنقد . الطبعة الثالثة ١٣٢٠/٢ .

(٤) النقد الأدبي الحديث . ص ٣٧٥ .

وإذا كانت الوحدة العضوية قد لقيت استحساناً وقبولاً عند عدد كبير من النقاد المعاصرين إلا أن البعض منهم قد عدها تقييداً للأديب وتضييقاً عليه ورأوا أن المطالبة بها " لا تكون إلا في فنون الأدب الموضوعي كفن المسرحية ، وفن القصة والأقصوصة ، وأما في شعر القصائد فلا ينبغي أن يطالب بها إلا في الشعر الموضوعي ذي الطابع الواقعي الذي تبني القصيدة فيه على قصة قصيرة أو دراما سريعة " (١) .

وقد أرجع النقاد السبب في عدم المطالبة بالوحدة العضوية في الشعر الغنائي إلى ما يحمله ذلك الشعر من انفعالات متعددة ومتتالية تختلف باختلاف نوعها وقوتها وضعفها (٢) .

وعلى العموم فإن الوحدة العضوية في القصيدة هي " الرباط الذي يضم التجربة ، والصور ، والانفعالات ، والموسيقى ، والألفاظ في وشاحٍ خفيٍ أثري ، وهذه الوحدة يتكامل القصيد وتدب فيه الحياة " (٣) .

وبعد هذه الإضاءة حول مفهوم الوحدة العضوية نحاول أن نتساءل عن مدى تحققها في قصائد محمود غنيم؟ وللإجابة عن ذلك التساؤل أقول إن الأغلب الأعم من قصائد محمود غنيم قد تحقق فيه عنصر الوحدة العضوية المشتملة على وحدة الموضوع ووحدة المشاعر ، ونستطيع أن نلمحها في شعره " ابتداءً من دوران أبيات القصيدة دوراناً منطقياً شعرياً ، وتُنقَل هذه الأبيات تنقلاً فكرياً ، ويأتي هذا الدوران المنطقي من توافر التجربة الشعرية وعرضها عرضاً جميلاً ، وصياغتها صياغة محكمة " (٤) .

ولكن الوحدة العضوية تتجلى لنا رؤيتها في قصائده ذات الطابع القصصي المعتمد على تتبع الحدث واستقصائه . وخير ما يمثل ذلك قصائده (رياء (٥) ، قصة البعث (٦) ،

(١) محمد مندور : النقد والنقاد المعاصرون . د. ط . ، (بيروت : دار القلم للطباعة والنشر ، د. ت) ص ٩١ .

(٢) انظر : بدوي طبانة : قضايا النقد الأدبي . د. ط . ، (المطبعة الفنية الحديثة ، د . ت) . ص ٤٨ .

(٣) مصطفى عبد اللطيف السحري : الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث . الطبعة الثانية (جدة : مطبعة تامة ،

١٤٠٤ - ١٩٨٤م) ص ٨١ .

(٤) السابق ، ص ٨١ .

(٥) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ١٦٥ .

(٦) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٩٧ .

أغنية الإسراء^(١) ، الركب المقدس^(٢) .

ونظراً لطول القصائد السابقة وضيق المقام فإنني لن أعرض جميعاً وإنما سأقصر الحديث على نموذج واحدٍ لتتعرف من خلاله على ملامح الوحدة العضوية في هذا النوع من القصائد .

ففي قصيدة (قصة البعث) نجد يقص علينا في أسلوب قصصي رائع قصة بعث الرسول صلى الله عليه وسلم من لدن مولاه إلى بني البشر ، ويصورها لنا لحظة بلحظة منذ لحظة الميلاد وبزوغ فجره ، مروراً بالأحداث المواقبة للبعثة حتى أحداث الهجرة وما أعقبها من حوادث وغزوات . ففي بداية القصيدة نراه يستهل حديثه عن لحظة الميلاد التي كانت لحظة نورٍ للبشرية جمعاء بشرت بها الكتب السماوية السابقة . ثم يصور لنا الحالة الصعبة التي كانت أم الرسول تمر بها من فقر وترمل فقد ولدت وليدها وهي في أيام الحداد على زوجها . ولكن الرعاية الإلهية تولتها وتولت مولودها بالعناية والرعاية ، يقول فيها :

أي نجم في سماء العــــرب صار في الأفق حديث الشهب ؟
أيها التاريخ ، بالنور اكتب قصة البعث لشعــــب ونبى
ولد المختار وضاء الجــــبين

يا له فخراً جديداً ظهــــرا روت التوراة عنه خــــبرا !
سائل الإنجيل : ماذا سطــــرا عن نبى عربى النســــب
يغمر الأرض سناه بعد حــــين ؟

ولدته مولد العافي الفقــــير حرة تبكي على فقد العــــشير
فتولته يد المولى القــــدير واحتفى الرسل به فى مــــوكب
بين حور قاصرات الطرف عــــين^(٣)

ثم يشير إلى نشأة الرسول الصالحة التي عُرف بها مند صغره ، فلم يتعلق بعبادة صنم أو توسل بولي ؛ بل كانت الحكمة مطيته ، والصدق ديدنه ، والأمانة منهجه حتى لقبه

(١) المصدر السابق ، ص ٤٠٢ .

(٢) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٦٦٧ .

(٣) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٩٧ .

قومه — (الأمين) :

ناشئٌ لم يقضِ في اللهو صباحه عرف الله ؛ ولم يعرف سواه
ما انحنى للآت يوماً ، أو مناه دانت الحكمة طراً لصبي

من قريش لقبوه بالأُميين^(١)

ويعرض لنا بأسلوب رائع قصة الحجر الأسود ، حينما اختصمت القبائل القرشية بشأن من يضعه في مكانه بعد ماجددوا بناء الكعبة . فقام الرسول بحل النزاع وفض الخصام ، حيث خلع رداءه ، وأشار عليهم بوضع الحجر فيه وأمر كل قبيلة بأن تأخذ بطرفه حتى يشتركوا جميعاً في حمله وبذلك ينحل النزاع :

هل رأيت "مكة" في يوم الحجر وعيون القوم ترمي بالشمر
كيف ثارت فتنة بين الأسمر ثم ساد الحلم بعد الغضب
حين مدَّ الثوب " طه " باليمين؟^(٢)

ويصف لنا ما كان يفعله الرسول — صلى الله عليه وسلم — من تعبدٍ وتنسك في غار حراء . وما حصل له من خوفٍ ووجل حينما أنزلت عليه أول آية في القرآن : "اقرأ باسم ربك الذي خلق " بواسطة جبريل عليه السلام :

أيها الناسكُ في غار حراء أرهف السمع رويداً للنداء
هاتفٌ من عند ربِّ العرش جاء بالصوت من وراء السحاب
هتفَ : "اقرأ" باسم رب العالمين!^(٣)

ويعرض لنا موقف مشرقي مكة حين أعرضوا عن الرسول وصموا آذانهم عن سماع القرآن . فأخذوا يساومون الرسول على ترك دعوته والتخلي عنها مقابل ما يدفعون له من مال وما يتوج به من جاه ، ولكن الرسول لم يقبل تلك المفاوضات المغرضة فأصر على دعوته ومضى قدماً في نشرها متخذاً من الزهد شعاراً له :

(١) المصدر السابق، ص ٣٩٨.

(٢) السابق ، ص ٣٩٨ .

(٣) السابق ، ص ٣٩٨ وتاليتها .

ويح أهل الشرك عباد الصنم
ساوموا المختار في الله ؛ فلم
إن دُعوا للحق ، لاذو بالصنم
يرضَ بالجاه ، ولا بالتشعب

إنما الزهد شعارُ المصلح^(١) حين

و يقصُّ لنا غنيمٌ طرفاً من تضحيات الصحابة - رضوان الله عليهم - في سبيل
التمسك بالدعوة وترك عبادة الأوثان . فمنهم من ضحى بولده ومنهم من ضحى بماله .
ومنهم من تحمل قسوة العذاب ومرارته :

رُبَّ عبدٍ في سبيل الله قد
كلما سيم الأذى ، قال : " أحد "

فوقى جثمانه بردُ اليقين !^(٢)

وفي أفكارٍ مرتبة وتسلسل منطقي يصور لنا تلك المكيدة الخبيثة التي دبرها كفار قريش
لقتل رسول الله ومن ثم القضاء على دعوته ولكن الله سلم ولطف فأنجى رسوله ، وجعله
يخرج مروراً من بين أيديهم دون أن يشعر به أحد بعد أن حثا في وجوههم التراب :

خاب جمعٌ بالرسول ائتمـرا
نثر التراب عليهم ، وانـبرى

ما الذي أغشى عيون المشركين ؟^(٣)

ويستلهم غنيم الحدث الأعظم في تاريخ السيرة النبوية المظفرة وهو هجرته عليه
السلام إلى المدينة . ويسرد قصة الرسول مع صاحبه أبي بكر وهما في غار ثور وما أعقب
ذلك من أحداث متسلسلة ، ثم يصور لنا مشاعر الأنصار وفرحهم وابتهاجهم بمقدم
الرسول إلى يثرب . فضمن شعره بعض نشيد الأنصار حينما أنشدوه أمام الرسول :

سائل " الصديق " : ماذا روعه
فضله - سبحانه - ما أوسعاه !

وإله العرش في الغار معه ؟
حل ركب المصطفى في " يثرب "

فتلقوه لقاء الفاتح^(٣) حين

(١) المصدر السابق ، ص ٣٩٩ .

(٢) السابق ، ص ٣٩٩ .

(٣) السابق ، ص ٣٩٩ .

لح علينا من ثنيات الوداع وادعنا للحق ، يا أكرم داع
أيها المبعوث بالأمر المطاع ثب بنا فوق الرواسي ، نثب
وخض البحر ، نخضه أجمعين ^(١)

ويصور شاعرنا بعضاً من جوانب السيرة المباركة التي حدثت بعد الهجرة ومنها
استلهامه لغزوة بدر المشهورة التي انهزم فيها الشرك وأصبح للمسلمين بعدها شأن عظيم
يحسب له ألف حساب :

والتقى الجمعان في بدر ؛ فما ثبت الله لباغٍ قدمه
أرأيت الشرك كيف انهزم ما ؟ من بسيف الله يضرب ، يغلب
ولمن ينصره النصر المبين

حدثني ، "يابدر" ، عن صيد كمامة طلبوا الموت ؛ ففازوا بالحيـاة
لم تزل سيرتهم بعد الممات قصص الدهر ، ونجوى الحقب
ولها في مسمع الدنيا رنين ^(٢)

ثم يتغنى شاعرنا بأبجداد الأمة الإسلامية وما قدمه الرعيل الأول من تضحيات
وانتصارات في سبيل نشر الهداية والنور للبشرية جمعاء، وما حققه المسلمون الأوائل من
انتصارات على (الفرس والروم) أعظم دولتين في تلك المرحلة فانطلقوا يبلغون رسالة ربهم
في أرجاء المعمورة قاصدين تأسيس حضارة جديدة مبنية على العدل والمساواة .

قلم الإسلام أظفار الطغاة فابتنى للعرب جاهاً أي جـاه
ومضى يبعث في الأرض الحياة فأظل الأرض عصرٌ ذهبي
سائل "المأمون" عنه ، و"الأمين"

من رأى شعباً شتيتاً من رعاه أصبحت تحنى له الدنيا الجباه
أم في المشرق "كسرى" فغزاه وتحدى "قيصرًا" في المغرب
ناشراً أعلامه فوق السفن

بدوي علم الدنيا الحضارة اتخذ الإنصاف والشورى شعاره

(١) المصدر السابق ، ص ٤٠٠ .

(٢) السابق ، ص ٤٠٠

فإذا الدنيا : ابتسامٌ، ونضاره _____ يساوى أهلها في الحسب

لم لا ، والكلُّ من ماءٍ وطنٍ ؟ ^(١)

ويلتفت الشاعر إلى توجيه أبناء أمته بأن يكونوا قدوةً للحضارت الأخرى ، وأن
ينكبوا على سيرة الرسول وينشروا تعاليمه بين الأمم :

يابني العُرب وأشبهـال الألى _____ فسروا معنى التآخي للمـ _____

اجعلوا سيرة "طه" مثـ _____ تزحموا نجمَ السما بالمنكب _____

إننا شعبٌ له التوحيدُ دينـ ^(٢)

فهذه القصيدة التي استعرض فيها الشاعرُ بعض أحداث السيرة النبوية ماهي إلا قصة
كاملة متسلسلة الأحداث . متلاحمة البناء منسجمة التشكيلات . ساعدت على إعطاء
القصيدة وحدة وتماسكاً بين أجزائها . فموضوعها يدور حول البعث وأثره في انتشار
الإسلام ، وأفكارها متسلسلة تسلسلاً منطقيًا .

وتتجلى الوحدة العضوية عند شاعرنا أيضاً في قصائده التي لا تحمل الطابع القصصي كالتى
يتحدث فيها عن همومه وأحزانه ومعاناته ، وخير ما يمثل ذلك قصيدة (كأس تفيض) التي
يشكو فيها سوء حاله وطول غربته في (كوم حمادة) تلك القرية النائية التي كانت له
كالسجن حينما عين هناك مدرساً في بداية حياته الوظيفية فقضت على طموحاته وآماله
وأمانيه . تلك الأمانى التي هي أنعم وأرق من القوارير ، يقول :

لك الله ؛ لاتشكو ، ولاتتـ _____ فؤادك فياضٌ ، وفكك مُلجـ _____ !

يفيضُ لسان المرء إن ضاق صدره _____ ويطفح زيت الكيل ، والكيل مفعـ _____

تعللتُ دهرًا بالمنى ، فإذا بهـ _____ قواريرُ من مسِّ الصَّبَا تتحطـ _____

حملنا على الأقدار ، وهي بريئة _____ وقلنا : هي الأقدار تعطى ، وتحرم ^(٣)

(١) المصدر السابق ، ص ٤٠١ .

(٢) السابق . ص ٤٠١ .

(٣) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٢٣٣ .

فالشاعر منذ البداية يعترف بأنه يحمل بين طيات نفسه معاناة جسيمة وألماً محضاً للواقع الذي يعيش فيه إذ قضى على طموحاته وأمانيه ، ثم يتساءل عن الحظوظ وعن واقعها ، فهو يعيش حالة سيئة مضمية مع الإحساس الدائم بأنه منتقصٌ وغريبٌ في تلك القرية النائية ، وأنه جامدٌ رتيب لا يتحرك من مكانه ، بينما غيره من الناس قد استطاع أن يحقق ما يريد بفضل الشهرة والثروة والمحاباة :

لعمرك ، ما أدري : على أي منطق	أشاهد في مصر الحظوظ تُقسَم ؟
فكم رصد الأفلاك في مصر أكمه	وزلزل أعواد المنابر أبكَم
أقمتُ بمصرٍ ، عاثر الجد ، ساكناً	كما سكنت أهرامها ، والمقطم
وقفت مكاني لأريم ، وأخصمي	على الشوك من طول السرى تتورم !
كأني إطارٌ دائرٌ حول نفسه	يطول به المسعى ولا يتقضم !
فمن يك ذا قربى وصهرٍ ، فأني	بمصرٍ رَّوحيذٌ لا قريبٌ ، ولا حم
وما أنا ممن تخطيء العين مثله	ولكن تعامى القوم عني ، أوغموا ^(١)

ثم ينتقل إلى الحديث عن الأيام البائسة التي قضاها في تلك القرية يصور فيها حياته، ويصف فيها معاناته. فحياته جامدة رتيبة منحصرة بين الدار والمدرسة. وإحساسه بالغربة فيها دائم ومستمر وإن كان جسمه مستقراً فيها . ويقرر أنه معدود من الموتى إذا عُد الأحياء لذلك فإن الترحم عليه جائزٌ كما يترحم على الأموات وهو قابعٌ في هذا المكان :

أذوي شبابي بين جدران قرية	بباب كأن الصمت فيها مخيم ؟
أكادُ من الصمت الذي هو شاملي	إذا حُسب الأحياء ، لم أكُ منهم
وعاشرتُ أهلها سنين ، وإنني	غريبٌ بإحساس وروحي عنهم
يقولون: خضراء المربع نضرة	فقلت : هبوها ، لست شاة تُسوم
على رسلكم ، إني أقيم بقفرة	يجوز على الأحياء فيها الترحم
سئمتُ بها لوناً من العيش واحداً	فداري بها داري، وصحي هو همهم
حياة كسطح الماء، والماء راكداً	فلا أنا مسرورٌ، ولا متألم ^(٢)

(١) المصدر السابق ، ص ٢٣٣ .

(٢) السابق ، ص ٢٢٣ .

ولكن ماهي الحياة التي يبحث عنها غنيم ؟ إنه يتمنى حياةً سعيدة تشعُّ بهجة وفرحاً
حياة تناسب فكره وخياله ، بما تزخر به من مجالس العلم والفكر والأدب . حياة ممزوجة
بالسعادة حيناً وبالشقاء حيناً آخر .

إنه يتمنى أن يعيش في "بنت المعز" مصر حتى يتمكن من تحقيق أمانيه وطموحاته .
وإن لم يستطع الإقامة فيها فحسبه أن يحج إليها كل عام كأمنية الحاج الذي يتمنى أن يحج
بيت الله :

وما أبتغي إلا حياة عميقة	تسرُّ ، فأرضى ، أو تسوء ؛ فأنقم
حياة كلج البحر ، والبحر زاحر	تدوى بها الأنواء ، والرعد يهزم
حياة بها : جدُّ ، وهو ؛ بها : رضا	وسخط ، لها طعمان : شهد ، وعلقم
فمن مبلغ " بنت المعز " بأن لي	فؤاداً عليها كالطيور يـحوم ؟
وأني من سبع خلون محافـظ	على العهد ، إن خان العهود مُتيم
فإن أنا عن مصرٍ فحسبي : أنني	أحج إليها كل عام ، وأحرم ^(١)

ثم يصور لنا جانباً آخر من حياته في تلك القرية وهو الجانب الوظيفي . فيصف
معاناته مع تلاميذه ومدى تبرمه منهم فكان يتزل إلى مستواهم العقلي والإدراكي بعقلٍ
صغير يناسب عقولهم . يحاول أن يتقمص الأدوار المختلفة حتى يوصل المعلومة إلى أذهانهم
وهو في الوقت نفسه يخشى على نفسه أن يرجع طفلاً صغيراً لكثرة ما يؤدي دور
الطفولة أمامهم .

ونظراً لما تورثه تلك المشاهد المضنية والمواقف المتكررة والمعاناة الدائمة من سامة
وكدر فإنه يرثي المعلم المعذب . ويرى أنه أجدر بالرثاء من غيره . ويتمنى أن يعود تلميذاً
صغيراً يتردد على دور العلم للدراسة وطلب المعرفة:

لعمرك ، إني قد برمت بفتية	أروح وأغدو كل يوم إليهم
صغاراً ، نريهم بمثل عقولهم	ونبنوهم ، لكننا نتهـرم
لأوشك أن أرتد طفلاً ؛ لطول ما	أمثل دور الطفل بين يديهم
فصولُ بدأنها ، وسوف نعيدها	دواليك ، واللحن المكرر يُسـأم
فمن كان يرثي قلبه لمعـذب	فأجدرُ شخص بالرثاء المـعلم !

(١) المصدر السابق ، ص ٢٣٤ .

وما كنت أعني بالنتيجة يافعاً
وددت لو اني عدت للدرس ناشئاً
فصرت بها في هدأة الليل أحلم
أسير ، وفي يمناي : لوح ، ومرقم ^(١)

ثم يقرر الشاعر أنه ذو نفس أبيه تمنعه من أن يهين نفسه للعظماء وأن يتردد على
قصورهم لقضاء حاجاته وتأمين مطالبه. بينما غيره يهدر ماء وجهه لمال يناله أو مصلحة
يقضيها ولو فعل غنيماً مثلهم لما كان قابلاً في أركان هذه القرية المعزولة :

وكان ترى الحر الأبية نفسه
ينال المني من يقطع السبل ملحفا
فلو أن نفسي طاوعتني فرضتها
ألا فليسند من شاء ، حسبني أني
ولم أتغزل في الكرام وفضلهم
وإني لمغبون إذا صرت قيصراً
يضيع له حق ، وآخر يهضـم
ويغشى بيوت الناس ، والناس نـوم
على الهون ، لم أخسر وغيري يغنـم
ضننت بماء الوجه حين تكرموا
وغيري بهم - لا بالكواعب - مغرم
وطوق بالنعماء جيدي منعم ^(٢)

فهذه القصيدة كما ترى قد تحققت فيها مظاهر الوحدة العضوية ، من خلال
إحساس واحد ودقات شعورية متلاحقة تعبر عن معاناة ذاتية ووجدانية - نتج عنها
تسلسل الأفكار وتضافر الألفاظ والصور .

وتتجلى مظاهر هذه الوحدة العضوية في بعض قصائده ذات الطابع الغزلي كقصيدة
(مضيغة الطائفة) التي يصف فيها إحدى مضيفات الطائفة حينما كان عائداً على متن
طائرة في رحلة طويلة .

فتشعر - عند قراءتها - منذ اللحظة الأولى بوحدة الموضوع الذي انتظمت فيه
أبيات القصيدة إلى جانب الصور والألفاظ الموحية التي سايرت الجو العام للقصيدة . يقول
الشاعر :

سائلوا الركب ركب أخت العقاب
ما شعوري وقد أضاءت شعوري
سحرتني مضيغة ذات وجهه
لم يدق الفؤاد في الجو خوفاً
يقطع الجو فوق متن السحاب
بديب الهوى ، وطيش الشباب ؟
باسم الثغر ، حالم ، جذاب
أو سروراً بقرب يوم الإياب

(١) المصدر السابق ، ص ٢٣٤ .

(٢) السابق ، ص ٢٣٥ .

لا ، ولكن دَقَ الفؤادَ التِياعاً
 عادةً تبعثُ السلامَ إلى السَّنَفِ (م)
 ليت شعري مضيضةً هـذِهِ أم
 قال جاري : أتلكَ في الجوّ تقضي
 قلت : هل تحسبُ العِصافيرَ يوماً
 قد بلغنا عدناً ، وتلكَ - لعمري
 قد بلغنا السماءَ حقاً ، وهـذا
 أقبلتُ تحملُ الشرابَ بكـف
 قهوةً أغدقتَ عليها قليلاً
 وشرابٌ معصفرُ اللونِ ، يحكى
 يا فتاتي ، ما للشرابِ ومـالي؟

عند مرأى تلكَ الثنايا العذاب
 س ، وتنسي الغريبَ طولَ الغياب
 بسناها كشافةً للضباب؟
 عمرها بين جيئةٍ وذهـاب؟
 لركوبِ الهواءِ أي حـسـاب
 هي إحدى الكواعبِ الأتـراب
 كوكبٌ جاءَ حاملَ الأكـواب
 رخصة ، ضاعفتَ جمالَ الشراب
 من سوادِ العيونِ والأهـداب
 خدها أو بناها العنـاب
 أنا أشواقَ رشفةً من رضـاب !^(١)

فالشاعر قد استطاع أن يحقق في الأبيات السابقة من خلال تعبيره عن وجدانه المتقد
 كثيراً من التماسك والتلاحم البناء في القصيدة .

وقد استهل الشاعر قصيدته بسؤال ركب الطائرة من حوله عن أحاسيسه ومشاعره
 تجاه ما ألم به من هوى وطيش وهو في هذه المرحلة المتقدمة من السن وقد ظهرت عليه
 بوادر الشيب .

ثم يبين لنا بعضاً من صفات تلك المضيضة التي سحرته بجمالها الفتان فتغرها باسم
 ووجها جذاباً ، جعلت قلبه يدق لوعة والتيعاً لمراى ذلك الوجه الحالم والثنايا العذاب ،
 فأدخلت في نفسه أنساً وأنسته طول الغربة .

ثم يتساءل عن أمر تلك المضيضة أحقيقةً هي مضيضة أم كشافٌ يضيء الضباب
 المتراكم في الجو لما ينبعث من جبينها من نورٍ وضياء . ويسترسل الشاعر في كشف
 الصورة عن تلك المضيضة عن طريق ما يطرحه من تساؤلات حولها ، فقد سببت له
 اضطراباً نفسياً في داخله وأعادت له تباريح الهوى وطيش الشباب .

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٧٧ وتاليتها .

وقد استطاع الشاعر من خلال هذه الأبيات أن يعطينا صورة كاملة عن تلك
المضيقة عن طريق تلك الصور وتلك التساؤلات التي زادت القصيدة تماسكاً والتحاماً .
كما كان لدقة اختيار الألفاظ أثره في ترابط أوصال القصيدة "فوضع الكلمات في
مكانها الواجب ، ونقاء الألفاظ ودقة اختيارها لما يؤصل الوحدة ، ويضفي عليها رونقاً
وخاصة إذا كانت الألفاظ حية لم يبلها كثرة الاستعمال" (١) .

(١) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث (بتصرف) . ص ٨٥ .

المعجم الشعري

المعجم الشعري

يجدر بنا قبل أن نتحدث عن معجم الشاعر أن نلقي قليلاً من الضوء حول مفهوم اللغة الشعرية والفرق بينها وبين لغة التخاطب اليومية . فاللغة الشعرية بما تحمله من ألفاظ وعبارات لغة " تصدر عن نفوس شاعرة ، نفوس حساسة ، تولد فيها حقائق الحياة والوجود ومظاهر الكون - انطباعات عاطفية ، تثير مشاعرها ، وتحرك خيالها الذي يستطيع أن يقتنص الصور البيانية التي يسكنها انطباعته وأحاسيس وجدانه " ^(١)

فاللغة الشعرية إذن هي لغة العاطفة والأحاسيس لغة مليئة بالحركة والإثارة يطوعها الشاعر تطويعاً كاملاً للتعبير عن مشاعره وأحاسيسه وانطباعاته وتجاربه الشخصية ، فينتج عنده لغة مميزة ذات طابع وخصوصية تميزه عن غيره .

وخلاصة القول : إن لغة الشعر يقصد بها : " بعث صور إيجابية ، وفي هذه الصور يعيد الشاعر إلى الكلمات قوة معانيها التصويرية الفطرية في اللغة " ^(٢) وذلك بما يثبته فيها من صور وإبداعات خيالية . ولكون هذه اللغة عنصراً مهماً من عناصر الشكل ، فإن الشاعر المبدع هو الذي يستطيع أن يمتلك لغة موحية تختص به وتميزه عن غيره "لأن لكل شاعر معجمه الذي يظهر لنا عن طريقه مفهومه للكون المحيط به ويحدد علاقاته بالآخرين ، ولعل هذا لا يكاد ينطبق إلا على الشاعر المبدع الذي لا نرى فيه صورة غيره ، وإن كنا نؤمن بوجودها في مسيرة الشاعر قبل أن يتم له النضج " ^(٣)

فهذه اللغة التي شكلها الشاعر تعد معجماً شعرياً خاصاً به يعرف من خلالها أسلوب الشاعر وطريقة أدائه ، ولعل من أهم ما يميز معجم الشاعر عن غيره من الشعراء " نوعية هذه الألفاظ التي يختارها الشاعر والمضمار التي تدور حوله ؛ لأن ذلك يعكس نفسيته وطبيعة تجربته ، والأمر الثاني هو طريقة الشاعر في التعامل مع هذه الألفاظ

(١) محمد مندور : الأدب وفنونه ، د.ط (القاهرة : الفجالة . دار نهضة مصر للطبع والنشر ، ١٩٩٦ م) ص ٣٧ (بتصرف)

(٢) النقد الأدبي الحديث ، ص ٣٥٧ .

(٣) مفرح إدريس سيد : " الاتجاه الإسلامي في شعر محمد بن علي السنوسي " ، (مكة المكرمة : مطابع جامعة أم القرى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م) ص ٢٦٤ .

، وكيفية تركيبه لها " (١)

وعند الحديث عن معجم محمود غنيم لابد من الوقوف عند أبرز الروافد التي شكلت معجمه الشعري وأول ما يلفت نظرنا :

١- ثقافته الواسعة : وتتمثل في ذلك المخزون الشعري الضخم الذي وقف عليه وحفظه وتمثله في كثير من أشعاره ، بالإضافة إلى دراسته واطلاعه على كتب التراث العربي فكوّنت لديه قاعدة ثقافية واسعة استمد منها أشعاره وساعدته على استقامة لسانه ، فجاءت لغته سليمة فصيحة ، تنم عن الأصالة والوضوح مع تمكن كبير بالثبات على الأساليب العربية القديمة وعدم الخروج عنها .

ولو دققنا النظر في ألفاظ غنيم لوجدناها تتسم بالوضوح والشفافية لكنها تختلف باختلاف الغرض الشعري الذي تدور حوله فالألفاظ الجزلة القوية تظهر في قصائد الفخر والمدح والحماسة والوطنية والقومية لتناسب المقام الذي تقال فيه .

بينما تظهر الألفاظ السهلة الرقيقة في مواطن الغزل والثناء والمناجاة والوصف . فكأن هذا التنوع في الألفاظ يؤكد ما ذهب إليه النقاد قديماً حينما رأوا أن : " تقسّم الألفاظ على رتب المعاني ، فلا يكون غزلك كافتخارك ، ولا مدحك كوعيدك ، ولا هجاءك كاستبطائك ، ولا هزلك بمرتلة جدك ، ولا تعريضك مثل تصريحك ؛ بل ترتب كلاً مرتبته وتوفيه حقه ، فتلطف إذا تغزلت ، وتُفخّم إذا افتخرت " (٢)

وعلى هذا فالألفاظ محمود غنيم ليست على وتيرة واحدة ، بل تقوى في مواطن وتسهل في مواطن أخرى تبعاً لتغير الحال واختلاف المقام .

فعند حديثه عن الحرب مثلاً نقف على ألفاظ جزلة وقوية تتناسب مع الموقف والتجربة . ومن ذلك قصيدته (شبح الحرب) التي يقول فيها :

(١) كمال أحمد غنيم : عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر ، الطبعة الأولى ، (القاهرة : مكتبة مدبولي ، د.ت) ص ١٠٨ .

(٢) الجرجاني ، القاضي علي بن عبد العزيز : الوساطة بين المتنبّي وخصومه ، د.ط . تحقيق وشرح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمد البجاوي . (بيروت : المكتبة العصرية ، د.ت) ص ٢٤ .

هو الموتُ إن قامت على ساقها الحرب
يلوح لهم في الصَّحْو والنوم طيفها
كأنني بها قامت ، وشبَّ أوارها
وغني : لا الدروع السابغات موانع
تثلم حدُّ السيف ، وانقصف القنا
كأنني بها ترمي مدافعها ، فلا
وإلا ، فحسبُ الناس : ما يفعل الرعبُ
ودون انتظار الخطب أن يقع الخطبُ
وقد جفت الأقلام ، وانطوت الكتب
أذاها ، ولا مُجدٍ بها الصَّارم العضبُ
وأصبح لا طعنٌ هناك ولا ضربُ
يطيش لها سهم ، ولا مضربُ ينبو^(١)

فالناظر في هذه الأبيات يحس وكأنها من عيون الشعر العربي القديم لما تتمتع به من ألفاظ قوية فخمة . مثل : (الموت ، الحرب ، الرعب ، الخطب ، الوغي ، شب ، أذاها ، طعن ، ضرب ، يطيش) بالإضافة إلى ما شتملت عليه من أسماء للأسلحة القديمة التي تدل على القوة مثل : (الدروع ، الصَّارم ، السيف ، القنا) . وكأنما أراد الشاعر هنا أن يبين ضخامة مخزونه الثقافي اللغوي الذي استمدَّ منه قاموسه الشعري .

وديوانه (في ظلال الثورة) حافلٌ بالألفاظ القوية الفخمة المليئة بالإثارة والحركة . ولنستمع إليه وهو يمدح الرئيس المصري السابق جمال عبد الناصر في معرض حديثه عن (تأميم القناة) :

دولةٌ حاكمُها من أهلها
كادحٌ ، ما أترفته نعمَةٌ
ما رأى في مهده ملعقة
لا على سلطانه يخشى ، ولا
رُبَّ ميدانٍ به هَجَر ، أو
واجه الموت ؛ فلم يحفل : ومن
شعبُها الحرُّ من الشعب اصطفاه
عرك الدهرَ طويلاً وبلاه
من نضارٍ خالصٍ تملأُ فـ____اه
يرهبُ الفقر إذا الفقر اعتـ____راه
خندقٍ في ظلمة الليل احتـ____واه
واجه الموت يواجه ما عـ____داه^(٢)

فنلمس في الأبيات السابقة - كما في بقية القصيدة - حشدًا من الألفاظ الجزلة الفخمة التي تواكب الموقف وتناسب الحدث ، مثل (كادح ، عرك ، بلاه ، سلطانه ، يخشى ، يرهب ، الموت) . فهو يعمدُ إلى ما يناسب غرضه من الألفاظ الرصينة القوية .

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في وادٍ ، ص ٥٩ .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣١١ .

وفي وصفه للأشياء الرقيقة يختار الألفاظ العذبة السهلة التي تتلاءم مع رهافة الموضوع ورقة الغرض ، وهذا من باب التلاؤم بين اللفظ والمعنى . كما في قوله واصفاً الفتيات وهن يسبحن على شواطئ الإسكندرية في وقت الصيف :

رُبَّ ثَغْرٍ يَدَاعِبُ الْأُمُوجَ	ينثر الماء كاللجين المــــذاب
تَشْتَهِيهِ النَّفُوسُ مَلْحاً أَجَاجاً	خارجاً من تلك الثنايا العــــذاب
رَبِّ سَاقِينَ غَاصَتَا فِي الْمــــِاءِ	كلجين ينسابُ وسط لجيــــن
بَدَتَا آيَتَيْنِ فِي الْإِغْــــمَاءِ	وهما فيه نصفُ عار يتيــــن
إِنَّ فَوْقَ الرَّمَالِ غَيْداً نِيَامــــاً	كالأفاعي ، لَيْنٌ بغير عظمــــام
لَيْسَ سُمّاً لِعَابِهَا ؛ بَلْ مَدَامــــاً	هو : برء السقيم ، ريُّ الظامي ^(١)

فنلمح في تلك اللوحة الرائعة ألفاظاً سهلةً رشيقةً تلائم ذلك المشهد الرائع للفتيات . مثل قوله : (يداعب ، الأمواج ، الثنايا العذاب ، لجين ، ينسابُ ، غيداً ، نياما ، لينُ ، مداماً) وهذه الألفاظ تنمّ في وضوح عن رقة طبع الشاعر ورهافة حسّه .

وتتجلى تلك الألفاظ السهلة الرقيقة في مراثيه أيضاً كقصيدة (فقيد الإسلام) في رثاء الشيخ مصطفى عبد الرزاق شيخ الجامع الأزهر حينئذ :

حملنا على الأعناق بالأمس نعشــــه	وقد كان يُرْجيه زفيرٌ تصعّــــدا !
فكم ثمّ عيْنٌ سال كالعين مأوّهــــا	وكم ثمّ خدّ بالدموع تخــــددا
وسار به ركب الفناء ، ومن يســــر	به الركبُ في تلك المجاهل أبعدا
وحطوا على جسر المنية رحلــــه	ومالوا به برجاً منيعاً مشيــــدا
فخلت فؤادي كفً عن خفقانــــه	وخلتُ دمي بين العروق تجمّــــدا
فيا ضيعة الآمال من بعد مصطفى !	لقد كان للآمال في مصرَ معقــــدا
فتى ما أوته - بل أواها - مناصبُ	تقلد من عليائها ما تقلــــدا ^(٢)

فألفاظ الأبيات السابقة سهلة رقيقة تلائم حالة الأسى والحزن التي غلبت على الشاعر . وتلمّسها في قوله : (زفيرٌ تصعّداً ، سال كالعين ، مأوها ، ركب الفناء ، جسر المنية ، فؤادي ، خفقانه ، ضيعة الآمال) .

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ١٤٤ .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ٥٢١ وتاليتها .

وتتجلى عذوبة الألفاظ وسهولتها في مناجاته وتسبيحاته ، استمع إليه وهو يقول :
 سبحانهك اللهم ! ما أعدلك ! نحنُ العبيد نحنُ ، والملك لــــك
 تعنو لك الحيتان في لجْهــــا
 وكل نجمٍ سابحٍ في الفلــــك
 ربُّ إليك المنتهى والــــمآب
 وقولك الصدقُ ، وفصل الخطاب
 ودينك الحق المبينُ الــــذي يهدي إلى نهج الهدى والصواب ^(١)

وإذا كان الشاعر قد استطاع أن يحقق الوضوح في اختيار الألفاظ السهلة والقريبة من الأذهان في معظم قصائده إلا أن شعره لم يخل من بعض الألفاظ الغامضة التي يحتاج لبيانها وفهم معانيها الرجوع إلى المعاجم اللغوية . ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:
 لفظ (شؤبوب) وهو (الدفعة من المطر) يقول :

كم تأكل لم تدر أين ترى ابنهــــا فتعيـره من دمعها شؤبوبــــا ! ^(٢)
 و لفظ (اللغوب) بمعنى (التعب) يقول :

سهرانُ ، لا يشكو اللغــــو ^(٣) بَ ، ويشتكى منه اللغوب ^(٣)
 و لفظ (شعوب) وهو علمٌ يطلق على (المنيّة) يقول :

ولقد تمد إليــــه في حرم الفصول يداً شعــــوب ^(٤)
 و لفظ (خلوف) (جمع خَلْف ، وهو - للناقة ونحوها - بمعنى الضَّرْع) ، يقول :

سمحت براتبه خلــــو ^(٥) ف ، مالها أبداً ثقــــوب ^(٥)
 و (الرِّسغ) (وهو ما بين السَّاق والقدم) يقول :

ولقد أردت السير فيك مهئــــاً فوجدت رسغي مثقلاً بجديــــد ^(٦)
 و (الجؤذر) وهو (ولد البقرة المتوحشة) . و (الرِّبرب) وهو (القطيع) يقول :

كنت تغتالُ جؤذراً كلَّ عامٍ فلم اغتلت ربرباً في ثــــوان ؟ ^(٧)

(١) المصدر السابق ، ص ٣٩١ .

(٢) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٣٤ .

(٣) السابق ، ص ٢٢٢ .

(٤) السابق ، ص ٢٢٣ .

(٥) السابق ، ص ٢٢٤ .

(٦) السابق ، ص ٢٣٩ .

(٧) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٧٤ .

و (الصَّهْيُود) بمعنى (اللَّافِحَةُ الحارة) :

هو ظلُّ الحياة ، نَأْوِي إِلَيْهِ
واحةٌ في صحرائها الصَّهْيُود ^(١)

٢ - الائتناس بألفاظ القرآن الكريم :

كان لنشأة غنيم الدينية وحفظه للقرآن الكريم أثرٌ واضح وجليٌّ في شعره ، حيث استمد منه كثيراً من ألفاظه . فالقرآن الكريم يعد رافداً قوياً لمعظم الشعراء الإسلاميين الذين استطاعوا أن يغذوا قاموسهم الشعري من كلماته وعباراته . والمتصفح لديوان غنيم يجد كمّاً هائلاً من ذلك المعجم القرآني . ومن مظاهر تأثره بألفاظ القرآن الكريم قوله :
يا زاعم العفة في حبٍّ ————— ما تبتغي من كاعب ناهد ؟ ^(٢)

فلفظة (كاعب) مفرد ورد جمعه في قوله تعالى : ﴿ وَكَوَاعِبٌ أَثَرًا ﴾ ^(٣) .

وقوله في قصيدة (شبح الحرب) :

ولا أنفَ إلاَّ عالق بكمامة ————— ولا دار إلاَّ شقٌّ في جوفها جُبٌّ ^(٤)

تتماثل فيه كلمة (جُبٌّ) مع نظيرتها في قوله تعالى : ﴿ وَالْقُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ ﴾ ^(٥) .

وقوله في قصيدة (معترك السبَّاب) :

حزبان : ذاك على أرا ^(٦) ئكه ، وذلك في ارتقـاب ^(٦)

تتفق فيه لفظة (أرائك) مع مثلتها في قوله تعالى ﴿ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأُمَرَاءِ ﴾ ^(٧) .

وقوله في قصيدة (ذكرى محمد) :

تخدوا القصور مساكناً وتسربلوا ————— بالخزٍّ ، لا الأوبار والأصواف ^(٨)

(١) المصدر السابق ، ص ٦٣٢ .

(٢) السابق ، ص ٧٧ .

(٣) سورة النبأ ، الآية ٣ .

(٤) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٥٩ .

(٥) سورة يوسف ، الآية ١٠ .

(٦) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٨٤ .

(٧) سورة الكهف ، الآية ٣١ .

(٨) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٨٩ .

يذكرنا بلفظة (سرايل) في قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْ لَكُمْ سَرَائِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ ﴾^(١)

وقوله في قصيدة (تحية فريال) :

كالبدر يجلو ظلمة الشكوك أو كذكاء ساعة الدلوك^(٢)

ينقلنا إلى لفظة (دلوك) في قوله تعالى ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لَدُلُوكِ الشَّمْسِ ﴾^(٣) .

وقوله في قصيدة (الأسد السجين) :

إن تطعموا الرئال من فضلاتكم شهداً ، تجرّع شهدكم غسلينا^(٤)

يعود بذاكرتنا إلى لفظة (غسلين) في قوله تعالى ﴿ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسْلَيْنِ ﴾^(٥) .

وقوله في قصيدة (إلى القمر) :

أرى أرضاً تضيق بساكنيها وبحراً كله سفنٌ تمور^(٦)

توافق فيه لفظة (تمور) مع نظيرتها في قوله تعالى ﴿ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ

بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾^(٧) .

وقوله في قصيدة (أسطول معاوية) :

أزجى معاوية السفين ، تسير ، أو ترسو بكل غضنفرٍ ضرغام^(٨)

تتألف فيه لفظة (أزجى) مع مضارعها في قوله تعالى ﴿ رَبُّكُمْ الَّذِي يُنْزِلُ

لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ ﴾^(٩) .

(١) سورة يوسف ، الآية ١٠ .

(٢) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٢١٥ .

(٣) سورة الإسراء ، الآية ٧٨ .

(٤) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٢٤٦ .

(٥) سورة الحاقة ، الآية ٣٦ .

(٦) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٢٧٢ .

(٧) سورة الملك ، الآية ١٦ .

(٨) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٢١ .

(٩) سورة الإسراء ، الآية ٦٦ .

٣- غنيمٌ وألفاظ الحضارة الجديدة :

لغنيـم ألفاظ استـمدها من واقع الحياة الحضارية الجديدة في عهده ، فكانت الفضاءات العربية تعج بألفاظ الحياة العصرية الجديدة المتداولة بين أبناء المجتمعات التي استوعبوها عن طريق الصحافة والبعثات والاستعمار – وهذا الاستيعاب أدى إلى التعايش مع هذه الألفاظ حتى أصبحت وكأنها كلمات فصيحة وقد كان غنيـم من أولئك الشعراء الذين أدخلوا في أشعارهم بعض الألفاظ الأجنبية . والأمثلة على ذلك كثيرة منها :

لفظة (الميكروب) كقوله في قصيدة (فجر السلام) :

أقسمت ، ما قاد الجيوش كقائد حشد الجهود وكافح " المكروبا " ^(١)

و لفظة (البترول) وهو ما يسمى بالذهب الأسود . كقوله في قصيدة (محنة
فرنسا) :

الزيت والبترول من آلهما والعلم ينضح إن خبت أكوارها^(٢)

لفظة (الرّيح) ويقصد به (دولة الألمان) كقوله في قصيدة (الهلال الأحمر) :

"الرَّيْخُ" يحسب أنه آوى إلى ركن مشيد^(٣)

و لفظة (المنطاد) وهو جهاز كان يستخدم للطيران بتأثير غاز الهيدروجين قبل اختراع الطائرات ، كقوله :

ما بارح الأسـماع وقـ (٢) مع فجـيعة " المنطاد راء " (٤)

ولفظة (النيازك) التي يشير بها هنا إلى (الصواريخ) كقوله في معرض حديثه عن زفاف الفاروق :

قذفوا" النيازك "في الفضاء ، فخلتها مشوبةً من عزمه الوقاد (٥)

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٣٦ .

(٢) السابق ، ص ٤٣ .

(٣) السابق ، ص ٥٦ .

(٤) السابق ، ص ١٩٢ .

(٥) السابق ، ٢١١ .

و لفظة (الردنجوت) وهو زيٌّ معين عبارة عن سترة طويلة مشقوقة الذيل ، كقوله في قصيدة (الردّ نجوت) :

" الردنجوت " يا جناب الوزير ليس يقوى عليه جيبُ الفقير ^(١)

و لفظة (المترو) و (السيجار) كقوله في قصيدة (من وحي الكأس) عند حديثه عن شخصية (علي بك) الذي كان مغرماً بشرب الخمرة :

وربما قابل " المترو " فقبله في وجنتيه ، وحيّاه " بسيجار " ^(٢)

و لفظة (البنسلين) وهو (دواء معروف) كقوله في قصيدة (الطبيب يس) :

يتولى مرضاه بالعطف حــــتى ليخالون عطفه " بنسلينا " ^(٣)

(١) المصدر السابق ، ص ٢٦٥ .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٥٧٩ .

(٣) السابق ، ص ٥٥٥ .

الأسلوب

الأسلوب

مفهومه :

تحدثت في الصفحات السابقة عن لغة الشاعر ومعجمه الشعري ، واللغة كما هو معروف ترتبط بالأسلوب ارتباطاً تاماً وقوياً. بحيث لا تكاد تنفك عنه بحال من الأحوال . ويمكن تعريف (الأسلوب) لغة - كما جاء في لسان العرب - بأنه " الطريق ، والوجه ، والمذهب ، والأسلوب : الطريق تأخذ فيه " ^(١) وقد تنبه النقاد القدامى إلى الأسلوب ، وأشاروا إليه وحاولوا أن يضعوا له تعريفاً خاصاً . فهذا عبد القاهر الجرجاني يعرفه بقوله : " والأسلوب " الضرب من النظم والطريقة فيه " . ^(٢) وفي العصر الحديث ألفت كثير من الكتب حول الأسلوب وتناوله النقاد من زوايا مختلفة وتبينت آراءهم فيه . فعرفه البعض بأنه (الصورة اللفظية التي يعبر بها عن المعاني أو نظم الكلام وتأليفه لأداء الأفكار وعرض الخيال ، أو هو العبارات اللفظية المنسقة لأداء المعاني) ^(٣) . أو هو عبارة أوضح (الطريقة الخاصة التي يصوغ فيها الكاتب أفكاره ، ويبين بها عما يحول في نفسه من العواطف والانفعالات) . ^(٤) فالأسلوب إذن الطريقة الخاصة التي يستعين بها الكاتب أو الشاعر في نقل أفكاره وصياغة معانيه معتمداً في ذلك على اختيار الألفاظ ، وتأخي العبارات .

وكما أوضحت سلفاً فإنه يجب أن ترتقي . لغة الأديب عن لغة الحياة اليومية أو لغة العامة ؛ لأن الكلام الفصيح " ما ارتفع عن الساقط السوقي ، وانحط عن البدوي الوحشي " ^(٥) .

ولابد في الوقت نفسه أن يستقل الأديب بأسلوبه الخاص الذي يعرف به ويميزه عن غيره وهذا موافق لما قاله المفكر الفرنسي " بوفون " - (١٧٠٧ - ١٧٨٨ م) في عبارته

(١) ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب ، الطبعة الأولى ، (بيروت : دار صادر ، ٢٠٠٠ م) ، ٧/٢٢٥ .

(٢) الجرجاني ، عبد القاهر : دلائل الإعجاز . الطبعة الثالثة . تحقيق ودراسة : محمود محمد شاكر .

(٣) القاهرة : مطبعة المدني ، جدة : دار المدني ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م) . ص ٤٦٨ وتاليها .

(٤) أحمد الشايب : الأسلوب ، ص ٤٦ .

(٥) أسس النقد الأدبي عند العرب ، ص ٤٥١ .

(٥) الوساطة بين المتنبي وخصومه ، ص ٢٤ .

المشهورة " الأسلوب هو الرجل " أو الأسلوب هو الإنسان نفسه " (١) .

ولقد وفق محمود غنيم في تطبيق هذه القاعدة على نفسه عندما اختط لنفسه أسلوباً خاصاً صاغ به أفكاره وصهر فيه تجربته وعواطفه . فتميز أسلوبه بفصاحة اللفظ ، وصحة التراكيب ، ووضوح العبارات وتآلفها ، فضلاً عن أنه اتسم بعدة سمات بارزة متفاوتة في الظهور أضفت عليه قدراً كبيراً من النّصاعة والحيوية ، ومن أهمها وأبرزها :

١- الاقتباس :

وهو " أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث لا على أنه منه " (٢) .
أي من غير إشارة أكيدة على أنه منه . وقد تأثر الشعراء عموماً بأسلوب القرآن الكريم ، ويتجلى ذلك التأثير من خلال اقتباسهم الألفاظ والعبارات القرآنية كما فعل محمود غنيم في كثير من أساليبه . ويأتي الاقتباس عنده على عدة صور وأشكال فهناك اقتباس باللفظ القرآني - كما مر معنا في الحديث عن معجمه الشعري - وهناك اقتباس لمعنى معين من معاني القرآن الكريم . كما أن هناك اقتباساً لآية كاملة من القرآن أولبينية لفظية فيها ، ولكن الشاعر كان يتعامل معها تعامللاً خاصاً حسب ما تقتضيه القصيدة فتجده يلجأ إلى الحذف أو الإضافة أو التقليم والتأخير في الجملة القرآنية نفسها حتى يحافظ على الوزن الشعري للقصيدة . ومن أمثلة اقتباس بعض معاني القرآن الكريم قوله :

عجبا ! أ جاء محمد بالسحر في آياته أم شأها بسُـلاف ؟
أقسمت، ما كان النبي محمـد بمشعوذ ، كلا ، ولا عراف (٣)

فالبيتان - كما هو واضح - فيهما إلمام بقوله تعالى : (وَلَا يَقُولُ كَآهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ) (٤) وبقوله تعالى : (وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ) (٥)

(١) يوسف أبو العدوس : البلاغة والأسلوبية . الطبعة الأولى . (الأردن، عمان : المطبعة الأهلية للنشر والتوزيع ، ١٩٩٠ م) ص ١٦٨ .

(٢) القزويني ، الخطيب : الإيضاح في علوم البلاغة . الطبعة الثالثة . شرح وتعليق : د. محمد عبد المنعم خفاجه (بيروت : دار الجيل ، ١٤١٤ - ١٩٩٣ م) ٦/١٣٧ .

(٣) الأعمال الكاملة ، صرخة في وادٍ ، ص ٨٨ .

(٤) سورة الحاقة ، آية ٤٢ .

(٥) سورة الصافات ، آية ١٥ .

فتركيب عجز البيت مأخوذ من قوله تعالى : (إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا)^(١)

وأما قوله في وصف زلزال مدينة (أجادير) المغربية :

"أجادير" هل حان يوم النشور وزلزلت الأرض زلزالها ؟

وهل بعث الله من في القبور وأخرجت الأرض أثقالها؟^(٢)

فالبيتان يعودان إلى مطلع سورة الزلزلة : (إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا - وَأُخْرِجَتِ

الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا)^(٣)

٢ - التضمين :

وهو أن يضمن الشاعر أو الكاتب كلامه أقوالاً مشهورة لغيره ، وهذا لا يتم إلا للحاذق المبدع حتى يكون ذلك التضمين حسناً في موضعه . ومن أمثلة التضمين عند غنيم تضمينه لبيت شعري كامل . كقوله في ذكرى الزعيم المصري (محمد فريد) :

قالوا لهم (حزب الجلاء) وإنه لقب يزيد مقامهم تمجيـدا

"والله مادون الجلاء ويومـه يومٌ تسميه الكنانة عيـدا

الله يعلم، لست أبخس عاملاً حقاً، ولا أجزي الجميل جحوداً^(٤)

فالشاعر قد أخذ البيت الثاني كاملاً من قصيدة لأحمد شوقي وهذا التضمين جاء حسناً في موضعه ؛ لأنه لم يخل بمعنى القصيدة ولا بقافيتها ووزنها .

وقد يضمن أبياته شطر بيت شعري كما جاء في قصيدته الرثائية (هرم يهوى) التي أنشدها في رثاء المرحوم (أحمد ماهر باشا) :

في هو فرعون، بل في ساحة الحرم ترنحت، ثم مالت صفحة الهرم !

وأمسكت جنبها مصر، فقلت لها: "يا ويحَ جنبك بالسَّهم المصيب رُمى"^(٥)

فالشاعر قد أخذ عجز البيت الثاني من قصيدة لشوقي وهذا التضمين جميل من الشاعر، لأنه جاء مناسباً للمعنى والفكرة التي يريد بها .

(١) سورة يس ، آية ٨ .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة، ص ٣٥٩ .

(٣) سورة الزلزلة، آية ٢، ١ .

(٤) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ١٧٢ ، والبيت الثاني لأحمد شوقي ، في الموسوعة الشوقية ٣/١٤ .

(٥) السابق ، ص ١٧٧ ، ومصرع البيت الثاني لأحمد شوقي ، الموسوعة الشوقية ٥/٧٠ .

خاصة عندما تسيطر على ذهنه فكرة معينة . ومن جميل التكرار عنده (تكرار الحروف) وهو كثيرٌ في ديوانه ، ومن النماذج على ذلك ما جاء في قصيدة (صفاء النفس) حين كرر فيها حرف (الواو) عدة مرات يقول :

لكنـتِ أرقٌ من مرّ النسيم	آلا، يا نفس، لو تصفين يوماً
ولم تمشي على ظهر الأديم	وطرت بخافياتٍ من ضـياء
وتتخذين برجاً في السـديم	وكدت تحلقين مع الثريـاء
بطونُ الكتب من شتّى العلوم	وأدركت الذي لا تحتويـه
خفين عن المدارك والفهوم	ولم تخف الحقائق عنك مهمـاً
وغيرَ رضاء ربك لم ترومي ^(١)	ولم يصرفك عن أخراك شـيء

فالتكرار هنا حسن غير متكلف يحاول الشاعر بواسطة حرف العطف (الواو) أن يؤكد على فكرته التي تسيطر على ذهنه وهي دعوة النفس إلى (الصفاء) حتى تكون أرق من النسيم ، فتسمو إلى الأفق مع الثريا و النجوم ، وتدرك ما خفي من العلوم ، وتفهم ما غاب عن المدراك ، وتنصرف إلى التفكير في الآخرة ، والعمل على إرضاء ربها . كما أنه اختار هذا الحرف ليتنقل به بين تلك المعاني ويربطها بعضها ببعض حتى يتحقق للنفس الصفاء والسمو . بالإضافة إلى ما يحدثه حرف (الواو) من صوت موسيقى وإيقاع عذب ، نتج عن تكراره في تلك المقطوعة تسع مرات .

ومن نماذج تكراره للحروف أيضاً ما جاء في قصيدته (شعبٌ واحدٌ وربٌ واحدٌ) يقول :

عن مجد أولها : هل عاد دائره ؟	سل العروبة في شتّى مرابعها
من فجر نهضتها لاحت بشائره	إني لألحُ في آفاقها ألقا
يوم القناة من الذؤبان كاسره	ففي الكنانة: شعبٌ صان حوزتها
على المظالم خاضتها حرائره	وفي الجزائر : شعبٌ شنّ معركة
رغم الحوادث - ما انبتت أو اصره ^(٢)	وفي الشام : وئام لا يزال - على

فجاء تكرار الحرف (في) أكثر من مرة ليؤكد لنا على المواضع التي تعالت فيها

(١) الأعمال الكاملة، رجع الصدى ، ص ٧٥٥ .

(٢) السابق ، ص ٦٩٨ وتاليتها .

انتصارات الأمة العربية ضد المستعمرين . وليبين لنا قوة شعوبها وكرهم للضيّم والهوان .
كما كشف هذا الحرف عن مدى ما يحمله الشاعر من حب صادق وأكيد للعروبة في
شئى مرابعها ، وعن مشاركته الفعالة لشعوبها في آمالهم وآلامهم .

وكما كرر الشاعر الحروف نجده يكرر الألفاظ وتشمل (الأسماء ، والأفعال) . فمن
قصائده التي عمد فيها الى تكرار الأسماء قصيدته (نيسان) حيث قال :

كل الطيورُ عصافيرُ مغرَدةٌ	فيه ، وكل مكان فيه بستــــــــــــــــانُ
قم ، نبه الطير في الأوكان من وسنٍ	طال الشتاء عليه وهو وسنــــــــــــــــانُ
طال الشتاء ، فلاتيرُ ، ولاشجرُ	لا الطيرُ طيرُ ، ولا الأغصانُ أغصان !
قم ، نبه الطير ينظر عز دولته	عرشُ الربيع عليه الطيرُ سلطــــــــــــــــان
هذي منابرُك العليا مهيمــــــــــــــــة	يا طير، فاصدح ؛ فكل الكون آذان
الطير يصدحُ، والغدران هامسة	المطربان هما : طيرُ ، وغدرا ^(١)

فالشاعر كرر لفظ (الطير) عشر مرات . ليؤكد على إعجابه بفصل الربيع دون
غيره من الفصول . فجاء التكرار هنا معبراً عن شدة إعجاب الشاعر بجمال الربيع عن
طريق تصوير فرحة الطيور وزقزقتها .

ومن تكراره للأسماء أيضاً ما جاء في قصيدته (أعياد النصر) التي أنشأها في ذكرى
العدوان الثلاثي على مصر . واستحث فيها شخصية القائد والرئيس المصري (جمال عبد
الناصر) راعي الإصلاح الإجتماعي في وطنه :

جمالُ ، جمالُ ، حقوقُ الضعيف	إذا سلبت كنت ردادهــــــــــــــــا
جمالُ ، جمالُ ، قيودُ الشعوب	إذا أحكمت كنت حدادهــــــــــــــــا
جمالُ ، جمالُ ، بني ^(٢) الاحتلال	إذا شئدت كنت هداهاــــــــــــــــا ^(٣)

فالتكرار هنا جاء مؤكداً لإصرار الشاعر على السعي الدؤوب في تحقيق الإصلاح
الاجتماعي في بلده ، ويكشف عن مدى تعلق الشاعر وإعجابه الشديد بالشخصية القيادية
التي سوف تحقق ذلك الإصلاح والمتمثلة في جمال عبد الناصر . وتكرار اسم الممدوح هنا

(١) المصدر السابق ، ص ٧١٧ .

(٢) البنية : مابني ، وجمعه : بني .

(٣) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٧٨١ .

" تنويه به ، وإشارة بذكره ، وتفخيم له في القلوب والأسماع " ^(١) ، ولأنه الشخصية الأوحـد في ذلك الوقت .

ومن النماذج على تكرار الأفعال عنده ما جاء في قصيدة (حرب الأعداء الثلاثة) التي يقول فيها :

يا جنود الحمى ، لقد أزف الوقـ	(٢)	ت ؛ فهيا بنا إلى الإصلاح
كافحوا الجهل في ثبات وعـزم		قهر هذا العدو نصف النجاح
كافحوا الفقر في الكنانة ؛ حتى		تطردوه من منزل الفـلاح
كافحوا الداء ؛ فهو ضيفٌ ثقیـلٌ		حل بالزاد والنمير القـراح ^(٣)

فالشاعر في الأبيات السابقة كرر فعل الأمر (كافحوا) ثلاث مرات ، ليحث أبناء مجتمعه على مكافحة ما سماه بالأعداء الثلاثة (الجهل ، والفقر ، والمرض) التي تعدُّ شرخاً قوياً في جبين المجتمع . كما أن ذلك التكرار يدل دلالة صادقة على شدة انفعال الشاعر وغيرته على مجتمعه وتعلقه به .

أما تكراره للعبارات فكثيرٌ في شعره ومن ذلك قوله في قصيدة (بحرٌ وبحر) التي استقبل بها المرحوم : دسوقي (باشا) أباطة عند عودته من بعض رحلاته الى أوروبا بطريق البحر :

حملَ البحرُ دول_____ةً	أكبرت شأنها الـ_____دول
حملَ البـ_____حرُ درةً	زانت البحر من عطـ_____ل
حملَ البـ_____حرُ منجزاً	يشفعُ القول بالعمـ_____ل
حملَ البـ_____حرُ مسمحاً	يشبهُ البحرَ إن بذل ^(٣)

فمحمود غنيم في هذه الأبيات قد كرر عبارة (حمل البحر) أربع مرات ، ليؤكد على فكرته المسيطرة وهي الثناء الحسن على الممدوح وبيان فضله ، والتنويه به والإشارة إليه بذكر محاسنه وتعداد فضائله .

كما أن التكرار يعكس مدى قوة العلاقة ومتانتها بين الشاعر والممدوح . وكان الشاعر يعتمد أحياناً إلى تكرار مطلع القصيدة كاملاً في ختامها كما نجده واضحاً في بعض

(١) العمدة ، ٢/٧٤ .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٤٦ وتاليتها .

(٣) السابق ، ص ٥٧٠ وتاليتها .

أناشيده ، ومن ذلك النشيد (الوطني) للجمهورية العربية المتحدة الذي يقول فيه :
 ارفعي يا أمة العرب اللـواء صاعداً في عزة نحو السماء^(١)
 فنجدده يكرر هذا المطلع في نهاية القصيدة لشدة انفعاله وارتباطه الوثيق بوطنه .
 وأناشيده (شباب الجامعة ، والطيران) خير دليل على ذلك .

٤ — الاستفهام :

الاستفهام " هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل بأداة خاصة " ^(٢) .
 وهو من الصيغ الأسلوبية القديمة في أدبنا العربي . وقد أكثر الشعراء من استخدامها في
 أساليبهم الشعرية لأنها قد : " تضيف على القصائد جمالاً وهماً وجدة " ^(٣) .
 وديوان غنيم مليء بالصيغ الاستفهامية التي جاءت عفواً لخطر الجذب الأسماع وإثارة
 الانتباه . ومن خلال تتبعي للأساليب الاستفهامية عنده وجدتها قد جاءت على وجهين .
 الأول : عدم خروج تلك الأساليب عن معناها الحقيقي الذي وضعت له فجاءت تدل
 على المعنى الحقيقي مباشرة ، والثاني - وهو المهم هنا - خروجها عن معناها الحقيقي
 والأصلي إلى معان أخرى كالدهشة والاستغراب ، والتعجب ، والاستنكار ، والتمني
 حسب ما يقتضيه المقام ويستدعيه سياق الكلام . ^(٤) والنماذج الشعرية على ذلك كثيرة
 فمثال الاستفهام الذي خرج عن معناه إلى التعجب الذي يثير الدهشة والاستغراب قوله
 مخاطباً القمر :

أياكل فيك أناسٌ طعاماً ؟ ويلبس فيك أناسٌ ثياباً ؟
 وهل فيك يفري الشتاء الأديم ويلتهبُ الصيفُ فيك التهاباً ؟ ^(٥)

فهذه الاستفهامات المتكررة التي عقدها الشاعر مع القمر قد أثارت لديه الدهشة
 والاستغراب عن وضع الحياة على سطح القمر .

ومن قصائده التي كرر فيها الاستفهام وخرج عن معناه الأصلي إلى الإنكار قوله :

(١) المصدر السابق ، ص ٣٠٧ .

(٢) عبد العزيز عتيق : علم المعاني ، د. ط . (بيروت : دار النهضة العربية ، ١٤٠٥) ، ص ٨٨ .

(٣) شعر حسين عرب ، ص ١٩٢ .

(٤) انظر : الصعيدي ، عبد المتعال : بغية الإيضاح لتلخيص علوم المفتاح ، د. ط . (مصر: المطبعة النموذجية ، د.ت ٢/٤٤ وتاليتها .

(٥) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٧١٥ .

من قسّم الناس أجناساً: فذاك له
 مجدٌ ، وذلك لا مجدٌ ولا جـاه ؟
 من قسم الدم : هذا آسنٌ كـدرٌ
 وذاك من نفحات المسك ريّاه؟^(١)
 فالاستفهام هنا يفيد التوبيخ والإنكار على القوانين التي قسمت الناس الى أجناس مختلفة
 وعرقيات متنوعة جاهلة مبدأ المساواة والأخوة.
 وقد يأتي الاستفهام في عدة أبيات متتالية تعبيراً عن الأمل والرجاء ، كقوله في قصيدة
 (آمال وآم) :

ياليت شعري ، يا هلال ، أعائـدُ
 للمسلمين بنصر دين محمد ؟
 أتعيدُ للجمعات سابق عهدهـا
 أتعيد للإسلام مجد المسجد؟^(٢)
 فالشاعر هنا قلق لما حدث لأمته من ضعف وتخاذل فجاء متحسراً نادماً على ما أصابها .
 متمنياً في الوقت نفسه أن تعود أجمادها الماضية كما كانت عليه .
 ومن الأساليب الاستفهامية عنده التي خرجت عن معناها لإفادة التقرير قوله في قصيدة
 (تسبيحٌ وابتهاـل) :

من علم النملة معنى العمـل ؟
 من أهتم النحلة صنـع العسـل ؟
 من سـيّ الأفلاك في رقـة ؟
 من سخر البحر ، وأرسي الجبل ؟
 من ملأ الدنيا بأسـرارـه ؟
 من كون الأكوان منذ الأزل ؟^(٣)
 فهذه الاستفهامات التي تكررت في أكثر من موضع تدل على إقرار الشاعر بعظمة
 الله في خلقه ، كما تدل تلك المخلوقات على قدرة خالقها فتباركت أسماؤه وجل شأنه .
 وقد يخرج الاستفهام عنده إلى معنى آخر يفيد الشجب والاستنكار ، فعندما أحاطت
 القوات الإنجليزية بكفر أحمد عبده ، ونسفوه بالقنابل والمدافع لم يسكت الشاعر عن تلك
 الفعلية فشجب ذلك العمل المشين واستنكره عن طريق تكرير الاستفهام الذي يوحي
 بالحركة والحيوية يقول:

فيم المدافع كالأبراج جاثيـة
 يطير كالبرق من أفواهها الشرر؟
 فيم القذائف فوق الحي هامية
 من حالق الجو ، لاتبقي ، ولاتذر؟

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ١٠٠ .

(٢) السابق ، ص ١٠٣ .

(٣) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٩٠ وتاليتها .

فيم الحديد ؟ وفيم النار حاميلةً كأنما فتحت أبوها سقراً؟^(١)

٥ - النداء :

استخدم الشاعر أسلوبَ النداء بكثرة في محاولة ناجحة لاستنهاض الهمم وجذب الانتباه وإثارة الحركة والحيوية في النص . وقد أتت صيغ النداء عنده ضمن القصائد في أغلب الأحيان كما أتت في أولها ولكن بقلّة . كما أنها جاءت متنوعة بين (يا ، وأيها ، ويا أيها) بالإضافة الى بعض أحرف النداء الأخرى . وربما يعمد الى النداء مباشرة دون حرف نداء إذا كان الموقف يستدعي ذلك ويتطلبه .

فمن النماذج الشعرية على أساليب النداء الذي جاء بصيغة (يا) مباشرة وجاء في ثانيا النص قوله في حفل تكريم (عبد الرحمن البيلي) وزير المالية :

يا قريباً من القلوب ، بعيداً	عن رياح الحزبية الهوجاء
يا ملاذ الموظفين جميعاً	يا وزيراً أحنى من الآباء
إنما أنت للموظف ظل	بعد ما ذاق لفحة الصحراء ^(٢)

فالشاعر في هذه الأبيات يمدح ذلك الوزير باعتداله وابتعاده عن الأحزاب المتناحرة فهو قريب من القلوب محبٌ إليها . كما أنه ملاذهم وقت المحن يغمرهم بعطفه وحنانه الأبوي . وهذه الصفات التي مدحه بها جاءت عن طريق أسلوب النداء الذي تكرر أكثر من مرة ليفيد الحث على التزام الشيء والزيادة فيه .

ويأتي الشاعر بصيغة أخرى للنداء تتمثل في (الياء و أيها) كقوله في قصيدة (عدس الوزير) :

يا أيها الداعي الكريم تحية	لله درك من جواد مفضل ^(٣)
----------------------------	-------------------------------------

فالشاعر في هذا البيت يستحث ممدوحه على مواصلة العطاء والزيادة في كرمه على سبيل الإغراء .

وربما ينادي الاسم مباشرة دون حرف نداء . كقوله في مقطوعة تتألف من بيتين :

(١) المصدر السابق ، ص ٤٥٨ .

(٢) السابق ، ص ٥٦١ .

(٣) السابق ، ص ٥٧٧ .

صاح قد جعت ، فهـ_____ي
واسقني شايًا ثقيـ_____لا

لي كبابًا ورغيفـ_____ا
قبح الله الخفيفـ_____ا^(١)

فالشاعر قد نادى صاحبه (محمود الخفيف) مباشرة دون حرف نداء مستغلاً بذلك
 تمكنه من الأساليب النحوية والبلاغية .

ولم يأت السنداء عنده عرضاً في ثانيا النص فقط ، بل جاء في مطلعته في كثير من قصائده وأناشيده . كقوله في نشيد (أغنية العلم) :

يا شباب النيل حيوا موكباً
نشأ العلم بمصر، وحيوا

لاح نور العلم فيه كوكباً
وهو طفلٌ في ظلال الهرم^(٢)

فالشاعر في هذه الأبيات ينادي الشباب ويخصُّهم دون غيرهم بحمل رايات العلم ، ويحثهم على طلبه والأخذ به عن طريق التحميس وجذب الانتباه .

وربما خرج النداء عنده إلى معنى التنبيه إلى ضلال كقوله :

يا ويح قومي ! نسوا الله الكبير ؛ فلم يذكرهم الله ، نسيان بنسيان !^(٣)

فالشاعر في البيت السابق يتعجب من حال قومه وينبههم إلى ما وقعوا فيه من ضلال ، حيث نسوا الله فعاقبهم الله بنسيانه لهم مثلما نسوه .

ولم يكتف الشاعر بمناداة العقلاء كما تقدم من أمثلة ؛ بل جرد كثيراً من الرموز والجمادات وناداهما . ومن ذلك نداؤه للمعنويات كنداء (العِلْم) مثلاً كما جاء في قوله :

أيها العلم ، قم أغـ_____
خيم الجهل فوقـ_____ه

في حمى الريف معشـ_____
وجرى فيه أنهُـ_____^(٤)

فالشاعر يجرد من (العلم) شخصاً عاقلاً ويناديه على طريقة التشخيص بصيغة النداء (أيها) على أن ينهض لإصلاح ما حل بالريف من جهل وتخلف .
ويلجأ الشاعر أيضاً إلى نداء الماديات كنداء (نهر النيل) يقول :

(١) المصدر السابق ، ص ٥٨٧ .

(٢) السابق ، ص ٦٠٤ .

(٣) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٦٦٣ .

(٤) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٥٨٩ .

أيها النيل ، إنَّ شطك رمز الخلل ————— (٢) ————— د في ذلك الوجود الفاني

أيها النيل ، حول شطك شعبٌ يتحلى بسمرة الأبدان^(١)

فالشاعر في الأبيات ينادي (النيل) وهو شيء مادي باعتباره رمزاً للحضارة

والخلود في الحياة ، وينبئه بأن حوله شعب أسمر البشرة يتحلى بأجمل الصفات الحميدة .

(١) المصدر السابق ، ص ٥٩٩ .

الموسيقى

الموسيقى

تشكل الموسيقى دوراً قوياً ومهماً في عملية البناء الشعري ، فالشعر يتميز عن النثر بما يحمله من أوزان وقوافٍ تشكّلان بدورهما أنغاماً موسيقية يتأجج صداها في النفوس " فتزيد من انتباهنا وتضفي على الكلمات حياة فوق حياقتها وتجعلنا نحس بمعانيه كأنما تمثل أمام أعيننا تمثيلاً عملياً واقعياً . هذا إلى أنها تهب الكلام مظهرًا من مظاهر العظمة والجلال ، وتجعله مصقولاً مهذباً تصل معانيه إلى القلب بمجرد سماعه " (١) .

ومن هنا جاءت العلاقة بين الموسيقى والشعر وهي علاقة قديمة وحميمة يلمسها القارئ الواعي عند قراءة الموروث الشعري . فيقف على الإيقاعات المسموعة وما يصاحبها من أوزان وأنغام موسيقية ، ولغة الشعر لا تقف عند نقل العواطف والأفكار والتجارب فقط ؛ بل تتعدى ذلك إلى ما تحدّثه من أثر عميق في وجدان الناس وهذه ميزة لا تتحقق إلا في الموسيقى الشعرية "فهى التي تخلق الجو ، وهى التي توحى بالظلال الفكرية والعاطفية لكل معنى ، وقد تكون تلك الظلال أكثر فاعلية في النفس من المعنى المجرد بحيث يعتبر ضعف الموسيقى في الشعر إنقاصاً شديداً من قدرته على التعبير والإيحاء " (٢) .

ولابد لنا ونحن نتحدث عن الموسيقى عند الشاعر أن نقسمها إلى قسمين بارزين هما :

١ - الموسيقى الخارجية :

تتكون الموسيقى الخارجية من عنصرين بارزين هما الوزن والقافية . ولو عدنا لموسيقى الشعر العربي لرأينا أنها قد نشأت عن " تفعيلات البحور وبناء القوافي ومدى الاعتناء بسلامة حروف القوافي من ردفٍ وتأسيس ووصل " (٣) .

(١) إبراهيم أنيس : موسيقى الشعر . الطبعة السابعة . (القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩٧) ، ص ١٦ .

(٢) محمد مندور : الشعر المصري بعد شوقي . الحلقة الثالثة ، د.ط ، (مصر : هضبة مصر ، د.ت) ، ص ٩٨ وتاليتها .

(٣) ربيع عبد العزيز وآخرون : دراسات في شعر محمد بن علي السنوسي . الطبعة الأولى ، (منشورات نادي جازان ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م) ، ص ٥٥ .

أ - الوزن :

يقصد به التفعيلات التي تتكون منها البحور ، فأوزان الشعر هي بحوره وإنما " سمي كل منها بحراً ، وذلك كما يقولون ، لأنه أشبه البحر الذي لا يتناهى بما يغترف منه في كونه يوزن به ما لا يتناهى من الشعر) ^(١) .

وعندما نعود إلى الوراء لتتعرف على ما قاله النقاد القدامى أمثال قدامة وابن رشيق يتضح لنا بجلاء أهمية الموسيقى الخارجية لديهما واتفاقهما على أن الشعر " قولٌ موزون مقفى يدل على معنى " ^(٢) . وهذان العنصران هما اللذان يميزان الشعر عن النثر ولا تنحصر قيمتهما في الشكل الخارجي فقط ؛ بل تمتد إلى المحتوى والمضمون ليكون لهما تأثير على عواطف القراء والمتلقين .

وعندما نتقل إلى دراسة الموسيقى الخارجية عند محمود غنيم يتبين لنا -من خلال دراسة إحصائية دقيقة قمت بها بالإضافة إلى ما عمل في الديوان ^(٣) - أنه قد استخدم الأوزان على نحو ما يوضحه لنا الجدول التالي :

الجدول رقم (١) يوضح الأوزان المستخدمة في شعر غنيم

المرتبة	البحور	عدد القصائد	عدد المقطوعات
الأولى	الكامل	٦٠	٢٣
الثانية	البسيط	٤٨	٨
الثالثة	الخفيف	٣٤	٩
الرابعة	المتقارب	١٥	٣
الخامسة	الرجز	١٢	-
السادسة	الرمل	١١	-
السابعة	الطويل	١٠	٦
الثامنة	الوافر	١٠	٣
التاسعة	السريع	٣	١
العاشر	المنسرح	٢	-
الحادية عشرة	المجتث	١	١

(١) موسيقى الشعر ، ص ٥١ .

(٢) نقد الشعر ، ص ١٧ .

(٣) الأعمال الكاملة، ص ٩٣٦ .

الجدول رقم (٢) يوضح القصائد التي نظمها في مجزوءات البحور

المرتبة	مجزوء البحر	عدد القصائد	المقطوعات
الأولى	الكامل	٢٨	٦
الثانية	الرجز	٧	—
الثالثة	الخفيف	٤	—
الرابعة	الوافر	٣	—
الخامسة	الرمل	٢	—

الجدول رقم (٣) يوضح الأوزان الشعرية للأناشيد

المرتبة	البحر	عدد الأناشيد
الأولى	الرمل	٥
الثانية	الرجز	٢
الثانية (٢)	الوافر	٢
الثالثة	الكامل	١
الثالثة (٢)	المتقارب	١
الثالثة (٢)	مجزوء الكامل	١
الثالثة (٢)	مجزوء الرمل	١

ومن خلال تلك الإحصائية السابقة نجد أن غنيماً قد نظم في (أحد عشر) وزناً من بحور الشعر العربي التي أكثر العرب من استخدامها .

فيأتي عنده في المرتبة الأولى بحر الكامل الذي استخدمه بكثرة ملحوظة وذلك لمناسبته للموضوعات التي تتطلب نفساً طويلاً بالإضافة لكونه " يصلح لكل نوع من أنواع الشعر ، ولهذا كان في كلام المتقدمين والمتأخرين ، وهو أجود في الخبر منه في الإنشاء ، وأقرب إلى الشدة منه إلى الرقة . وإذا دخله الحذف ، جاد نظمه ، وبات مطرباً مرقصاً ، وكانت له نبرة تهيج العاطفة " ^(١) . فتفعيلاته راقصة صالحة للغناء .

ويأتي البحر البسيط في المرتبة الثانية عنده وهو أقرب البحور إلى الطويل لكن "يفوقه رقة وجزالة ولهذا قل في شعر أبناء الجاهلية وكثر في شعر المولدين" ^(٢) وهذه الرقة و الجزالة جعلته يتميز "بإيقاع متأرجح بين الرنين السريع والامتداد الهادئ الحزين" ^(٣)

ويأتي الخفيف في المرتبة الثالثة . قال عنه البستاني: "الخفيف أخف البحور على الطبع وأطلاها للسمع يشبه الوافر ليناً ولكنه أكثر سهولة وأقرب انسجاماً، وإذا جاد نظمه رأيتـه سهلاً متمتعاً لقرب الكلام المنظوم فيه من القول المنشور . وليس في جميع بحور الشعر بحر نظيره يصح للتصرف بجميع المعاني" ^(٤) .

ويحتل المتقارب المرتبة الرابعة ، يليه الرجز ، فالرمل ، فالطويل الذي تأخرت مرتبته مع أنه كان أثيراً عند القدماء ، فالوافر ، فالسريع ، فالمنسرح ، فالجثث . في حين أهمل ماعداها وهي الهزج ، والمديد ، والمتدارك والمضارع والمقتضب . على الرغم من أن محمد أحمد سلامة قد ذكر - أثناء حديثه عن الشاعر أن غنيماً قد نظم في (الهزج ، والمديد ، والمتدارك ، والمضارع) بينما لم ينظم في (الجثث والمنسرح والسريع) وهذا بخلاف ما ورد في الديوان وما توصلت إليه من خلال الجداول الإحصائية . وعلى كل حال فالسبب في إهمال الشاعر لتلك البحور هو قلة استعمالها وورودها في الشعر العربي وغنيم كما هو معلوم قد انكب على التراث القديم فاستوعبه ووظفه في إبداعه ونظم على الأوزان الشائعة فيه وأهمل ما عداها . فالهزج مثلاً " تطور" لجزوء الوافر فبين هذين البحرين علاقة كبيرة ،

(١) سليمان البستاني : إلياذة هو ميروس . (بيروت : دار إحياء التراث العربي) ١/٩٢ .

(٢) السابق ١/٩٢ .

(٣) محمود الجارد : شعر أوس ورواته الجاهليين . د. ط . (بغداد : دار الرسالة للطبع ، ١٩٧٩ م) ص ٥١٦ .

(٤) إلياذة هو ميروس . ١/٩٣ .

والأشعار التي نظمت فيه في العصر العباسي قليلة جداً ، وقد استحسن شعراء العصر الحديث هذا الوزن في المسرحيات لأنهم وجدوه أطوع في بعض المواقف التمثيلية " (١) .

أما بالنسبة للمديد فقد قل النظم فيه لما فيه من ثقل مما جعل الشعراء ينفرون منه على حد ما زعمه أهل العروض (٢) . بينما عده بعض النقاد عكس ذلك فامتدح موسيقاه بأنها عذبة سلسلة وليست ثقيلة نابية (٣) .

ولو تأملنا البحور المجزوءة لوجدنا أن مجزوء الكامل يأتي في المرتبة الأولى في قصائد الشاعر وذلك لأن تفعيلاته تعد من النوع الجهير الواضح الذي يهجم على السامع مع المعنى والعواطف (٤) .

أما قالب الأناشيد فتظهر لنا الإحصائية أن بحر الرمل ومجزوءه يأتيان في المرتبة الأولى وذلك لما فيه من خفة على الأسماع وما يتمتع به من رقة وسلاسة .
وحيثما نستعرض علاقة الوزن بالأغراض الشعرية نجد أن كثيراً من النقاد القدامى والمحدثين حاولوا عقد صلة بينهما ، ورأوا أن لكل غرض من أغراض الشعر وزناً يناسبه . وهذا ما أشار إليه حازم القرطاجني في قوله : " لما كانت أغراض الشعر شتى ، وكان منها ما يقصد به المجد والرصانة ، وما يقصد به الهزل والرشاقة ، ومنها ما يقصد به البهاء والتضخيم ، وما يقصد به الصغار والتحقير ، وجب أن تحاكي تلك المقاصد بما يناسبها من الأوزان الضخمة الباهية الرصينة ، وإذا قصد في موضع هزلياً واستخفافياً وقصد تحقير شيء أو العبث به حاكي ذلك بما يناسبه من الأوزان الطائشة القليلة البهاء وكذلك في كل مقصد " (٥) .

(١) موسيقى الشعر ، ص ١١١ .

(٢) انظر : موسيقى الشعر ، ص ٩٨ .

(٣) انظر : صابر عبد الدائم : موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور . الطبعة الثالثة . (القاهرة : مكتبة الخانجي

، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م) ص ١١٤ .

(٤) انظر : عبد الله الطيب : المرشد إلى فهم أشعار العرب . الطبعة الثانية . (بيروت : دار الفكر ، ١٩٧٠ م)

١/٢٤٦ .

(٥) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص ٢٦٦ .

وقد اهتم النقاد المحدثون بالأوزان ، وسلك بعضهم مسلك القدامى في محاولة ربط الأوزان بالأغراض الشعرية ومن هؤلاء سليمان البستاني الذي حاول أن يذكر الخصائص المميزة لكل بحر والأغراض التي تناسبه فقال : " فالطويل بحر خضم يستوعب مالا يستوعب غيره من المعاني ويتسع للفخر والحماسة والتشابه والاستعارة وسرد الحوادث وتدوين الأخبار ووصف الأحوال ، ولهذا كثر في شعر المتقدمين على ما سواه من البحور . والبسيط يقرب من الطويل لكنه لا يتسع مثله لاستيعاب المعاني ... " ^(١) وقد وافقه في هذا الرأي مجموعة من النقاد أمثال عبد الله الطيب وذلك في كتابه المرشد ، كما أنه دعا إلى وجود أوزان متعددة ، وإلا فبالإمكان أن يغني بحر واحد أو وزن واحد لكل غرض ^(٢) . وكما أن العلاقة بين الوزن والموضوع الشعري قد شغلت النقاد كذلك فإن البعض الآخر منهم راح يدرس العلاقة بين الوزن وعاطفة الشاعر وما تحمله تجربته من أبعاد نفسية قوية .

فبعض النقاد أيدوا وناصرها مثل د/عبد بدوي، وبعضهم رفضها مثل د/عز الدين إسماعيل . وبعضهم ربط بينهما ربطاً علمياً نفسياً كما صنع د / إبراهيم أنيس الذي يرى " أن الشاعر في حالة اليأس والجزع يتخير عادةً وزناً طويلاً كثير المقاطع يصب فيه من أشجانه ما ينفس عنه حزنه وجزعه . فإذا قيل الشعر وقت المصيبة والهلع تأثر بالانفعال النفسي ، وتطلب بحراً قصيراً يتلاءم وسرعة التنفس وازدياد النبضات القلبية " ^(٣) . فالرابط هنا كما هو واضح بين الحالة النفسية والوزن . وعلى ذلك فإننا نجد الرثاء مثلاً يأتي على البحور القصيرة والمجزوءة ، بينما نجد الغزل يأتي على البحور ذات المقاطع الطويلة .

ومن خلال دراستنا للأوزان عند غنيم تأكد لنا بجلاء أنه لم يخص أوزاناً معينة بأغراض بعينها ؛ بل إنه نظم قصائده في أوزان متعددة دون النظر إلى طبيعة العلاقة بين الوزن والغرض فصاغ قصائده الدينية مثلاً على بحور مختلفة مثل الكامل ، البسيط ، الرمل ، الوافر ، كما أن قصائده الوطنية والاجتماعية جاءت على أوزان متباينة أيضاً كالطويل

(١) الإلياذة للبستاني ، ٩١ ، ١/٩٣ .

(٢) المرشد الى فهم أشعار العرب ، ١/٧٢ وتاليتها .

(٣) موسيقى الشعر ، ص ١٧٧ وتاليتها .

والكامل والبسيط فجاءت أغراضه الشعرية متنوعة البحور بيد أن اللافت للنظر في بعض قصائده هو وجود علاقة ظاهرة بين الوزن والعاطفة المتأججة عند الشاعر وكأن ذلك يؤكد ويعضد ما ذهب إليه النقاد من وجود علاقة قوية وكامنة بين الوزن والعاطفة . وهذا ما نلمحه حقيقة في قصائده الوطنية و القومية الاجتماعية وما تناقشه من قضايا وأحداث صيغت بنبرة انفعالية حادة أثرت على اختيار أوزانه ولجوه إلى الأوزان القصيرة والمجزوءة في بعض الأحيان . وليس معنى ذلك أن نجعل ما لمسناه من توافق بين الوزن والعاطفة في بعض قصائد غنيم قاعدة عامة لدى الشعراء ؛ لأن لكل شاعر تجربته الخاصة وانفعالاته المتباينة وأفكاره المختلفة . وإنما هذه الظاهرة خاصة فيما لوحظ عند الشاعر في بعض قصائده .

ب — القافية :

تعتمد الموسيقى الخارجية اعتماداً قوياً على القافية فهي تمثل الركن الثاني من أركانها؛ حيث تشكل مع الوزن جسماً فنياً وبناءً كلياً متكاملًا لا يمكن أن ينفك أحدهما عن الآخر بأي حال . " فالقافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ، ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية " (١) .

وقد عُرِّفت القافية بعدة تعريفات منها على سبيل المثال "القافية ليست إلا عدة أصوات تتكرر في أواخر الأَشْطَر أو الأبيات من القصيدة ، وتكررها هذا يكون جزءاً هاماً من الموسيقى الشعرية . فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع تردها ، ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذن في فترات زمنية منتظمة " (٢) .

ولكون القافية عنصراً موسيقياً مهماً في الشعر فقد اختلف أهل العروض في تحديدها ولعل أرجح الأقوال ما جاء في العمدة بأن "القافية من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه من قبله مع حركة الحرف الذي قبل الساكن " (٣) .

(١) العمدة ، ١/١٥١ .

(٢) موسيقى الشعر ، ص ٢٤٦ .

(٣) العمدة ، ١/١٥١ .

وهذه القافية التي ميزت الشعر بهذه الخاصية الموسيقية " ظلت وقفاً على الشعر العربي لعهود طويلة ، كما أشار إلى ذلك العلماء ، وكما تشهد عليه أشعار كثير من الأمم، حتى إن أوروبا لم تعرف القافية إلا يوم اتصالها بالشعر العربي " (١).

وعندما تلقى الضوء على شعر غنيم نجد أنه قد جاء على شعر الشطرين الذي يلتزم حرف روي واحد ، عدا بعض القصائد القليلة التي جاءت على نظام شعري معين كالمربعات والمخمسات .

ومن خلال عملية إحصائية للحروف التي اتخذها روياً لقصائده اتضح أنه قد نظم على أغلب حروف المعجم الثمانية والعشرين فوصل مجموع ما استخدمه ثمانية عشر حرفاً تختلف نسبتها من حرف إلى آخر باستثناء القوافي المنوعة . فجاءت الإحصائية على النحو التالي :

الجدول رقم (٤) يوضح الحروف التي استخدمها روياً

المرتبة	الحرف	عدد مرات التكرار
١	الراء	٤٩
٢	الميم	٣٨
٣	الياء	٣٣
٤	النون	٣٢
٤ (٢)	اللام	٣٢
٤ (٢)	الدال	٣٢
٥	الهاء	١٧
٦	الهمزة	١٥
٧	الحاء	١١
٨	الفاء	٩
٩	القاف	٨
١٠	العين	٧
١١	التاء	٥
١١ (٢)	الياء	٥
١٢	الكاف	٤
١٣	السين	٢
١٤	الجيم	١
١٤ (٢)	الراء	١

(١) مجلة الأدب الإسلامي ، المجلد الخامس ، العدد التاسع عشر ، ١٤١٩هـ ، بقلم د . حسن الأمrani . ص ١٢ .

وتوضح الإحصائية السابقة أن حروف المعجم المستخدمة عند غنيم جاءت على أربعة أقسام :

١ - ما كثر مجيئه رويًا ، وهو (الراء ، الميم ، الياء ، النون ، اللام ، الدال) وهذه الحروف تجئ رويًا بكثرة في الشعر العربي .

٢ - ما توسط مجيئه رويًا ، وهو (الهاء ، الهمزة ، الحاء ، الفاء ، القاف ، العين) .
فهذه الحروف تدخل ضمن الحروف المتوسطة الشيوخ في الشعر العربي عدا (الهاء) فتدخل ضمن الحروف قليلة الشيوخ .

٣ - ما قل مجيئه رويًا وهو (التاء ، الياء ، الكاف ، السين ، الجيم ، الزاي) .

٤ - ما لم يأت مطلقاً حرف روى ، وهو (الغين ، الصاد ، الضاد ، الظاء ، الطاء ، الخاء ، الثاء) وذلك لندرة ورودها في الشعر العربي فالشعراء المتقدمون " قلما ينظمون بالروي حروف المعجم ، لأن ما روي من شعر امرئ القيس لا نعلم فيه شيئاً من الطاء ، ولا الظاء ، ولا الشين ، ولا الخاء ، ونحو ذلك من حروف المعجم " ^(١) .

والواقع أن قلة مجيء بعض الحروف رويًا عند غنيم لا يرجع الى كونه مقصراً أو ضعيفاً في إبداعه ؛ بل إنه قد سلك مسلك الشعراء قبله واتخذ ما كثر شيوعه رويًا في الشعر العربي وهذا دليل على محافظته واستفادته من مخزونه الشعري .

وتأتي القوافي عند شاعرنا مطلقة ^(٢) ، ومقيدة ^(٣) ، ولكن ميله الى القافية المطلقة أكثر من ميله إلى المقيدة . وعند رجوعنا الى الشعر العربي نجد أن معظمه قد أتى على القافية المطلقة . وإلى هذا أشار إبراهيم أنيس عند حديثه عن القافية المقيدة بقوله : " وهذا النوع الثاني من القافية قليل الشيوخ في الشعر العربي ، لا يكاد يجاوز ١٠ % ، وهو في شعر الجاهليين أقل منه في شعر العباسيين " ^(٤) .

(١) المعري ، أبو العلاء : اللزوميات . د. ط . (بيروت : مكتبة الهلال) ١/٢٢ .

(٢) القافية المطلقة ما كان رويها متحركاً .

(٣) القافية المقيدة ما كان رويها ساكناً .

(٤) موسيقى الشعر ، ص ٢٦٠ .

وقد بلغ عدد القوافي المقيدة عند غنيم (إحدى وأربعين) قصيدة . وهي نسبة قليلة إذا ما قيست بالقوافي المطلقة في الديوان . ومن خلال الجدول التالي يتضح لنا عدد القوافي المقيدة وبجورها .

الجدول رقم (٥)

يوضح القوافي المقيدة بعد حرف مد ، وغير المسبوقة بحرف مد ، وبجورها .

م	البحر	عدد القوافي المقيدة المسبوق رويها بحرف مد	م	البحر	عدد القوافي المقيدة غير المسبوق رويها بمد
١	مجزوء الكامل	١٢	١	المتقارب	٥
٢	المتقارب	٤	٢	الخفيف	٣
٣	مجزوء الرمل	٤	٣	مجزوء الكامل	٢
٤	الخفيف	٢	٤	مجزوء الخفيف	٢
٥	الوافر	١	٥	مجزوء الرجز	٢
٦	الرجز	١	٦	الكامل	١
٧	الرمل	١	٧	الوافر	١
	المجموع	٢٥		المجموع	١٦

والملاحظ على ماسبق أن الشاعر قد جرى الشعراء السابقين في استخدام القوافي المقيدة بعد حرف مد . فبلغ عددها في ديوانه (خمساً وعشرين) قصيدة. وجاءت معظمها على البحور القصيرة كمجزوء الكامل ، ومجزوء الرمل ، وعلى وزن (المتقارب ، الخفيف ، ...) الخ كما هو واضح في الجدول .

أما القوافي المقيدة غير المسبوقة بحرف مد فقد بلغت (ست عشرة) قصيدة جاءت على وزن (المتقارب ، الخفيف ... أو على بحور قصيرة كمجزوء الوافر ، ومجزوء الرجز...) الخ كما هو واضح في الجدول . وهذا النهج الذي سار عليه الشاعر في قوافيه المقيدة. يؤكد لنا تأثر الشاعر بالشعر العربي القديم والسير على طريقة الأقدمين .

ولعل تمسكه بالشعر العربي القديم والنهج على منواله قد ألزمه ما التزم به أولئك الشعراء . فتنبه إلى ما في بعض حروف الروي من ثقلٍ وصعوبةٍ مراعيًا في استخدامها أن تسبقها حروف أخرى . ومن تلك الحروف (التاء ، والكاف والهاء) فالتاء عند استخدامها رويًا "يحسن فيها ألا تكون تاء تأنيث ، بل تكون أصلاً من أصول الكلمة ، على أن الشعراء قد استساغوا وقوع تاء التأنيث رويًا حين تسبق بألف مد" ^(١) فراعى الشاعر ذلك الشرط وطبقه، وهذا واضح في مثل قصيدته (مدفع فوق مدفع) حيث يقول :

سار بين الدموع والزفـرات خير نعش يقل خير رفـات !
مدفع خامد على مدفع سـا ^(٢) رَ من الوجد واريَ الجمـرات ^(٢)

وكذلك الحال بالنسبة لكاف الخطاب فإذا " اتخذت رويًا حسن فيها أحد أمرين : أن يسبقها حرف مد ، أو أن يلتزم الحرف الذي قبلها ، وفي تلك الحالتين تتم الموسيقى وتحسن " ^(٣) .

ومن القصائد الشعرية عند غنيم والتي اجتمع فيها الشرطان قصيدة (ما نسيناك) يقول :

جل من بالبيان ، يا صاح ، زانكُ صانهُ الله ذو الجلال ، وصانك !
كيف يشكو برد الشتاء ربيعاً ؟ أو ما شمَّ أنفه ريحانك ؟ ^(٤)

فالشاعر قد التزم مع حرف الروي (الكاف) حرف المدّ مع التزام حرف النون قبله . كذلك يتجلى هذا الالتزام مع حرف الهاء فلا تحسن الهاء رويًا إلا إذا كانت أصلاً من أصول الكلمة ، وهذا النوع قليل في الشعر العربي ، أو يسبقها حرف مد ، وهذا هو المشهور عند أهل العروض . ^(٥) . وذلك كقول غنيم :

ربض الجيش على خط القنـاة وعلى شطآنها ألقى عصاه
أيها الجيش ، أعدّها للحمـى فلذة قد نزعوها من حشاه ^(٦)

(١) موسيقى الشعر ، ص ٢٥١ .

(٢) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ١٧٤ .

(٣) موسيقى الشعر ، ص ٢٤٩ وتاليتها .

(٤) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٨٢٤ .

(٥) انظر : موسيقى الشعر ، ص ٢٥٣ وتاليتها .

(٦) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٠٩ .

فالهاء في البيتين السابقين هي "الروي" لأن ما قبلها حرف ساكن وهو "حرف المد" الألف .

وإذا ما حاولنا تطبيق فكرة ربط القافية بالأغراض الشعرية على قصائد غنيم نجد أن قوافيه جاءت متنوعة غير مقيدة بغرض شعري معين . وهذا يعني معارضة ما وضعه بعض النقاد المعاصرين أمثال سليمان البستاني الذي أراد أن يثبت فكرة ربط القافية وتقييدها بأغراض شعرية بعينها إذ رأى " أن القاف توجد في الشدة والحرب ، والدال في الفخر والحماسة ، والميم واللام في الوصف والخبر ، والباء والراء في الغزل والنسيب" ^(١) . وعند قراءة الديوان يتبين لنا أن رأي البستاني لا ينطبق على قافية الشاعر (فالدال) مثلاً التي تجود في الفخر والحماسة لا تتوقف عند هذا الحد ؛ بل له قصائد في الرثاء والاجتماعيات والفكاهيات رويها الدال ، وكذلك حرف (القاف) التي توجد في الشدة والحرب نراها تأتي عنده في أغراض وجدانية ومواضيع دينية وأخرى اجتماعية .

وإذا أدركنا واجهة الحديث حول عيوب القافية عند غنيم لتبين لنا أن شعره يكاد يخلو منها ؛ وذلك لعلمه بالشعر والعروض واهتمامه الفاعل بكل ما يتصل بالأدب واللغة فهو بالإضافة إلى كونه شاعراً كان معلماً للغة لا يشق له غبار . ولكن من العيوب التي لاحظتها في شعره طبقاً لآراء العروضيين القدامى ما يسمى بـ (التضمين) وهو أن تتعلق قافية البيت الأول بالبيت الثاني ، على الرغم من استحسان نقاد العصر الحديث له فيما بعد ، لأنه في نظرهم " يظهر تماسك أبيات القصيدة فتكون وحدة واحدة " ^(٢) ومن أمثلة هذا النوع ما جاء في قصيدته (بطل الجلاء) :

أعلمي الوادي ، إذا حد ثمـو
نشء البلاد الغض عن أبطاله
فلتأخذوا لهمو جمالاً قـدوة
ولتضربوا الأمثال باستبساله ^(٣)
فالبيت الثاني متصل بالبيت الأول في معناه لأن جواب الشرط جاء في أول البيت الثاني .

(١) مقدمة الإلياذة ، ص ٩٧ .

(٢) فاطمة سالم عبد الجبار " أحمد قنديل حياته وشعره " ، (رسالة ماجستير ، قسم الدراسات العليا العربية ، كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى ، مكة ، عام ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م) ، ص ٤٣٠ .

(٣) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٣٤١ .

ومن أمثلة التضمين أيضاً ما جاء في قصيدة (راتبي)

فقل لشباب النيل قالة ناصح
إذا مصرُ لم ترفع قواعد مجدها
تعارف له أخلاقه أن يواربها
بساعدتها ، لم تقض منه المآربا^(١)

لأن مقول القول جاء في البيت الثاني .

أما عيوب القافية التي تتعلق بالإسناد^(٢) . فهي قليلة جداً ومن أبرزها سناد الحذو :

وهو اختلاف حركة الحرف الذي قبل الروي المطلق ، ومن ذلك قوله :
اليوم قد وضع النهار المـدج
قل للشبية : أنت مصباحُ الحمى
ومشى الدليلُ على السبيل الأقوم
وإذا بحثنا عن سناد التوجيه نجده نادراً في قصائده كذلك و هو اختلاف حركة الحرف
الذي قبل الروي المقيد ، ومن ذلك قوله :

قرار الذبائح لما صـدر
وأقسم ، ما شم ريح اللـحوم
بكى ابن الوكيل بدمع المطـر
ولا ذاقها مرة في العـمـر^(٣)

فلاحظ في القافية اختلاف حركة الحرف الذي يسبق الروي المقيد بالسكون من
الفتح إلى الضم .

أما بقية عيوب الإسناد من إشباع وتأسيس فقد خلت منها قصائد الشاعر ، كذلك
لا نجد شيئاً من تلك العيوب التي يذكرها العرضيون كالإقواء والإيطاء . وهذا يعود إلى
مهارة الشاعر ومقدرته على توخي ما يعيب شعره ويضعفه بالإضافة إلى معرفته بعلم
العروض واللغة فقد كان معلماً للغة العربية ثم مفتشاً لها .

التنوع في القوافي

التزم غنيم في أشعاره بوحدة القافية التي تعد شكلاً أساسياً للشعر العمودي ، لكنه في
بعض الأحيان لجأ إلى التنوع في قافية القصيدة الواحدة رغبة منه في التجديد ومسايرة
المجتمع الذي طغى عليه في ذلك العصر الجديد ما يعرف بالشعر الحر والمنثور . ولكن ذلك
التنوع لم يكن خروجاً على الشعر العربي الموروث ولم يكن جديداً عند شعراء العصر

(١) المصدر السابق ، ص ٤٢١ .

(٢) هو اختلاف ما يراعى قبل الروي من الحروف والحركات .

(٣) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٣١ .

(٤) السابق ، ص ٥٨٥ .

الحديث ؛ بل إنه قد شاع عند العباسيين نظراً لشيوع فن الغناء الذي تناسبه القوافي المتنوعة والبحور القصيرة وبقيت تلك الأشكال والمحاولات إلى عصرنا الحديث فاستخدمها أكثر الشعراء أمثال شوقي والعقاد وغنيم وغيرهم .

وهذه المحاولة " لا تعدوا أن تكون إضافة لقيد جديد لا تخفوا من القيود القديمة ، لأنها أضافت لازمة جديدة هي تلك القافية الداخلية في البيت " (١) وفيما يلي سنعرض أبرز الأشكال الشعرية التي طرقتها الشاعر :

١ - المزدوج :

وفيه تختلف القافية مع كل بيت " ويراعي الناظم في المزدوج أن تكون الأبيات مصرعة ، فقافية الشطر الأول هي نفس قافية الشطر الثاني " (٢) وخير ما يمثل المزدوج في ديوان الشاعر قصيدة (يومٌ عابس) التي يصف فيها يوماً ماطرًا وهذا المزدوج صالح لنظم القصص الطويلة وما يجول في خاطر الشاعر ، يقول :

ياصباح حائل الأديم	قد طعن الربيع في الصميم !
أمطاره قد شوهت آذاره	وريجحه قد صوحت أزهاره
قد يظفر الباحث بالعنقاء	فيه ، ولا يرى ابنة السماء (٣)

٢ - المربعات :

وفيه يقسم الشاعر القصيدة إلى أقسام يتضمن كل قسم منها أربعة أشطر ، ويراعي الشاعر في هذه الأشطر الأربعة نظاماً معيناً للقافية وهذه المربعات لها أشكال مختلفة ومتنوعة منها (٤) :

أ - أن يشترك الشطر الأول والثالث في قافية ، والثاني والرابع في قافية أخرى ، وقوافي كل مربعة تختلف عن الأخرى وإن اتفقت في الوزن . ومن ذلك قصيدة (في استانلي) التي جاء فيها :

(١) عز الدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر ، الطبعة الثانية ، (بيروت : دار العودة ، ودار الثقافة ، ١٩٧٢م) . ص ٥٧ .

(٢) موسيقى الشعر . ص ٣٠٠ .

(٣) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ١٣١ .

(٤) موسيقى الشعر ، ص ٣٠٣ وتاليتها .

كل شيء في الصيف يشكو الركودا وأرى الثغر وحده في نشاط
قذف البحر دره المنضـودا أرأيت الجمال فوق الشاطي^(١)

ب - أن تتفق الأشر الثلاثة الأولى في حرف الروي ، أما الشطر الرابع فهو موحد القافية
في جميع مقاطع القصيدة . ومثال ذلك نشيد (أغنية عيد العلم) :

يا شباب النيل ، حيوا موكبا لاح نور العلم فيه كوكبا
نشأ العلم بمصر ، وحببا وهو طفل في ظلال الهرم

* * *

يا بناء النشء ، يا نعم البناء مصر تحني للمربين الجباه
إن نور العلم من نور الإله جل من عظم شأن القلم^(٢)

٣ - الخمسات :

وفيه تقسم القصيدة إلى مقاطع كل مقطع عبارة عن خمسة أشر وتكون قافية
الشطر الخامس من كل قسم من أقسام المقطوعة مكررة في كل الخمسات الأخرى .
وهذا الخمس قد استحسنته شعراء العصر الحديث لما له من موسيقى عذبة^(٣) . ومن
الأمثلة على ذلك نشيد (الكشاف العربي) :

بوركت يا أرض العروبة موطننا الله أكبر! إن فجرك أذننا
وأطل في الآفاق لماح السننأ مجادك الأولى سألحيا أننا

أنا نسل من خط الحضارة وابتنى^(٤)

والملاحظ على أناشيد الشاعر التغيير في أشكالها وصورها وأكثر أناشيدته من
الخماسيات كما مر معنا ولكن المجال لا يكفي لنستعرض كل أناشيدته التي نوع فيها وإنما
ضربت على ذلك نماذج مختلفة للتمثيل ولبيان مكن التجديد عند الشاعر .
ومن الأشكال الجديدة التي استخدمها الشاعر ما يطلق عليه (مجمع البحور) وهو

(١) الأعمال الكاملة ، في ضلال الثورة ، ص ١٤٣ .

(٢) السابق ، ص ٦٠٤ .

(٣) انظر : موسيقى الشعر ، ص ٣٠٦ .

(٤) الأعمال الكاملة ، في ضلال الثورة ، ص ٣٦١ وتاليها .

شكل شعري جديد عرف عند شعراء العصر الحديث بكثرة ولجأ إليه أصحاب مدرسة الديوان رغبة منهم في التجديد واستمر الشعراء في النّسج على منواله . ولعل غنيماً قد اقتدى في هذا التجديد بمدرسة الديوان إرضاء للجمهور الذي كان يميل إلى التجديد في عصره وتعاوننا منه مع الصحف والمجلات الأدبية التي كانت تنشر هذا الشعر ؛ وخير ما يمثل ذلك النوع من قصائده (النشيد الوطني للجمهورية العربية المتحدة) (١) :

ارفعني يا أمة العرب اللواء
صاعداً في عزة نحو السماء
ارفعيه رمز يمن ورخاء
حاملاً منا إلى الله الدعاء

أنا العربي الأبّي بربي وشعبي أدين
شعاري: سلام يرفُ ظلال على العالمين
حاضري مستبشراً ييسم لي مشرق الوجه بنور الأمل
وبعزمي ابني مستقبلي لست من يعرب إن لم أفعَل
فهو يتألف من ثلاثة أوزان الرمل والمتقارب ومجزوء الرمل ، وهذا الشكل الشعري يتميز بتلون الموسيقى والتنويع في الإيقاع الشعري .
ثانياً : الموسيقى الداخلية :

لم تقتصر الموسيقى في قصائد غنيم على الموسيقى الخارجية فقط ؛ بل أضاف إليها الموسيقى الداخلية التي تنشأ عن " قدرة الشاعر على اختيار الكلمات المناسبة ، وتعاقبها في انتظام إلى جانب ما في الكلمات ذاتها من تلاؤم بين حروفها وحركاتها " (٢) فتعطي تشكيلاً رائعاً من الإيقاع الموسيقي الداخلي المنسجم مع الواقع النفسي الذي يعاينه الشاعر . فتكون تراكيبه جزلة وقوية في مواقف القوة كال حرب والفخر ، ورقيقة في مواقف اللين مثل الغزل والرثاء . وعلى العموم فإن غنيماً من شعراء العصر الحديث القلائل الذين جمعوا بين الفخامة والرقّة في شعرهم . فعند المواقف الصعبة نجده يعتمد على الموسيقى ذات الألفاظ الجزلة والحروف المشددة . انظر إلى هذه الأبيات ذات الطابع الموسيقي المفعم بالإيقاعات الموسيقية الناتجة عن استخدام الألفاظ القوية والحروف المشددة في قول غنيم :

(١) السابق ، ص ٣٠٧ .

(٢) شعر حسين عرب ، ص ٣٢٢ .

يا أمة الشهداء يـــــــا
للحاملين على العـــــــدا
الصاعدين على الهضـــــــا
المؤثرين لطعنـــــــة
عريسة الأسد الزوائـــــــر
مثل السيول أو الأعاصـــــــر
ب الهابطين إلى المغـــــــاور
من قاتلٍ عن قيد آســـــــر^(١)

بينما تظهر الموسيقى الداخلية الرقيقة في تكرار بعض الحروف المهموسة مثل
(السين والنون و اللام) و " لا يخفى ما للمدود والتنوين المتوالية في البيت الواحد من أثرٍ
في ظهور الموسيقى الداخلية " ^(٢) كقوله :

حرٌّ ، كريمٌ ، عاش في الـــــــدُّ^(٣) نـــــــيا غريباً ، ثم آب^(٤)

كما اهتم غنيم بالمحسنات البديعية التي تزيد الكلام جرساً موسيقياً وجمالاً إيقاعياً .
ومن تلك المؤثرات الموسيقية أحد أنواع (التقسيم) وهو استيفاء أقسام الشيء
بالذكر ، كقوله :

فيا أيها الليث المكشر للـــــــورى حنانيك ! إما الانصراف ، أو الوثب^(٥)
وقوله :

ما شئت من عدلٍ ، وتسوية ، ومن شورى ؛ فيا لثلاثة أحـــــــلاف^(٦)
ويستخدم في إثراء موسيقاه الداخلية فناً آخر يسمى (حسن التعليل) وهو أن يدعي
لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف ، كقوله :

لو درى البحر ، لاحتفـــــــى بالدسوقي ، واحتفـــــــل
علَّ أمواجه بـــــــدت راقصاتٍ من الجـــــــذل^(٧)
وقوله :

حمل البحر درة زانت البحر من عطـــــــل

-
- (١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٥٠٢ .
(٢) إبراهيم الشتوي : أدب عبد العزيز الرفاعي ، الطبعة الأولى (الرياض : دار الرفاعي للنشر والطباعة ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م) ص ٤٦٩ .
(٣) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٥٢٧ .
(٤) الأعمال الكاملة ، صرخة في وادٍ ، ص ٥٩ .
(٥) السابق ، ص ٨٩ .
(٦) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٥٧٠ .

ترکت ک_____ ل درة

ومن المؤثرات الموسيقية التي استخدمها ما يعرف بـ (التصريع) الذي كان يستهل به معظم قصائده وهو جعل العروض مقفاة تقفية الضرب . ومن النادر أن تخلو مقدمات قصائده منه ، ومن أمثلة التصريع الذي استهلّ به قصائده . قوله :

ها هو العبد قد أطـ_____لـ
 وقوله :
 ما تواری من الخجـ_____لـ^(۲)

صاحب آويته خمسين عاماً ماله في كنفه مل المقام ؟ ^(٣)
ونراه يضيف إلى مؤثراته تلك لوناً آخر يُعرف (برد العجز على الصدر) وهو لون
من ألوان التكرار الذي يثري الموسيقى الداخلية في القصيدة ، ومن ذلك قوله :

إخواننا في ظلال الكرخ ، ويحكمـو
يا أهل بغداد ، راعوا الله في رحـم
لقد أصبتم لنا في الكرخ إخوانا !
موصولة قطعت ، يا أهل بغدادنا ^(٤)
وتظهر عند غنيم محسنات أخرى تضيفي على الموسيقى الداخلية ألوانا من الظلال وهي
الطباق و المجانسة. وما يحدثانه من جرس موسيقي في القصيدة . فمن أمثلة الطباق قوله :
سألت عن الأرض : ماذا أقلت ؟
فقالوا : مهود تغذّى لحودا ^(٥)
تخفى عساكره في الحرب إن ، نشبت
حتى إذا قُسمت أسلأها، ظهورا ^(٦)
ومن الجناس قوله :

مدفع خامدٌ علی مدفعِ سـا
وقوله :

سنسلك يوماً سبيلاً الجـدود فلسنا بأسعد منهم جـدوداً^(أ)

(١) المصدر السابق ، ص ٥٧١ .

(٢) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٢٥٥ .

(٣) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٦٣ .

(٤) السابق ، ص ٣٥٨ .

(٥) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ١٨٤ .

(٦) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٥٩ .

(٧) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ١٧٤ .

(٨) السابق ، ص ١٨٤ .

الصورة الفنية

- * مفهومها.
- * مقوماتها.
- * مصادرها.
- * أنماطها.

أولاً : مفهوم الصورة الفنية

يُعَدُّ التصوير الأداة البارزة التي يتكئ عليها الشاعر في التعبير عن أبعاد وجوانب تجربته الشعرية ، ولا يمكن أن تتحقق التجربة الشعرية تلك ولا يمكن أن يكون لها تأثير في نفوس متلقيها إلا عن طريق الصورة الفنية الشعرية ، ومن هنا يمكننا أن نخلص إلى القول بأن الصورة هي " الوسيلة الفنية الجوهرية لنقل التجربة " (١) .

وهذا يقترب من تعريف آخر للصورة الفنية مفاده أنها " الصورة التي يتوافر فيها عنصر الخيال والتعبير الأدبي المؤثر الذي يحمل القارئ على الإعجاب " (٢) . ومن خلال التعريفين السابقين للصورة يتضح لنا بجلاء أن لا غنى للشاعر والأديب عن الصورة الفنية إذ هي الوسيلة المساعدة على نقل فكرته وعاطفته معاً إلى قرائه وسامعيه .

وعلى هذا فإن الصورة الشعرية هي جوهر التجربة والأداة الفذة للتشكيل الجمالي والحل الوحيد لأزمة اللغة التي تواجه الشاعر حين يحاول تصوير رؤيته الخاصة وإدراكه الخاص لواقعه .

ونظراً لما للصورة الفنية من أهمية في العمل الأدبي بوجه عام والشعر بوجه خاص كان لزاماً علينا أن نبحث في مقومات تلك الصورة الفنية ، ومصادرها المتنوعة ، ومن ثم نخرج لدراسة الصورة الفنية في شعر محمود غنيم - موضوع رسالتنا هذه - .

ثانياً : مقومات الصورة الفنية :

إنَّ أيَّ عنصر أدبي جميل لا بد أن تتوافر فيه مقومات تبرزه وتتضافر في سبيل إقامته على الوجه المطلوب . والصورة الفنية تمثل جماع تلك المقومات لأي عمل أدبي خاصة الشعر وتلك المقومات الفنية هي :

١ . العاطفة

تعد العاطفة عماد الصورة الأدبية ولبها إذ لا معنى في الشعر إذا لم يصدر عن الوجدان ،

(١) النقد الأدبي الحديث ، ص ٤١٧ .

(٢) حمد بن ناصر الدخيل : يحيى بن طالب الحنفي حياته وشعره ، الطبعة الأولى ، (الرياض : الإدارة العامة للنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) ص ٩٥ .

ولا تعني الشاعرَ العواطفُ من حيث هي ؛ بل من ناحية تأثيرها في نفوس الناس وإدراكهم إياها بوجدانهم .

وتتجلى أهمية العاطفة في كونها تمثل نقطة البدء في العمل الأدبي ، فلو لم تتحرك مشاعر الشاعر نحو موقف معين لما أبدع فيه هذا الشعر . والعاطفة " ملكة في الإنسان تُدرك آثارها ولا يُدرك كنهها . تلتقط الحقائق _ الأفكار _ فتتفاعل بها وترسلها للخيال الذي يقوم بدوره في تكوين الصورة وإبداعها " (١) .

وبهذا يكون الخيال هو المقوم الثاني من مقومات الصورة الفنية .

٢. الخيال

يؤدي الخيال دوراً فاعلاً في الصورة الأدبية ، يستمد الشاعر موادها مما يقع أمام ناظره من مواد حسية أو مما يقع في فكره من مواد معنوية ، لذلك " يقوم الخيال بالدور الأساسي في تشكيلها ، يلتقطها ببراعة من مشاهدات الواقع وملابسات الحياة اليومية ، أو يرتفع بها عن الحوادث العادية فيستمدّها من مناظر الطبيعة ومهابط الجمال الرفيعة ، ويمزج بين عناصرها المختلفة فتجئ خلقاً جديداً ، يختلف في طبيعته وخواصه عن العناصر الأولية التي تألف منها " (٢) .

ومن هنا يتبين لنا ما للخيال من دور بارز في الأدب فهو وسيلة الأديب لتصوير مشاعره وتجاربه ونقلها إلى ذهن القارئ أو السامع . وتتجلى أهمية الخيال حينما نرى كيف يبدع الشاعر في تصوير مشاهد مألوفة في حياته قد اعتدنا على رؤيتها لكن الشاعر يث فيها الحياة والحركة ، ويتخيلها على نحو فيه إثارة وطرافة ، ففي مشهد غروب الشمس نرى " النهار يتشاءب ، والليل يزحف ، والشمس تمد في الغروب ذراعيها إلى الأرض مودعة ... وشاعر يقف بجانب بحر فيراه يئن ويلهث من التعب ويتخيل صراعاً بين أمواجه ورمال الشاطئ ، وآخر يقف في نفس الموقف في حالة وجدانية أخرى فيرى البحر يتألق ويتلألأ

(١) طيب أحمد الحارثي : " علي الجندي حياته وشعره " . رسالة ماجستير ، كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى ، ١٤١٠ هـ ، ص ٣٦٥ .

(٢) الطاهر أحمد مكي : الشعر العربي المعاصر روائعه ومدخل لقراءته ، الطبعة الثالثة ، (دار المعارف ، ١٩٨٦ م) ، ص ٨٣ .

ويضحك ويتخيل لقاءً مؤثراً بين أمواجه وبين الرمال ، وسرعان ما تعود الأمواج من لقائها على استحياءٍ وقد انتشرت على وجهها حمرة الخجل " (١) .

ومن هنا يمكننا القول بأن الخيال هو : الملكة الفنية التي تصنع الصورة الأدبية . وقد عرفه ريتشاردز بقوله : " الخيال هو القدرة التي بواسطتها تستطيع صورة معينة أو إحساس واحد أن يهيمن على عدة صور أو أحاسيس (في القصيدة) فيحقق الوحدة فيما بينها بطريقة أشبه بالصهر " (٢) .

٣. الحقائق والأفكار

إن الحقائق والأفكار هي المادة الأساسية التي يستخدمها العقل في الإنتاج ، ولا تقتصر قيمة الحقائق والأفكار على تعليمنا أمراً من أمور المعرفة ؛ بل تتعدى ذلك إلى أن تكون ذات تأثير قوي في نفوسنا، وهذا يمثل غاية الأدب الأولى - الشعر على وجه الخصوص - وللحقائق والأفكار دورها في الصورة الأدبية كما يقول جيبو : " لن يحيا بالنغمات ولا بالكلمات الجوفاء ولكن لابد من تمازج الفكرة بالعاطفة ، والشعر الذي تعوزه الفكرة ، أو الذي يضم فكرة سطحية لا يغني للقلب أو العقل شيئاً ، وإن غنى للأذن كثيراً " (٣) . إن هذه الحقائق والأفكار ما هي إلا خبرات معرفية " تتشكل هذه الخبرات المعرفية داخل عبقرية الإبداع فتكون تجربة فنية إبداعية " (٤) .

والشعر بما يحمله من هذه الحقائق والأفكار الممزوجة بالعواطف الإنسانية سيظل شيئاً لا غنى عنه كما يقول العقاد : " فاعلم أن الشعر شيء لا غنى عنه ، وأنه باق ما بقيت الحياة، وإن تغيرت أساليبه وتناسخت أوزانه وأعارضه ؛ لأنه موجود حيثما وجدت العاطفة الإنسانية ووجدت الحاجة إلى التعبير عنها في نسق جميل وأسلوب بليغ ، وإذا كان الناس في عهد من عهودهم الماضية في حاجة إلى الشعر فهم الآن أحوج ما يكونون إليه بعد أن باتت النفوس خواء من جلال العقائد وجمالها وخلا الجانب الذي كانت تعمره من

(١) شوقي ضيف : في النقد الأدبي ، الطبعة السادسة ، (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨١ م) ، ص ١٧٢ .

(٢) محمد زكي العشماوي : قضايا النقد الأدبي ، الطبعة الثالثة ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ،

د . ت) ، ص ٦١ .

(٣) عبد الحميد حسين : الأصول الفنية للأدب ، (مكتبة الأنجلو المصرية) ، ص ١٤١ .

(٤) السعيد الورقي : في الأدب والنقد الأدبي ، (الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، د . ت) ص ٧٥ .

القلوب ، فلا بد أن يخلفها عليه خلف من خيالات الشعر وأحلام العواطف وإلا كسر اليأس القلوب وحطمتها رجة الشك واضطراب الحيرة " (١) .

٤ . الأسلوب

أما الأسلوب فإنه " الطريقة في إظهار العمل الفني إلى الوجود . وإذا كانت اللغة مادة الأدب ، فإن الأسلوب في الأدب هو كيفية استخدام اللغة " (٢) .
ومن هنا يكون الأسلوب طريقة معينة يسلكها الأديب لتوضيح ما يريد من معانٍ ونقل ما يريد من أفكار مما يعني أن الأسلوب هو " القلب الذي يصب فيه الشاعر فكره وعاطفته، وبواسطة الأسلوب ينقل الشاعر إلى ذهن القارئ أو السامع ما يجيش في نفسه من المعاني والخواطر والعواطف منظماً إياها في شكلٍ خاص يطبع به إنتاجه " (٣) . وفي الأسلوب الشعري على - وجه الخصوص - تبرز العاطفة ويكون الشاعر فيه مالِكاً زمام الوجدان فيعمل على إثارة العواطف وإيقاظ المشاعر حتى يشعر متلقوه بنفس شعوره ؛ بل إنه يسلك لذلك شتى المسالك الخيالية فيعتمد كثيراً على عناصر مادية تشمل الكون بما يحتوي عليه من مصادر طبيعية أو حيوانية أو بشرية فيستمد منها مادته التي يقدمها في صورة شعرية ، ومن ثمَّ يقدم لنا تلك الصورة الشعرية ويظهرها معتمداً على الأساليب المجازية من تشبيه ومجاز واستعارة وكناية فضلاً عن تجميل تلك الأساليب بمحسنات بديعية وموسيقى شعرية .

٥ . الموسيقى

تعدُّ موسيقى الشعر الخاصة البارزة فيه ، والعلامة الفارقة بينه وبين النثر ، وهي النغم الشجي الذي تصاغ فيه المعاني فيحيلها إلى نشيد عذب . وتتألف موسيقى الشعر عادة من البحر العروضي الذي صيغت عليه القصيدة ، ومن القافية التي تعد الركن الثاني من أركان النظم الشعري إلى درجة أن القصائد كانت تسمى بحروف قافيتها فيقال :

(١) عباس العقاد : مطالعات في الكتب والحياة ، د . ط (بيروت : منشورات المكتبة العصرية ، د . ت) ، ٢٤٢

(٢) جودت فخر الدين : شكل القصيدة العربية في النقد العربي ، الطبعة الثانية ، (بيروت : دار الحرف العربي ،

١٩٩٥م) ، ص ٢٥١ .

(٣) الأصول الفنية للأدب ، ص ٩٣ .

لامية الشنفرى وهمزية البوصيري . كما أن اختيار القافية وإيقاعها وحرفها المميز يمثل مستوى إبداعياً عالياً لدى الشاعر .

وإلى جانب تلك الموسيقى الخارجية ينبثق لنا من النص موسيقى داخلية وهي نغم خاص تمتاز به القصيدة بسبب نجاح الشاعر في اختيار المفردات وترتيبها وفق نسق خاص ، وما يتبع ذلك من حركات الإعراب والمد والإمالة والتفخيم ... الخ ومن الأمثلة على ذلك ظاهرة المد المتآزر مع حرف الهاء مما يوجد إيقاعاً داخلياً شجياً كما في قول محمود غنيم :

لي فيك _ يا ليل _ آهات أرددها أوّاه لو أجدت الحزون أوّاه ! ^(١)

ومن هنا يتضح لنا أن " للموسيقى دوراً كبيراً في إثارة العاطفة فمخارج الحروف وصفاتها وحركاتها وسكناتها ، تجعل للكلمة قوة موسيقية خاصة ورنيناً يطبعها بطابع متميز يؤثر في النفس ، هذا بالنسبة للكلمة المفردة ، أما الكلمات فهي إذا اجتمعت في عبارات معينة فإنها تكتسب جرساً موسيقياً آخر بالإضافة إلى ما امتازت به من موسيقى فردية ولذلك كله وقع على أذن السامع والقارئ ، فتهتز نفسه فرحاً أو أسى حسب الموقف الذي صورته الشاعر أو الأديب " ^(٢) .

ثالثاً : مصادر الصورة الفنية عند محمود غنيم :

إنّ دراسة الصورة الشعرية عند أي شاعر تتطلب الوقوف على المصادر التي استقى منها صوره وأخيلته ، وللصورة الفنية عند محمود غنيم عدة مصادر تستقي من معينها ، وتشكل من خلال جزئياتها ، ومن أبرزها :

- ١ . الطبيعة .
- ٢ . الإنسان .
- ٣ . الحيوان .
- ٤ . الثقافة .

وفيما يلي سنحاول الوقوف عند كل مصدر منها على حدة لنرى إلى أي حد استفاد

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٧٩ .

(٢) الأصول الفنية للأدب ، ص ٢٠ ، وتاليتها (بتصرف)

شاعرنا من تلك المصادر المتنوعة في تشكيل صورته الفنية في شعره بمختلف أغراضه :

١. الطبيعة :

تعدُّ الطبيعة بما تحتويه من نباتات وجمادات المصدر الأول لصور محمود غنيم ، ويبدو أنه رأى في كثير من مظاهر الطبيعة ما يشبع نفسه ويستوعب ظلال موهبته الشعرية وموضوعاته المختلفة . فراح يجول بنظره وعاطفته معاً في آفاق الطبيعة ؛ بل إنه _ رحمه الله _ كما تحدث عن أقمار السماء تحدث أيضاً عن أقمار الفضاء ولعله كان أكثر شعراء العصر الحديث اهتماماً بهذا الجانب . يقول في رحلة أبولو إلى سطح القمر :

ليهنك يا أبولو الانتصارُ بربك كيف طرت بهم وطاروا ؟
وكيف حملت ركبك في سلام فقرَّ بهم على القمر القرار ؟^(١)

وفي سياق عرضه التصويري لهذا الجانب ينفث الشاعر إلى متلقيه من خلال قصيدته دعوى إلى الخير وترك الحرب المدمرة التي ستعصف بجميع الأرض بما تحويه من طبيعة فريدة وخلابة :

تعالوا نبكر عهداً جديداً يعمُّ الخير فيه واليسار
تعالوا نبكر للحرب حلاً وإلاّ حاق بالأرض الدمار^(٢)

ولعل من أهم ما يتميز به غنيم وهو يتخذ من الطبيعة مسلكاً صالحاً إلى قلوب الناس التذكير بأن وراء تلك الطبيعة ووراء ذلك الكون ربّاً له في جميع ما خلق أسراراً عظام وهذا ما ختم به الشاعر قصيدته التي منها الأبيات السابقة حيث يقول :

وأن وراء هذا الكون ربّاً له في الكون أسرارٌ كبارُ^(٣)

ومن النسيم يجعل محمود غنيم رسولاً من الدهر إلى الزهر يُحمّله سر العبير فيقول :

مرّ النسيم على سطح الغدير ضحىً وماؤه مطبق الجفنين نعسان
فيم التّجعد إذ مرّ النسيم به ؟ سلوا الغدير ، سلوه : أهو غضبان ؟
إن النسيم رسول الدهر حمّله سر العبير وللأسرار كتمان^(٤)

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٧١١ وتاليتها .

(٢) السابق ، ص ٧١٢ .

(٣) السابق ، ص ٧١٢ .

(٤) السابق ، ص ٧١٨ .

وهو عندما يصف ذلك النسيم فإنما يتخذ منه قناة صالحة ليوصل إلى الأذهان نسيماً من نوع آخر إنه نسيم المحبين وما يجري بينهم من دعابات وأنات وأشجان ومراسلات يحملها ساع حثيث الخطا :

وكم رسالة حب جاء يحملها كالبرق وهو حثيث الخطو عجلان
رسالة حلوة الأنغام قرّ بها قلب الحبيب قراراً وهو حيران
قالوا : عليلٌ ، فقلنا : هل إليه سرى من المحبين أنات وأشجان ؟^(١)
ثم يجعل محمود من الربيع كتاب حب مقروء ويجعل من نوره وأزهاره عيوناً فاتكةً
كالسيف ، وكل قد به كالرمح ، وكل خد به تفاحة ، إنه يرى ظلال أوصاف أحبابه
الجميلة ما بين عيون وقد وخذ ونهد :

إن الربيع كتاب الحب نقرؤه الحب حاشية فيه وعنوان
فكل عين به كالسيف فاتكة وكل قد به كالرمح طعان
وكل خد به تفاحة نضجت وكل نهد حواه الصدر رمان^(٢)
وعلى الشاطئ يخاطب محمود غنيم البحر مخاطبة الإنسان متمنياً منه أن يغرق همومه في
بطون الحيتان :

يا بحر قد يئست نفسي الحياة على وتيرة فأرح نفسي من السأم
أغرقت فيك همومي ليتها وقعت في بطن حوت من الحيتان ملتهم^(٣)
وعندما يريد محمود غنيم أن يدعو الإنسان إلى التفكير في خلق نفسه أولاً ثم التفكير
والبحث في الكون ثانياً فإنه يلجأ إلى تشخيص السماء التي تبتسم من صناعة البشر وعلى
وجه الخصوص المراكب التي تسبح في الفضاء زاهية إلى سطح القمر فيقول :

لكأني بالسموات العلا باسمات الثغر من صنع البشر
ابحثو _ من أين جئتم _ أولاً ثم والوا البحث عن أهل القمر^(٤)

(١) المصدر السابق ، ص ٧١٨ .

(٢) السابق ، ص ٧١٩ .

(٣) السابق ، ص ٧٢١ .

(٤) السابق ، ص ٧٣٥ .

ومحمود غنيم شاعر من شعراء أدب الدعوة الإسلامية ولا غرو أن يتخذ من الطبيعة ومظاهرها المتنوعة ، وآيات الله الكثيرة في الأرض والسماء دعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة وأن يوقف الإنسان أمام نفسه الجاحمة وأن يذكره بأنه مهما تعلم ومهما سعى فإنه سيظل غافلاً عن كثير من أسرار الحياة والوجود وفي ذلك يقول :

سبحان من صور الدنيا فأبدعها !	فقل لربك _ رب العرش _ : سبحان !
آيات ربك تترى في الوجود ؛ فهل	للمرء عين ؟ وهل للمرء وجدان ؟
كل البقاع محاريبٌ له صُنعت	وكل ما تسمع الآذان قرآن !
في كل ظاهرة تبدو يلوح لنا	على جلاله ربُّ العرش برهان !
كم ذرة في فضاء الله سابحة	فيها : عوالمٌ لا تُحصى ، وأكوان !
فيم الصعود إلى الأفلاك نكشفها	والشمس تضحك والشَّعري وكيوان ؟
إن ابن آدم عن سُر الوجود ، وعن	سر الحياة ، وسر الموت غفلان
ضلَّ ابن آدم إذ رام الوصول إلى	نهاية الكون ! والإنسان إنسان ! ^(١)

ومن عجيب ما نراه في شعر محمود غنيم أنه جعل من الطبيعة صوراً شعرية جديدة تحمل الكثير من المعاني ذات الجدة والابتكار ، والشواهد من شعره على ذلك كثيرة إلى حد كبير ، ولكننا نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر قصيدة " زورقٌ في الفضاء " التي صور فيها الجو كالخيل يسرج ويمتطى ، كما صور أصحاب الزوارق الفضائية بأنهم زاحموا النون في البحار وزاحموا العقاب وتحذوه في الهواء فيقول :

أسرجوا الجو وامتطوه ركابا	ثم مروا فوق السحاب سحابا
زاحموا النون في البحار وراحوا	يتحدون في الهواء العقابا
ضيقوا رقعة البسيطة حتى	لم يعد يشتكي بنوها اغترابا ^(٢)

(١) المصدر السابق ، ص ٧٢٠.

(٢) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ١٢٤.

الإنسان _ ذكراً كان أو أنثى _ من المصادر الأساسية التي يستقي منها الشاعر صوره في أي عصر من العصور ، وشاعرنا كان من أحد الشعراء الذين قدّموا لنا كثيراً من صور الإنسان المختلفة والمتنوعة ، ومن تلك الصور صورة الإنسان وصراعه مع الحياة إما لتحقيق بعض أمانيه التي كثيراً ما يسعى إليها أو من أجل البقاء والاستمرار ، ومما قاله محمود في هذا الصدد :

ذوائب من بعد الظلام تضيءُ	لتعلن : أن الموت سوف يجيءُ
فيزداد في الإحسان من كان محسناً	ويقلع عن سوء الصنيع مسيءُ
ألا أيها الشيب الملم بلحيتي	لك الويل ! إني من سناك بريءُ ^(١)

فهو يرى في المشيب نذير الموت ويرى أن الموت جرس إنذار للمحسن ليزداد في إحسانه وللمسيء أن يقلع عن إساءته .

وأى صورة أروع من صورة الصراع الذي يعاينه غنيم وهو يرى أنه غريب بين قومه :

إلى من أشتكى يا رب ضيمي	أرى نفسي غريباً بين قومي !
فكم هتفوا بمحمود شكوكو	وما شعروا بمحمود غنيم ! ^(٢)

أما صراعه من أجل تحقيق أمانيه فتبدو فيها أيضاً روح الجماعة في تحقيق الأمانى بحثاً عنها بشتى الوسائل فهو لا يبحث عن أمانيه الفردية فحسب وإنما يحمل بين جنبيه هم العروبة وهم المسلمين عموماً ومما قال في هذا الجانب :

لهفي على الأحرار من	أهل العروبة والحرائر
سكن العراء رجالهم	ونسأؤهم بعد العمائر
يا لاجئين وجرحكم	متغلغل في القلب غائر
لا تئسوا يا قوم سو	ف تدق للنصر البشائر ^(٣)

ويتمثل صراعه من أجل البقاء في الحاجة إلى العيش فمن ذلك الصراع ما قد يلجئ بعض الناس إلى ما يغضب الشاعر كالجشع والطمع والاهتمام بالمادة ونسيان ما عداها ومن

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٧٥٨ .

(٢) السابق ، ص ٧٥٧ .

(٣) السابق ، ص ٦٨٧ .

الصور التي تمثل هذا الصراع المرفوض من قبل الناس قوله :

فلم تقع عيني على واحد	فتشت بين الناس عن زاهد
وأبعد الزهد عن الواحد	ما أزهد المرء إذا لم يجد
أو يفتخر بالسلف البائد	لا يُزه إنسان بآدابه
ما العاجز المعدم بالماجد	المجد : إما سطوة أو غنى
بقيمة الصادر والوارد ^(١)	فقيمة الشعب إذا قستها

وكثيراً ما يتناول شاعرنا في شعره صراع الإنسان مع أخيه الإنسان ويتجلى ذلك كثيراً في شعره الذي ندّد فيه بالاستعمار والمستعمرين ، ومن ذلك قوله مصوراً بسالة المصريين أمام العدوان الثلاثي :

وقى الله البسيطة من دمار وصان المشرقين من انفجار

إلى أن يقول :

كأن جيوشه رمل الصحظاري	وما أغنى عن الثالث جيش
يُصاب البحر منه بالدوار	ولا أغناه أسطولٌ عريض
وهم مثل النعامة في الفرار	أتوا كالأسد إقداماً وفروا
وعطّروهم دم الأسد الضواري ^(٢)	دم الذؤبان دّس أرض مصر

كما أن محمود غنيم شاعر إسلامي يؤلمه حال الأمة الإسلامية وما آلت إليه من ضعفٍ إلا أنه يُذكر المسلمين جميعاً بما يجب أن يكونوا عليه منه تلاحم وتعاقد وتعاون فهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر :

إني تذكرت والذكرى مؤرقة مجداً تليداً بأيدينا أضعناه

إلى أن يقول :

شكا فرددت الأهرام شكواه	كم بالعراق وكم بالهند ذو شجن
ومسنا نحن في الآلام أشباه ^(٣)	بني العمومة إنَّ القرع مسكمو

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٧٧

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٤٢.

(٣) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٧٩.

ولن تجد صورة للصراع كما تجدها بين اليأس والأمل في نفس محمود غنيم الذي يقدم لنا صورة واضحة من صور الصراع داخل النفس الإنسانية الواحدة . وكما يقول علماء النفس : " إنَّ الألم يفجر العبقريّة " ^(١) فإننا نراه إذا تذكّر ذنبه تملك اليأس قلبه فما يُذهبه إلا تذكّره بأن هناك ربًّا رحيماً بعباده تُكسّر رحمته جدار اليأس وقضبانه فتتشل من داخله القلب ليراود بصيص الأمل في الحياة والناس ، يقول :

إذا تذكّرت ذنبي تملك اليأس قلبي
ويُذهب اليأس عني ذكرى لرحمة ربي ^(٢)

٣. الحيوان :

كثرت صور محمود غنيم التي تدور حول الحيوان الطائر منه والسائر ويبدو لي أنه رأى في بعض مظاهر الطيور والسباع على وجه الخصوص ما يشبع نفسه التي تأبى الخنوع وحياة الذل والهوان وتعشق السمو في كل شيء ومن ذلك قوله في قصيدة استعطاف موجهة إلى سمو الأمير : زايد بن سلطان حاكم الإمارات بشأن قضية الأمير محمد بن صقر القاسمي الذي جعل اسمه (صقر) رمزاً للصقر الحر الذي يأبى الاستسلام و الذلة فكان اسماً على مسمى :

لو طأطأ الرأسَ صقرٌ عاش في دعة ولم يعيش في فجّاج الأرض مغتربا
ما دار في فلك المحتلِّ إمعةً بل كان يقضي ، ولا يقضي له أربا
ما كان شاهاً بشطرُنج تحرّكه كف الدّخيل كما شاءت إذا لعبا
كانت جريرته أن سيم في نفر من قومه ذلةً ، فاستسلموا ، وأبى ^(٣)
ويرى محمود غنيم أن الإسلام أصبح كالطير المقصوص الجناحين نظراً لما آل إليه حال المسلمين فيقول :

(١) عدنان الرشيد ، " مفهوم الجمال في الفن والأدب " ، كتاب الرياض ، العدد مائة وواحد ، إبريل ٢٠٠٢ م ،

ص ٨ .

(٢) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٧٥٨ .

(٣) السابق ، ص ٨٦٦ .

أتى اتجهت إلى الإسلام في بلد تجده كالطير مقصوباً جناحاه ^(١)

وقد اتخذ محمود غنيم من الحيوان على اختلاف نوعه وتنوع سلوكه وأنماط حياته صوراً حية حاول أن يخاطب من خلالها ضمير الإنسان آخذاً بيده إلى التفكير في جميع أنماط سلوكه الحيوية فنراه مرة يخاطب ديكاً وأخرى ذئباً ومرات يقدم لنا صوراً من أقاصيص على ألسنة الحيوان فيها من الحكم والعبر الشيء الكثير . ومن ذلك قوله مخاطباً ديك الصباح :

قلت يوماً للديك ساعة صباحا هل تغني لنا نشيد الصباح ؟

قال : لا بل نعت يوماً راحا ومحاه من صفحة العمر ماح ^(٢)

ولم تقف صور الشاعر عند هذا الحد ، بل تعددت ذلك إلى الرمز بالحيوان أو الطائر . ومن ذلك صورة الضفدعة المغرورة التي أ كبرت شكل الثور فما كان منها إلا أن تصبّ ماء الغدير في جوفها الصغير علّها تصل حجماً كحجم الثور أو يزيد :

وانطلقت تجري إلى الغدير تفرغه في جوفها الصغير

لعلها تبلغ ما تريد حجماً كحجم الثور أو يزيد

فما احتست كوباً ولا إبريقا بل مزقت أحشاءها تمزيقا

فأنشدت ضفادع الغدير: هذا جزاء الجاهل المغرور !

كم طالب بجهله ما ليس له أضاع وقته وأدى أجله ^(٣)

وأصبح بيت محمود غنيم الأخير حكمة تتناقلها الأجيال قي كل وقت وحين رمزاً للمغرور الذي يطلب في حياته ما ليس أهلاً له :

كم طالب بجهله ما ليس له أضاع وقته وأدى أجله !

وهناك أيضاً صورة القائد الغبي الجاهل الذي يسعى بقومه إلى هلاك بعد هلاك ، دون أمل في النجاة :

شاهدت في الغاب قطعاناً من البقر عيونها كعيون الغيد في الحور

يقودها الدُّبُّ لا كانت قيادته إلى المخاطر باسم الماء والثمر

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٧٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٨٤ .

(٣) السابق ، ص ٢٨٥ .

فضلت السبل . ما من حفرة نهضت
 حتى اثني الركب : لا ري ولا شع
 آمنت بالله ! كم بين الوري نفر
 أمسى يقودهم دب من البشر^(١)
 ولعلك بقراءتك البيت الأخير من الأبيات السابقة ترى أن غنيماً كشف الرمز الذي قدمه
 في سابق الأبيات ليضعك أمام الصورة المطابقة لتلك الصورة القيادية بين أسراب البقر
 وأحزاب البشر !

وشاعرنا غنيم يحوم ويحوم ثم يعود إلى غصنه وأصله الإيمان الرحب فيرى في حمائم الحرم
 رؤية الحسان المتنسكات في الحرم الشريف فيقول :

حيّ حمائم الحرم بالبيت سربها اعتصم
 سرب من الآرام ما حواه بان أو علم
 من كل خود كسنا الصب ح إذا الصبح ابتسم^(٢)

وأخيراً نقف مع صفاء النفس التي تتجه إلى بارئها وتسأله السعادة للعموم بل وتسأله
 سلاماً يعيش فيه القوي مع الضعيف والشجاع مع الخائف فيقول :
 إلى الله اتجهت بكل قلبي وأسأله السعادة للعموم
 إلى أن يقول :

سألت الله للدنيا سلاماً يعيش الليث فيه مع الظليم^(٣)

٤ . الثقافة :

عندما نمعن النظر في شعر محمود غنيم نجد أن هناك مصادر ثقافية متنوعة كان لها
 الأثر الكبير والفعال في تشكيل صورته الشعرية . ويمكننا أن نحدد تلك المصادر الثقافية في :

- ١ . القرآن الكريم .
- ٢ . الحديث الشريف .
- ٣ . التاريخ الإسلامي .
- ٤ . تراثنا الأدبي الكبير .

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٦١١ .

(٢) الأعمال الكاملة ، رجوع الصدى ، ص ٧٥١ .

(٣) السابق ، ص ٧٥٦ .

٥. الحاضر الثقافي والأحداث المعاصرة .

وفيما يلي سنحاول الوقوف عند غيض من فيض من الشواهد والنماذج الشعرية لكل مصدر من المصادر السابقة .

١. القرآن الكريم .

يأتي القرآن الكريم في مقدمة المصادر التي أثرت الصورة الشعرية لدى محمود غنيم من حيث الوفرة والعمق .

والقرآن الكريم كما هو معروف " كتاب ديني بالدرجة الأولى ، ولكن الهدف الديني والتربوي فيه لا يظهر عاريا مباشرا بل يلبس صورة فنية في أغلب الأحيان ، وإنك لا تعدم التصوير فيه حتى في التعبير الحقيقي الذي لا تجده يندرج تحت الأنماط البلاغية المعروفة " ^(١) وهذا يدل على أن الصورة القرآنية ملازمة للتعبير القرآني وذلك ما أكدته سد قطب حين قال : " إن التصوير هو الأداة المفضلة في القرآن " ^(٢) .

والشاعر محمود غنيم استطاع أن يتعامل مع تلك الصور القرآنية ويتفاعل معها بكل فن واقتدار فهو لم يكن همه النقل الحرفي لها على سبيل الاقتباس وإنما أسبغ عليها كثيرا من شاعريته المتدفقة . وقد تنوعت طرائقه في التعامل مع الصور القرآنية وتباينت أشكالها فتارة يميل إلى استخدام بعض المفردات القرآنية التي تشع بالحركة والحيوية لتدل على معانيها الموضوعة لها كما في استخدامه لكلمة " يتوارى " في قوله :

ويح العروبة كان الكون مسرحها فأصبحت تتوارى في زواياه ^(٣)

وكلمة " عبس " في قوله :

(١) شلتاغ عبود شراد : أثر القرآن الكريم في الشعر العربي الحديث ، الطبعة الأولى ، (دار المعرفة ، ١٤٠٨هـ —

١٩٨٧م) ، ص ١٠٩ وتاليتها .

(٢) سيد قطب : التصوير الفني في القرآن ، الطبعة الثامنة ، (دار الشروق ، ١٤٠٣هـ — ١٩٨٣م) ص ٣٧ .

(٣) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٧٩ .

عَبَسَ الْوُجُودَ فَكَانَ نَوْرُكَ بِسَمَةِ بَقَمِ الْوُجُودِ ^(١)
ويظهر استخدام محمود غنيم لكثير من التراكيب القرآنية ذات الصور الرائعة وهي في شعره كثيرة جداً منها على سبيل المثال قوله :

واستشهدوا الرحمن فيه عليكمو وكفى بربك شاهداً وحسيا ^(٢)

فقد أخذها من قوله تعالى : (وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا) ^(٣) .

وقوله مصوراً تأثر المسلمين بجراح بعضهم بعضاً :

بني العمومة إن القرح مسكمو ومسنا نحن في الآلام أشباه ! ^(٤)

أخذها من قوله تعالى : (إِذْ يُنَسِّسُكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ) ^(٥) .

وسأتركك أخيراً تقف مع هذه الأبيات لترى بنفسك مدى تأثر محمود غنيم بالقرآن الكريم حيث يقول :

من لي بالعرافين أسألهم	عنها وبالنفاثات في العقد ؟
أسأت بالأصدقاء كلهمو	ظني ؛ ففتشتهم ، فلم أجد
شتان بيني وبين لاقطها :	بات قريراً وبت في كمد
ليت الذي طوّقت بها يده	في جيده حبلٌ شُدَّ من مسد ! ^(٦)

فالصورة في البيت الأخير مأخوذة من قوله تعالى (فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ) ^(٧) .

وقد يوظف غنيم في شعره الصورة القرآنية ضمناً كما في قوله وهو يصف بياض الرغبة:
عجبي عليه كأن موسى دسّه في جيبه فايض بعد سواده ^(٨)

(١) السابق ، ص ٥٢ .

(٢) السابق ، ص ٣٧ .

(٣) سورة الأحزاب ، آية ٣٩ .

(٤) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٧٩ .

(٥) سورة آل عمران ، آية ١٤٠ .

(٦) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٢٥٢ .

(٧) سورة المسد ، آية ٥ .

(٨) السابق ، ص ٢٨١ .

أخذها من قوله تعالى مخاطباً موسى عليه السلام : (وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ يَيْضَاءً مَرَّةً غَيْرَ سَوْءٍ) (١) .

وأما الاقتباس شكلاً ومضموناً من التصوير القرآني فيظهر جلياً في مثل قوله :
"أجادير هل حان يوم النشور" "وزلزلت الأرض زلزهاً"
وهل بعث الله من في القبور "وأخرجت الأرض أثقالها" (٢)

ولاحاجة بنا إلى تذكير القارئ بقوله تعالى : (إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ، وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا) (٣)

٢. الحديث النبوي الشريف .

ويأتي تأثر محمود غنيم في صوره الشعرية بالحديث النبوي الشريف في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم . وليس أدل على ذلك من قوله :

كم بالعراق وكم بالهند ذو شجن شكا فرددت الأهرام شكواه (٤)
فهذه الصورة التي تقدّم المسلمين متكاتفين متعاضدين كالبنيان المرصوص مستوحاة من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، ثم شبك بين أصابعه " (٥) .

٣. التاريخ الإسلامي .

تأثرت الصورة عند غنيم بالتاريخ الإسلامي الحافل خاصة فيما يتصل بالموضوعات ذات الصلة العميقة بالرسالة الإسلامية وتاريخها المشرق ورجالها العظماء .

(١) سورة النمل ، آية ١٢ .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٥٩ .

(٣) سورة الزلزلة ، آية ١، ٢ .

(٤) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٧٩ .

(٥) العسقلاني ، الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر : فتح الباري ، أخرجه : محب الدين الخطيب ، (المطبعة السلفية) ، ١٠/٤٥٠ .

ومن الأمثلة على ذلك قصيدته " ذكرى محمد " في المولد النبوي مدح بها الرسول الكريم وتناول سيرته العطرة من مولده إلى بعثته ونشره للعدل والمساواة ومما قاله في ذلك :

هزّ الوجود بكفه في مهده طفل يتيم من كنانة عاف
جادت به الفلوات أصفى طينة وطويةً من جوّهن الصافي^(١)

ويقول في عمر بن الخطاب _ رضي الله عنه _ :

راغبٌ في الله عفٌّ عن سواه ما سبت عينيه زيناتُ الحياه
لا ، ولا اعتزّ بسُلطانٍ وجاه عمر الفاروق ! حدث عن عمر
موئل العدل ، إمام الزاهدين^(٢)

كما أن غنيماً حاول أن يحيي في نفوس أبناء الأمة حب القيادة والجهاد الإسلامي فلم يجد أروع من صورة القائد العظيم خالد بن الوليد يقول فيه :

خالدٌ في كل عصر خالدٌ ذكره لحنٌ على كل لسان
قائدٌ لم يدن منه قائدٌ سابقَ النجم اسمه في الدّوران
هو سيف الله ، فخرُ العرب^(٣)

كما يحاول غنيم أن يذكر روح المجد والبطولة في نفوس شباب الإسلام وذلك بتذكيرهم بأشهر الوقائع التاريخية التي سجل فيها المسلمون نصراً مؤزراً على أعدائهم ومن ذلك قوله :

في " عين جالوت " غضبنا غضبة كشفت عن الشرق البلاء المحدقا
" حطين " تشهد أننا عربٌ ، إذا فرّق الأسود من الردى ، لن نفرقا^(٤)

وفي تصويره للشريعة الإسلامية يعرض لدورها الكبير في بناء الحضارة والإنسان في كل زمان :

شرعةٌ ، ظللت بأدواحها مَنْ حلّ بيداً ، أو حلّ قصرًا مشيدا
كلما مرّت العهودُ عليها أثبتت أنها تجاري العهودا

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٨٧.

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٤٠.

(٣) السابق ، ص ٤٠٧.

(٤) السابق ، ص ٣١٤.

الحضاراتُ — منذ قامت على الأر ض — تفيّأَن ظلّها الممدودا^(١)

٤. تراثنا الشعري الكبير .

تمثل محمود غنيم تراثنا الأدبي والشعري الضخم في عصور قوته وازدهاره فاستعرض معظم صوره واستوحى منها وتأثر بها التأثير المقبول والمحمود الذي يحسب له في هذا المضمار لا عليه . و تلك الصور المستمدة من تراثنا الشعري الخالد في شعر شاعرنا كثيرة ومنها على سبيل المثال لا الحصر : صورة الأسد وما توحى به من قوة وشجاعة وهيمنة ففوة الحق عنده بما تحمله من معانٍ كقوة الليث الكاسر :

ويدبُّ في الصحراء ليثاً كاسراً ويغوص تحت الماء كالتمساح^(٢)

وصورة السيف وما تشع به من معاني القوة والعزة والمجد استوحاها الشاعر في مواضع عديدة فهذا سيف خالد بن الوليد مخضب بدماء الأعداء :

عرف القيصرُ سيفَ ابنِ الوليد وهو رب التاج رب الصولجان

سائلوا اليرموك كم شاب وليد من بني الروم وكم فرّ جبان

فرعاً من سيفه المختضب ؟^(٣)

وتلك الصور التراثية التي وظفها في سياق شعره إنما يريد منها استمالة نفوس أبناء الأمة إلى المجد ومعالي الأمور ويوقظهم من سباتهم وخنوعهم إلى ميدان الحركة والنشاط . ويُحيي محمود غنيم علمه الذي يرفرف كالطير على متن الهواء قائلاً :

رفّ كالطير على متن الهواء وتحدّى نجمه نجوم السماء

يا لواء العرب يا نهم اللواء نحن من حولك جنداً أوفياء^(٤)

فهذه الصورة مستوحاة من صورة رفرقة الطير وما توحى به من علو و رفعة .

وبطل الجلاء تسقي ضريحه ديمة هاطلٍ وكّاف :

بطل الجلاء سقت ضريحك ديمة تسقي الرياض بهاطلٍ وكّاف^(٥)

(١) المصدر السابق ، ص ٣٩٤ وتاليتها .

(٢) السابق ، ص ٤٣٤ .

(٣) السابق ، ص ٤٠٧ .

(٤) السابق ، ص ٤٢٥ .

(٥) السابق ، ص ٤٣٤ .

ويتضح لنا مما سبق أن تأثر غنيم بالتراث يأتي من خلال ما اكتسبه من تلك الخبرات التي شكلت صورته ، أو من خلال ما أقامه من علاقات تقابل بين واقعه الحاضر وماضيه المشرق وهذا ما يعرف بالمفارقة التصويرية .

٥ . الثقافة والأحداث المعاصرة .

كان شاعرنا مثقفاً ثقافة واسعة استطاع أن يوظفها في صورته أحسن تمثيل وخير ما يمثل ذلك هذه الأبيات التالية التي استمد صورته فيها من ثقافته الدينية واللغوية والتاريخية معاً ، يقول :

لما رأيت النيل عباً جيشه	أتبعته التكبير والتهليلاً
وذكرت ركن الدين في حملاته	إذ كان يحدو الجيش والأسطولا
فلطالما دكّ القلاع بعزمه	ولطالما ردّ الجيوش فلولا ^(١)

أما الأحداث المعاصرة لمحمود غنيم فلا تقل أهمية عن ثقافته في تكوين صورته الفنية والنماذج على ذلك تترى . فنراه يستمد صورته من الحروب والغارات التي وقعت في عصره . ومن ذلك قوله في وصف الحروب وأثرها :

غولٌ تغول الطفل من يد أمه	بسعارها والكاعب الرعبوبا
هوجاءُ ، تذرو الدّوح عند هبوبها	وتُخلف البرج الأشمّ كشيئا
لا يرتدي الأكفان في ساحاتها	ميتٌ نضاً برد الشباب قشيبا ^(٢)

وقد يستمدّها من مجتمعه الذي يعيش فيه كقوله ثائراً على الحضارة الزائفة التي طغت على كل جميل وكادت تزيل ما هو قديم :

ابنُ الحضارة جسمٌ دون عاطفة	يكاد يحسبه رائيه تمثالا
وبرقها خلّب ، يغريك بارقة	حتى إذا شمتُهُ ، ألفيته آلا ^(٣)

ولا ينسى الشاعر أن يستمد صورته من معجزة بناء السد العالي آنذاك انظر إليه وهو يخاطبه على طريقة التشخيص :

(١) المصدر السابق ، ص ٣٧٤ .

(٢) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٣٤ .

(٣) السابق ، ص ٧٥ .

أيها السدُّ ، ما عهدناك إلّا مصدر اليُمن ، مصدر البركات ^(١)
وكانت أحداث فلسطين العظام مرتعا خصبا للشاعر يستمد منها صوره وأخيلته ، ومن
ذلك قصيدته المشهورة " أخت عمورية " التي يستنهض فيها همم المسلمين ومما جاء فيها
قوله :

يا أخت "عمورية" لبيك قد دقت حمائك للحروب طبولا
ناديت " معتصما " ؛ فكان غيائه جيشاً شروباً للدماء ، أكلوا ^(٢)
ثم يصور ما ارتكبته إسرائيل من أبشع صور الذل والهوان في فلسطين الصامدة ويتوعددهم
بالردوالتكال :

لن يغفر العربُ الأباةُ لغادر هتك الحرائر والدم المظلولا
إنا لقوم ليس يُمحي عارهم حتى يُرى بدمائهم مغسولا
إنا جعلنا أرضنا للمعتدي قبرا ، وظلا للتريل ظليلا ^(٣)
والحديث عن تأثر غنيم بالأحداث المعاصرة واسع جداً ولكن حسبنا من القلادة ما أحاط
بالعنق .

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٧٦٩ .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٣٧٣ .

(٣) السابق ، ص ٣٧٣ .

رابعاً : أنماط الصورة الفنية عند محمود غنيم :

يعد الشاعر محمود غنيم كما قال عنه د/ مختار الوكيل : " من ذلك الرعيل الذي أشرب حب الشعر العربي الجزل الأصيل بدياجته الرائعة وصوره الدافئة ومعانيه المتألقة وأخيلته المجنحة وهو إلى ذلك شاعرٌ مصريٌّ أصيلٌ عذب البيان سلس العبارة ، موسيقي اللفظ ، عميق النظرة ، صافي التأمل ، هادئ النفس ، مولعٌ بالريف المصري ؛ ومتفان في حب أهله ... " (١) .

ونحن بدورنا وقد طوفنا مع الشاعر في كثير من قصائده ودواوينه واستجلاء لقول الدكتور مختار الوكيل السابق يمكننا تحديد الأنماط الفنية التي كان غنيمٌ يعتمد عليها في تقديم أفكاره وتصوير تجاربه ، لاسيما إذا عرفنا أنه كان من شعراء المدرسة المحافظة التي أعادت إلى الشعر العربي نضارته ، دون إخلال بتقاليده الفنية المتوارثة ، ومع هذا فإن شاعرنا لم يقف مكتوف اليدين أمام تيارات التجديد من رمزية وأسطورية وقصصية فقد كان من رواد المسرح الشعري بعد شوقي .

لقد " اقترب غنيم من الجمعيات الأدبية المعنية بأمور الشعر منذ ثلاثينات هذا القرن ؛ مثل مدرسة البعث ، والديوان ، وجماعة أبولو ، وجماعة أدباء العروبة ، ورابطة الأدب الحديث ، وغيرها . وقد اتخذ موقفاً مستقلاً من هذه الاتجاهات ؛ يعتمد على رؤيته الخاصة في أهمية التجديد ، وتطوير الشعر التقليدي لمقتضيات العصر والأفكار الجديدة في إطارٍ في المحافظة على الشكل الذي عرف به " (٢) .

وعند محاولتنا تتبع الصور التي رسمها محمود غنيم في قصائده والتي تشهد على قدرته في المواءمة بين فكره وعاطفته وخياله نجده يحاول استغلال ما يتضمنه اصطلاح

(١) الأعمال الكاملة ، ص ٩١٠ .

(٢) السابق ، ص ٥ .

الصورة الشعرية من " الطرق الممكنة لصناعة نوع التعبير الذي يُرى عليه الشيء مشابهاً أو مستفهماً مع آخر ويمكن أن يتركز ذلك في ثلاثة أصناف هي التشبيه والمجاز والرمز" ^(١) .
وبهذا نستطيع أن نؤطر الصورة الفنية الشعرية لدى محمود غنيم في الأنماط الثلاثة السابقة وهي :

١ - التشبيه .

٢ - المجاز .

٣ - الرمز .

١ - التشبيه :

التشبيه " علاقة مقارنة تجمع بين طرفين ، لاتحادهما أو اشتراكهما في صفة أو حالة ، أو مجموعة من الصفات والأحوال " ^(٢) .

ولا يخفى على أحد ما للتشبيه وقيمته الفنية من دور كبير فهو يجسد ويشخص في صورة حسية الأفكار المجردة والمعاني المعنوية . فتمثلها من خلاله وكأنها موجودة أمامنا ندركها بجواسنا ، فيكون لتلك الصور الحسية الأثر الكبير في النفس ، يقول ابن الأثير في ذلك : " وأما فائدة التشبيه من الكلام فهي أنك إذا مثلت الشيء بالشيء فإنما تقصد به إثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به أو بمعناه ، وذلك أوكد في طرفي الترغيب فيه ، أو التنفير عنه " ^(٣) .

-
- (١) عبد الفتاح صالح نافع : الصورة في شعر بشار بن برد ، د . ط (عمان : دار الفكر للنشر والتوزيع ، ١٩٨٣ م) ص ٧٨ .
- (٢) جابر عصفور : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، الطبعة الثالثة ، (بيروت : المركز الثقافي العربي ، ١٩٩٢ م) ص ١٧٢ .
- (٣) المثل السائر : ١/٣٧٨ .

والشاعر محمود غنيم أدرك بفطرته العربية وموهبته الشعرية ذلك الأثر العميق الذي يحدثه التشبيه في نفس المتلقي فوظفه في قصائده لاعلى سبيل التكلف ؛ بل بعفوية مطلقة حتى إننا لنجد الكثير من قصائده إن لم تكن جميعها حافلة بهذا الفن التصويري الرائع مما يستوجب بحثاً مستقلاً ولكن يكفينا في بحثنا هذا إيراد شواهد معدودة للغوص فيما تحمله من صور فنية رائعة جعلت المعاني تتراقص على فنن بحوره وقوافيه الشعرية .

انظر إلى براعته في الوصف ودقته البالغة في تصوير الحركة السريعة لإحدى

الراقصات في قصيدته (راقصة) ^(١) ، حيث يقول :

مقبلــــــــــــــــةٌ مدبــــــــــــــــرةٌ	مائــــــــــــــــلةٌ معتدــــــــــــــــلةٌ
كأن تحت أخمصــــــــــــــــيــــــــــــــــة	(م) هــــــــــــــــا جمرَةٌ مشتعلــــــــــــــــة
باســــــــــــــــمةٌ يحسبــــــــــــــــها	كل فتى تبسم لــــــــــــــــه
تدور حول نفسها	كما تدور العجلــــــــــــــــة
وتثني كأنــــــــــــــــهم	عن نفسها منذهلــــــــــــــــة
أبدلها خالقــــــــــــــــهم	بكل عظم عضلــــــــــــــــة
ياحسنها إذ عركــــــــــــــــت	أنملة بأنملــــــــــــــــة
أناملٌ من فضــــــــــــــــة	لينة مُنفتلــــــــــــــــة
جميعُ ما في جسمــــــــــــــــها	يغريك أن تقبلــــــــــــــــة
والسحر كل السحر في الــــــــــــــــ	(م) أنوثة المكتملــــــــــــــــة
من ترمه بلحظــــــــــــــــها	أدنت إليه أجــــــــــــــــله
كم ارتقت مسرحــــــــــــــــها	فصيرته مقصــــــــــــــــله

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ١٥٠ .

فهذه الراقصة وهي ترقصُ على خشبة المسرح تبدو في آن واحد مقبلةً مدبرةً مائلةً معتدلةً واقفةً على مشطي قدميها . وعندما أراد الشاعر أن يجسد هذه الصورة التي التقطها بعين بارعة ربما تغيب على أذهان الآخرين قدم هذه الصورة السريعة من خلال التشبيه حيث شبه وقفها الفنية تلك وكأن تحت باطن قدمها جمرَةً مشتعلة تجعلها تتحاشى وصول باطن القدمين إليها ولعل هذه الصورة التشبيهية الرائعة من الصور الفنية التي لم يسبق إليها . كما يشبهها وهي تدور حول نفسها بدوران العجلة ولعلك تلمس معي ما لهذا التشبيه من دور كبير في تجسيد خفة الراقصة ورشاقتها . وقد ساعده على هذا التجسيد تلك الصورة المبتكرة التي قدمها في قوله :

أبدلها خالقها _____ بكل عظم عضله _____

وذلك لما تتميز به العضلة من قدرة على الثني والالتواء على عكس العظم الذي يتسم بالصلابة . أما أنامل تلك الراقصة البيضاء اللينة المنفتلة فليس أوضح في تقديمها من صورة الفضة البيضاء اللامعة المتلدنة حيث يقول :

ياحسنها إذ عركت _____ أنملةً بأنملة _____
أنامل من فضة _____ لينة منفتلة _____

إلا أن هذا التصوير لم يثن محمود غنيم عن تقديم بعض الصور بشكل تقريرى إذ رأى في ذلك التقرير ما يغني عن التصوير ، كما في قوله :

جميع ما في جسمه _____ يغريك أن تقبل _____
والسحر كل السحر في الـ _____ (م) أنوثة المكتمل _____

وفي قصيدته (مبايعة الفاروق) ^(١) يقدم لنا عظمة الملك فاروق عند توليه العرش فلا يجد أبلغ في التصوير من فن التشبيه ليقدم لنا في صورة حسية جلال الطلعة وهيبة العظمة وخشوع الرعية وهيمنة الملك وكل هذه المعاني يعرضها لنا من خلال قوله :

النيل تحملُ سبط إسماعيل _____ أرأيت نيلاً جاء يحمل نيلاً ؟
لو كانت الأملاك تحدو مركبها _____ لرأيت بين حُداها جبريل _____

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ٢٠٣ .

سارت فغض البحر من غلوائه
هبت عواصفه فكن حياله
مالاطمت أمواجه جنباته
لو أن زاحفة تفوه، لكبرت
ياجر فوقك درة هيهات أن
تلقى لها فيما حوت مثيلاً

والحقيقة أن محمود غنيم في الأبيات السابقة راوح بين صور فنية متنوعة ما بين تشبيه واستعارة ، وله الحق كل الحق في ذلك فالرجل يحتشد ليقدم لنا صورة معادلة للملك فاروق فلا يجد معادلاً مكافئاً إلا البحر الذي خفف من كبريائه ليمشي كما يمشي الجواد ذلولاً في يد فارسه ليكون رهواً أمام الملك وتصبح عواصفه العاتية نسيماً عالياً ، وأمواجه تقبل جنباته ، وحيثانه تكبر وتهلل ، كل ذلك لأن البحر يحمل فوقه درةً ثمينة هي (الفاروق) ليس لها مثيل فيما يحويه . ولو تتبعنا صور محمود غنيم التشبيهية في هذه القصيدة على وجه الخصوص لتبين لنا أن ممدوح الشاعر مثل عال لا يضاهيه مثال ولا يشابهه مشابه ، وها هو يخاطبه قائلاً :

قد كان ذو القرنين مثلك يافعاً
هيهات أنت أجل منه حضارةً
وأراكما تتشاهمان ميلاً
وأعز أوطانا وأكرم جيلاً^(١)

وعندما يحس محمود غنيم أنه قد أسرف في مثل هذه الصور لممدوحه فإنه يحاول تخفيف وطأتها على متلقيه بمثل قوله وهو يسند عظمة ممدوحه وجلال قدره إلى عناية الله التي حققت في الملك الفاروق العهد المأمول والأمل المنشود فيقول :

فاروق تلك عناية الله التي
قد حققت في عهدك المأمول
إن الكنانة ظنت استقلالها
حلماً فكنت لحلمها تأويل^(٢)

(١) المصدر السابق ، ص ٢٠٥ .

(٢) السابق ، ص ٢٠٥ .

ونختم حديثنا عن فن التشبيه وبراعة محمود غنيم فيه بمقطوعة من قصيدة له في الربيع بعنوان (نيسان) حيث اخترنا منها هذه اللوحة الفنية الجميلة التي تتأزر فيها ظلال الكلمة وإيقاعاتها مع فن التشبيه لتخرج لنا لوحة نراها رأى العين ونحن نقرأ أبيات هذه المقطوعة التي يقول فيها ^(١) :

إنَّ الربيع كتابُ الحب نقـــــرؤه	الحب حاشية فيه ، وعنـــــوان
فكلُّ عين به كالسيف فاتكـــــة	وكل قد به كالرمح طعـــــان
وكل خد به تفاحةٌ نضجـــــت	وكل نهد حواه الصدر رمـــــان
رجعت فيه إلى الدنيا ، أسائلها :	هل غيرت أهلها أم هُم كما كانوا ؟
ما أخطأت مقلةً فيه لها هدفـــــا	إن صوبت سهمها ، والسهمُ حرنان
صيدُ القلوب - كصيد الطير - معركة	لها : سهام ، وأقواس ، وأزمنـــــان
بين الظباء وأسد الغاب دائـــــرة	سلاحها : أعين وسنى ، وأجفـــــان
كم في الربيع لها فوق الشواطىء ، أو	تحت الظلال - ظلال الدوح - ميدان
تبسم البحر من بعد العبوس ؛ فهل	للبحر - أيضاً - مسرات ، وأحزان

إنها صورة متماسكة غنية بالحركة واللون والموسيقى فالربيعُ كتاب حب مقروء عنوانه وحاشيته الحب، والعيون كالسيف تأثيراً وفتكا ، والقُدود كالرماح الطعانة ، والحدود كالتفاح الناضج والنهود كالرمان . وكل هذه الصور التشبيهية مجتمعة في جسم حبيب له عينٌ ذات مقلة نظرتها كالسهم لا تخطي صواباً لتجعل صيد القلوب كصيد الطير إذ العيون سفراء القلوب مما يجعل بين الظباء (النساء الجميلات) وأسد الغاب (العاشقين من الرجال) حرباً دائرة ليس سلاحها من الأسلحة المتعارف عليها بين الناس ، وإنما سلاحها من نوع خاص يتمثل في الأعين الوسنى ، والأجفان الناعسة الحركة للمشاعر . وكل جزئيات الصورة الفنية السابقة تجتمع في ميدان واحد وهو ظلال الدوح مما يجعل البحر في صورة الإنسان الذي يحمل المشاعر والأحاسيس يتبسم من بعد العبوس حتى كأنه

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٧١٩ .

يشارك الإنسان مسراته وأحزانه .

وما كانت هذه الصورة الجميلة لتأتى لولا قدرة الشاعر البيانية وموهبته الشعرية التي جعلت من الكلمات والتراكيب والصور الجزئية والكلية لوحةً حيّة نقلها محمود غنيم إلى متلقيه في صورة فنية تكاد أن تكون أجمل مما هي عليه في الواقع .

٢ - المجاز :

عندما يحاول الشاعر أن ينقل معاني وأفكاراً إلى الملتقي ، فإنه يرى أن اللغة في استعمالها على وجه الحقيقة لا تفي بغرضه ولا بهدفه الذي يرمي إليه . ومن ثم يصير لزاماً عليه أن يتجاوز وينتقل بدلالات ألفاظ اللغة وتراكيبها إلى ماهو أبعد صورة وأبلغ بياناً ، وأحسن موقعاً في القلوب والأسماع ، وليس يتأتى ذلك إلا عن طريق المجاز بكل أنواعه وصوره . من هنا " فإن دراسة العملية المجازية لا تتناول الألفاظ كمفردات مثبتة في المعجم ، وإنما كعناصر متداخلة في تركيب لغوي مفيد . وفي إطار هذا التركيب ، نُظر إلى الكلام على أنه في وجهين " ^(١) . وقد تنبه علماء البلاغة الأوائل أمثال عبد القاهر الجرجاني إلى هذه العملية المجازية فقال : " الكلام على ضربين : ضربٌ أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ، ... وضربٌ آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ، ولكن يَدُلُّ اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض ومدارُ هذا الأمر على " الكناية " و " الاستعارة " و " التمثيل " " ^(٢) ، مما يعني أن الشعر العربي يُعْص بالكثير من طرق المجاز التي تطلق حرية الشاعر ، وتزيد من قدرته على التحليق في أجواء خيالية واسعة .

(١) صبحي البستاني : الصورة الشعرية في الكتابة الفنية الأصول والفروع ، الطبعة الأولى ، (بيروت -

لبنان : دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر ، ١٩٨٦ م) ص ٦٠ .

(٢) دلائل الإعجاز ، ص ٢٦٢ .

ومن هنا ينبغي أن تكون نظرة الناقد إلى العمل الشعري متسمة بسعة الأفق ،
وذلك لأن " الشاعر لا يجب أن يؤخذ عليه في كلامه التحقيق أو التحديد ، فإن ذلك متى
اعتبر في الشعر بطل جميعه ، وكلام القوم مبني على التجوز والتوسع والإشارات الخفية ،
والإيماء على المعاني تارة من بعد ، وأخرى من قرب ، لأنهم لم يخاطبوا بشعرهم الفلاسفة
وأصحاب المنطق ، إنما خاطبوا من يعرف أوضاعهم ويفهم أغراضهم " (١) .

وبتطبيق ذلك على ديوان محمود غنيم يتبين لنا منه كيف اعتنى بصوره الفنية عناية
كبيرة لينقل تجربته إلى الناس في لوحات فنية معبرة عن حياته وواقعه الذي يعيشه .
ولننظر مقطعا من قصيدته (وطنٌ ينادي أهله) يصور فيه مأساة فلسطين الجريحة . فيجعل
من ماء غدائها دمعاً ؛ بل إنه يشخصها في صورة امرأة فقدت أهلها فزاد حزنها عليهم ،
كما جعل كل ما عليها من إنسان وحيوان ونبات وجماد متأثراً بهذه المأساة . فشبه
واستعار وكنى كل هذا ليقدم لنا لوحة فنية معبرة . يقول :

أخي ، هذه الأرض ماشأهنا ؟	يكاد يُناجيك بنيانها !
تكادُ لفرط أساها تفيضُ	من الدمع - لا الماء - غدائها !
بربك : هل فقدت أهلها	فزادت على الأهل أحزائها ؟
لقد حلها غير سُكاتها	وعنها ترحل سُكاتها
على باهما صاح طيرٌ غريبٌ	فناح على طيره بانها !
إذا ذكر العرب ؛ حنت ، وأنت	وراحت تلوحُ أغصانها !
وصاحت تهبُ بجيرانها	فهل سمع الصوت جيرانها ؟
فلسطينُ ، أرضُ العربية عيينُ	وأنت من العين إنسانها

(١) المرتضي ، الشريف : أمالي المرتضي ، الطبعة الثانية ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، (لبنان ، بيروت :

دار الكتاب العربي ، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م) ٢/٩٥ .

فلا غمضت عنك عينُ فتـاك	ولا ذاقت النوم أجفانها
إلى أن أقبل أرضك سبعة	فتهدأ نفسي وأشجانها
فإن عشت، تحمد بقلبي حقـود	تسعرُ في القلب نيرانها
وإن متُ ، لم تُنسنيك الجنان	وحورُ الجنان وولدانها
وخلفي لثأري وثأر بـلادي	أسود الحروب وفرسانها
إذا صفحات البطولة خُطَّت	فإن العروبة عنوانها ^(١)

فالتشخيصُ يتجلى في مثل قوله : (هل فقدت أهلها ، تلوح أغصانها ، صاحت تهيب بجيرانها) ، حيث جعل منها المرأة المفتقدة للأهل الصائحة في جيرانها ثكلى مستغيثة . وأما الاستعارة فتلمسها في مثل قوله : (يناجيك بنيانها ، ناح على طيره بانها) ، وفي تكتيته بقوله : (على بانها صاح طيرٌ غريب) ما يدل على شؤم المنظر ولوعة الفراق ، وحرارة البعد . ولك أن تتأمل دور تلك الأساليب المجازية التي يستعين بها الشعراء عادة في تجسيد حالاتهم النفسية المختلفة . في مثل قوله من قصيدة له بعنوان (فيلسوف الشرق) ؛ حيث جعل الشرق يجزع ، وجعل من الأسفار أكفانا ، وجعل للألفاظ دولة كل لفظة منها خادمة طيبة لعباس العقاد :

جزع الشرق، وأجرى أدمعه !	ليت شعري : أي خطب روعه ؟
كفنوا العقاد في أسفاره	وادفنوا المرقم والطرس معه
دولة الألفاظ في خدمته	إن دعا اللفظة ، جاءت طيعه ^(٢)

وفي استنكاره عما قامت به محكمة السلام التابعة لعصبة الأمم والتي تتولى الفصل في المنازعات الدولية وظف محمود غنيم المجاز ليقدم لنا صورة حية لتلك العصبة الظالمة فروما تهر صفحة الحسام بينما جنيف تفتح شفيتها بابتسام وفي هاتين الصورتين توبيخ لعصبة الأمم التي صورها الشاعر بالقاضي الراضي عن الإجرام والأولى بالالتهام ، فيقول :

(١) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٧٩١ .

(٢) السابق ، ص ٨٠٧ .

ويحي على محكمة السلام
محكمة لكن بلا أحكام
للهو، لا للنقض والإبرام
ساجدة في عالم الأحلام
والسيف ييري الهام كالأقلام
ألم تر العصبية في المنام
تحرش الذئاب بالأغنام
" روما " تهرز صفحة الحسام
وشفتا " جنيف " في ابتسام
إن رضى القاضى عن الإجرام
فإنه أولى بالانقاسام
ويح لحام من أخيه سام !
ياسود ، ما أنتم من الأنام^(١)

٣ - الرمز :

ما يجب أن نضعه في حسابنا أن الرمز الذي نقصده هنا ليس تلك الرمزية المنهجية
المعدودة ضمن المذاهب الأدبية الحديثة والتي تقوم على " إذابة الحواجز بين الحواس فيصبح
ما يرى مسموعاً وما يُشتم ملموساً وهي مذهبٌ توغل فيه بعضٌ منهم لدرجة يصعب
إدراكها على العقل البشري فبعضها يصبح طلاسماً دون حدٍ يحدّها أو ضابطٍ يضبطها"^(٢)
ورغم أن محمود غنيم من شعراء العصر الحديث الذي تأثر أغلب شعرائه بالرمزية
الغربية إلا أنه كان امتداداً لشعراء مدرسة الإحياء المحافظين ولم يخض في جميع موضوعات
الشعر الحديث وبقي بمعزل عن الرمزية المنهجية في تعريفها السابق ، واستعاض عنها

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٦٥ .

(٢) محمد الحسن علي الأمين : الكناية أساليبها ومواقعها في الشعر العربي ، د، ط ، (مكة المكرمة ، مكتبة

الفيصلية ، ١٤٠٥هـ) ، ص ٩٧ .

باستخدام الرمز الذي فيه إحياء للتراث العربي الإسلامي ، وربطاً لحاضر الأمة بماضيها والإكثار من ذكر رموز البطولة والشجاعة في تاريخنا ، دون أن يسرف في ذلك ، على عكس ما عليه الحال عند بعض الشعراء المعاصرين الذين أصبحت القصيدة عندهم غابة من الرموز والإشارات التاريخية والأسطورية ؛ بل والطلاسم التي يقف المتلقي أمامها حيران لا يعرف مقاصد الشاعر فيبقى في ضبابية عمياء في عصر يتطلب اللب ويأبى القشرة .

وبعد إطالة تجوالٍ في الأعمال الكاملة للشاعر محمود غنيم يمكننا تقسيم الرمز في شعره إلى:

أ - الرمز المعجمي .

ب - الرمز التاريخي .

ج - الحكاية الرمزية .

١ - الرمز المعجمي :

ونقصد بذلك معجم اللغة " إذ إن مفردات اللغة تشكل كلها مادة جديدة بأن تصبح رمزاً دون أي مفاضلة فيما بينها . ويعود الدور في ذلك للشاعر الذي ينتزع اللفظة من المعجم أي من معناها الاصطلاحي ، ويحولها إلى رمز تتحرر به من مدلولها الضيق لتكتسب معاني جديدة وتأويلات لا محدودة " ^(١) . والنماذج التي سنوردها في هذا المجال (مجال الرمز المعجمي) أقرب ما تكون إلى المجازات والكنيات التقليدية ، ولكنها - مع شيء من التوسع - يمكن أن تعتبر رموزاً لما تدل عليه . ومما ورد في شعر محمود غنيم من هذا النوع من الرمز قوله :

بين سمر القنا وبيض الصّفاح

س وبالأرض عصف هُوج الرياح

وسقام ، هذا مجال الكفّاح

س فيها صيانــــة الأرواح ^(٢)

ليست الحرب في امتشاق السلاح

ونسور في الجو تعصف بالنّـا

إنما الحربُ جهل ، وفقـــــر

تلك حرب توطدّ السّلم بين النّـا

(١) الصورة الشعرية في الكتابة الفنية ، ص ١٩٠ .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٤٦ .

تلك أعداؤنا الثلاثة - لا كـــــــا
فخذوا حذرکم ، وشنُّوا علیہا
نكلمة (الزعانف) في معناها اللغوي تعني (أجنحة السمك أو طرف الجلد كاليدن والرجلين) (٢) إلا أن محمود غنيم رمز بها إلى بعض الوصولين الذين يتمسحون بالمرحوم دسوقي أباطة فيكدرون صفو مجالسه الأدبية الممتعة ، فيقول :

وهامو محمود غنيم يرمز لنفسه وقد طال مكثه ببلدة كوم حمادة مدرساً (بالأسد
السجين) الذي طال سجنه . فإذا بالمرحوم (أنطون الجميل) يحطم قيد الأسد السجين
ليعود إلى عرينه وبلده الأمين فيقول :

(١) المصدر السابق ، ص ٤٤٧ .

(٢) المنجد في اللغة والأعلام ، الطبعة السابعة والثلاثون ، (بيروت - لبنان ، دار المشرق ، ١٩٨٦م) ، ص ٢٩٩ .

(٣) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٤٨١ .

أهلاً بمصر البلد الأمين^(١)

وأخيراً نقف بالرمز المعجمي لدى محمود غنيم عند رمز إسلامي تعطره نسيمات الحرم المكي ونفحاته . فهاهو يرمز للحسان المتنسكات في الحرم الشريف بـ (حمائم الحرم) حيناً ، وسرب الآرام حيناً آخر ، كما يرمز لنفسه وللرجال أشباهه بـ (الليث) الهصور لكنه يكف هذه المرة عن افتراس المهات ، لأنه في مكان تقف عنده عزائم الرجال ، فيقول :

حيّ حمائم الحرم	بالبيت سربها اعتصم
سرب من الآرام	حواه بان أو عل
من كل خود كسنا الص	بح إذا الصبح ابتسم ^(٢)

٢ - الرمز التاريخي :

استخدم غنيم هذا النوع من الرمز في بعض تجاربه وقصائده بصورة عفوية ليس فيها غموض أو إهمام . وهو في الوقت ذاته _ وكما أشرت سالفاً _ لم يكن شعره شعراً رمزياً خالصاً ؛ بل فيه ملمح من ملامحه . وقد وفق الشاعر من خلال استدعائه لتلك الشخصيات التاريخية أن يجعلها وسيلة تعبير رمزية عن تجاربه الحالية والمعاصرة ، وأن يوظفها توظيفاً يتناسب مع ما يرمي إليه .

والنماذج الشعرية على ذلك كثيرة ، لكننا نكتفي منها بنموذج قصير من قصيدته (لأنكسة) يستدعي فيها الشاعر شخصية خالد بن الوليد التي تحولت مع مرور الزمن إلى شخصية رمزية تردد ذكرها على ألسنة الكثيرين من الشعراء . فنراه يحاول الربط بينها وبين واقع عصره الأليم وما عليه المسلمون من تفكك وخنوع ليحرك المشاعر ويثير الضمائر حتى يهب العرب للجهاد ويقتحموا ميادين القتال ، فينتصروا على عدوهم :

شعب العروبة ، مافعلت بخالد	وتراثه ؟ أترى التراث تبعثرا ؟
إني لألمح روحه من فوقنا	قد رفرفت ، مثل الخيال إذا سرى

(١) المصدر السابق ، ص ٤٨٢ .

(٢) الأعمال الكاملة ، رجع الصدى ، ص ٧٥١ .

ترنو إلى اليرموك وهي مُشحَّةٌ
أين الفتوحات التي استخلصتها
بم كان يُنصر خالداً؟ ألأنسه
لكنه يغشى الوغى متقلداً :
وتقول : إني لا أصدق ما أرى !
من دولتي : كسرى العظيم ، وقيصرا ؟
من جندل ، لا من تـراب صُورا
بالصبر درعاً ، والعقيدة مغفراً^(١)

فخالد هنا رمز لروح الجهاد والتضحية التي اختفت من قاموس المسلمين ، ولم يعودوا يكثرثون بها ، واليرموك رمزٌ لمعركة نصر كبيرة مرتقبة تتطلع الأمة إليها لتعيد بها مجدها السليب وعزها المفقد .

٣. الحكاية الرمزية :

استطاع غنيم أن يحقق في كثير من قصائده شكلاً من أشكال القصة التي تعرف بالقصة على لسان الحيوان وهي : " حكاية ذات طابع خلقي وتعليمي في قالبها الأدبي الخاص بها . وهي تنحو منحى الرمز في معناها اللغوي العام ، لا في معناه المذهبي ؛ فالرمز فيها معناه أن يعرض الكاتب أو الشاعر شخصيات وحوادث على حين يريد شخصيات وحوادث أخرى عن طريق المقابلة والمناظرة " ^(٢) .

ولهذه الحكاية الرمزية جانبان " جانب مباشر وحرفي وجانب آخر هو جانب الدلالة الأخلاقية أو النفسية أو الدينية " ^(٣) . ويتمثل الجانب الأول في عالم الحيوان ، أما الثاني غير المباشر فهو المجتمع الإنساني الذي يعيشه الأديب .

وقد وفق غنيم حينما استخدم تلك العناصر المستمدة من عالم الحيوان للتعبير عن تجاربه المعاصرة ، ومن النماذج الشعرية التي تحقق فيها ذلك النوع من الرمز :

(١) المصدر السابق ، ص ٧٦٣ .

(٢) محمد غنيمي هلال : الأدب المقارن ، الطبعة الثالثة ، (بيروت : دار الثقافة ، ١٩٦٢م) ص ١٧٩ وتاليتها .

(٣) الصورة الشعرية في الكتابة الفنية الصول والفروع ن ص ١٧٤ .

القط :

عند تتبعي لذكر هذا الحيوان في ديوان الشاعر وجدتُ أن اسم القط قد جاء عرضاً في بعض القصائد والمقطوعات ولم يأت كموضوع أساسي بصفة مباشرة إلا في قصيدة (القطط) التي كتبها الشاعر لهدف سياسي اجتماعي محدد ، ومن هنا لم يهتم فيها بوصف شكل القطط الخارجي وهيئتها وأنواعها وفروها وذيلها وسرعتها . وإنما كانت القصيدة عبارة عن فكاهة ودعابة تمتزج بالسخرية والتهكم عن (قطين) رآهما الشاعر في مكان ما ، فوصف طريقة حياتهما وعيشتهما ، فهما قطان تآلفا على سلب الطعام ، وافتضحا عند حضور القسمة ، وكل منهما يحمل معائب كثيرة ، ومشاكلهما لا تنتهي ، والتحدي بينهما قائم ، ولكن مايلبثان إلا ويصطلحان خوفاً من صاحب البيت ، وصلحهما في الظاهر فقط أما في الباطن فهما عدوان ، ثم يصورهما وهما في صورة مزرية عندما يفران من كلب نابح هجم عليهما ، وهذه القصيدة ماهي إلا رمزٌ وتنديد بالخونة من المواطنين الذين يتخاصمون ويتشاحنون فيما بينهم لسرقة ثروات الوطن ونهب خيراته ، ولكنهم يتظاهرون أمام الشعب بالوفاق والوئام ، حتى إذا جاء المستعمر الغاشم خضعوا له وأحنوا رءوسهم أمامه :

قطان ألف سلب الزاد بينهما	حتى إذا اختصما في القسمة افتضحا
لكل قط مخاز لو قذفت بهما	في البحر ما راق ، أو في الروض مانفخا
كلٌ تحدى أخاه، غير أنهم	لم يأمنا بطش رب البيت ، فاصطلحا
صلحٌ مريبٌ، وجرح جف ظاهره	فكلما داعبته نسمة نضح
كأنني بهما فضا نزاعهم	يوماً، وفرّاً أمام الكلب إذنبحا ^(١)

الفأر :

يبدو أن غنيماً حينما تحدث عن الفأر كان يرمز بطريقة غير مباشرة إلى بعض الآفات الاجتماعية في عصره كصورة الفقر مثلاً ؛ لأن الفئران لا تسكن في الغالب إلا في بيوت الفقراء ، لاسيما الخبرة منها ، ولم نسمع بأن قصور الأغنياء التي تحتشد بالخدم

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٢٨٧ .

والحشم تسكنها الفئران ويدل هذا الوصف أيضاً على أن غنيماً لم يترك شيئاً في الطبيعة إلا ووصفه وصوره ووظفه في قصائده أحسن توظيف .

فهذا الفأر مثلاً أغار على كتبه وفراشه وثيابه ومزقها أشد تمزيق ، كما أنه حول أرضية البيت إلى أسرابٍ وطرق ، وقرض أبوابه وأخشابه وجدرانه :

يا قارض الفراش والثياب

وفاجع القارئ في الكتاب

ومالي المنزل بالأسراب

ونافذاً من أحكم الأبواب

بأي ظفر أم بأي نـاب

تعملُ في الجدران والأخشاب ؟

ثم يصف سنه الحادة وكأنها من أسنة الحراب :

سـنك من أسنة الحـراب

لا كُنت يا أحذر من غراب ! ^(١)

وكم هي معاناة غنيم من ذلك الفأر الحذر فمع تلك الوسائل التي أعدها لصيده من وضع المصيدة على الباب ، ودس السم في الطعام والشراب إلا أن البيت لم يخلُ من الخراب والدمار :

كم وُضع الفخُّ على الأعتاب

والسمُّ في الطعام والشراب

فما نجا البيت من الخراب

ويسخر غنيم من جلده الخالك في السواد ذي الرائحة الكريهة العفنة ، ويدعو

عليه بقطٍ كبيرٍ كالليث المفترس يأكله ويريح البيت من شره :

رُمِيتَ يا محلولِ لك الإهاب

بكل قط مثل ليث الغاب ^(٢)

(١) المصدر السابق ص ١٣٨ .

(٢) السابق ، ص ١٣٨ .

الديك :

من الوصف الساخر للحيوان عند غنيم وصف ديك هزيل أقام به للشاعر أحد أصدقائه مأدبة في سفح الهرم ^(١) . وفي هذا الوصف الساخر للديك إشارة إلى بعض السلوك الإنساني وهو البخل، فهذا الديك الهزيل ينم عن بخل صاحبه وشحه ، فهو ديك عسير الهضم ، هزيل الجسم لو تصارع مع الجرادة لرفسته بقدمها :

تَبًّا لَدَيْكَ يَا أَخِي _____
 دَيْكَ هَزِيلُ الْجَسْمِ تَر _____

هُضْبٌ _____ الْحَدِيدُ وَمَا انْهَضُمُ
 كُلُّهُ الْجُلُوسُ رَادَّةٌ بِالْقَدَمِ (٢)

(م)

وهذا الديك ليس من الديوك المخدومة المنعمة ؛ بل إن حالته المتهاكة تدل على أنه كان خادماً وساعياً :

في دولة الأدياك كـ _____ (م) ن من السُّعَاة أو الـ _____ خدم (٣)

ولضعفه وهُزاله بان عظمه ، فالتصق بجلده والتحم ، فلا لحم فيه ولا دسم .
وخشيت الأيادي من لمسه وأكله فكأنه حمام الحرم الممنوع صيده ، حتى في نسبه تبرأت
منه العرب والعجم :

_____ زعموه رومياً ، ومنـــــــه _____
_____ ه العرب تبرا والعجم _____

ويتعجب غنيم من خلقة ذلك الديك ويُقدس الله القدير الذي خلق الخلائق من
عدم :

لما بدا قدسُ مــــن

خَلَقَ الخلائقَ من عدم^(٤)

ويرتبط صباح (الديك) عادة بزوغ الفجر وطلوعه . و الشاعر هنا يناجي ذلك (الديك) ويسأله عندما صاح : هل هذا نشيد الصباح؟ فكأنّ الشاعر في حاجة ماسة إلى شيء يهدي من روعه، ويبعث في نفسه الأمل والسعادة . ولكن سرعان ما يجيبه الديك

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٥٧٥ .

(٢) السابق ، ص ٥٧٥ .

(٣) السابق ، ص ٥٧٥ .

(٤) السابق ، ص ٥٧٥ .

بقوله : إني أنعي يوماً قد مضى من صفحة حياتي وفي هذه الإجابة الصريحة من

الديك يزداد ألم الشاعر في البعد عن الأمل والتفاؤل :

قلتُ ، يوماً ، للديك ساعةً صاحاً هل تغني لنا نشيد الصباح؟

قال : لا ، بل نعت يوماً راحاً ومحاً من صفحة العمر ماح^(١)

الأسد السجين :

أنشأ الشاعر هذه القطعة ، يناجي بها الأسد ، في بعض زوراته لحديقة الحيوان بالجزيرة^(٢) . وهو هنا يخاطب ذلك الأسد السجين نظراً لما بينهما من تشابه ، إذ إن كلا منهما مسجون : هذا في قفص ، والآخر في تلك القرية النائية (كوم حمادة) . فالأسد هنا رمزٌ لشخصية الشاعر تلك الشخصية التي عاشت في عزلة تامة وغربة موحشة بعد ذلك الطموح الذي عاشه فترة دراسته في دار العلوم إلى أن تخرج معلماً .

انظر إليه وهو يخاطب الأسد المسجون وينعته بأحب الأوصاف إليه (الهزبر) ويقول له لست وحدك حزينا مسجوناً في هذه الدنيا فنحن أيضاً في سجن وحزن مثلك ولكن مع ذلك يعزُّ علينا أن نراك حزينا :

أعزز علينا أن نراك سجيناً ! عِش ، يا هزبرُ كما نعيش حزينا^(٣)

فحالة كل من الأسد والشاعر متساوية ومتعادلة فهما في أسر السجن :

بك ، يا هزبرُ ، من الإِسار كما بنا قوسٌ رُميتَ بسهمهم ورُمينا^(٤)

وهما يشكوان ذل الأسر ونقمته ، فلا يستجيب أحد لصراخهما وزئيرهما . فكأن

السجن والأسر أصبح مصيرهما طول الحياة :

إن تشك من ذل الأسار ، فكلنا أَسْدٌ تئن من الإِسار أنينا

تركوك تزار ، يا غضنفر ، كلما رمت الزئير ، فليتهم تركونا !

هل طاب عيشك بيننا ، يا ابن الشرى لك ، إن رضيت بذلة ورضينا^(٥)

(١) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٢٨٤ .

(٢) السابق ، ص ٢٤٦ .

(٣) السابق ، ص ٢٤٦ .

(٤) السابق ، ص ٢٤٦ .

(٥) السابق ، ص ٢٤٦ .

ثم يخرج تلك الصرخات المتعالية التي فاضت نفسه بها ، حيث لم يعد يحتمل الذل والهوان في ذلك السجن فإما أن يحلوا وثاقه ويطلقوا إيساره ، أو يحطموا في داخله طبيعة الإباء ورفض الاستكانة :

حلوا عن الأسد الهصور وثاقه
أو فاسلبوه إباءه ليهوننا^(١)
فصمته وسكوته ليس ضعفاً وتهاوناً ؛ بل إن في صدره نارا تتأجج بسبب ما وصل إليه حاله ، وهو يتمنى رؤية الموت وطعمه عن أن يذوق الذل والمهانة ، ثم يستنكر على أولئك الناس أنهم يكلفون الأسد غير طباعها ، ويسعون إلى ترويضها لتلين لهم . ويريدون إذلال الأمة التي اتخذت من الكرامة ديناً لها ، وكأنهم بذلك يريدون من الكون أن يتوقف عن الدوران ، وأن تتحول كواكبه إلى سواد دامس :

لا يخذ عنكم الهزبر بصمته
فلعل في صدر الهزبر أثوننا
عيني ترى شبح الحمام ، ولا ترى
حراً ألي النفس بات مهيننا
أتكلفون الأسد غير طباعها
وتروضون جماعها لتليننا ؟
أو تحملون على المذلة أمية
عزلاء تعتبر الكرامة ديننا ؟
حتى تكف الأرض عن دورانها
وتحول أجرام الكواكب جونا^(٢)

فصورة هذا الأسد السجين هي نفس صورة (الشاعر) المنفي في تلك القرية النائية . وإنما اختار الأسد هنا ليرمز به عن نفسه لما بينهما من تشابه في الحال . ولما يحمله ذلك الهزبر من معانٍ سامية نبيلة كالإباء ، وعزة النفس ، والكرامة ، والقوة ، والطموح ، والحرية ، والصبر ، والجلد ، ورفض الضيم .

ولكن ذلك (الأسد) الأسير لم يتحمل رتابة القفص ؛ بل حطم القيد والفولاذ وعاد إلى عرينه . والشاعر في هذا يرمز إلى حاله عندما نُقل إلى القاهرة سنة (١٩٣٨م)^(٣) .

(١) المصدر السابق ، ص ٢٤٦ .

(٢) السابق ، ص ٢٤٦ .

(٣) السابق ، ص ٢٨٢ .

وكان صاحب الفضل في نقله هو الأديب : " أنطون الجميل " على إثر مقالة " توفيق ضعون " التي سبقت الإشارة إليها ، وفيها ينعي " ضعون " على وزارة المعارف - اسم وزارة التربية والتعليم - على تركه بعيداً عن القاهرة " ^(١) يقول في أرجوزة له عن ذلك :

حطم قيد الأسد السجّين
محطم الفولاذ باليمنيين
فليعد الليث إلى العريين
أهلاً بمصر البلد الأميين
من بعد تسعة خلت تؤويني ^(٢)

وعندما تنافرت الأحزاب الحاكمة في مجتمعه ، واختلفت رؤيتهم تجاه الرعاية راح يرمز إلى تلك الصورة بـ (ليثين) في غابة سارا على نهجين مختلفين في اقتناص الفريسة فالأول : همه اقتناص (النمور) والآخر : همه اقتناص (الغزلان) وفي هذا إشارة إلى حالة الأحزاب المتنازعة والاستعمار المرير . فالشعب إما نمرٌ صعب المنال . أو غزال سهل الافتراس :

غابٌ مررتُ به، به ليثين	سارا على نهجين يقتنصان
هذا يغير على النمور ، وذاك لا	يلوى على صيدٍ سوى الغزلان
فأخو النمور يكذُ خلف نموره	كدأً ، وليس له بهن يمدان
فإذا أصاب ، أصاب مالا يُشتهى	طعماً ، وعاد مضعضع الأركان
وأخو الظباء إذا أحسَّتْ بأسه	لاقتة بالتسليم والأذعان
فيصيبُ منها الليثُ لحماً طيباً	ودماً يُروى غلةً الظمآن ^(٣)

(١) محمود غنيم وشعره ، ص ٦١ .

(٢) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة، ص ٤٨٢ .

(٣) الأعمال الكاملة ، صرخة في واد ، ص ٢٨٨ .

الذئب :

استطاع غنيم بفضل ما أوتي من شاعرية أن يجسد صورة الذئب ، ويتخاطب معه وينتهي الخطاب بمقارنة الذئب بالإنسان الذي عاث في الأرض فساداً فأصبح وحشاً ضارياً لا يطاق ، يأكل كل ما هو أصغر منه ، ويفزع المرء ويخيف الأطفال ، ويتقي شره كل من في البر والبحر :

قلتُ للذئب : أنت وحشٌ ضار	قال : أظفاركم شأت أظفاري
أفعارٌ أن يقنصَ الذئب سخلاً	واقتناصُ البعير ليس بعـار؟
أفزعَ المرء كل شاءٍ وإبـل	وأخافَ الطيور في الأوكـار
استغاث العُقابُ في الجو منه	واتقى النونُ شره في البحـار ^(١)

ثم يندد (بالمستعمر) الأجنبي على البلاد ، ويرمز له بصورة (الذئب) الذي يتصف بجثته - كما أسلفت - ويجعل القيادة المحلية على مصر في صورة (كبشٍ) يطيع أمره ، وينفذ ما يقوله الاستعمار أما (الشعب) فهم (القطيع) المتبقي من الغنم الضعيفة وفي هذا تنديدٌ وتأكيـدٌ على ظلم المستعمر ، وسلبه حقوق الشعوب بطرق غير مشروعة ، واغتصاب الأرض والممتلكات ، بينما الشعب أعزل من السلاح ، لا يقاوم ولا يناهض ، نظراً لضعفه وقلة حيلته ، وهل تستطيع الشياة الضعيفة مقاومة خبث الذئب وقوته !

الكبشُ قام خطيباً فوق رايبـة	ينعي على الذئب فتك الذئب بالغنم
فتمتمَ الذئبُ في أذنيه: أنت على	رأس القطيع أميرٌ نافذ الكلـم
فقبل الكبش ناب الذئب معتذراً	عما رماه به من سالف التهم
وقال للشاء ، خوضوا ، وارتعوا معه	من لاذ بالذئب منكم ، لاذ بالحرم
فإن تصب أحداً منكم محالبـه	فإنها بلسمٌ يشفي من السقم ^(٢)

(١) المصدر السابق ، ص ٢٨٨ .

(٢) السابق ، ص ٢٨٨ .

الكبش :

غالباً ما يرمز الشاعر إلى الشعب المظلوم من قبل الاستعمار الغاشم — (الشاة) أو (القطيع) ، ذلك لأنّ من شأن (الشياة) الضعف وعدم القدرة على الدفاع عن نفسها وامتلاك مصيرها .

و الكبش عند الشاعر رمزٌ للعميل الحاكم الموالي للاستعمار الأجنبي وفي قصيدة (الكبش شق العصا) يصور معاناة الشعب المصري الذي لا حول له ولا قوة في ذلك الوقت . ويوضح موقف (الحاكم) المتواطئ مع المستعمر الأجنبي الدخيل على البلاد بعدته وعتاده والذي منح الحاكم حكماً صورياً فقط ، يستمد فيه إرادته من السلطة الاستعمارية ، ثم يبين الشاعر الأدوار المختلفة التي قام بها (الكبش) ضد الشعب ، والتصرفات المشينة التي مارسها حياله . وماهي إلا لحظات حتى يذوق ذلك الكبش طعم الموت من مخالب الذئب لعدم مقدرته على إقناع الشعب الأبي الذي رفض الظلم وبدد الاستعمار :

الكبش شق العصا يوماً على الراعي	وقال للشاة : أنتم بعض أتباعي
حتى أحس عصاً الراعي تؤدبـه	كما يؤدّب عبداً غير مطـواع
فلاذ بالذئب ، يدعوهُ لنجدتـه	ومن سواه يُليّ دعوة الداعـي؟
تناولَ الذئبُ قرنيه ، وقال لـه	أقبل على الرحب ، ياربماً على القاع
وسخر الكبش في صيد الشياه لـه	فجدد في السعي . ضلّ السعي والساعي!
حتى إذا الصيّدُ أعيا الكبش ، مزقه	بمخالبٍ مثل حد السيف قطـاع
فلا القطيعُ بكاه يوم مصرعـه	ولا الذئبُ نعاه منهمو نـاع
وهكذا راح ذو القرنين موعظـةً	وعبرةً ما وعى أمثالها واع ^(١)

وفي قصيدة أخرى بعنوان (الراعي والقطيع) يستمر غنيم في التنديد بالمستعمر الدخيل ويصور معاناة (الشعب) الذي رمز إليه بالقطيع وهو شعبٌ مقهور مكلوم ضيعت حقوقه بين السلطة المشرفة على شؤون البلاد ، والاستعمار الدخيل عليه . فكلاهما يريد أكل خيراته . فالغاية مشتركة والهدف واحد:

(١) المصدر السابق ، ص ٢٨٧ .

مر القطيع بأرضٍ طابَ منهلها
فصاح راعيه: هيا، ياقطيع، بنا
فقال كبشٌ له: ما الفرق بينكما؟
دعنا له، وانج - إن أحببت - منفرداً
نعم الفرارُ الذي أقبلت تنشده

الضفدعة المغرورة:

وعُشبهأُ ، فاستقى من مائها ، ورعى
نفلت من اللص ، إن اللص قد طلعا
كلاكما يبتغي من لحمنا شبعاً
فلست أكثرَ زهداً منه أو ورعاً
لو كان ينقذنا منه ومنك معا ! (١)

هذه القصيدة من أقاصيص (لافونتين) الفرنسي الذي نسب إليه الفن القصصي على لسان الحيوان ، وسار على منواله أو موازيا له الشاعر المصري أحمد شوقي . والقصة تدور أحداثها حول (الغدير) إذ رأت ضفدعة مغرورة ثوراً كان يرتع حول الغدير فأعجبت بشكله وقوته وكبر جسمه . وتمنت أن تكون مثله تماماً ولكن ضفدعة أخرى نصحتها ألا تغتر وتقلد من هو أكبر منها حجماً ، لأن في ذلك استحالة عليها فالفارق بينهما كبير . ولكن الضفدعة المغرورة أرادت أن تكون من فصيلة الثيران وأن تعيش عيشتها وتفعل مثلها فانطلقت إلى الغدير لتفرغه في جوفها الصغير مما تسبب في تمزيق أحشائها أشد تمزيق فغدا فعلها مثلاً في عالم الضفادع (هذا جزاء الجاهل المغرور!) :

ثورٌ من الثيران كان يرتع
فأكبر الضفدعُ منه شكله
قالت لها ثانيّةٌ : يا للعجب !
فقالت الأولى : غداً تـراني
وتبصريني أجرُ النورجـا
وانطلقت تجري إلى الغديـر
فما احتست كوباً ولا إبريقاً
فأنشدت ضفادع الغديـر

حولَ غديرٍ نق فيه الضفـدع
وقال : ليتني أكون مثله !
أين مضى عقلك أين ؟ هل ذهب ؟
عيناك من فصيلة الثـيران
وتسمعين لي خواراً مُزعجاً
تفرغه في جوفها الصغـير
بل مزقت أحشائها تمزيقاً
هذا جزاءُ الجاهل المغـرور (٢)

(١) المصدر السابق ، ص ٢٨٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٨٦ .

فهذه القصة ترمز إلى بعض الصور الاجتماعية الفاسدة كالغرور ، والتباهي ، وتقليد الغرب في العادات والتقاليد الدخيلة .

الحداثة والعصفور :

استمد غنيم هذان العنصران من الطيبة المتحركة ليرمز بها كما أشرت إلى بعض الصور الاجتماعية الخاطئة في عصره . فهو يعلن من خلال استخدامه تلك الطيور ثورته على الحكم وأجهزته ، وعلى نفاق بعض الحكام الذين لا يخضعون إلا لسلطان القوة ، ويتظاهرون بالدفاع عن حقوق الضعفاء وحرياتهم وهم أول من يهضم تلك الحقوق :

مررتُ بمحْدأةٍ خارت قواها —	وهاض جناحها بعض النسور —
تصيحُ بملءٍ شديقيها ، وتبكي —	على حرية الطير الأسير —
فلما أن بكت أبصرتُ فاهها —	يلوكُ عظام عصفور صغير —
فقلت لها : سلمت لكل طير —	سجين ، يا محررة الطيور ! ^(١)

الدب :

حيوان مشهور بالرَّعونة وعدم صواب الرأي والفكر . وهو عند غنيم رمزٌ لذلك القائد الذي اهتم بمظهره ونسي مخبره فهو فارغ الوعاء لا يملك إبداعاً ولا رقيّاً ولكن لأسباب معينة أصبح قائداً مطاعاً . وفي هذه القصيدة إشارة مضيئة إلى تولي الرئاسة ممن لا يستحقها، فيتولاها من كان له وساطةٌ وعلاقةٌ بغض النظر عن كونه صالحاً أو غير صالح مع أن هناك من هو أجدر منه وأصلح :

شاهدتُ في الغاب قطعاناً من البقر —	عيونها كعيون الغيد في الحور —
يقودها الدبُّ ، لا كانت قيادته —	إلى المخاطر باسم الماء والثمر —
فضلت السبل . مامن حفرة نهضت —	إلا لتسقط في أخرى من الحفر —
حتى اثثنى الركبُ : لاري ولا شبع —	وكيف يهدي بصيراً زائع البصر ؟

(١) المصدر السابق ، ص ٢٨٨ .

آمنتُ بالله ! كم بين الورى نفــــرٌ أمس يقودهمو دبٌ من البشر ! ^(١)

فالشاعر يدعو إلى أن يتولى المناصب من يستحقها ويقدر عليها ، ويراعي فيها شؤون الرعية ، ويستطيع أن يقود غيره إلى بر الأمان بعيداً عن المدح والثناء والمصالح الشخصية ، ثم يعني أولئك نفر الذين سلموا القيادة والسلطة لذلك الدب من البشر.

وفي آخر المطاف يتبين لنا أن الشاعر قد استخدم هذا اللون الأدبي - كما تقدم من نماذج - ليشير إلى بعض الصور الاجتماعية . في عصره كالاستعمار ، والظلم ، والاستبداد والجشع فرأى أن نقل هذه الصور على لسان الحيوانات هي أفضل طريقة للنقد الاجتماعي اللاذع.

(١) الأعمال الكاملة ، في ظلال الثورة ، ص ٦١١ .

الخاتمة

في ضوء هذه الدراسة الكاشفة لمصادر الإبداع وآليات التشكيل في شعر محمود غنيم تأتي خاتمة البحث لتبين ما توصلت إليه من نتائج وتوضح ما أضافه الشاعر من جديد يحسب له في هذا الجانب من جوانب الأدب .

وبعد خطة مدروسة جاءت هذه الدراسة في مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة فصول ، وخاتمة .

وقد عرضت في المقدمة : أهمية الموضوع ، وسبب اختياره ، وخطة البحث والنهج الذي سار عليه . كما أشرت فيها إلى ما قصده من مصادر الإبداع وآليات التشكيل في شعر محمود غنيم . وألحت فيها كذلك إلى أنني قد قصرت دراستي هذه على شعره الغنائي دون المسرحي والمتمثل في دواوينه الثلاثة المجموعة في (الأعمال الكاملة) .

أما التمهيد: فقد استعرضت فيه بصفة موجزة حياة الشاعر ونشأته ، وسيرته الشعرية ، ومراحل تعليمه ، وحياته العملية ، وأهم أعماله الأدبية التي خلفها للمكتبة العربية .

وجاءت فصول البحث الثلاثة كالتالي :

الفصل الأول : " مصادر الإبداع " وقد جعلته في مبحثين :

المبحث الأول: المصادر الذاتية المبحث الثاني: المصادر الخارجية .

وقد تناولت في المبحث الأول " المصادر الذاتية " وهي كما يلي :

١_ الاستعداد الفطري : وبينت المقصود من الاستعداد الفطري (الموهبة) ، ووضحت أنه قد جاء عنده على وجهين : استعداد "إبداعي" أدبي ، وملكة نقدية واعية . ويتمثل ذلك الإبداع الأدبي عنده في نتاجه الشعري الغزير والتميز .

أما استعداده النقدي فينعكس في العديد من المقالات النقدية والتحليلية التي شغلت حيزاً لا يستهان به من صفحات الصحف والمجلات .

وخلصت في نهاية الأمر إلى أن محموداً قد تكاملت فيه صفات الأديب الأصيل والناقد الفذ . بفضل تلك الموهبة الأدبية والنقدية .

٢- التكوين النفسي : وأوضحت فيه أنَّ الشاعر كان معتدلاً في تكوينه النفسي عموماً . فأنفعالاته وسلوكياته وأفعاله وطبيعته كانت هادئة ومعتدلة منذ طفولته ، وأرجعت السبب في ذلك إلى نشأته الدينية المباركة وتعليمه الأدبي والديني .
أما المبحث الثاني " المصادر الخارجية " فقد ظهر على النحو الآتي :
أولاً : بيئة الطفولة . وتحدث فيها عن :

❖ القرية : التي كانت ملتصقة به تماماً فلم ينفك منها أو ينقطع عنها حتى بعد أن هاجر منها إلى المدينة فقد كان يخصص لها جانباً من زيارته ويقضي فيها صيفه . فتغنى بها في أشعاره ووصف مظاهرها وطبيعتها ، ومجدَّ أهلها ، ودافع عن فلاحها ، وحنَّ إليها وهرب إلى أحضانها حينما كان يتذكر مرح الصبِّ ، وعهود الحياة الأولى .
❖ الطبيعة :

و عيّنت بها مظاهر الطبيعة الساكنة وحاولت إرجاعها إلى عدة عناصر لتسهل الدراسة ويتضح المراد ، فجاءت عناصرها كالتالي :

- ١- الطبيعة النباتية : وتحدثت فيها عن الرياض المصرية وطبيعة الأرياف .
- ٢- الطبيعة الفصليّة : وأشارت فيها إلى تفضيل الشاعر لفصل الربيع على فصلي الشتاء والصيف .
- ٣- الطبيعة المائية: وتناولت فيها ما ورد ذكره عند الشاعر من مطر وسحاب ، وجداول وغدران .
- ٤- الطبيعة الكونية : وقصّدت بها عناصر الطبيعة الفلكية من شمس وقمر وليل ... الخ .

❖ في رحاب المدنية الحديثة :

وبينت من خلالها المخترعات الحديثة التي وردت في شعر الشاعر وتحدث عنها كالمنذiac ، والإنسان الآلي ، وآلة التصوير ، والولاعة ، والساعة ، والباخرة . وأشارت إلى أن الشاعر قد ذكر تلك المخترعات باعتبارها جديدة في عصره ، وأوضحت أنه لم يقف منها موقف الإعجاب ؛ بل كان يعاتب قومه على وقوفهم عاجزين أمام تلك المخترعات

حاثا إياهم أن يتعلموا حتى يصلوا إلى ما وصل إليه الغرب من تقدم وحضارة وكان للفضاء في ديوان غنيم نصيب كبير فكما أنه وصف القمر الطبيعي فقد وصف القمر الصناعي ، وأفاض في حديثه عن علم الفضاء والأدوات الحديثة التي استخدمت في الوصول إليه ، وقد استغل هذا الجانب في مخاطبة المغترين بعلمهم المادي الذي صرفوه في غزو الفضاء وتناسوا في غفلة عمياء ما حل بالبشرية جمعاء من حروب ودمار

❖ الأسرة : وأوضحت أن أسرته قد شكلت رافداً قوياً في شعره ، وقد تناولتها من زاويتين :

الأولى : الأسرة التي أنجبت الشاعر ، وتربى بين حناياها والمثلة في والده وأخوته .
والثانية : الأسرة التي أنشأها الشاعر وأسسها وتشمل الزوجة والأولاد .
وقد بينت أن أسرته الأولى أمدته بعاملين قويين في شعره أحدهما : تشجيعي ، والآخر : عاطفي .

ثم أوضحت أن شعر غنيم في أسرته الثانية وخاصة فيما يتعلق بأولاده يعد شعراً رومانسياً مفعماً بالحب والعطف والحنان جسد من خلاله مشاعر الأبوة الحانية .
ثانياً التعليم الرسمي : وتحدثت فيه عن مصادر تعليمه وأثرها في شخصيته الثقافية والأدبية ، وهي :

١- الكتاب . ٢- الأزهر . ٣- مدرسة القضاء الشرعي . ٤- دار العلوم .
ثم أوضحت بعد تجوال في سماء معاقل تعليمه أثرها الكبير في ثقافة الشاعر ، إذ مكنته من التّغذي بالثقافة العربية الأصيلة ، فجاءت عباراته عالية المتزلة في البلاغة فصاحة وبيانا .

ثالثاً : الثقافة الشخصية : وأرجعتها إلى ثلاثة مصادر :

- أدبية . - تاريخية . - دينية .

وأوضحت أن هذه الثقافات المتعددة شكّلت منه شاعراً مبدعاً ، وكاتباً بارعاً ، وناقداً فذاً ، ومصلحاً اجتماعياً ، وداعياً قومياً ، ومنافحاً وطنياً ومعلماً تربوياً .

الفصل الثاني : " مثيرات الإبداع "

في هذا الفصل تحدثت عن المناسبات التي شكلت مثيراً لإبداعه ، وهي :

- المناسبات الدينية .
- المناسبات الوطنية .
- المناسبات القومية .
- المناسبات الاجتماعية .
- المناسبات الثقافية .

ففي المناسبات الدينية : أوضحت أن شعره الإسلامي يظهر واضحاً وجلياً في كثير من المناسبات الدينية ، فتحدثت عن المولد النبوي ، وحادثة الإسراء والمعراج ، والهجرة النبوية ، وعيد الفطر ، والحج ، ثم ذكرت بعض المتفرقات الإسلامية في شعره كأذان الفجر ، ونشيد الأنصار ، والتسبيحات والابتهالات ، كما أشرت إلى أنه قد استلهم في شعره التاريخ الإسلامي فاستدعى بعض الشخصيات الإسلامية كشخصية الفاروق وخالد ابن الوليد . واستعرض أجماد أمته الماضية ليدفع عنها شعور الذل والانكسار .

وفي المناسبات الوطنية : قمت بتوضيح مفهوم الوطنية ، وأوضحت أن غنيماً لم يترك أيّ حدث له صلة بوطنه الصغير (مصر) دون أن يسجله ويعلنه فجاء تعبيره صادقاً لأنه انبثق عن عاطفة وطنية صادقة ، ثم وقفت عند أبرز القضايا والأحداث المصرية التي تحدث عنها ، كذكرى حادثة (دنشواي) ، ومبايعة الملك فاروق ملكاً ، وقيام ثورة ١٩٥٢م ، وإعلان الجمهورية على أنقاض الملكية ، ومعاهدة الجلاء ، وحرب القناة، وبناء السد العالي

أما المناسبات القومية : فأوضحت فيها أن الشاعر لم يكن يعيش لوطنه الصغير فحسب ، وإنما كان يعيش لمواطنيه في الوطن العربي الكبير ، وأشرت كذلك إلى أنني لا أعني بالقومية مفهومها الضيق الذي يقصرها على الإقليمية الضيقة ، وإنما قصدت منها التجربة الإنسانية التي تتجاوز الحدود والعقبات ، وترتكز على اللغة والتاريخ والعقيدة . ثم وصلت إلى أن عناصر القومية العربية التي صدر عنها الشاعر هي نفسها الموجودة عند شعراء العصر الحديث في البلدان العربية ، وبينت أن شعر غنيم القومي كان صدى لكثير من المناسبات والأحداث التي وقعت في الوطن العربي الكبير . كالدعوة إلى الوحدة العربية ، وقضية فلسطين المحتلة ، وانتصار الجزائر ، ونكبة أجادير . فكان ينفع بها ويصهرها في تجربته الواعية إلى مرحلة التصوير والإبداع .

أما المناسبات الاجتماعية : فقد قسمتها إلى :

أولاً : الشاعر و العلاقات الإنسانية ، و جعلت تلك العلاقة قائمة على :

أ - المدح : وبينت أن الشاعر قد مدح كل طبقات مجتمعه فرأيناه يمدح الحكام ، والوزراء ، والرجال العظماء ، والأدباء والأصدقاء والزملاء . وأوضحت أن مدحه قد يكون نابعا من محبة صادقة يكتنّها للمدوح ، وقد يكون من طرف اللسان رغبة منه في تحقيق مصلحة خاصة أو منفعة عامة لصالح مجتمعه . فظهر عنده ما يسمى بالمفارقة في المدح .

ب - الرثاء : الرثاء عند غنيم في عامته محرك للعواطف الإنسانية المتأججة وهو رثاء يمتزج بذكر فلسفة الموت والحياة . وقد تنوعت شخصيات غنيم في رثائه كما تنوعت في مدائحه فنراه يرثي الحكام ، وينعي الزعماء الأبطال ، ويبكي الوزراء النبلاء ، والعظماء الفضلاء ، والرفاق الأوفياء من مديرين وأدباء وزملاء وأصدقاء ، وصحفيين وفنانين . كما وجدنا له مرات إنسانية مؤثرة قالها في أناس لا تجمعهم بهم علاقة إلا علاقة الدين والوطن كما مر معنا سابقاً .

ج - الدعابة والفكاهة : وقد أشرت إلى أن الفكاهة مظهر اجتماعي أحبها الناس وتداولوها فيما بينهم ، ثم أوضحت المقصود منها فهي كل ما يبعث على الضحك من فنون القول ، وتحدثت عن علاقة الفكاهة بالفرد والمجتمع في صورة موجزة ، ثم بينت أن غنيماً كان ضمن أولئك الشعراء المصريين الذين تميزوا بالروح الفكاهية الدعوبة ، وأشرت إلى أهم العوامل التي طبعت غنيماً على حب الفكاهة وأرجعت ذلك إلى أثر البيئة المصرية، والتدين الذي كان له أثره في الرضا والسماحة واجتلاب المسرة والفكاهة ، وما أصابه من مكدرات ومنغصات كان يهرب منها بين الحين والآخر إلى الفكاهة والدعابة . فكانت تلك المداعبات مع زملائه الشعراء رصيذاً شعرياً رائعاً أضيف إلى الشعر العربي فيما عرف بالأدب الفكاهي .

د - المهادة : وأوضحت أن الهدايا كانت مثيراً لإبداع الشاعر ودلالة أكيدة على

علاقاته القوية مع أصدقائه وأصحابه سواء كانوا من داخل مصر أم من خارجها .

ثانياً : متفرقات اجتماعية في شعره: وقد بينت أن غنيما بفضل ما أوتي من شاعرية غزيرة استطاع أن يضمن شعره واقع ما يدور حوله من أمور الحياة . فحاول أن يعالج كل ما يتصل بواقع الشباب وما يواجهه من أخطار وتحديات ، ولشدة حبه لهم وتعلقه بهم راح ينظم لهم الكثير من الأناشيد الحماسية فهناك نشيد للرياضة ، ونشيد للجامعة ، ونشيد للصحة ، وغيرها من الأناشيد التي توظف الهمم وتشعل الحماس .

كما أنه نقد بعض الظواهر الاجتماعية الفاسدة كالحضارة الزائفة التي تقوم على تقليد الغرب ، والاهتمام بالمادة التي اعتبرها كثير من الناس أساس الحياة والأخلاق ، كما أنه كافح ما أسماه بالأعداء الثلاثة في مجتمعه الجهل ، والفقر ، والمرض . ووقف محارباً للرديلة بجميع ألوانها ، ونادى بالتمسك بالأخلاق الفاضلة ، و حارب ما يسمى بالتبشير ، وندد ببعض البدع والخرافات التي تصاحب الموالد ، وعبر بكل جرأة وصدق عما وقعت فيه الأحزاب السياسية من تفرق وخلاف .

وفي المناسبات الثقافية : بينت أن ذلك البعد الثقافي الذي طغى على شعر غنيم جعله يشارك في أغلب المناسبات الثقافية التي كانت تعقد في مجتمعه ، وأوضحت أن تلك المناسبات الثقافية التي شارك فيها كانت مثيراً لعواطفه وإبداعه فخرج شعرٌ جميلٌ مليءٌ بالصور والتعبيرات ، وتمثل تلك المناسبات الثقافية التي شارك فيها غنيم في :

١ _ المهرجانات والندوات الأدبية . ٢ _ تحايا الوفود الثقافية .

٣ _ الإشادة بالمجلات الأدبية والدواوين الشعرية .

الفصل الثالث : " آليات التشكيل " وقد جاء هذا الفصل في خمسة مباحث :

المبحث الأول : البناء الفني للقصيدة :

وعنيت به الطريقة التي سلكها الشاعر في بناء قصيدته وتحدثت فيها عن :

- المطلع . - الخاتمة . - الوحدة العضوية .

وبينت أن القصيدة جاءت عنده ملتزمة بالوحدة العضوية في الغالب الأعم . فقد

تحقق فيها عنصر الوحدة العضوية المشتملة على وحدة الموضوع ووحدة المشاعر . ولكنها

تتجلى لنا واضحة في شعره ذي الطابع القصصي . وذلك الشعر الذي يتحدث فيه عن

همومه وأحزانه ومعاناته .

المبحث الثاني : المعجم الشعري : وبينت فيه أبرز الروافد التي شكلت معجمه والتي ترجع إلى ثقافته الواسعة ، والائتناس بألفاظ القرآن الكريم . وتأثره بألفاظ الحضارة الجديدة .

المبحث الثالث : الأسلوب : وتناولت فيه مفهوم الأسلوب ، وتنوع أساليب الشاعر ، وناقشت فيه أبرز سماته كالاقتباس ، والتضمين ، والتكرار ، والاستفهام ، والنداء.

المبحث الرابع : الموسيقى : وتناولت فيه علاقة الشعر بالموسيقى فهي علاقة قديمة حميمة ، ثم قسمت الموسيقى عنده قسمين : موسيقى خارجية تتكون من عنصرين بارزين هما الوزن والقافية ، وموسيقى داخلية نشأت من مقدرته على اختيار الكلمات المناسبة وتعاقبها وانتظامها مع تلاؤم بين حروفها وحركاتها . كما أشرت إلى التزام الشاعر بالقوافي الطيبة المألوفة في الشعر العربي ، وبينت أن التنويع في القوافي كان يظهر بوضوح في قالب الأناشيد .

المبحث الخامس : الصورة : وتناولت فيه مفهومها ، ومقوماتها من : عاطفة ، وخیال ، وحقائق وأفكار ، وأسلوب ، وموسيقى ، ثم تحدثت عن مصادر الصورة عند غنيم التي استقى منها صوره وأخيلته ومنها : الطبيعة ، والإنسان ، والحيوان ، والثقافة ، ثم تناولت أنماط الصورة عند غنيم بالشرح والتعليل ، وجعلتها تدور في أطر ثلاثة هي : التشبيه ، والمجاز ، والرمز ، وجاء الرمز عنده على ثلاثة أقسام : معجمي ، وتاريخي ، وحكاية رمزية .

وبهذا فإن الشاعر حينما كان يستخدم التشبيهات والمجازات فكأنه يعلن أنه يستخدم الصورة القديمة مع تفعيلها في شعره ، أما حين كان يستخدم الرمز فكأنه يبرهن على أنه يستخدم الصورة الحديثة .

نتائج البحث :

أثبتت هذه الدراسة ما يلي :

١. إن مصادر الإبداع عند الشاعر لا تعني فقط المصدرين الحسي والذهني ، بل تعني مرجعية المادة الشعرية المخزونة في هذا الذهن والملتقطة من الخارج من مظاهر الكون المعرفية والمادية .
٢. إن مثيرات الإبداع البارزة عنده تمثلت في تلك المناسبات الدينية والوطنية والاجتماعية والقومية والثقافية .
٣. التأكيد على أن غنيمًا كان معتدلاً وهادئاً في تكوينه النفسي فكان لذلك أثره الواضح في شعره .
٤. ظهور ملمح الرومانسية في شعره ويتجلى ذلك واضحاً فيما قاله من شعر في الطبيعة ومناجاتها ، ووصف مظاهر القرية وتذكر أيام الصِّبا ، وتلك القصائد المفعمّة بالحب والحنان والعطف التي قالها في أولاده .
٥. ظهر عنده ما يسمى بالقصة على لسان الحيوان والتي تنحو منحى الرمز ليشير بها إلى بعض الصور السلبية الاجتماعية التي لم يستطع أن يُصرِّح بها .
٦. بروز الاتجاه الإسلامي في شعره شكلاً ومضموناً . وهو موضوع بكر صالح للدراسة والبحث .
٧. إضافة إلى كون غنيم شاعراً مبدعاً ، فقد كان ناقدًا يملك مقومات الناقد البصير ، وما كتبه من آراء نقدية تجعلنا نضعه من جملة النقاد المرموقين في العصر الحديث . وبهذا أهيب بزملائي من طلاب الدراسات العليا النهوض في الكتابة عن هذا الجانب النقدي عند غنيم .
٨. تنوع المعجم الشعري عند غنيم ووفرته ، ويرجع ذلك إلى الثقافة الواسعة والأثنتاس بألفاظ القرآن الكريم ، وتأثره بألفاظ الحضارة الجديدة .
٩. التأكيد على أن غنيمًا كان ضمن أولئك الشعراء المصريين الذين تميزوا بالروح الفكاهية الدعوبة ، فأسهم في تلوين هذا النوع من الشعر في الأدب العربي .

١٠ . استخدامه للرمز المعجمي والتاريخي للتعبير عن تجاربه الشعرية .

هذه هي أبرز النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة المتواضعة ، وأرجو أن أكون قد وفقت فيها ، فإن حصل نقص أو زلل فما أنا إلا طالب علم في أول الطريق يخطئ ويصيب . وأسأل الله أن ينفع بهذا العمل إنه على ما يشاء قدير .

الجمعة

١٩/٨/١٤٢٣هـ

قائمة المصادر والمراجع

- أولاً : القرآن الكريم .
- ثانياً : الأعمال الكاملة ، محمود غنيم . الطبعة [بدون] . القاهرة : دار الغد العربي للكتاب ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .
- ثالثاً : المصادر القديمة :
١. ابن الأثير ، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم .
المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر .
الطبعة [بدون] . تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد . بيروت - صيدا :
المكتبة العصرية ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .
 ٢. ابن جعفر ، قدامة .
نقد الشعر .
الطبعة . الثالثة . تحقيق كمال مصطفى . القاهرة : مكتبة الخانجي ، التاريخ
[بدون] .
 ٣. ابن رشيق ، أبو علي الحسن القيرواني .
العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده .
الطبعة الخامسة . تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد . بيروت : دار الجيل ،
١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
 ٤. ابن طباطبا ، أبو الحسين محمد بن أحمد .
عيار الشعر .
الطبعة [بدون] . تحقيق : عبد العزيز المانع . القاهرة : مكتبة الخانجي ، التاريخ
[بدون] .
 ٥. ابن قتيبة ، أبو عبد الله .
الشعر والشعراء .
الطبعة [بدون] . تحقيق : أحمد شاكر . القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٧م .
 ٦. ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم .

- لسان العرب .
- الطبعة . الأولى . بيروت : دار صادر ، ٢٠٠٠ م .
- ٧ . الجرجاني ، عبد القاهر .
- دلائل الإعجاز .
- الطبعة . الثالثة . تحقيق : محمود شاكر . القاهرة : مطبعة المدني ، ١٤١٣ هـ /
- ١٩٩٢ م .
- ٨ . الجرجاني القاضي ، علي بن عبد العزيز .
- الوساطة بين المتني وخصومه .
- الطبعة . [بدون] . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلي محمد البجاوي .
- بيروت : المكتبة العصرية ، التاريخ [بدون] .
- ٩ . العسقلاني ، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر .
- الإصابة في تمييز الصحابة ، ج ٢ .
- الطبعة . الأولى . دار إحياء التراث العربي ، ١٣٢٨ هـ .
- ١٠ . فتح الباري . ج ١ .
- الطبعة . [بدون] . أخرجه : محب الدين الخطيب . المطبعة السلفية ، التاريخ
- [بدون] .
- ١١ . العسكري ، أبو هلال .
- الصناعتين .
- الطبعة . الأولى . تحقيق : علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم .
- القاهرة ، ١٩٥٢ م .
- ١٢ . القرطاجني ، أبو الحسن حازم .
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء .
- الطبعة . الثانية . تحقيق : محمد الحبيب بن خوجة . بيروت : دار الغرب الإسلامي
- ، التاريخ [بدون] .
- ١٣ . القزويني ، الخطيب .
- الإيضاح في علوم البلاغة .

الطبعة . الثالثة . شرح وتعليق : محمد عبد المنعم خفاجة . بيروت : دار الجليل ،
١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .

١٤ . المرتضي ، الشريف علي بن الحسين .

أُمالي المرتضي . ج ٢ .

الطبعة الثانية . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . لبنان - بيروت : دار الكتاب
العربي ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .

١٥ . المعري ، أبو العلاء .

اللزوميات . ج ١ .

بيروت : مكتبة الهلال . التاريخ [بدون] .

ثانياً : المراجع الحديثة :

١ . إبراهيم أنيس .

موسيقى الشعر .

الطبعة . السابعة . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٩٧م .

٢ . إبراهيم الحاي .

حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي .

الطبعة . الأولى . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

٣ . إبراهيم الشتوي .

أدب عبد العزيز الرفاعي .

الطبعة . الأولى . الرياض : دار الرفاعي ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .

٤ . أحمد أحمد بدوي .

أسس النقد الأدبي عند العرب .

الطبعة [بدون] . القاهرة : نهضة مصر ، ١٩٩٦م .

٥ . أحمد الشايب .

الأسلوب .

الطبعة . التاسعة . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٩٥م .

٦. أحمد شوقي .
الموسوعة الشوقية .
جمع وترتيب : إبراهيم الإبياري ، الطبعة . الأولى ، بيروت : دار الكتاب
العربي ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م .
٧. أحمد محمد الحوفي .
الفكاهة في الأدب أصولها وأنواعها .
الطبعة [بدون] . القاهرة : نهضة مصر ، ٢٠٠١م .
٨. أحمد محمد عطية .
أدب البحر .
الطبعة [بدون] . القاهرة : دار المعارف ، التاريخ [بدون] .
٩. أنور الجندي .
الشعر المعاصر ، تطوره وأعلامه .
الطبعة [بدون] . معلومات النشر [بدون] .
١٠. أنيس المقدسي .
الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث .
الطبعة . الثامنة لبنان - بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٨م .
١١. بدوي طبانة .
قضايا النقد الأدبي .
الطبعة [بدون] . المطبعة الفنية الحديثة . التاريخ [بدون] .
١٢. بكري شيخ أمين .
الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية .
الطبعة . الرابعة . لبنان - بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٥م .
١٣. جابر عصفور .
الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب .
الطبعة . الثالثة . بيروت : المركز الثقافي العربي ، ١٩٩٢م .
١٤. جودت فخر الدين .

شكل القصيدة العربية في النقد العربي .

الطبعة . الثانية . بيروت : دار الحرف العربي ، ١٩٩٥ م .

١٥ . حافظ إبراهيم .

ديوانه .

الطبعة [بدون] . صححه وشرحه : أحمد أمين ، أحمد الزّين ، إبراهيم

الإبياري . بيروت : دار الجيل ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م .

١٦ . حلمي القاعود .

محمد صلى الله عليه وسلم في الشعر الحديث .

الطبعة . الأولى . المنصورة : دار الوفاء ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧ م .

١٧ . حمد بن ناصر الدّخيل .

يحيى بن طالب الحنفي ، حياته وشعره .

الطبعة . الأولى . الرياض : الإدارة العامة للنشر بجامعة الإمام محمد بن

سعود الإسلامية ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠ م .

١٨ . ربيع عبد العزيز ، وآخرون .

دراسات في شعر محمد بن علي السنوسي .

الطبعة . الأولى . جازان : منشورات نادي جيزان الأدبي ، ١٤١١هـ /

١٩٩١ م .

١٩ . رياض قزيحة .

الفكاهة في الأدب الأندلسي .

الطبعة . الأولى . صيدا - بيروت : المكتبة العصرية ، ١٤١٨هـ /

١٩٩٨ م .

٢٠ . زكي مبارك .

المدائح النبوية في الأدب العربي .

الطبعة [بدون] . منشورات المكتبة العصرية ، التاريخ [بدون] .

٢١ .

سارة محمد الراجحي .

شعر حسين عرب .

الطبعة . الأولى . مكة المكرمة . مطابع بهادر ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م .

٢٢ . السعيد الورقسي .

في الأدب والنقد الأدبي .

الطبعة [بدون] . الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، التاريخ [بدون]

٢٣ . سليمان البستاني .

إلياذة هوميروس ، ج ١ .

الطبعة [بدون] . بيروت : دار إحياء التراث العربي ، التاريخ [بدون]

٢٤ . سليمان عبد الرحمن الحقييل .

نظام وسياسة التعليم في المملكة العربية السعودية .

الطبعة . التاسعة . الرياض : مطابع التقنية للأوفست ، ١٤١٦هـ /

١٩٩٦م .

٢٥ . سيد قطب .

التصوير الفني في القرآن .

الطبعة . الثامنة . دار الشروق ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

٢٦ . شلتاغ عبود شراد .

أثر القرآن الكريم في الشعر العربي الحديث .

الطبعة . الأولى . دار المعرفة ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .

٢٧ . شوقي ضيف .

- الفن ومذاهبه في الشعر العربي .

الطبعة . الحادية عشرة . القاهرة : دار المعارف ، التاريخ [بدون] .

٢٨ - في النقد العربي .

الطبعة . السادسة . القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨١م .

٢٩ . شيفيل مريان .

الطفل الموهوب في المدرسة العادية .

الطبعة [بدون] . ترجمة : عزيز حنا ، وعماد الدين سلطان . مراجعة :

عطية محمود هنا . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، التاريخ [بدون] .

٣٠. صابر عبد الدم .
موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور .
الطبعة . الثالثة . القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .
٣١. صبحي البستاني .
الصورة الشعرية في الكتابة الفنية الأصول والفروع .
الطبعة . الأولى . لبنان - بيروت : دار الفكر اللبناني ، ١٩٨٦ .
٣٢. الطاهر أحمد مكي .
الشعر العربي المعاصر روائعه ومدخل لقراءته .
الطبعة . الثالثة . القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٦م .
٣٣. طلعت صبح السيد .
التيارات الفنية في الشعر السعودي الحديث .
الطبعة . الأولى . الرياض : دار عبد العزيز آل حسين للنشر والتوزيع ،
١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .
٣٤. طيب أحمد الحارثي .
" علي الجندي حياته وشعره "
رسالة ماجستير ، كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى ، ١٤١٠هـ .
٣٥. عباس بيومي .
عناصر الإبداع الفني في شعر الأعشى .
الطبعة [بدون] . الإسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة للطباعة ،
١٩٨٥م .
٣٦. عباس العقاد .
مطالعات في الكتب والحياة .
الطبعة [بدون] . بيروت : المكتبة العصرية ، التاريخ [بدون] .
٣٧. عباس العقاد ، وإبراهيم المازني .
الديوان في الأدب والنقد ، ج ٢ .
الطبعة . الثالثة .

٣٨. عبد الحميد حسن .
الأصول الفنية للأدب .
الطبعة [بدون] . القاهرة : مكتبة الأنجلو ، التاريخ [بدون] .
٣٩. عبد الحميد محمد الهاشمي .
علم النفس التكويني .
الطبعة . السابعة . القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٩٩٢ م .
٤٠. عبد الرحمن رفعت الباشا .
نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد .
الطبعة [بدون] . الرياض : دار البردي للنشر والتوزيع ، التاريخ [بدون] .
٤١. عبد الرحمن عطية .
الصنوبري شاعر الطبيعة .
الطبعة [بدون] . ليبيا - تونس : الدار العربية للكتاب ، التاريخ [بدون] .
٤٢. عبد الرحمن الكيالي .
الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين .
الطبعة . الأولى . سوريا : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، التاريخ [بدون] .
٤٣. عبد الرحمن ياغي .
في الأدب الفلسطيني الحديث قبل النكبة وبعدها .
الطبعة . الأولى . الكويت : شركة كاظمة للنشر والترجمة ، ١٩٨٣ م .
٤٤. عبد العزيز الرفاعي .
الحج في الأدب العربي لمحات عابرة .
الطبعة . الأولى . منشورات المكتبة الصغيرة ، ١٣٩٥ هـ .
٤٥. عبد العزيز عتيق .
علم المعاني .

- الطبعة [بدون] . بيروت : دار النهضة العربية ، ١٤٠٥هـ .
- ٤٦ . عبد الفتاح صالح نافع .
- الصورة في شعر بشار بن برد .
- الطبعة [بدون] . عمان : دار الفكر ، ١٩٨٣م .
- ٤٧ . عبد القادر القط .
- الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر .
- الطبعة . الثانية . بيروت : دار النهضة العربية ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
- ٤٨ . عبد الله الطيب .
- المرشد إلى فهم أشعار العرب .
- الطبعة . الثانية . بيروت : دار الفكر ، ١٩٧٠م . بيروت : دار النهضة العربية ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
- ٤٩ . عبد المتعال الصعيدي .
- بغية الإيضاح لتلخيص علوم المفتاح ، ج ٢ .
- الطبعة [بدون] .
- مصر : المطبعة النموذجية ، التاريخ [بدون] .
- ٥٠ . عز الدين إسماعيل .
- الشعر العربي المعاصر .
- الطبعة . الثانية . بيروت : دار العودة ، ودار الثقافة ، ١٩٧٢م .
- ٥١ . علاء فؤاد بيومي .
- " المسرح الشعري عند محمود غنيم " .
- رسالة ماجستير ، كلية اللغة العربية ، الزقازيق ، جامعة الأزهر
- ١٤١٧هـ .
- ٥٢ . علي جواد الطاهر .
- مقدمة في النقد الأدبي .
- الطبعة . الأولى . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، التاريخ [بدون] .
- ٥٣ . عمر الدقاق .

الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث .

الطبعة الرابعة . بيروت : دار الشرق العربي ، ١٩٨٥ م .

٥٤ . فاطمة سالم عبد الجبار .

" أحمد قنديل حياته وشعره "

رسالة ماجستير ، كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى ،

١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .

٥٥ . كمال أحمد غنيم .

عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر .

الطبعة . الأولى . القاهرة : مكتبة مدبولي ، التاريخ [بدون] .

٥٦ . مجموعة من الأدباء .

دموع على الشاعر محمود غنيم .

الطبعة [بدون] . القاهرة : دار الهناء ، التاريخ [بدون] .

٥٧ . مجموعة من الكُتّاب .

المنجد في اللغة والأعلام .

الطبعة السابعة والثلاثون . بيروت : دار المشرق ، ١٩٩٨ م .

٥٨ . محمد أحمد سلامة .

" محمود غنيم وشعره "

رسالة دكتوراة ، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ،

١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .

٥٩ . محمد حسن بريغش .

الأدب الإسلامي أصوله وسماته .

الطبعة . الثانية . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م .

٦٠ . محمد الحسن علي الأمين .

الكناية أساليبها ومواقعها في الشعر العربي

الطبعة [بدون] . مكة المكرمة : مكتبة الفيصلية ، ١٤٠٥ هـ .

٦١ . محمد زكي العشماوي .

قضايا النقد الأدبي .

الطبعة . الثالثة . القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب . التاريخ [بدون] .

٦٢ . محمد بن سعد بن حسين .

من شعراء الإسلام .

الطبعة . الأولى . الرياض : مطابع الفرزدق ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

٦٣ . محمد الصادق العفيفي .

- الاتجاهات الوطنية في الشعر الحديث .

الطبعة [بدون] . بيروت : دار الكشاف ، ١٩٦٤م .

٦٤ - التجربة الإبداعية عند محمود هاشم رشيد .

الطبعة . الأولى . جدة : دار العلوم للطباعة ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .

٦٥ . محمد طه عصر .

سيكولوجية الموهبة الأدبية والطفولة .

الطبعة . الأولى . القاهرة : عالم الكتب ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م .

٦٦ . محمد عبد الرحمن حسين .

نضال شعب مصر (١٧٩٨-١٩٥٦م) .

الطبعة [بدون] . الإسكندرية منشأة المعارف ، التاريخ [بدون] .

٦٧ . محمد عبد الفتاح أبو الفضل .

تأملات في ثورات مصر ، ٢٣ يوليو ١٩٥٢م . ج ١ .

الطبعة [بدون] . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤م .

٦٨ . محمد عبد المنعم خفاجي .

- دراسات في الأدب العربي الحديث ومدراسه .

الطبعة . الأولى . بيروت : دار الجيل ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

٦٩ - من تاريخنا المعاصر .

الطبعة . الأولى . القاهرة : دار العهد الجديد للطباعة ،

١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م .

٧٠ . محمد عمرو الطمار .

تاريخ الأدب الجزائري .

الطبعة [بدون] . الجزائر : الشركة الوطنية للنشر ، التاريخ [بدون] .

٧١ . محمد غنيمي هلال .

الأدب المقارن

الطبعة . الثالثة . بيروت : دار الثقافة ، ١٩٦٢ م .

٧٢ . محمد مندور .

- الأدب وفنونه .

الطبعة [بدون] . القاهرة : دار نهضة مصر ، ١٩٩٦ م .

٧٣ - الشعر المصري بعد شوقي .

الحلقة . الثالثة .

الطبعة [بدون] . مصر : نهضة مصر ، التاريخ [بدون] .

٧٤ - النقد والنقاد المعاصرون .

الطبعة [بدون] . بيروت : دار القلم ، التاريخ [بدون] .

٧٥ . محمود الجادر .

شعر أوس ورواته الجاهليين .

الطبعة [بدون] . بغداد : دار الرسالة ، ١٩٧٩ م .

٧٦ . مصطفى عبد اللطيف السحراي .

الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث .

الطبعة . الثانية . جدة : مطبعة تهامة ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤ م .

٧٧ . مفرح إدريس سيد .

الاتجاه الإسلامي في شعر محمد بن علي السنوسي .

مكة المكرمة ، مطابع جامعة أم القرى ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧ م .

٧٨ . منصور نصرة .

القرية في الشعر العربي المعاصر .

الطبعة [بدون] . الإسكندرية : مركز اسكندرية للكتاب ، ١٩٩٦ م .

٧٩. نازك الملائكة .

قضايا الشعر المعاصر .

الطبعة . السابعة . بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٣ م .

٨٠. يوسف أبو العدوس .

البلاغة والأسلوبية .

الطبعة . الأولى . الأردن - عمان : المطبعة الأهلية ، ١٩٩٠ م .

٨١. يوسف بكار .

بناء القصيدة في النقد العربي القديم .

الطبعة . الثامنة . بيروت : دار الأندلس للطباعة ، ١٩٨٢ م .

٨٢. يوسف خليف .

في الشعر العباسي نحو منهج جديد .

الطبعة [بدون] . القاهرة : مكتبة غريب . التاريخ [بدون] .

رابعاً : المجلات والدوريات :

١ - الأدب الإسلامي ، (المجلد الخامس) ، عدد : ١٩ ، في ١٤١٩ هـ .

٢ - البيان ، عدد : ١١٧ ، السنة الثانية عشرة ، جمادي الأولى ، ١٤١٨ هـ .

٣ - التضامن الإسلامي ، عدد يونيو ، سنة ١٩٧٢ م .

٤ - مجلة الرسالة ، العدد : ١١١٦ ، السنة الثانية والعشرون ، صفر ، ١٣٨٥ هـ .

والعدد : ١١١١ ، السنة الثانية والعشرون ، ذو الحجة ، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥ م .

٦ - كتاب الرياض ، العدد : ١٠١ ، إبريل ٢٠٠٢ م .

١٣٠	 - تاريخية
١٣١	 - دينية
٢٩٠-١٣٣	 الفصل الثاني : مثيرات الإبداع
١٣٤	 - مناسبات دينية
١٦٧	 - مناسبات وطنية
١٩٤	 - مناسبات قومية
٢١٦	 - مناسبات اجتماعية
٢٨١	 - مناسبات ثقافية
٣٩٩ - ٢٩١	 الفصل الثالث: آليات التشكيل
٢٩٢	 المبحث الأول : البناء الفني للقصيدة
٣١١	 المبحث الثاني : المعجم الشعري
٣٢١	 المبحث الثالث: الأسلوب
٣٣٥	 المبحث الرابع: الموسيقى
٣٥٤	 المبحث الخامس : الصورة
٤٠٠	 الخاتمة
٤١٠	 قائمة المصادر والمراجع
٤٢٣	 فهرس المحتويات